المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي
مكة المكرمة



سلسلة الرسائل العلمية الموصى بطبعها
" ٨ "

موقف ابن تيمية من النصرانية

تأليف الدكتورة

مريم عبد الرحمن عبد الله زامل

الجزء الثاني

١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي
مكة المكرمة



سلسلة الرسائل العلمية الموصى بطبعها
" ٨ "

موقف ابن تيمية من النصرانية

تأليف الدكتورة

مريم عبد الرحمن عبد الله زامل

الجزء الثاني

١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م

ح جامعة أم القرى ، ١٤١٦ هـ .

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر .

الزامل ، مريم عبد الرحمن بن عبد الله

موقف ابن تيمية من النصرانية ـ مكة المكرمة

٥٢٨ ص ؛ ١٧ × ٢٤ سم (أبحاث ودراسات إسلامية) (الجزء الثاني)

ردمك ٥ ـ ٠٧٢ ـ ٠٣ ـ ٩٩٦٠

ردمد ٣٧١٦ ـ ١٣١٩

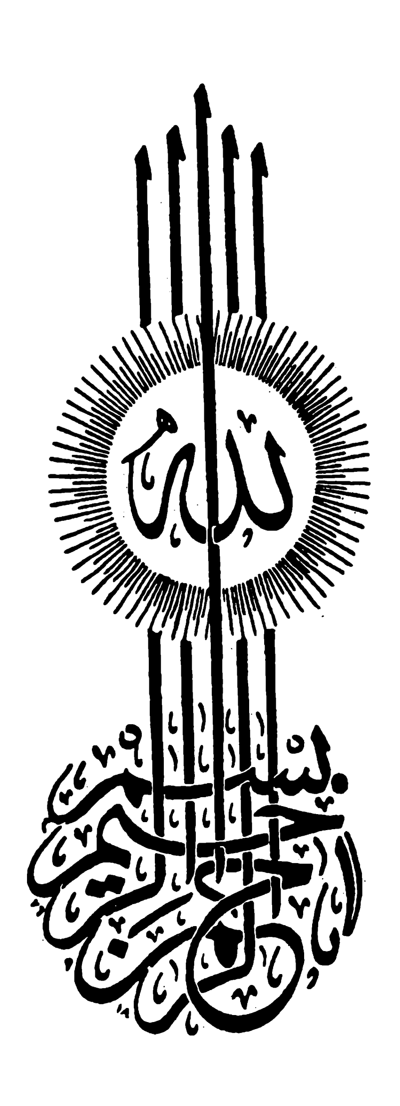
١ ـ الإسلام والمسيحية ٢ ـ المسيحية أ ـ العنوان ب ـ السلسة

ديوي ٢١٤,٢٧ ١٦/١١٤٠

رقم الإيداع : ١٦/١١٤٠

ردمك ٥ ـ ٧٢. ـ ٠٣ ـ ٩٩٦٠

ردمد ٣٧١٦ ـ ١٣١٩



هذا العمل هو رسالة دكتوراة في « موقف ابن تيمية من النصرانية » من جامعة أم القرى بمكة المكرمة كلية الشريعة .

قسم : العقيدة

أوصت لجنة المناقشة بطبعها ..

وبالله التوفيق

الفصل الثالث

فى

عقيدة النصارى بألوهية روح القدس

وإبطال ابن تيمية لها

أ - عقيدة النصارى بألوهية روح القدس، وادلتهم على ذلك :

١ - مفهوم روح القدس فى الكتاب المقدس.

٢ - ألوهية روح القدس بين نفاتها ومثبتيها من النصارى.

٣ - دور المجامع فى تأييد عقيدة ألوهية روح القدس.

٤ - جوهر العقيدة النصرانية بألوهية روح القدس.

٥ - أدلة المؤلهين لروح القدس من الكتاب المقدس وبطلانها .

ب - إبطال ابن تيمية لشبهات النصارى على عقيدتهم بألوهية روح القدس:

١ - إبطال شبهاتهم من التوراة.

٢ - إبطال شبهاتهم من الإنجيل .

٣ - إبطال شبهاتهم من القرآن الكريم.

جـ - التعقيب :

١ - الجذور التاريخية لعقيدة النصارى بألوهية روح القدس.

٢ - خصائص روح القدس فى الكتاب المقدس، ودلالتها على بطلان ألوهيته.

٣ - تناقض عقيدة ألوهيته روح القدس مع العقل.

٤ - العقيدة القرآنية الصحيحة فى روح القدس.

الفصل الثالث

العقيدة النصرانية بألوهية روح القدس

وإبطال ابن تيمية لها

أ - عقيدة النصارى بألوهية روح القدس وأدلتهم على ذلك :

١ - مفهوم روح القدس في الكتاب المقدس :

قبل أن نتكلم عن عقيدة النصارى بألوهية روح القدس، نعرض بالدراسة لمفهوم الروح أو روح الله أو روح القدس في الكتاب المقدس بعهديه (القديم والجديد).

فأما في أسفار العهد القديم فإن «الكلمة العبرية (رواه) تترجم عادة بلفظ روح. وتدل في معناها الأصلي على الريح، ولكنها تستعمل أيضا في كثير من الأحيان بمعان أخرى، قد يكون بعضها مشتقا من المعنى الأول»(١).

وقد تأتى كلمة الروح في أسفار العهد القديم مجازا بمعان أخرى، يذكرها سبينوزا، ويستشهد عليها من نصوص الأسفار على النحو الآتى :

١ - نسمة أو نَفَس. «ليس في أفواهها نسمة»(٢).

٢ - نفخ أو تنفُّس. «ورجعت روحه إليه»(٣) أى أنه بدأ في التنفس.

٣ - الشجاعة أو القوة. «ولم تبق بعد روح في انسان بسببكم»(٤).

---

(١) سبينوزا : رسالة في اللاهوت والسياسة ص ١٣٤، ١٣٥. ترجمة وتقديم د.حسن حنفى مراجعة د. فؤاد زكريا.

(٢) مز ١٣٥ : ١٧.

(٣) صموئيل الأول ٣٠ : ١٢.

(٤) يشوع ٢ : ١١.

٤ - الحكمة . «فقال فرعون لعبيده : هل نجد مثل هذا رجلا فيه روح الله؟ ثم قال فرعون ليوسف : بعد ما أعلمك الله كل هذا، ليس بصير وحكيم مثلك»[(١)].

٥ - رأي. «فمن أجل أنه كانت معه روح أخرى»[(٢)] أى رأي آخر.

٦ - الارادة . «إلى حيث تكون الروح لتسير تسير»[(٣)].

٧ - الفكر نفسه، أو روح الانسان أو نفسه. « لأن مايحدث لبني البشر، يحدث للبهيمة. وحادثه واحدة لهم. موت هذا كموت ذاك. ونسمة واحدة للكل فليس للإنسان مزية على البهيمة؛ لأن كليهما باطل. يذهب كلاهما إلى مكان واحد، كان كلاهما من التراب، وإلى التراب يعود كلاهما. من يعلم روح بني البشر؟ هل هي تصعد إلى فوق، وروح البهيمة هل هي تنزل إلى أسفل إلى الأرض؟ فرأيت أنه لاشيء خير من أن يفرح الانسان بأعماله»[(٤)].

٨ - قوة تفوق المعتاد . «وملأته من روح الله»[(٥)] أي بعقل ومهارة فوق المعتاد.

٩ - نفس الانسان. «نفخة الله فى أنفي»[(٦)].

١٠ - شريعة موسى؛ لأن هذه الشريعة كانت تعبر عن فكر الله. «أين

---

(١) سفر التكوين ٤١:٣٨-٣٩.
(٢) سفر العدد ١٤ : ٢٤.
(٣) سفر حزقيال ١ : ١٢.
(٤) جامعة ٣ : ١٩-٢٢.
(٥) سفر الخروج ٣:٣١.
(٦) أيوب ٢٧ : ٣.

الذى جعل فى وسطهم روح قدسه»[1].

١١ - فكر الله. «روحك صالح يهدينى فى أرض مستوية»[2]. أي فكرك الذى أوحيت به إلينا سيقودنا إلى الطريق المستقيم.

١٢ - مشاعر الله. «وروحي قائم فى وسطكم لاتخافوا»[3].

ويقول سبينوزا بعد ذكر هذه المعانى المجازية لكلمة الروح فى أسفار التوراة «وهكذا يسهل علينا تفسير كل نصوص الكتاب التى يرد فيها ذكر روح الله. فعبارة «روح الله» أو «روح يهوه» لا تعنى فى بعض النصوص الاّ ريحا قوية جافة عاتية. كما نجد فى أشعياء «لأن روح الرب هبّ فيه»[4].

أى ريح مدمرة، وكذلك فى سفر التكوين « وريح الله يرف على وجه المياه»[5] أى ريح قوية للغاية»[6].

أما فى أسفار العهد الجديد فقد استعملت كلمة روح، أو روح الله، أو روح القدس، بمعان قريبة من المعانى التى استعملت بها فى أسفار العهد القديم. ومن هذه المعانى مايأتى :

١ - منزل الوحى إلى الأنبياء والرسل بالهام، أو الظهور لهم شخصيا. (والالهام هو الواضح من النصوص) يقول بطرس :

---

(١) أشعياء ٦٣ : ١١.

(٢) مز ١٤٣ : ١٠.

(٣) حجى ٢ : ٥.

(٤) ٤٠ : ٧.

(٥) ١ : ٢.

(٦) رسالة فى اللاهوت والسياسة ص ١٣٨.

«لأنه لم تأت نبوة قط بمشيئة انسان، بل تكلم أناس الله القديسون مسوقين من الروح القدس»[1].

وهو نفس المعنى الذى اعترف به المسيح - عليه السلام - عن الوحي فى قوله «لأن داود قال بالروح القدس»[2].

٢ - المدد الآلهى أوَ القوة المعنوية. يقول المسيح لتلاميذه :

«أحذروا من الناس؛ لأنهم سيسلمونكم إلى مجالس، وفى مجامعهم يجلدونكم وتساقون أمام ولاة وملوك من أجلي شهادة لهم وللأمم، فمتى أسلموكم فلا تهتموا كيف أو بما تتكلمون، لأنكم تعطون فى تلك الساعة ما تتكلمون به؛ لأن لستم أنتم المتكلمين، بل روح أبيكم الذى يتكلم فيكم»[3].

٣ - قوة الله . يقول الانجيل عن زكريا - عليه السلام - : «وامتلأ زكريا أبوه من الروح القدس، وتنبأ قائلا»[4]. أى من قوة الله الملهمة.

٤ - الالهام لغير الأنبياء والرسل. يقول لوقا . «وكان رجل فى أورشليم اسمه سمعان، وهذا الرجل كان بارا تقيا، ينتظر تعزية اسرائيل، والروح القدس كان عليه. وكان قد أوحي إليه بالروح القدس أنه لا يرى الموت، قبل أن يرى مسيح الرب، فأتى بالروح إلى الهيكل»[5].

---

(١) رسالة بطرس الثانية ٢ : ٢١.

(٢) انجيل مرقس ١٢ : ٣٦.

(٣) انجيل متّى ١٠ : ١٧-٢٠.

(٤) انجيل لوقا ١ : ٦٧.

(٥) انجيل لوقا ٢ : ٢٥-٢٧.

٥ - محرك الناس وهاديهم . «أما يسوع فرجع من الأردن ممتلئا من الروح القدس، وكان يقتاد بالروح فى البرية»(١).

أما كلمة القدس عند النصارى، فهى تعنى الصلاح والطهر. « ... أنها تصف دائما الانسان الذى يتمم واجبه نحو الله بكل أمانة، ويمنتهى الدقة. أنها تصف الانسان ليس كما يظهر أمام زملائه من الناس، ولكن كما يظهر أمام الله. أن كلمة (قدوس) هى التى تحمل معها أعظم كل أنواع الصلاح، وهو الصلاح الطاهر فى نظر الله»(٢).

هذه هي الاستعمالات الحقيقية والمجازية لكلمتيْ الروح والقدس، ولكلمات روح الله، أو روح القدس فى العهد القديم والجديد، ولكن النصارى لم يقفوا عند هذه الاستعمالات، وما تدل عليه كلمات «روح الله أو روح القدس» من مجرد الدلالة على النسبة إلى الله والاختصاص به على نحو مايقال : بيت الله، وجبل الله، ولكنهم اعتبروا روح القدس هو الاقنوم الثالث من الأقانيم المكونة للحقيقة الآلهية، لا مجرد موجود روحانى، وانتهى الأمر بالكثير منهم إلى الاعتقاد بألوهيته كما سنرى فيما بعد.

٢ - ألوهية روح القدس بين نفاتها ومثبيها من النصارى :

ولكن متى بدأ الاعتقاد بألوهية الروح القدس؟ وهل كان هذا الاعتقاد حقيقة مقررة عند النصارى جميعا أم كان هناك من لا يدين بها؟

يدعي النصارى أنهم يأخذون عقيدتهم بألوهية روح القدس من أسفار

---

(١) انجيل لوقا ٤ : ١ . وأنظر هذه الاستعمالات لكلمة الروح لدى الدكتور أحمد حجازى السقا فى كتابه أقانيم النصارى ص ٤٤، ٤٥.

(٢) وليم باركلى/ شرح الرسالة إلى العبرانيين ص ١٢٧ تعريب القس جرجس هابيل.

العهد القديم، وأن أحد معانى الروح القدس فى هذه الأسفار هو الألوهية والقدرة على الخلق والايجاد. وفى ذلك يقول شارح انجيل يوحنا:

«كان لليهود ثلاث فكر رئيسية عن الروح هي :

الفكرة الأولى: أن الروح قوة جبارة كقوة الريح العاصفة.

الفكرة الثانية: إن الروح حياة ... فهي مركز، وجوهر الحياة، والقوة المحركة الدافعة لوجود الانسان.

والفكرة الثالثة: إن الروح ليس أقل من ذات الجلال الآلهى، فجوهره، ومصدره وكيانه، فوق مستوى البشر وكيانهم، وحلول الروح على انسان ما معناه حلول الله، بقوته ومجده وجلاله، على هذا الانسان»(١).

ولكننا إذا تعمقنا فى معرفة البدء التاريخى لهذه العقيدة عند أهل الكتاب، فإننا لا نجد لها ذكرا عند اليهود. فلم يكونوا يؤمنون بأن الروح القدس اله أو يمثل وحدة من وحدات الحقيقة الآلهية – كما يزعم النصارى فيما بعد – وان كان النصارى يزعمون أنهم يرجعون فى اعتقادهم بألوهية روح القدس إلى مصادرها الأولى من أسفار التوراة، وهو زعم يكذبه ماقدمناه عن العالم اليهودى (سبينوزا) من استعمالات هذه الكلمة فى أسفار العهد القديم. فلم نر فى هذه الأسفار مايدل على هذا المعنى المزعوم لكلمة الروح القدس. وفى نفس الوقت فسوف نرى فيما بعد إبطال ابن تيمية لمزاعم النصارى فى استمدادهم لعقيدتهم هذه من أسفار العهد القديم.

وقد أوردت دائرة المعارف الفرنسية ما يفيد عدم اعتقاد اليهود بألوهية

---

(١) وليم باركلى جـ١ ص ١١٦.

روح القدس على عكس ما أصبح عليه الحال عند النصارى فيما بعد – أوردت فى ذلك ما ملخصه:

«جاء لفظ روح الله، ونفخة الله فى التوراة، ولم يقصد بها الاّ أصل القدرة الآلهية. إأو طريقة تأثير تلك القدرة ، فجاء فى التوراة أن الأرض فى مبدأ تكونّها حين كانت خالية خاوية مجللة بالظلمات كان روح الله يتحرك على مياهها، فلما سوى الله الانسان من الطين نفخ فيه من روحه فاستوى بشرا سويا، ثم سحب روحه منه فعاد طينا كما كان أولا، ولكن الله أعاد إليه روحه ثانية، ومن نفخة الله أو روحه نشأت جميع الكائنات الأرضية[١].

وجاء فى مواطن أخرى من التوراة ماْيدل على أن روح الله كانت تعني فى معرض آخر أصل حكمة الله وتنزهه، ولم يرد فى كتب اليهود مايؤخذ منه أنهم يعتقدون بأن الروح القدس شخصية متميزة، أو أنه أقنوم من الأقانيم المركبة لله كما هو عند النصارى.

فالاعتقاد بألوهية روح القدس لم يبدأ باليهود كما يزعم المؤلهون له من النصارى..»[٢] ولكنها عقيدة نصرانية مستحدثة فمتى بدأ ذلك فى تاريخ النصرانية؟

« يعتقد (سباليوس) أن عصر تأليه روح القدس بدأ من يوم الخمسين[٣]

---

(١) اشارة إلى النص الوارد فى سفر الخليقة (التكوين) ١ : ١ .٢.

(٢) د. محمد فريد وجدى : دائرة معارف القرن العشرين جـ٧ ص ٦٥٣/٦٥٥ باختصار وتلخيص.

(٣) أى بعد عشرة أيام من الصعود الأخير، حيث إنه بعد أن قام عيسى من الأموات – على زعمهم – مكث معهم مدة أربعين يوم، ثم صعد مرة أخرى، وبعد عشرة أيام من صعوده الأخير – كما يعتقدون – نزل عليهم الروح القدس.

بعد قيامة المسيح حتى يومنا هذا، لكن الكنيسة رفضت هذا القول وذلك لأن الروح القدس – حسب اعتقادها – موجود أزلى»[1].

ويدّعى السوسينيون[2] «أن الكنيسة لم تعتقد إلوهية الروح القدس قبل المجمع القسطنطيني الذى شجب المكدونيين سنة ٣٨١[3].

وهو أدعاء ليس ما يبرره، بل الواقع غير ذلك تماما حيث نرى أن «جميع معلمى الكنيسة فى القرون الثلاثة الأولى اعتقدوا ألوهية الروح القدس، وقد جمع (مارباسيليوس) شهادتهم بذلك فى كلامه على الروح القدس، وذكر أن اعتقاد ألوهيته فى (الدسولجيا) وهى ترنيمة قديمة العهد تاريخ نظمها

---

(١) جوش مكدويل : برهان يتطلب قرارا. ص ٤٢٤ ترجمة القس منيس عبد النور. وأنظر وكذلك القس موسى وهبة مينا : بالحقيقة نؤمن باله واحد جـ١ ص ١٠٥.

(٢) السوسينيانية : «جماعة دينية، لاتقبل فكرة وجود الثالوث الأقدس، أوجدها ليليوس سوسنيوس فى القرن ١٦، ثم غذاها فوستوس سوسنيوس. تحوي العقيدة عناصر من المذهب الانساني العقلي، وشيئا من مبادىء الإصلاح، وتدعو إلى الإيمان بصلاح الإنسان مع قبول سلطة الكتاب المقدس وتفسيره الحرفي. ويرفض أتباعها قبول عقيدة الثالوث الأقدس، وهم يعترفون بالمسيح، الاّ أنهم ينكرون ألوهيته، ولايرون الأسرار المقدسة الا رموزا روحية. والسوسينيانيون يختلفون فى العقائد مع الكنائس المصلحة الأخرى، الاّ أن ذلك خفف أحيانا من صلابة العقيدة والتمسك بها، مع اكتسابهم قوة بنمو الحركة العقلية واستطاعت هذه الحركة بقيادة فوستوس أن تحصل على أكبر نجاح لها فى بولندا، حيث تمركزت الحركة فى مدينة راكوف وهناك وضعت الأسس المنكرة للثالوث الأقدس.

وجمع فوستوس الذين شايعوه في نكران الثالوث، وشكل طائفة دعاها طائفة الأخوة البولنديين، وأهتم هؤلاء بالشئون التهذيبية والاجتماعية، إلى أن أوقع الكاثوليك حرمانا عليهم سنة ١٦٢٨م. وتدعى السوسينياتية فى بعض الأحيان بجماعة الموحدين القديمة».

أنظر : محمد شفيق غربال : الموسوعة العربية الميسرة ص ١٠٣٣.

(٣) الشيخ عبد الوهاب النجار : قصص الأنبياء ص ٤٦٢.

مجهول»(١).

ومعنى ذلك أن الاعتقاد بألوهية روح القدس كان موجودا فى الأوساط النصرانية منذ فجرها الأول، ولم يبدأ الاعتقاد بها فى المجامع - كما قيل - ولكن دور المجامع كان هو اعلانها وترسيخها، وشجب الخارجين عليها. ومع ذلك فقد كان هناك من النصارى من لايدين بهذه العقيدة، بل يعتقد بمخلوقية روح القدس لا بألهيته. وكما سبق وأن نشأ خلاف فى أمر المسيح نفسه، فانقسم الناس بين مؤله للمسيح، وبين منكر لهذه الألوهية، كذلك نشأ خلاف فى أمر الروح القدس، وقد ظل الوضع - على مدى أعوام عديدة - متأرجحا بين مؤله للروح القدس، ومميز له، وقائل بأقنوميته، وبين منكر لذلك، مقر بمخلوقيته.

فكان هناك مقدنيوس (أسقف القسطنطينية فى القرن الرابع الميلادى) ويوسابيوس وأبوليناريوس والأريوسيون .. كان هؤلاء جميعا ينكرون لاهوت الروح القدس ويقولون: إن الروح القدس مخلوق محدث كسائر المخلوقات. ومن أقوالهم فى ذلك : «إن الروح القدس إنما هو مخلوق كالملائكة، ولكنه أرفع درجة منهم»(٢). وإن اعتقاد ألوهيته لا يقبله العقل.

ويستبعدون أن يكون الروح القدس مستعمل حقيقة. وفى ذلك يقول (ماراتونيوس) : إن روح القدس مستعمل مجازا يكنى به عن أفعال الله، ولم يسم روح القدس (الله)(٣).

---

(١) الشيخ عبد الوهاب النجار : قصص الأنبياء ص ٤٦٢.

(٢) الشيخ عبد الوهاب النجار : قصص الأنبياء ص ٤٦٢، وقد ورد هذا القول أيضا فى تفسير الرازي المجلد العاشر جـ١٩ ص ٢٢٤/٢٢٥ عند تفسيره لآية النحل الثانية (ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده) .

(٣) الشيخ عبد الوهاب النجار : قصص الأنبياء ص ٤٦٢.٤٣٧ ١

وقال المكدونيون : «لاندرك ماهو الروح القدس فى الجوهر الالهى، فلابد أن يكون مولودا أو غير مولود، فإذا لم يكن مولودا فما الفرق بينه وبين الأب، وإذا كان مولودا فبماذا يمتاز عن الأبن»[1].

وكان هناك على الطرف المقابل طوائف مسيحية أخرى ذهبت إلى القول بألوهية روح القدس وشركته فى الثالوث المقدس لديهم، وتنكر كونه مخلوقا . من هؤلاء :

١ – «تيرتوليان» (١٦٠ – ٢٤٥) الذى «كان يعتبر الروح القدس ذاتا مميزة. وكان يقول : الأب شىء والأبن شىء وروح القدس شىء، لكنه كان يضعه فى المرتبة الثالثة . وكان يقول : إن الله أنتج الكلمة كما ينتج الجذر الساق والروح القدس نشأ من الكلمة كالثمرة تنشأ من الساق.

٢ – وكان أوريجين (١٧٥ – ٢٥٤) يعتبر روح القدس شخصا متميزا، ولكنه كان يعتبره أحط من الابن ومخلوقاته. وكان يقول : «ان الأب يعمل فى جميع المخلوقات، ولكن الأبن لا يعمل إلاّ فى الكائنات العاقلة. ولا يعمل روح القدس الاّ فى القديسين دون غيرهم. فقدرة الأب أكبر من قدرة الأبن، وقدرة الأبن أكبر من قدرة الروح القدس، وقدرة الروح القدس أكبر من قدرة القديسيين.

٣ – وقال سان جيروم : إن (لاكتانس) (٢٥٠ – ٣٠٠) كان يهب للروح القدس شخصية متميزة.

٤ – وكان (هرِمَس) يرى أن الجزء الآلهى فى عيسى هو الروح القدس».

---

(١) المرجع السابق ص ٤٦٢ : ٤٦٣.

٥ – ودعا (تيموثاوس) بطريرك كنيسة الاسكندرية – مهد الأفلاطونية الحديثة – في القرن الرابع الميلادى إلى ألوهية الروح القدس. واعتباره خالقا»[(١)].

٦ – وقال (أثناسيوس) : إن «كلمة روح القدس استعملت اسما لله تعالى، ونسب إلى الروح مالا ينسب الاّ إلى الله، كتقديس الأنفس، ومعرفة جميع الحقائق، وغير ذلك . وقال : من المحال أن تعتبر الروح القدس مخلوقا؛ لأننا نجعله باعتباره كذلك شيئا غير مساو للأب والأبن، وبيّن أن القول بالمجاز فى غير محله.

وقال فى معرض ردّه على المكدونيين : لا نسلم أن التوليد هو الواسطة الفريدة للإنبثاق من الأب والأبن وان كنا نسلّم بجهل الفرق بين التوليد والإنبثاق من الأب والأبن .... لكن التوليد والإنبثاق أبديان لازمان، ولا يأتيان بشيء من غير الجوهر ..».

٧ – ويرى (توسوي) – الكاثوليكي الرومانى – أن الروح القدس المنبثق من الأب والأبن هو من نفس جوهرهما فهو معهما اله واحد [(٢)].

وتضاربت آراء النصارى واختلفت بين مؤيد لهذا ومعارض لذاك، واشتدت فجوة الخلاف حتى كان عام (٣٦٠م) «فجاء أتاناز، وأثار حربا على القائلين بعدم شخصية (أقنومية) الروح القدس، وساعده جماعة من معاصرية اللاهوتيين من أمثال : غريغوار دونازيانس، وباريل الأكبر، وديديم. وأتفق الجميع على إثبات أن الروح القدس يؤلف باتحاده مع الأب والأبن الثالوث

(١) أنظر د. محمد فريد وجدى : دائرة معارف القرن العشرين جـ٧ ص ٦٥٤/٦٥٥.

(٢) أنظر فى ذلك الشيخ عبد الوهاب النجار : قصص الأنبياء ص ٤٦٢/٤٦٣.

الآلهى، وأنه يساويهما فى الطبيعة»(١).

٣ - دور المجامع فى تأييد عقيدة ألوهية روح القدس :

ثم كان مجمع القسطنطينية، حيث كتب امبراطور القسطنطينية آنذاك (تذوس) إلى بطريرك كنيسة الاسكندرية وأنطاكية ورومية، وأسقف بيت المقدس أن أحضروا إلى القسطنطينية، فحضروا مع أساقفتهم الذين بلغوا مائة وخمسين أسقفا، واجتمع بهم، وكان ذلك سنة ٣٨١م. وانتهى الاجتماع بلعن مقدنيوس، وكل من يقول قوله، وينحو منحاه، وأثبتوا أن روح القدس خالق غير مخلوق، إله حق، وهو الرب المحيى المنبثق* من الأب، وأن طبيعة الأب والأبن جوهر واحد، وطبيعة واحدة، حيث أعلن بطريرك الاسكندرية فى هذا المجمع مايلى :

قال : «ليس روح القدس عندنا بمعنى غير روح الله، وليس روح الله شيئا غير حياته، فإذا قلنا : إن روح القدس مخلوق، فقد قلنا :إن روح الله مخلوق

---

(١) د. محمد فريد وجدى : دائرة معارف القرن العشرين جـ٧ ص ٦٥٥.

* أصل الانبثاق : الانفجار، كالاندفاق والانصاب، ونحو ذلك، وبثق النهر بثًقًا وبِثقاً وتبثاقا : كسر شطه لينبثق الماء.

وابنثق انفجر ، والسيل عليهم أقبل ولم يحتسبوه، وبثق السيل موضع كذا، أى خرقه وشقه فانبثق أي انفجر. أنظر الفيروز أبادي : القاموس المحيط جـ٣ ص ٢١٠ وكذلك : محمد مرتضى الزبيدي : تاج العروس جـ٦ ص ٣٨٣ فصل الباء من باب القاف.

يقول ابن تيمية تطيقا على ذلك :

«فاقتضى ذلك أن يكون هذا الرب المحيى انفجر من الأب واندفق منه . إلى أن يقول : ومعلوم أن حياة الله التى هي صفته ليست منبثقة منه، بل هى قائمة به لا تخرج عنه ألبتة، وصفة لازمة له لا تتعلق بغيره».

الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح جـ٢ ص ١١٩.

وإذا قلنا : إن روح الله مخلوق، قلنا : إن حياته مخلوقه، وإذا قلنا : إن حياته مخلوقه فقد زعمنا أنه غير حى، وإذا زعمنا أنه غير حى فقد كفرنا به، ومن كفر به وجب عليه اللعن»[1].

وقد زيد فى هذا المجمع اضافة على ماتقرر فى وثيقة ايمانهم الصادرة عام ٣٢٥م مايلى : « .... ونؤمن بروح القدس الرب المحيى المنبثق من الأب، ممجد ومسجود له وناطق في الأنبياء».

ومرة أخرى فرض هذا القرار فرضا على المسيحيين - كما فرض من قبل قرار تأليه المسيح - وعذب ولعن من خالفه، وأصبحت الكلمة للقائلين بألوهية روح القدس، وقد أخذت جميع الفرق المسيحية المثلثة القديمة من ملكانية ونساطرة ويعاقبة - أخذت بهذه العقيدة. وهم متفقون على أن روح القدس هو روح الله، وهو اله خالق محيى، منبثق من الأب والإبن، وهو مع الأب والإبن مسجود له، وممجد وناطق فى الأنبياء[2]. ويقولون :

أن الله واحد ذو أقانيم ثلاثة : الوجود، والعلم، والحياة، وهذه الأقانيم الثلاثة - بما فيهم الروح القدس - هى آلهة، خالقه، أزلية[3].

وقد بقيت هذه الطوائف القديمة على عقيدتها هذه حتى ورثت آراءها الفرق المسيحية الحديثة من أرثوذكس وكاثوليك وبروتستانت، وكلهم مجمعون على أن الله واحد ذو أقانيم ثلاثة : الأب والأبن والروح القدس، ومتفقون على

---

(١) د. أحمد حجازى السقا : أقانيم النصارى ص ٩١.

وكذلك الشيخ محمد أبو زهرة : محاضرات فى النصرانية ص ١٣٣ ط ٣.

(٢) أنظر الدكتور أحمد شلبى / المسيحية ص ١٥٣ ط ٥.

(٣) أنظر الشهرستانى : الملل والنحل جـ٢ ص ٦٢، ٦٤، ٦٦.

تأليه كل أقنوم منها.

والعجيب فى أمر النصارى أنهم يقولون : ان روح القدس لايزال موجودا وهو ينزل على الآباء والقديسيين بالكنيسة يرشدهم ويعلمهم كلما حزب أمر»[1].

بل لايكاد ينقطع راهب فى صومعة متظاهرا بحب المسيح حتى تقول عنه الكنيسة إنه «مملؤ من الروح القدس» وتمنحه لقب رسول أو قديس، بل وتعدّ كلامه وحياً ملهماً لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه {كبرت كلمة تخرج من أفواههم أن يقولون الا كذبا}[2].

٤ - جوهر العقيدة النصرانية بألوهية روح القدس :

هكذا استقر الأمر للقائلين بألوهية روح القدس، وفى هذه العقيدة «يرى أصحاب الثالوث أن الروح القدس الذى يمثل عنصر الحياة فى الثالوث المقدس، يعتبر أقنوما قائما بذاته، والها مستقلا بنفسه، فالثالوث المقدس عندهم ثلاثة أقانيم هى : الذات والنطق والحياة.

فالذات هو الله الأب، والنطق أو الكلمة هو الله الإبن، والحياة هى الله الروح القدس. ذلك أن الذات والد النطق، والكلمة مولودة من الذات، والحياة منبثقة من الذات»[3].

ويحتل الروح القدس المرتبة الثالثة بين الأقانيم الالهية عند المسيحيين حسبما جاء فى قانون إيمانهم الذى اكتمل تقريره فى مجمع القسطنطينية

---

(١) د. أحمد شلبى : المسيحية ص ١٥٤ ط ٥.

(٢) سورة الكهف آية ٥.

(٣) محمد مجدى مرجان : الله واحد أم ثالوث ص ١١٦.

الأول – كما ذكرنا من قبل – نؤمن بالله الواحد الأب مالك كل شيء ... وبالإبن الواحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد ... ونؤمن بروح القدس الرب المحيى المنبثق من الأب، نسجد له، ونمجده مع الأب والإبن الناطق، وبكنيسه واحدة مقدسة جامعة رسولية».

فهو «الله الأزلي، وهو الكائن منذ البدء قبل الخليقة، وهو الخالق لكل شيء، والقادر على كل شيء والحاضر فى كل مكان، وهو السرمدي غير المحدود»[1].

ومعنى ذلك : أن الروح القدس – كما يعتقدون – «ليس هو مجرد تأثير أو صفة أو قوة، بل هو ذات حقيقي، وشخص حي، وأقنوم متميز، ولكنه غير منفصل، وهو وحدة أقنومية غير أقنوم الأب، وغير أقنوم الأبن، ومساو لهما فى السلطان والمقام ومشترك واياهما فى جوهر واحد، ولاهوت واحد»[2].

وهذا يعني : «أن الله واحد فى ثلاثة أقانيم يملك كل من هؤلاء الأقانيم الطبيعة الالهية بكاملها»[3].

وقد نشب فى القرن التاسع الميلادى خلاف بين الطوائف المسيحية فيما يتعلق بالأقنوم الذى انبثق منه روح القدس. هل انبثق من الأب وحده أم من الأب والإبن معا.

---

(١) يسى منصور : رسالة التثليث والتوحيد ص ٤٥ ومابعدها نقلا عن : محمد مجدى مرجان الله واحد أم ثالوث ص ١١٦.

(٢) محمد مجدى مرجان : الله واحد أم ثالوث ص ١١٦ وهو قول منقول على لسان الكاتب المسيحى يسى منصور.

(٣) الأب بولس الياس اليسوعي : يسوع المسيح (شخصيته وتعاليمه) ص ٧٥، ٧٦.

«فذهبت بعض الطوائف إلى أن انبثاق روح القدس كان من الأب، وذهب البعض الآخر إلى أن انبثاقه كان من الأب والإبن معا. وكان بطريرك كنيسة روما من القائلين بالرأى الثانى وهو أن روح القدس منبثق من الأب والأبن معا، وأصدر قرارا بذلك فى مجمع القسطنطينية عام (٨٦٩م).

أما بطريرك القسطنطينية فكان يرى الرأى الأول وهو أن الروح القدس منبثق من الأب وحده، وأصدر قرارا بذلك فى مجمع آخر فى القسطنطينية سنة (٨٧٩م)، وكان ذلك سببا فى انقسام الكنيسة الأم إلى كنيستين: شرقية يونانية «الأرثوذكس» وغربية لاتينية «الكاثوليك»[(١)].

٥ - أدلة المؤلهين لروح القدس من الكتاب المقدس وبطلانها :

لقد وجد النصارى فى كتابهم المقدس بعض التعبيرات التى اتخذوها متكئا لهم فيما حصل من انحراف فى الاعتقاد الصحيح بروح القدس، هذا من جهة. ومن جهة أخرى فإنهم يحاولون أن يؤوّلوا النصوص التى لاتخدمهم تأويلا يخرجها عن مضامينها ويصرفها عن ظاهرها فمثلا:

نجدهم يستدلون على ألوهية روح القدس بأدلة من العهدين لاتدل أقل دلالة على مرادهم، وإنما يحاولون اخضاع هذه الأدلة لمرادهم ومقصودهم - كما سيتضح لنا ذلك - ومن أشهر أدلتهم على ألوهية الروح القدس من العهد القديم ماجاء على لسان اشعياء من قوله:

(١) « ... ثم سمعت صوت السيد قائلا مَنْ أُرسل ومَنْ يذهب من أجلنا، فقلت: ها آنذا أرْسِلْني، فقال: أذهب، وقل لهذا الشعب اسمعوا سمعا ولا

---

(١) الدكتور على عبد الواحد وافي : الأسفار المقدسة فى الأديان السابقة للإسلام ص ١١٢ ط ١.

تفهموا، وابصروا إبصارا ولا تعرفوا»[1].

ووجـه دلالة هذا الكلام - عندهـم - أن قـوله : « من أجلنا » اشـارة إلى الثـلاثة : الأب والإبن والروح القـدس، فـالروح القـدس شـريك الأب والإبـن فى الألوهية.

وجـاء فى أعمـال الرسل على لسـان بولس مـايفسـر «السـيـد» فى النص السابق بالروح القدس المتحدث بلسان الثالوث المقدس[2]، حيث يقول:

«... حسنا كلّم الروح القدس آباءنا بإشعياء النبي قائلا : اذهب إلى هذا الشعب، وقل ستسمعون سمعا ولا تفهمون، وستنظرون نظرا ولاتبصرون»[3].

والواقع أن نص سفر أشعيـاء لا يقتضى تفسير بولس له على نحـو ما فسره به، فالسيد هو الرب، و (نا) فى قوله : «من أجلنا لضمير العظمة، وليس لجمع الثالوث - كما يقولون - فأشعياء رسول، والمرسِل له ولغيره من الأنبياء هو الله.

(٢) ومما يستشهدون به ويتعسفون فى تأويله من نصوص العهد القديم، ماجاء فى كلام الرب عن العهد الذى قطعه مع بيت اسرائيل:

«ها أيام تأتى يقول الرب ، واقطع مع بيت اسرائيل، ومع بيت يهوذا عهداً جديداً، ليس كالعهد الذى قطعته مع آبائهم يوم أمسكتهم بيدهم لأخرجهم من أرض مصر حين نقضوا عهدي فرفضتهم. يقول الرب.

---

(١) سفر اشعياء ٦ : ٨، ٩.

(٢) حبيب سعيد : أديان العالم ص ٣١٠، ٣١١.

(٣) ٢٨ : ٢٥، ٢٦.

بل هذا هو العهد الذى أقطعه مع بيت اسرائيل بعد تلك الأيام .

يقول الرب. أجعل شريعتي فى داخلهم، واكتبها على قلوبهم، وأكون لهم إلها، وهم يكونون لي شعباً»[١].

هذا الكلام نسب فى العهد الجديد إلى الروح القدس - كما يروون -:[٢] «ويشهد لنا الروح القدس أيضا ، لأنه بعد ماقال سابقا: هذا هو العهد الذى أعهده معكم بعد تلك الأيام. يقول الرب : أجعل نواميسي فى قلوبهم، واكتبها فى أذهانهم»[٣].

ونلاحظ على رسالة بولس إلى العبرانيين التى فسر بها نص العهد القديم السابق والتي يستشهد النصارى بهذا التفسير على ألوهية روح القدس - نلاحظ على تلك الرسالة أن ماجاء بها من إسناد القول إلى الروح القدس فيه تعسف؛ لأنه مسند في العهد القديم صراحة إلى الرب. فكيف يدعى أن روح القدس هو الذى قال سابقا (أى في العهد القديم): «هذا هو العهد الذى أعهده معهم بعد تلك الأيام»؟ ومن ثَم لا يحق لبولس مايزعمه من أن المراد بالرب الذى يسند إليه العهد القديم الكلام السابق هو الروح القدس.

(٣) بل يروون أن الروح ذكر فى العهد القديم بما يدل على أنه هو الله. من ذلك قولهم : «يقول الرب : فاني معكم ... وروحي قائم فى وسطكم»[٤].

ويقولون فى دلالة هذه النصوص على ألوهية الروح القدس: «لم يحدث فى

---

(١) سفر ارميا : ٣١ : ٣١-٣٣.

(٢) أنظر علم اللاهوت النظامي جـ١ ص ٣٦٣ (المؤلف مجهول الاسم).

(٣) رسالة بولس إلى العبرانيين ١٠ : ١٥، ١٦.

(٤) حجى ٢ : ٤، ٥.

الأسفار الخمسة مثل هذا الوعد بحضور روح الله مع شعبه؛ ولذلك تعتبر هذه الآية تفسيرا لوعد الله بالوجود معهم، فهو إذا سيكون معهم عن طريق روحه القدوس، وعلى هذا فالعبارتان تتطابقان.

فإذا قلنا : «إني معكم» تعني : إن الله موجود في وسطهم. فالعبارة الثانية : «روحي قائم في وسطكم» تحمل نفس المعنى، وبالتالي فالروح هو الله نفسه»(١).

والواقع أن هاتين العبارتين ليستا متطابقتين، بل هما متغايرتان، فكون الرب معهم بالتأييد ليس هو وجود روحه فيهم، فالروح هنا هو الملاك جبريل، واضافته إلى الله لقربه واختصاصه، وسوف نجد أن إضافة الروح إلى الله سواء في الكتاب المقدس أو في القرآن إنما هي للاختصاص والتشريف، وليس معناه أنه اله .

وهناك فرق واضح بين ياء المتكلم المؤكدة بإن (فإنَي) ، وبين مايضاف إلى ذلك الضمير وهو الروح (روحي).

وإذا كانت هاتان الجملتان متغايرتين - كما قلنا - فإنهما متلازمتان، حيث كان قيام الروح فيهم نتيجة لتأييد الله لهم بكونه معهم، ومظهرا من مظاهر هذا التأييد الالهي. وليست الروح المضافة إلى الله هي الله، فالمضاف إلى شيء لايمكن أن يكون هو نفس الشيء بأي حال.

وإذا تركنا العهد القديم، وجئنا إلى العهد الجديد، فإننا نجد مايستشهدون به على لاهوتية الروح القدس كثيراً، وما يتأولونه أكثر.

---

(١) القس موسى وهبه مينا : بالحقيقة نؤمن باله واحد جـ١ ص ٧٢.

ومن تلك الأدلة التي يستشهدون بها على لاهوتية روح القدس، وأنه هو الله، ماجاء في:

(١) انجيل (يوحنا) من قول المسيح : «ستأتي ساعة، وهي الآن حاضرة، إذ الساجدون الحقيقيون يسجدون للأب بالروح والحق ... لأن الله روح، والذين يسجدون له فبالروح والحق ينبغي أن يسجدوا»[١].

وليس في هذا مايدل على ألوهية الروح، لأن النص السابق لم يقل : إن الروح اله، وإنما قال : إن الله روح، يعني ليس جسدا. ومن ثَم فإن السجود الحقيقي له هو السجود الروحي، وليس مجرد السجود البدني، وفي السجود الروحي يكون الإخبات والتعبد الحقيقي.

وكذلك ماجاء في أعمال الرسل في الاصحاح الخامس منه، حين اختلس حنانيا جزءا من ثمن الحقل الذي كان يملكه فباعه، ووضع بقية الثمن لدى رسل المسيح، فعرف ذلك بطرس، وقال له معنفا : «لماذا ملأ الشيطان قلبك؟ لتكذب على الروح القدس، وتختلس من ثمن الحقل، أليس وهو باق كان يبقى لك؟ ولما بيع ألم يكن في سلطانك؟ فما بالك وضعت في قلبك هذا الأمر؟ أنت لم تكذب على الناس، بل على الله»[٢].

ويقولون تعليقا على ذلك :«الكذب على الروح القدس، والكذب على الله، عبارتان تقدمان معنى واحدا، بحيث يمكن وضع الجملة الواحدة منهما بدلا من الأخرى،وهذا مادعا إلى توقيع مثل هذه العقوبة العنيفة على حنانيا وزوجته»[٣].

---

(١) ٤ : ٢١.

(٢) فقرة ٣، ٤.

(٣) القس موسى وهبه مينا : بالحقيقة مؤمن باله واحد ص ٨٩.

ونقول :

ليس فى التعبير بأن الكذب على الروح القدس كذب على الله مساواة بين الأثنين، كما نقول فى قوله تعالى : (من يطع الرسول فقد أطا ع الله)، دون أن يدل ذلك على أن أحدهما هو الآخر.

وقصارى الأمر فى مثل هذه التعبيرات : أن كلاً من الروح القدس والرسول مبلّغان عن الله، فطاعتهما طاعة لله، والكذب عليهما كذب على الله.

(٣) ويقولون : إذا كان الروح القدس هو الله فهو الرب أيضا. ومما ورد فى ذلك ماجاء على لسان بولس من قوله : «وأما الرب فهو الروح، وحيث روح الرب هناك حرية، ونحن جميعا ناظرون مجد الرب بوجه مكشوف، كما فى مرآة تتغير إلى تلك الصورة عينها من مجد إلى مجد، كما من الرب الروح»[١].

نقول : لو كان المقصود فى هذا النص ربوبية الروح، لأخبر بها عنه، لكن التعبير جاء على العكس من ذلك، فأخبر عن الرب بالروح وكما سبق أن ذكرنا فإن هذا يحمل على الروحانية التى هى ضد الجسمانية.

(٤) أما عن أزلية الروح القدس، وسرمديته، فيستشهدون عليها بما جاء على لسان بولس: «فكم بالحري يكون دم المسيح الذى بروح أزلي قدّم نفسه لله بلا عيب يطهر ضمائركم من أعمال ميتة لتخدموا الله الحي»[٢].

(٥) ليس هذا فحسب، بل إن روح القدس يحمل نفس الصفات التى يحملها الاله الأب، فإذا كان الله (الأب) عالما بكل شيء، فالروح القدس كذلك،

---

(١) رسالة بولس الثانية إلى أهل كورنثوس ٢ : ١٧، ١٨.

(٢) رسالة بولس إلى العبرانيين ٩ : ١٤.

بل وأعلم من الله تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

ومما يستشهدون به فى هذا المجال ماجاء على لسان بولس من قوله: فأعلنه الله لنا نحن بروحه، لأن الروح يفحص كل شيء حتى أعماق الله، لأن مَنْ مِنْ الناس يعرف أمور الانسان إلاّ روح الانسان الذى فيه هكذا أيضا أمور الله لا يعرفها أحد الاّ روح الله»[1].

هذا الكلام من بولس تصوير لعقيدته الباطلة التى أدخلها على المسيحية، وليس كلاما مسندا إلى الله أو إلى المسيح، ولا عجب أن يقول بولس هذا وأكثر منه عن روح القدس، وليس أدل على بطلان كلامه هنا من قوله أن روح القدس أعلم من الله أو أن له سلطانا على الله، فكلامه تصوير لعقيدته، وليس دليلا. ولاينبغى أن يكون دليلا لغيره على صحة تلك العقيدة.

(٦) ويستدلون كذلك على ألوهية روح القدس بألوهية المسيح من ذلك ماجاء فى انجيل متّى : « كل طبيعة وتجديف يغفر للناس، وأما التجديف على الروح فلن يغفر للناس، ومن قال كلمة على ابن الانسان يغفر له، وأما من قال على الروح القدس فلن يغفر له »[2].

ويقولون تعليقا على ذلك :

«يبدو أن كلمة «التجديف» فى ذاتها يصعب تطبيقها الاّ فى حالة إدراكنا أن روح القدس أقنوم إلهي، له كيانه الشخصى، وعمله الواضح. والتأكيد على أن التجديف على الروح خطية لا تقبل الغفران فى مقابل التجديف على ابن

---

(١) رسالة بولس إلى أهل كورنثموس ٢ : ١٠، ١١.

(٢) ١٢ : ٢٨-٣٢.

الانسان، إنما يؤكد بما لايدع مجالا للشك لاهوت الروح القدس، مادمنا قد قبلنا لاهوت المسيح»[1].

ونتساءل : هل معنى هذا أن المسيح عندهم ليس بإله، مادام الكلام فى حقه يغفر، ولا يعتبر تجديفا؟

الواقع أن التجديف يكون فى حق الإله. وفى حق غيره من الملائكة والأنبياء، فلا دلالة فيه على ألوهية روح القدس، وكيف يفرق بين اللاهوتيين فى زعمهم بأن يغفر الكلام فى حق أحدهما ولا يغفر فى حق الآخر؟

ثم أن ألوهية المسيح عقيدة باطلة - كما قدمنا - فإذا كانوا يقيمون ألوهية روح القدس على أساسها فإنها هى الأخرى تكون باطلة؛ لأن مايقوم على الباطل باطل مثله.

(٧) وكذلك ماجاء فى انجيل يوحنا من قول المسيح : «وأنا أطلب من الأب فيعطيكم معزيا آخر ليمكث معكم إلى الأبد»[2].

يقولون :

«أن كلمة (بارقليط) أو (المعزي) يمكن ترجمتها إلى محامي أو مدافع. أما كلمة (آخر) فيقصد بها الآخر من نفس النوع.

ومعنى ذلك : أن البارقليط الآخر هو من نفس جوهر وطبيعة الأول، والأول المقصود فى هذه الفقرة هو ربنا يسوع المسيح. فإذا كان يسوع هو رب الكل،

---

(١) القس موسى وهبه مينا : بالحقيقة نؤمن باله واحد جـ١ ص٧٢

(٢) ١٤ : ١٦.

والروح القدس هو المعادل الآخر الذى سيحل مكانه، فلاشك أنه أيضا هو رب الكل وهو أقنوم آلهي هو الله»[١].

ونقول : كيف يكون المسيح هو رب الكل فى نفس الوقت الذى يكون فيه الروح القدس هو رب الكل أيضا . ثم إن فى هذا القول الاستدلال على ألوهية روح القدس بألوهية المسيح، فإذ كانت ألوهية المسيح باطلة – كما ذكرنا – كان ما أقيم عليها باطلا، وليس تفسيرهم للمعزي أو الفارقليط بالروح تفسيرا صحيحا – كما سيأتى – وإذا كان النص السابق قد عبّر عن المعزي بالآخر، فليس شرطا أن يدل هذا الوصف على التعادل بينه وبين المعزي الأول فى الطبيعة بل فى المهمة. فكلاهما رسول «المسيح والروح» وهما يبلغان عن الله، ومن ثَم ساغ التعبير بالمعزي الآخر. هذا إذا صح القول بأن المقصود بالمعزي الآخر هنا هو روح القدس بينما الصحيح أن المعزي الآخر أو الفارقليط هو محمد صلى الله عليه وسلم – كما سبق – من أن الفارقليط تعني لغويا عندهم مايشتق من مادة الحمد*.

(٨) وجاء فى البركة الرسولية – حسب تعبيرهم – على لسان بولس قوله : «نعمة ربنا يسوع المسيح، ومحبة الله، وشركة الروح القدس مع جميعكم»[٢].

ويقولون تعليقا على ذلك :

«لعل مما يثير الاهتمام بالأكثر هو الترتيب الذى وردت به هذه البركة، فقد اعتدنا الاشارة إلى الثالوث الأقدس باسم الأب والإبن والروح القدس على

---

(١) القس موسى وهبه مينا : بالحقيقة نؤمن باله واحد جـ١ ص ١٠٦.

* أنظر / صفحة ١٣٢/١٣٤ من هذه الرسالة.

(٢) رسالة بولس الثانية إلى أهل كورنثوس ١٣ : ١٤.

هذا الترتيب . فالأب الأول ، والإبن الثاني والروح القدس الثالث فى ثالوث الله.

هذا الفكر فى التقديم والتأخير لا يتفق مع فكر الكتاب المقدس؛ لأنه فى تدبير الله للخلاص أرسل الأب ابنه والروح القدس[١]، كما أرسل الأبن أيضا الروح القدس[٢]، الاّ أن هذا لا يجب أن ينسينا تلك الحقيقة التى سبق الوصول إليها من أن الأقانيم متساوية فى القدرة والمجد»[٣].

ونحن نقول : هذه البركة الرسولية المزعومة مبنية على عقيدة التثليث التى سيأتى إبطالها، وليس فى الجمع فيها بين الله والمسيح والروح القدس، مايدل على التساوي بينهم فى درجة الألوهية المزعومة، بل ولا في معاني البركة التى تكمن فى ذكرهم، وإنما هو جمع بين المرسِل ورسله، ولكل منهم - بطبيعة الحال - حقيقته ودرجته الخاصة به، وإذا كانت المعاني الدينية تأتي من قبلهم، وساغ الجمع بينهم بهذا الاعتبار، فإنها تأتي من قبل كل منهم بحسب درجته - كما قلنا - على اختلاف مايكون بين المرسِل ورسله، وليس على وحدة مزعومة بينهم فى الطبيعة والماهية.

(٩) وأما أنه نسب إلى الروح القدس مانسب إلى الله - حسبما يدعون - فالأمثلة على ذلك كثيرة أيضا - كما يقولون - منها :

أ - قول بولس : «كل كتاب هو موحى به من الله»[٤].

---

(١) أنظر رسالة بولس إلى أهل غلاطية ١٤ : ٤-٦.

(٢) أنظر انجيل يوحنا ١٥ : ٢٦.

(٣) القس موسى وهبه مينا : بالحقيقة نؤمن باله واحد جـ١ ص ١١٩.

(٤) رسالة بولس الثانية إلى تيموثاوس ٣ : ١٦.

وقال بطرس : «تكلم أناس الله القديسون مسوقين من الروح القدس»[1].

ويقـولون تعليـقـا علـى هذين النصـين : هـانحن نـرى فى هـذين النصـين أن أولهما نسب الوحي إلى الله، والآخر نسبه إلى الروح القدس[2].

ب - ومنها ماجاء فى الرسالة إلى العبرانيين من قولهم : « إن الله كلم الآباء بالأنبياء»[3].

وقولهم : وان الرب إله اسرائيل تكلم بفم أنبيائه القديسين»[4].

وقال بطرس عن الأنبياء : «باحثين أي وقت، أوما الوقت الذى كان يدل عليه روح المسيح الذى فيهم »[5].

وقال بولس : «الذى فى أجيال أخرى لم يعرف به بنو البشر، كما قد أعلن الآن لرسله القديسين وأنبيائه بالروح»[6].

ويقولون تعليقا على هذه النصوص : إن «إلهام الأنبياء منسوب في هذه الآيات تارة إلى الله، وأخرى إلى الروح»[7].

جـ - ومنها ماجاء فى انجيل يوحنا : «كل من هو مولود من الله لا يفعل

---

(١) رسالة بطرس الثانية ١ : ٢٠، ٢١.

(٢) علم اللاهوت النظامي جـ١ ص ٣٦٤ (المؤلف مجهول الاسم).

(٣) ١ : ١.

(٤) انجيل لوقا ١ : ٦٨-٧٠.

(٥) رسالة بطرس الأولى ١ : ١١.

(٦) رسالة بولس إلى أهل أفسس ٣ : ٥.

(٧) علم اللاهوت النظامي جـ١ ص ٣٦٤ (المؤلف مجهول الاسم).

خطيئة»[1].

وقال أيضا : «المولود من الروح هو روح»[2].

ثم قالوا : في هذه الآية نسب إلى الروح القدس مانسب إلى الله»[3]. وهكذا أصبح الروح القدس بموجب هذه التعبيرات إلها وربا وأقنوما متميزا - كما يزعم النصارى - بعد أن كان مجرد ملك من الملائكة أو قوة روحانية إلهية - كما كانت عليه العقيدة النصرانية الصحيحة في أول الأمر - وليس فيما تقدم مايدل على ذلك ، فالوحي من الله وهو تبليغ روح القدس إلى أنبيائه. وقد ينسب الوحي مرة إلى الله باعتباره مصدرا له ، وإلى روح القدس باعتباره مبلغا. وكذلك قد ينسب الفعل الواحد إلى الروح القدس باعتباره سببا مباشرا، وإلى الله باعتباره خالق الأسباب والمسببات، ومانح قوة السببية في الموجودات. فليس في نسبة شيء من ذلك اليهما مايدل على أن أحدهما هو الآخر.

وهكذا يتبين لنا أن كل ما استشهدوا به على عقيدتهم الباطلة بألوهية روح القدس لا دلالة فيه ، وأنهم تعسفوا في تأويله حتى يدل على مايزعمون، وهو تعسّف ظاهر كما أوضحنا.

نقول كل هذا على فرض صحة ماذكروه من هذه الأقوال، وأنها جاءت من الله أو على لسان جبريل والمسيح - عليهما السلام - فكيف وليس هناك دليل قاطع - كما قلنا من قبل - على صحة هذه الأقوال.

---

(١) رسالة يوحنا الأولى ٣ : ٩.

(٢) انجيل يوحنا ٣ : ٦.

(٣) علم اللاهوت النظامي جـ١ ص ٣٦٤ (المؤلف مجهول الاسم).

ب – إبطال ابن تيمية لشبهات النصارى على عقيدتهم بألوهية روح القدس.

يقيم ابن تيمية الأدلة على بطلان عقيدة النصارى بالوهية روح القدس وذلك من خلال ردّه على شبهاتهم التى يستدلون بها على تلك الألوهية، وهى شبهات متداعية – كما سنرى – لاتثبت أمام النقد العلمى النزيه.

ويلخص ابن تيمية عقيدة النصارى بالوهية روح القدس بما يذكره عنهم من قولهم :

« إن الثلاثة هى أسماء لمسمى واحدٌ : الوجود والنطق والحياة هى اله واحد ورب واحد وخالق واحد لم يزل ولايزال حياً ناطقاً.

فالذات عندنا – أى عند النصارى – : الأب الذى هو ابتداء الإثنين.

والنطق : الابن الذى هو مولود منه كولادة النطق من العقل.

والحياة : هى الروح القدس ...» [1].

« ... وهذه الأسماء لم نسمه بها نحن معشر النصارى من ذات أنفسنا، بل الله سمى لاهوته بها، وأدلتنا على ذلك كثيرة »[2].

ويقصد النصارى بتلك الأدلة ما أخذوه من نصوص التوراة والإنجيل والقرآن مما يرون فيه – بزعمهم – الدلالة على الوهية روح القدس من الكتب المقدسة، وقد استعرضها ابن تيمية وابطل دلالتها (المزعومة) وقد تناثرت هذه

---

(١) الجواب الصحيح ج ٢ ص ١١٢

(٢) الجواب الصحيح ج ٢ ص١٢١

الشبهات والردود خلال صفحات كثيرة من كتاب الجواب الصحيح وفى مواضع متعددة، وتحت عناوين مختلفة، ويمكن تجميع تلك الشبهات الردود من مظانها فى الكتاب المذكور وتنسيقها على النحو الآتى :

١ - ابطال شبهاتهم من التوراة :

من الشبهات النقلية التى اوردها ابن تيمية على ألسنتهم - ما ينقلونه من التوراة دليلاً على ألوهية روح القدس :

أ - قولهم : قال الله تعالى على لسان نبيه موسى مخاطبا بنى اسرائيل :

« فى البدء خلق الله السموات والأرض، وكانت الرض خربة وخالية وعلى وجه الغمر*ظلمة، وروح الله يرف على وجه المياه »(١).

ومعنى ذلك حسب اعتقادهم -أن روح الله « اشترك مع الله فى خلق العالم»(٢).

ويقولون - تعسفا - : إن كلمة « الروح » فى الآية المذكورة تعنى روح الذات الالهية : الاله الثالث، أقنوم الروح القدس»(٣).

ويرد عليهم ابن تيمية بقوله : « هذا الدليل الذى استدللتم به موجود فى

---

* الغمر المياه الكثيرة

(١) سفر التكوين ١ ١ ٢

(٢) أديان العالم/ حبيب سعيد ص ٣١.

(٣) أنظر الأرشيد باكون نجيب جرجس/ تفسير الكتاب المقدس (سفر التكوين) ص ٥٠.

السفر الأول (سفر الخليقة) فى أوله، لما ذكر الله أنه فى البدء خلق السموات والأرض، وأنه كانت الأرض مغمورة بالماء، وكانت روح الله ترف على الماء أخبر أنه كان الماء فوق التراب، والهواء فوق الماء، وروح الله هى الريح[1] التي كانت فوق الماء. وهذا تفسير جميع الأمم من المسلمين واليهود وعقلاء النصارى.

ولفظ الكلمة العبرية « رُوّح » بضم الراء وتشديد الواو وهى الروح، والروح تسمى روحاً وجمعها أرواح، ولم يرد بذلك أن حياة الله كانت ترف على الماء، فإن هذا لايقوله عاقل، لأن حياة الله صفة قائمة به لاتفارقه، ولاتقوم بغيره، فيمتنع أن تقوم بماء أو غيره فضلاً عن أن ترف على الماء، والذى يرف على الماء جسم قائم بنفسه، وهذا إخبار عن الريح التى كانت تتحرك فوق الماء »[2].

ب - ومن شبهاتهم ما ينقلونه على لسان داود النبى :

« لاتطرحنى من قدام وجهك وروحك القدوس لاتنزعه منى »[3].

ويبطل ابن تيمية استدلالهم بهذه الشبهة فيقول :

« هذا دليل على أن روح القدس التى كانت فى المسيح من هذا الجنس (الموجود فى داود وغيره) فعلم أن روح القدس لاخصوصية للمسيح فيها، بل هى وباتفاقهم أنها حلت فى داود وفي الحواريين وفى غيرهم وليس للمسيح

---

(١) أنظر ص ٤٢٠ من رسالتنا. وقد أكد لنا الدكتور الشيخ أحمد حجازى السقا فى كتابه أقانيم النصارى ص ٤٢ بأن العبارة كانت مكتوبة «ريح الله» إلاّ أن النصارى أبدلوها بـ«روح الله» ليصلوا الى مبتغاهم.

(٢) ابن تيمية / الجواب الصحيح ج ٢ ص ١٢٤

(٣) مزامير داود مزمور ٥١ : ١١.

خصوصية فى ذلك، وإلاّ فيلزم على قولهم : إن روح القدس هى حياة الله، ومن حلت فيه يكون لاهوتا، يلزم على قولهم هذا أن يكون كل هؤلاء الذين حلت فيهم روح القدس فيهم لاهوت وناسوت كالمسيح - عندهم - وهذا خلاف اجماع المسلمين واليهود والنصارى، حيث أنهم متفقون على أن داود وغيره عباد لله عز وجل وإن كانت روح القدس فيهم. فكذلك المسيح عبد الله وان كانت روح القدس فيه. فما ذكرتموه عن الأنبياء هو حجة عليكم لأهل الإسلام ولاحجة لكم »(١).

جـ - وكذلك من شبهاتهم ما ينقلونه على لسان داود - عليه السلام - أيضا من قوله تعالى - حسب زعمهم - :

« بكلمة الله تشددت السموات والأرض وبروح الله فاه جميع أفواههن»(٢).

ويتولى ابن تيمية الرد عليهم فيقول :

« هذه (العبارة) » وبروح فاه جميع أفواههن « سواء كانت حقا أو باطلا لاحجة لكم فيه، لأنه إن اريد بها حياة الله فإثبات حياة الله حق، وداود لم يسمِ حياة الله روح القدس - كما زعمتم - وإن أريد بها شيئا غير حياة الله، لم تنفعكم، فأنتم ادعيتم حياة الله روح القدس حتى قلتم مراده فى الإنجيل بقوله : « عمدوا الناس باسم الأب والإبن والروح القدس « هو» حياة الله» وادعيتم أن الأنبياء سموه بذلك، ولم تذكروا نقلا عن الأنبياء أنهم سموا حياته روح القدس بل ذكرتم عنهم ما يوافق فى القرآن أن روح القدس ليس المراد بها حياة الله،

---

(١) الجواب الصحيح ج ٢ ص ١٢٤ - ١٢٥ بتصرف، وانظر كذلك المرجع نفسه ج ٢ ص ٦٨ - ٦٩ وص ٣٠٢/٣٠٤. وكذلك ج ١ ص ٢٥٥ - ٢٥٨.

(٢) مزامير داود ٣٣ : ٦.

ولو قدّر أن هذا اللفظ استعمل فى هذا وهذا، لم يتعين أن المسيح أراد بقوله :

« روح القدس »حياة الله، فكيف إذا لم يستعمل فى كلام الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فى حياة الله قط»[1].

د - ومما يستدلون به فى عقيدتهم عن روح القدس، ما ورد على لسان أيوب النبى من قوله :

« روح الله خلقني وهو يعلمني »[2].

ويقولون : إن روح الله خالق، وحيث إن الاله خالق، إذن روح القدس اله.

ويبطل ابن تيمية شبهتهم هذه، فيقول - موجها كلامه للنصارى :-

« قولكم هذا لاحجة فيه، لأنكم ادعيتم أن الانبياء سمت حياة الله روح القدس وهذا لم يقل روح القدس، بل قال : روح الله، وروح الله يراد بها الملك الذى هو روح اصطفاها فأحبها، كما قال فى القرآن :-

{فأرسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا، قالت إنى أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا، قال : إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاما زكيا}[3].

فقد أخبر أنه أرسل اليها روحه فتمثل لها بشرا سويا، وتبين أنه رسوله، فعلم أن المراد بالروح ملك، وهو روح اصطفاها فأضافها إليه كما يضاف إليه الأعيان التى خصها بخصائص يحبها، كقوله :{ناقة الله وسقياها}[4].

---

(١) الجواب الصحيح ج ٢ ص ١٢٧.

(٢) سفر أيوب ٣٣ : ٤ والصيغة الواردة فيه هى : «روح الله صنعني ونسمة القدير أحيتنى».

(٣) سورة مريم آية ١٧ - ١٩.

(٤) سورة الشمس آية ١٣.

وقوله : {وطهر بيتى للطائفين والقائمين والركع السجود}[١].

وقوله : {عينا يشرب بها عباد الله}[٢].

والمضاف الى الله إن كان صفة لم تقم بمخلوق كالعلم والقدرة والكلام والحياة، وان كان عينا قائمة بنفسها أو صفة لغيره كالبيت والناقة والعبد والروح كان مخلوقا مملوكا مضافا الى خالقه ومالكه، لكون الأضافة تقتضى أختصاص المضاف بصفات تميّزَ بها عن غيره حتى استحق الأضافة.

وكما اختصت الكعبة والناقة والعباد الصالحون بأن يقال فيهم : (بيت الله). و (ناقة الله) و (عباد الله). ، كذلك اختصت الروح المصطفاة بأن يقال لها : (روح الله)، ...

واذا كان ذلك فهذا اللفظ إن كان ثابتا عن النبى وترجم ترجمة صحيحة فقد يكون معناه : إن الملك صورنى فى بطن أمى وهو يعلمنى، فإن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (اذا مرّ بالنطفة ثنتان وأربعون ليلة بعث الله ملكا فصورها، وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها ...) الحديث[٣]. ولا يجوز أن يريد به أن حياة الله خلقتنى وتعلمنى، فإن الصفة لاتخلق ولاتعلّم، وانما يخلق ويعلم الرب الموصوف الذى خلق الأنسان من علق، ولكن هو

---

(١) سورة الحج آية ٢٦.

(٢) سورة الإنسان آية ٦.

(٣) رواه مسلم فى حديث حذيفة ابن اسيد الغفارى ج ٤ ص ٢٠٣٧ كتاب القدر باب كيفية خلق الآدمي فى بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته حديث (٣) تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى.

سبحانه يخلق بواسطة الملائكة فإن الملائكة رسل الله فى الخلق فجاز أن يضاف الفعل إلى الوسائط تارة والى الرب أخرى، وهذا موجود فى الكتب الإلهيه فى غير موضع كما فى القرآن، {الله يتوفى الأنفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها}(١).

وفى موضع أخر : {حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لايفرطون}(٢).

وفى موضع ثالث : {قل يتوفاكم ملك الموت الذى وكل بكم ثم إلى ربكم ترجعون}(٣).

والجميع حق، فإذا وجد لفظ له معنى فى كلام بعض الأنبياء، ولم يوجد له معنى يخالف ذلك من كلامهم، كان حمله على ذلك المعنى أولى من حمله على معنى يخالف كلامهم، ولايوجد فى كلامهم أن حياة الله تسمى روحا، ولا أن صفات الله تخلق المخلوقات(٤).

٢ - إبطال شبهاتهم من الإنجيل :

تلك هى أدلتهم من التوراة على ألوهية روح القدس، وتلك هى ردود ابن تيمية عليهم. ونراهم الآن يحاولون الاستدلال على ذلك أيضا بما ورد فى الأنجيل فيقولون :

---

(١) سورة الزمر آية ٤٢.

(٢) سورة الأنعام آية ٦١.

(٣) سورة السجدة آية ١١.

(٤) الجواب الصحيح ج ٢ ص ١٢٧ - ١٢٩.

إن ما يدل على أقنومية الروح القدس وألوهيته وتميزه قول المسيح - عليه السلام - لتلاميذه الأطهار؛

« أذهبوا الى جميع الأمم وعمدوهم باسم الأب والابن والروح القدس اله واحد، وعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به »[1].

إن الروح القدس فى هذا النص حقيقة تشكل أحد أقطاب الثالوث المسيحى وهو كذلك على قدم المساواة مع القطبين الآخرين : الاب والابن فى ان الدخول فى النصرانية يكون بعد تعميد الناس بهؤلاء الثلاثة معا، فها هو المسيح - حسب قولهم - قد نص على ان روح القدس ومعه الأب والإبن كلهم اله واحد، لذا فإن روح القدس اله أيضا. حيث لم يقل بأسماء بل « باسم ».

ويتولى ابن تيمية الرد على استدلالهم هذا فيقول :

« إن دليلكم هذا هو عمدتكم على ماتدعونه من الأقانيم الثلاثة وليس فيه شئ يدل على ذلك لا نصا ولا ظاهرا. فان لفظ روح القدس لم يستعمل قط فى الكتب الالهية فى معني صفة من صفات الله، ولم يسمِ أحد من الأنبياء حياة الله التى هى صفته روح القدس، ولا أرادوا ذلك، وانما أرادوا بروح القدس ماينزله على الصديقين والأنبياء من الوحى والهدى والتأييد. وهو يراد به الملك - كما قلنا - ويراد به مايجعله فى القلوب من الهدى والقوة، ومنه قوله فى بعض النبوات، وفى تلك الايام « أسكب من روحى على كل قديس » وفى زبور داود :

« روحك الصالح يهدينى فى أرض مستقيمة » يوضح هذا أنهم قالوا فى أمانتهم :

---

(١) انجيل متّى ٢٨ : ١٩.

« الذى من أجلنا نحن البشر، ومن أجل خلاصنا نزل من السماء وتجسد من روح القدس، ومن مريم العذراء »،

وذكروا أن ذلك فى الكتب المقدسة، والذى فى الكتب المقدسة لا يكون الاّ حقا، ولاريب أن فيها مثل ما فى القرآن، وفى القرآن أن الله أرسل روحه الى مريم فنفخ فيها فحملت بالمسيح - عليه السلام - قال تعالى :

{ ومريم ابنة عمران التى أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا ..}[1].

وهذا الروح هو الرسول، كما قال : {إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاما زكيا}[2].

فالمسيح مخلوق من هذا الروح، ومن أمه مريم كما قالوا فى الأمانة : «أنه تجسد من مريم، ومن روح القدس»، لكن اعتقدوا أن روح القدس التى خلق المسيح منها ومن مريم هى « حياة الله »، وهذا ليس فى الكتب مايدل عليه، بل الكتب كلها صريحة فى نقيض هذا، وهو أيضا مناقض لقولهم : إن المتحد بالمسيح هو أقنوم الكلمة وهو العلم، ويلزم من ذلك أن يكون المسيح أقنومين : أقنوم الكلمة وأقنوم الحياة.

والنصارى بفرقهم الثلاثة كلهم يقولون : إن المتحد بالمسيح أقنوم الكلمة لا أقنوم الحياة، فتبين تناقضهم فى أمانتهم، وتبين خطأهم فيما فسروا به كلام الأنبياء، حيث إنهم حملوا كلام الأنبياء فى لفظ روح القدس وغيره على مالم يوجد استعمال هذا اللفظ فيه، وتركوا حمله على المعنى الموجود فى كلامهم، كيف يجوز أن يحمل لفظ روح القدس على معنى لم يستعمله فيه الأنبياء ولا

---

(١) سورة التحريم آية ١٢.

(٢) سورة مريم آية ١٩.

أرادوه به، ويترك حمله على المعنى المعروف الذى يستعملونه فيه دائما. وهل هذا الاّ من فعل من يحرّف كلام الأنبياء ويفترى الكذب عليهم؟ بل ظاهر هذا الكلام أن يعمدوهم باسم الأب الذى يريدون به فى لغتهم الرب، والإبن الذى يريدون به فى لغتهم المربّى، وهو هنا المسيح، والروح القدس الذى أيدّ الله به المسيح من الملك والوحى وغير ذلك، وبهذا فسّر هذا الكلام من فسّره من أكابر علمائهم»(١).

٣ - ابطال شبهاتهم من القرآن :

ولم يكتف النصارى بالإستدلال على الوهية الروح القدس من كتابهم المقدس، بل نراهم يلجأون إلى القرآن الكريم ويتعسفون فى فهم الآيات وبيان دلالتها على مزاعمهم تعسفا شديدا. ومن ذلك استدلالهم - كما يقول ابن تيمية - بقوله تعالى : {ياعيسى بن مريم اذكر نعمتى عليك وعلى والدتك إذ أيدتك بروح القدس ..} (٢) الآية

يقولون : أى بحياة الله.

ويرد ابن تيمية على استدلالهم هذا مبينا سوء فهمهم فيقول :

« قول الله هذا مما لاريب فيه، ولاحجة لكم فيه، بل هو حجة عليكم، فإن الله أيّد المسيح عليه السلام بروح القدس، كما ذكر ذلك فى هذه الآية وفى غيرها(٣)، وهذا ليس مختصا بالمسيح، بل قد أيّد غيره بذلك، وقد ذكروا

---

(١) الجواب الصحيح ج ٢ ص ١٣١/١٣٤ بتصرف قليل.
وانظر كذلك مجموع الفتاوى الجزء الرابع من التفسير المجلد ١٧ ص ٢٨٤.

(٢) المائدة / ١١٠.

(٣) أنظر سورة البقرة آية ٨٧، ٢٥٣.

هم أنه قال تعالى على لسان داود - عليه السلام - : « روحك القدس لاتنزعه مني»[1].

وقد قا ل نبينا صلى الله عليه وسلم لحسّان بن ثابت : « (اللهم أيده بروح القدس) »[2].

وقال له أيضا : (روح القدس معك مادمت تنافح[3] عن نبيه)[4]

وعند النصارى أن الحواريين حلت فيهم روح القدس كما حلت في جميع الأنبياء، وروح القدس في هذه الآية وفي غيرها من الآيات المماثلة لم يرد منه إلاّ جبريل - عليه السلام - وهذا باتفاق المفسرين، بل هذا قول ابن عباس وقتادة والضحاك والسدي وغيرهم. ودليل هذا قوله تعالى : (وإذا بدلنا آية مكان آية - والله أعلم بما ينزل - قالوا : إنما أنت مفتر، بل أكثرهم لايعلمون. قل نزله روح القدس من ربك بالحق؛ ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين}[5] ولم يقل أحد أن المراد بذلك حياة الله، ولا أن اللفظ يدل على ذلك، ولااستعمل فيه، وذلك لأن قوله تعالى : {وأيّدناه بروح القدس) يمتنع أن يراد

---

(١) مز ٥٠ : ١١

(٢) صحيح البخاري كتاب الصلاة باب الشعر في المسجد ج ١ ص ١٢٢ / ١٢٣.

(٣) ينافح : يدافع ويناضل « أنظر صحيح مسلم بشرح النووي ج ١٦ ص٤٦ كتاب فضائل الصحابة.

(٤) صحيح مسلم ج ١٦ ص ٤٨ / ٤٩ كتاب فضائل الصحابة وقد رواه مسلم بلفظ :

« إن روح القدس لا يزال يؤيدك ما نفحت عن الله ورسوله » والمقصود بروح القدس جبريل عليه السلام.

وقد روى مسلم عن البراء بن عازب انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لحسان بن ثابت : « اهجهم أو هاجهم وجبريل معك» صحيح مسلم ج١٦ ص ٤٦.

(٥) سورة النحل آية ١٠١ ، ١٠٢.

بها حياة الله، فإن حياة الله صفة قائمة بذاته لاتقوم بغيره، ولاتختص ببعض الموجودات دون غيره وأما عندهم فالمسيح هو الله الخالق، فكيف يؤيّد بغيره، وأيضا فالمتحد بالمسيح هو الكلمة دون الحياة فلا يصح تأييده بها.

فتبين أنهم يريدون أن يحرفوا القرآن كما حرفوا غيره من الكتب المتقدمة فى تفسير المتشابه من الكتب الإلهية من جنس واحد»[١].

ويذكر ابن تيمية عن النصارى استدلالهم أيضا من القرآن الكريم على صدق دعواهم لالوهية الروح القدس وأنها حياة الله وذلك بقوله تعالى :

{ومريم ابنة عمران التى أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا ..}[٢] الآية. حيث قالوا : إن المراد من (« روحنا ») حياته التى هى صفته سبحانه وتعالى :

ويرد عليهم ابن تيمية مبينا فساد استدلالهم فيقول : إن قوله تعالى : {فنفخنا فيه من روحنا } هذا قد فسر قوله تعالى : { فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا . قالت إنى أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا . قال إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاما زكيا }[٣]. فأخبر أنه رسول الله إليها وروحه، وأنه تمثل لها بشراً، فعلم أن روحه مخلوق مملوك لله تعالى ، ليس المراد حياته التى هى صفته سبحانه وتعالى فاستدلالكم مردود وباطل»[٤].

---

(١) الجواب الصحيح ج ٢ ص ١٣٨ ، ١٤٠ بتصرف.
وانظر كذلك مجموع الفتاوي الجزء الرابع من التفسير المجلد ١٧ ص ٢٨٤.

(٢) سورة التحريم / آية ١٢.

(٣) سورة مريم / آية ١٧ – ١٩.

(٤) الجواب الصحيح / ج٢ص ١٤١ بتصرف قليل.

ويتساءل ابن تيمية - مستنكرا القول بالوهية روح القدس - قائلا :

مَنْ مِنْ الأنبياء قال : إنه لم يكن الله بلا روحه قط، أو أن روحه صفة لله قديمة؟

ومَنْ مِنْ الأنبياء سمى حياة الله روحه؟ ومن الذى جعل لله روحا قديمة أزلية.؟

وهل هذا إلاّ افتراء على الأنبياء؟

فكلام الأنبياء كله ينطق بأن روح الله وروح القدس ونحو ذلك هو ما ينزّله الله على أنبيائه وأصفيائه من الوحى والهدى والتأييد، فيقال :

روح الله، كما يقال : نور الله وهدى الله ووحى الله ... الخ فليست روح الله صفة قائمة به ولابغيره ولكنها أمر بائن عنه.

ولم يفسر أحد منهم روح القدس بصفة لله لاجوهرية ولا غير جوهرية، ولا قديمة ولاغير قديمة ولاأرادوا بذلك حياة الله، ولامايريده الإنسان بقوله : «روحى»(١).

---

(١) « الإنسان مركب من روح وبدن ، وفي بدنه بخار يخرج من القلب، ويسري في بدنه، وله جوف يخرج منه هواء ويدخل فيه، فإذا قيل : روح الإنسان فقد يراد بها الروح التي مع البدن، وقد يراد بها البخار اللطيف الذي في البدن، وقد يراد بها الريح الذي يخرج من جوف البدن ويدخل منه. والله تبارك وتعالى - باجماع المسلمين واليهود والنصارى - ليس هو روحا وبدنا كالإنسان، بل هو سبحانه أحد صمد لاجوف له، ولا يدخل فيه شئ لابخار ولا هواء متردد وقد يعبر بعض الناس بلفظ الروح عن الحياة والله تعالى حي له حياة لكن ليس روح القدس حياة الله » انظر ابن تيمية الجواب الصحيح ج٢ ص ٢٤٧/ ٢٤٨.

فتسمية حياة الله روحا وادعاء أن الأنبياء أرادوا ذلك هو افتراء على الله وعلى رسله. وأيضا دعواكم أن روح القدس معناها روح الله الجوهرية (أى حياته القديمة الأزلية)، أمر مخالف لجميع كتب الله وأنبيائه وهو تبديل لكلام الله وكلام أنبيائه ورسله، وقد عدلتم عن ظاهر اللفظ ومفهومه إلى معنى لايدل عليه اللفظ البتّة، بقولكم : إنها صفة لله قديمة أزلية لم يزل ولايزال موصوفا بها»[1].

يضاف إلى ذلك : أن « لفظ روح القدس قد جاء فى حق غير المسيح - عندكم - حتى الحواريين عندكم يقولون : إن المسيح قال لهم : إن روح القدس تحل فيكم، وتقولون أنتم عن القديسين : إن روح القدس تحل فيهم، وأنها حلت كذلك فى داود وغيره من الأنبياء، بل وفى الصديقين كلهم. فإذا كان الابن وروح القدس يقتضى اتحاد اللاهوت بالناسوت وجب أن يكون كل من الحواريين لاهوتا وناسوتا، وكذلك الأنبياء فيكون النبي لاهوتا وناسوتا، وكذلك الأنبياء فيكونالنبي لاهوتا وناسوتا، لأنه قد سمى عندكم ابن الله ونطقت فيه روح القدس، لاسيما وأنتم قلتم فى الأمانة : إنه روح ممجد ومسجود له وناطق فى الأنبياء.

وجماع القول : إن مايوصف به المسيح - عندكم - من كونه ابن الله، وكون روح القدس حلت فيه، وكونه مسيحاً، كل ذلك موجود فى حق غير المسيح عندكم، فليس للمسيح اختصاص بشيء من هذه الألفاظ، وإنما يوجد اختصاصه بلفظ « الكلمة » وكونه تجسد من روح القدس، وهذا هو الذى خصه به القرآن. قا ل تعالى : {إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها

---

(١) هذا الكلام جميع من أماكن متفرقة في الجزء ٣ من كتاب الجواب الصحيح من ص ٥٦/ ٦١ وكذلك ص ١٦٣، ١٨٢.

إلى مريم وروح منه}[1].

فهذا هو الذى خصه به القرآن وهو الذى خصته به الكتب المتقدمة»[2].

« وقولكم » : إن الروح خالقة والله الذى هو الأب خالق والمسيح قد تجسد من الروح الخالقة ومن مريم.

فكما أن مريم أمه فالروح الخالقة حينئذ بمنزلة أبيه، وأيضا : فمريم لها اتصال بالأب وبروح القدس وكلاهما أب للمسيح على ما ذكرتموه وهو باطل»[3].

ثم قال : « فتبين أن العارف كلما تدبر ماقالته الأنبياء، وما قاله أهل البدع من النصارى وغيرهم لم يجد لهم فى كلام الأنبياء (إلاّ) ما يدل على (صحة) نقيض ضلالهم (لا) مايدل على (صحة) ضلالهم »[4].

جـ - التعقيب :

١ - الجذور التاريخية لعقيدة النصارى فى ألوهية روح القدس

بعد أن قدمنا ردود ابن تيمية على عقيدة النصارى فى روح القدس، نحب أن نضيف أن هذه العقيدة ليست عقيدة غير دينية صحيحة فحسب، وإنما هى مستقاة من عقيدة لها جذورها التاريخية فى الوثنيات القديمة مما يؤكد بطلانها.

---

(١) سورة النساء / آية ١٧١.

(٢) هذا الجواب تم جمعه من ج ٣ ص ١٩٦/ ١٩٨ وكذلك ج٢ ص ٢٤٧.

(٣) الجواب الصحيح ج ٣ ص ٥٦ / ٦١ بتصرف.

(٤) الجواب الصحيح ج٢ ص ٢٤٨.

ولو ذهبنا نستقصي الجذور الأصلية لعقيدة روح القدس لوجدناها تتصل اتصالا وثيقا بعقيدة التثليث لدى المسيحيين، وهى جزء منها ومكملة لها وبدونها لايستقيم التثليث.

لذا فإن البحث عن الجذور التاريخية لهذه العقيدة ما هو فى الحقيقة إلاّ بحث عن أصل عقيدة التثليث. وهذه لها مكانها من الرسالة. لكن قد جاء فى كتاب الصنائع القديمة والخرافات الوثنية مايفيد باعتقاد بعض الأمم القديمة بألوهية روح القدس وتصويره على هيئة طائر.

ومما جاء فى هذا الكتاب ما نصه :

« إن سكان الجزائر فى الأقيانوس عبدوا إلهاً مثلث الأقانيم.

فيقولون : الإله الأب، والإله الابن، والإله روح القدس. ويصورون روح القدس بهيئة طير»[١].

وعند الهنود : « أن الأقنوم الثالث هو فى صفته المظلمة (« المهلك »)، وفى صفته الحسنة (المعيد) ويعبرون عنه بصورة حمامة، ويقصدون بهذه الصورة الرمز عن الإعادة والخلق الجديد[٢] وهو الروح الذى يرف على وجه الماء ... »[٣]

---

(١) ص ١٦٩ نقلا من الأستاذ/ محمد طاهر التنير عن كتاب العقائد الوثنية في الديانة النصرانية ص ٣١.

(٢) جاء في الزبور في المزمور ١٠٤ : ٣٠ ما يفيد أن الروح يخلق ويجدد « ترسل روحك فتخلق وتجدد وجه الأرض».

(٣) الأستاذ/ محمد طاهر التنير : العقائد الوثنية في الديانة النصرانية ص ٢١.

« ولما اعتمد جميع الشعب اعتمد يسوع أيضا. وإذا كان يصلى انفتحت السماء ونزل عليه الروح القدس بهيئة جسمية مثل حمامة »(١).

وقد ذكر (مالفير) فى كتابه المطبوع فى باريس عام ١٨٩٥م والذى ترجمه إلى العربية (نخلة شفوات عام ١٩١٢م بأنه قد ذكر فى الكتب الهندية الدينية القديمة التى ترجمت إلى اللغة الإنجليزية عن عقيدة الهنود القدماء مايلى :

« نؤمن بـ (سافسترى) (أى الشمس) إله ضابط الكل خالق السموات والأرض، وبابنه الوحيد (آنى) (أى النار) نور من نور مولود غير مخلوق مساوٍ للأب فى الجوهر، تجسد من (فايو) (أى الروح القدس) فى بطن مايا العذراء. ونؤمن بـ (فايو) الروح المنبثق من الأب والإبن الذى هو مع الأب والإبن يسجد له ويمجد »(٢).

وهى الصيغة ذاتها التى اتخذت فى مجمع القسطنطينية الأول عام ٣٨١م - كما سبق - تعبيراً عن العقيدة الإيمانية بألوهية الأب والابن والروح القدس وجاء فى تاريخ البوذية أن «بوذا المخلّص قد عمّد، وحين عمادته فى الماء، كان روح الله حاضرا، وهو لم يكن الإله العظيم فقط، بل وروح القدس الذى فيه

---

(١) انظر انجيل لوقا ٣ : ٢١ - ٢٢.
وانظر كذلك مرقس ١ : ٩ ، ١٠.
ومتى ٣ : ١٦.

(٢) نقلا عن / ابراهيم سليمان الجبهان ما يجب أن يعرفه المسلم من حقائق عن النصرانية والتبشير ص ٤٨ / ٤٩. وقد ذكر المؤلف أنه استقى هذا النص من كتاب المسيحية للدكتور أحمد شلبي، ولم يشر الى الصفحة التي أخذه منها، وقد فتشت عن النص في كتاب الشلبي المذكور بطبعتيه (٥، ٦) فلم أجده، لكن وجدته في كتاب (الله واحد أم ثالوث) لمحمد مجدي مرجان ص ٨١.
وكذلك في كتاب / محمد الغزالي : التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام ص ١٠٠ ، ١٠١.

صار تجسد كوتاما لما حلّ على العذراء مايا»[1]. وهى العمادة عينها التى وردت فى الأناجيل فى حق عيسى -عليه السلام - حيث جاء فيها أن « يوحنا المعمدان عمد يسوع بنهر الأردن، وكانت روح الله حاضرة، وهو لم يكن الإله العظيم فقط، بل والروح القدس الذى فيه تم تجسده عندما حلّ على العذراء مريم، فهو الأب والابن وروح القدس*»[2].

وبعد ... فهذه هى الجذور الأصلية لعقيدة النصارى بألوهية روح القدس، ولعل فى بياننا لها، وكيف أنها مستقاة بنصها من تلك الجذور التاريخية الوثنية - لعل فى ذلك مايدل على أنها ليست حقيقة دينية صحيحة، وإنما هى تحريف للعقيدة المسيحية طرأ عليها من تأثرها الواضح بالعقائد الوثنية.

٢ - خصائص روح القدس فى الكتاب المقدس ودلالتها على بطلان ألوهيته:

وإذا كان تصور المسيحيين لروح القدس على أنه إله - كما قدمنا - فقد رأينا أنه ليس هو التصور الوحيد له فى المسيحية، بل كان هناك المؤمنون بملائكيته المنكرون لألوهيته. وقد رأينا آنفا كذلك أن القول بألوهيته أثر من آثار الوثنيات القديمة فى الديانة النصرانية، وليست استشهادات النصارى على ألوهية روح القدس من الكتاب المقدس استشهادات باطلة فحسب - كما رأينا

---

(١) انظر بيل : تاريخ البوذية ص ١٧٧ نقلا عن الأستاذ/ محمد طاهر التنير: العقائد الوثنية في الديانة النصرانية ص ١٥٢.

* اشارة الى ما جاء في انجيل يوحنا ١ : ٣٢ ، ٣٣.

(٢) محمد طاهر التنير : العقائد الوثنية في الديانة النصرانية ص ١٥٣.

من قبل - بل على النقيض من هذا تزخر الأناجيل بتعبيرات متعددة تكشف عن خصائصه وأعماله بما ينقض القول بألوهيته، وتؤكد العقيدة الصحيحة فى روح القدس التى يعتقدها القائلون بأنه مخلوق وليس بإله، والتى كانت موجودة قبل أن يستقر الأمر فى العقيدة المسيحية على الإعتقاد بأقنوميته وألوهيته فالروح القدس يعبر عنه غالبا فى الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد بلفظ روح، روح القدس، روح الله، روح الرب، روح يسوع المسيح ... إلخ[1] ولاتدل على مايزعمونه من ألوهية روح القدس، وكونه أقنوما ثالثا فى الثالوث المقدس. فمع تسليم صاحب إظهار الحق بترادف هذه الألفاظ - على زعمهم - فإنه ينكر أن استعمالها فى كل موضع من مواضع العهدين بمعنى الأقنوم الثالث، ويرى أن كل من له شعور ما بكتب العهدين يعرف أن هذه الألفاظ تستعمل فى غير الأقنوم الثالث كثيرا. ويسوق الدليل تلوالآخر على صحة قوله، ومن ذلك ما ورد فى التوراة من قول الله تعالى فى خطاب ألوف من الناس الذين أحياهم بمعجزة حزقيال - عليه السلام - هكذا:

« فأعطى فيكم روحي»[2]. ففى هذا القول روح الله بمعنى النفس الإنسانية الناطقة لابمعنى الأقنوم الثالث الذى هو عين الله على زعمهم.

وما جاء فى رسالة يوحنا الأولى:

«نحن من الله، فمن يعرف الله يسمع لنا، ومن ليس من الله لا يسمع لنا،

---

(١) انظر المزمور ٥١ : ١٠ - ١١ وأشعياء ٤٠ : ١٣ ، ونحميا ٩ : ٢٠.
وانظر كذلك انجيل متى ٣ : ١٦ ، ومرقس ١ : ٧ - ٨ ، وأعمال الرسل ٥ : ٩ ، ورسالة بولس إلى أهل فيلبي ٢ : ١ ، ١ : ١٩ وغيرها كثير.

(٢) حزقيال ٣٧ : ١٤.

من هذا نعرف روح الحق وروح الضلال»[1].

فروح الحق هنا بمعنى الواعظ الحق الصادق، لابمعنى الأقنوم الثالث، وروح الضلال بمعنى الواعظ المضل[2].

وقد ذكرنا فى أول هذا الفصل استعمالات أسفار العهد القديم لكلمة روح القدس، أو روح الله، ولم نجد فيها أن هذه الكلمة استعلمت بمعنى الألوهية.

بل أن هناك علماء مسيحيين عاشوا حتى بعد كتابة الأناجيل المعتمدة لديهم، لم يكونوا يعتبرون بشكل من الأشكال كون الروح القدس إلها، أو أقنوما متميزا. منهم العالمان المسيحيان اللذان عاشا فى القرن الثانى الميلادى وهما:

«جوستان (١٠٠ - ١٦٧م)، ويتوفيل (١٢٠ - ١٨٠م) كانا يعتبران الروح القدس تارة كشكل خاص لمظهر الكلمة، وتارة كصفة من صفات الله، ولكنهما لم يعتبراه قط شخصا إلهيا»[3].

وأيضا فإن الأناجيل مليئة بتعبيرات كثيرة عن روح القدس، وبما تنسبه إليه من أوصاف وأعمال ومن خلال تلك التعبيرات عن روح القدس وما تنسبه إليه الأناجيل من الأوصاف والأعمال يمكننا أن نتعرف على العقيدة المسيحية الصحيحة فيه قبل أن يستقر الأمر عند المسيحيين على القول بربوبيته.

فالروح القدس فى الأناجيل هى الروح التى جعلها الله فى الإنسان، أو هو القوة الروحانية الفائقة التى يختص بها الله بعض الناس كالأنبياء

---

(١) ٤: ٦

(٢) الشيخ رحمة الله الهندي ج ٢ ص ٤٣٢ - ٤٣٤ بتصرف.

(٣) د. محمد فريد وجدي : دائرة معارف القرن العشرين ج ٧ ص ٦٥٤.

والصالحين، وتكون مصدر مايقومون به من أفعال خارقة، وتعتبر بذلك مناط فضيلتهم على غيرهم، أو هو المَلك الذى ينزل بالوحى والإلهام على الأنبياء والصالحين، دون أن يظهر لهم بشخصه، أو متمثلا فى صور أخرى، أو هو وحي الله وشريعته، أو روح يسوع المسيح أو المعزى الذى بشر به المسيح ... إلخ.

فأما التعبير بروح القدس عن الروح الإنسانى، فقد ورد فى رسالة كورنثوس الأولى مانصه:

«كل خطية يفعلها الإنسان هى خارجة عن الجسد، لكن الذى يزنى يخطىء إلى جسده. أم لستم تعلمون أن جسدكم هو هيكل للروح القدس الذى فيكم، الذى لكم من الله، وأنكم لستم لأنفسكم؛ لأنكم قد اشتريتم بثمن فمجدوا الله فى أجسادكم وفى أرواحكم التى هى لله»(١).

وأما ماجاء فى التعبير بروح القدس عن القوة الروحانية التى يختص الله بها الله بعض الناس كالأنبياء والصالحين، وتكون مصدر أعمالهم الفائقة، ومناط فضيلتهم على غيرهم من الناس - أما ماجاء من ذلك فمنه: قول المسيح - عليه السلام - كما فى إنجيل لوقا: «أما يسوع فرجع من الأردن ممتلئا من الروح القدس، وكان يقتاد بالروح فى البرية»(٢).

وجاء فى ذلك أيضا: «ورجع يسوع بقوة الروح إلى الجليل»(٣).

وورد أيضا فى هذا المعنى عن زكريا - عليه السلام - :

---

(١) ٦ : ١٨ - ٢٠.

(٢) ٤ : ١.

(٣) انجيل لوقا ٤ : ١٤.

«وامتلأ زكريا أبوه من الروح القدس»[1] أى من قوة الله. الملهمة.

«وامتلأت اليصابات من الروح القدس»[2].

وقد ورد التعبير بروح القدس عن ملاك الرب الذى أرسله الله إلى مريم ليبشرها بميلاد المسيح - عليه السلام - ومما جاء فى ذلك:

«أما ولادة يسوع المسيح فكانت هكذا: لما كانت مريم أمه مخطوبة ليوسف قبل أن يجتمعا وجدت حبلى من الروح القدس، فيوسف رجلها إذا كان باراً ولم يشأ أن يشهرها أراد تخليتها سرا، ولكن فيما هو متفكر فى هذه الأمور إذا ملاك الرب قد ظهر له فى حلم قائلا: يايوسف ابن داود، لاتخف أن تأخذ مريم امرأتك؛ لأن الذى حبل به فيها هو من الروح القدس»[3].

وكذلك يعبّر بروح القدس فى الأناجيل عن المسيح نفسه، ومما جاء فى ذلك :

«لأنى أعلم أن هذا يؤول إلى خلاص بطلبتكم، ومؤازرة روح يسوع المسيح»[4].

وروح القدس فى الأناجيل أيضا هو ملك الوحى الذى ينزل بالوحى والإلهام على الأنبياء، وفى ذلك يقول بطرس:

---

(١) انجيل لوقا ١ : ٦٧.

(٢) انجيل لوقا ١ : ٤١.

(٣) انجيل متى ١ : ١٨ - ٢٠.

(٤) رسالة بولس الى أهل فيلبي ١ : ١٩.

«لأنه لم تأت نبوة قط بمشيئة إنسان، بل تكلم أناس الله القديسون مسوقين من الروح القدس»[1].

وهونفس المعنى الذى اعترف به المسيح -عليه السلام - عن الوحى فى قوله:

«.. لأن داود قال بالروح القدس»[2].

وقد جاءت الكلمة الأخيرة عن روح القدس فى مجمع القسطنطينية الأول عام ٣٨١م بأنه هو الناطق فى الأنبياء. ونصها كما يلى:

«... ونؤمن بروح القدس الرب المحيى المنبثق من الأب، ممجد ومسجود له وناطق فى الأنبياء»[3].

وهذا الناطق فى الأنبياء ماهو إلاّ جبريل - عليه السلام - أمين الوحى ورسول الله إلى رسله[4].

وعيسى - عليه السلام - من أولى العزم من الرسل، وهو أحق بالتأييد من الله بروح القدس. قال تعالى: {تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلّم الله ورفع بعضهم درجات وآتينا عيسى ابن مريم البينات وأيّدناه بروح القدس}[5].

---

(١) رسالة بطرس الثانية ٢ : ٢١.

(٢) انجيل مرقس ١٢ : ٣٦.

(٣) انظر ص ٤٤٢ من هذا الفصل عند الكلام عن دور المجامع في تأييد عقيدة ألوهية روح القدس.

(٤) عبد الشكور محمد أمان : الذات الإلهية بين الإسلام والنصرانية ص ١٢٧ (رسالة ماجستير) عام ١٣٩٦هـ.

(٥) سورة البقرة ٢٥٣.

وقد ينزل هذا الملك بالإلهام على الصالحين والبررة الأتقياء من غير النبيين، كما نزل على رجل عرف بالتقوى والصلاح من أهل أورشليم يدعى سمعان، وفى ذلك يقول الإنجيل:

«وكان رجل فى أورشليم يدعى سمعان، وهذا الرجل كان بارا تقيا ينتظر تعزية إسرائيل والروح القدس كان عليه، وقد أوحى إليه بالروح القدس أنه لايرى الموت قبل أن يرى مسيح الرب فأتى بالروح إلى الهيكل»[1].

وملك الوحى والإلهام الذى يعبرون عنه بروح القدس قد يقتصر أمره على الوحى والإلهام دون الظهور، وقد يظهر بشخصه كما فى الفصل الأول من إنجيل لوقا، حيث ورد فيه تفصيل لظهور الملك جبريل لمريم، وتبشيره إياها بولد، ومحاورتهما في ذلك . ومنها : أنها سألته عن كيفية ذلك، فقال لها :«الروح القدس يحل عليك ». وفي هذا الفصل من الانجيل نفسه أن اليصابات أم يحيى امتلأت من الروح القدس، وبذلك حملت بيحيى بعد أن كانت عاقرا. قال لوقا : «وفي الشهر السادس[2] أرسل الملاك جبريل من قبل الله الى مدينة في الجليل تسمى ناصرة الى عذراء مخطوبة لرجل اسمه يوسف من بيت داود، واسم العذراء مريم، فلما دخل اليها الملاك قال: السلام عليك ياممتلئة نعمة، الرب معك، مباركة أنت في النساء، فلما رأته اضطربت من كلامه وفكرت ماعسى أن يكون هذا السلام. فقال لها الملاك : لا تخافى يامريم، فانك قد نلت نعمة عند الله وهاأنت تحبلين وتلدين ابنا وتسمينه يسوع، وهذا سيكون عظيما، وابن العليّ يدعى. وسيعطيه الرب الاله عرش داود أبيه، ويملك على آل يعقوب الى الأبد ولا يكون لملكه انقضاء، فقالت مريم للملاك : كيف يكون هذا، وأنا لا

---

(١) انجيل لوقا ٢ : ٢٥ - ٢٧.

(٢) أي الشهر السادس من حمل اليصابات بيحيى.

أعرف رجلا؟ فأجاب الملاك، وقال لها : إن الروح القدس يحلّ عليك، وقوة العليّ تظللك؛ ولذلك فالقدوس المولود منك يدعى ابن الله.

وهو ذا اليصابات نسيبتك هى أيضا حبلى بابن في شيخوختها، وهذا هو الشهر السادس لتلك المدعوة عاقرا، لأنه ليس شىء غير ممكن لدى الله. فقالت مريم : ها أنا أمة الرب، فليكن لى بحسب قولك، وانصرف الملاك من عندها»[1].

ونحن نلحظ من خلال هذه النصوص أنها تدل على أن عيسى خلق بواسطة روح القدس وكان خلقه آية، وأن يحيى خلق كذلك، وكان خلقه آية من وجه آخر، اذ كان أبوه شيخا كبيرا، وأمه عاقرا، ولكن الواسطة والسبب واحد، وهو الملك المسمى بروح القدس.

«وما هذا الملك الا مخلوق خلقه الله، واتخذه ليكون رسولا بينه وبين من يريد أن يلقى عليه وحيا من خلقه أو أمرا كونيا»[2].

وقد يكون ظهور روح القدس باعتباره ملكا من الملائكة ظهورا رمزيا، حيث يتمثل في شخص مخلوق آخر كحمامة بيضاء، أو ريح عاصفة، أو ألسنة من اللهب. ومما جاء فى ذلك : ماذكره لوقا في انجيله :

«ولما اعتمد جميع الشعب اعتمد يسوع أيضا، واذ كان يصلى انفتحت السماء ونزل عليه الروح القدس بهيئة جسمية مثل حمامة...»[3].

ومما ورد في هذا الشأن قولهم :

---

(١) ١ :٢٦ - ٣٨.

(٢) الشيخ محمد أبو زهرة / محاضرات في النصرانية ص ١٣٤.

(٣) ٣ : ٢١ - ٢٢ وانظر كذلك انجيل مرقس ١ : ٩-١٣، وانجيل يوحنا ١ : ٣٢-٣٤.

«ولما حضر يوم الخمسين كان الجميع معا بنفس واحدة، وصار بغتة من السماء صوت كما من هبوب ريح عاصفة، وملأ كل البيت، حيث كانوا جالسين، وظهرت لهم ألسنة منقسمة كأنها من نار واستقرت على كل واحد منهم، وامتلأ الجميع من الروح القدس وابتدأوا يتكلمون بألسنة أخرى كما أعطاهم الروح أن ينطقوا»(١).

وقد جاء التعبير بروح القدس في الأناجيل عن شخص تنبأ بقدومه المسيح - عليه السلام - ليخلفه في تبليغ رسالة الله وعبرت عنه الأناجيل بـ (المعزي) ومما جاء في ذلك :

«وأما المعزي الروح القدس الذى سيرسله الأب باسمى فهو يعلمكم كل شىء، ويذكركم بكل ماقلته لكم»(٢).

وليس للمسيح خصوصية في ذلك، بل هو مساو لغيره في هذه الروح من ذلك ما جاء في كتبهم :

قال يسوع لتلاميذه : «إن أباكم السماوي يعطي روح القدس الذين يسألونه»(٣).

وفي التوراة قال الله لموسى - عليه السلام - :

«اختر سبعين من قومك حتى أفيض عليهم من الروح التى عليك فيحملوا

---

(١) أعمال الرسل ٢ : ١ - ٤.

(٢) انجيل يوحنا ١٤ : ٢٦ وكذلك ١٥ : ٢٦ - ٢٧.

(٣) انجيل لوقا : ١١ - ١٣.

عنك ثقل هذا الشعب ففعل، فأفاض عليهم من روحه فثبتوا لساعتهم»[١].

وفي العهد القديم : أنّ روح الله حلت على دانيال[٢].

وفي التوراة أيضا : أنّ موسى – عليه السلام – لما توفى امتلأ يوشع خادمه من الروح القدس؛ لأنّ موسى كان قد وضع يده على رأسه[٣].

فقد استوى المسيح مع من ذكرنا في تشريفه بهذه الروح[٤].

ويظهر من تتبعنا لتلك التصورات التى ذكرناها هنا – ولما سبق أن ذكرناه في بياننا لمفهوم روح القدس في الكتاب المقدس أو هذا الفصل – يظهر من ذلك كله أن روح القدس في كل هذه التعبيرات كائن مخلوق محدث، فهو اما روح انساني أو قوة روحانية الهية يخلقها الله في الانسان، أو ملاك يكون مصدرا للقوة أو للوحى أو للالهام أو الخوارق وهو في كل ذلك لا يخرج عن كونه مخلوقا. فهو لا يوصف بأى أوصاف الهية ولا تستند اليه أعمال الهية كذلك، وهذا أمر طبيعى، وهذا هو التصور الصحيح لروح القدس.

وعلى هذا ينبغى حمل جميع نصوص الكتاب المقدس التى وردت بشأنه دون التعسف في تأويلها بجعلها دالة على ألوهيته، بينما هى في الواقع لا تحمل هذه الدلالة – كما ذكرنا من قبل – بل ويتضمن الكتاب المقدس ماينقضها كما رأينا هنا.

---

(١) سفر العدد ١١ : ١٦ – ١٨ .

(٢) سفر دانيال ٦ : ٣ .

(٣) سفر التثنية ٣٤ : ٩,

(٤) أبو الفضل المالكي المسعودي : المنتخب الجليل في تخجيل من حرف الإنجيل (مخطوطة) ص ٢٤.

٣ - تناقض عقيدة ألوهية روح القدس مع العقل :

اتضح لنا من خلال هذا الفصل بطلان مايراه النصارى من أن اعتقادهم بألوهية روح القدس اعتقاد دينى يرجعون فيه الى نصوص الكتاب المقدس، بل على العكس من هذا بينا كيف أن نصوص الكتاب المقدس انما تدل على نقيض مايعتقدون، وهو أن روح القدس مخلوق وليس باله. وقد تعقب ابن تيمية - كما رأينا من قبل - شبهاتهم التى يستقونها من كتابهم المقدس فأبطل استدلالهم بها. وبهذا اتضح ماقلناه من أن هذه العقيدة ليست عقيدة دينية صحيحة كما يزعمون - بل اتضح لنا كيف أنها عقيدة مستقاة من المصادر الوثنية ليس بحقيقتها فقط، بل وبالألفاظ التى تعبر عنها.

وفي هذا المقام نضيف الى ماقدمناه بيان تناقض هذه العقيدة مع العقل واستعصائها على الفهم، وأنها بتناقضها هذا لا ينبغي أن تكون عقيدة يعتقدها المتدينون بها.

وليس القول بتناقض هذه العقيدة مع العقل هو قولنا فقط، ولكنه اعتراف علمائهم بذلك وان كانوا يكابرون فلا يعدون ذلك مانعا من اعتقادهم بها كعقيدة ايمانية وان استعصى عليهم فهمها أو ظهر لهم تناقضها مع العقل.

وبعد أن يحدثنا الأستاذ (يسى منصور) - المسيحى المتعصب - عن أزلية الروح القدس وسرمديته وتميزه في أقنوميته، وأنه وحدة أقنومية غير أقنوم الأب، وغير أقنوم الابن، لكنه مساو لهما في السلطان والمقام، ومشترك واياهما في جوهر واحد، ولاهوت واحد. بعد هذا الشرح المستفيض عن لاهوت روح القدس، يعود فيقرر أن «هذا سر عظيم، أعلنه الكتاب المقدس ويقبله العقل،

وان يكن فوق العقل»[1].

وهاهو القس وهيب عطا الله يعترف بتناقض عقيدة التجسد عموما سواء كانت تجسد الله في المسيح أو تجسد المسيح من الروح، ويصف هذه العقيدة بأنها متناقضة عقلا وحسا ومع ذلك هم مطالبون بقبولها حتى ولو كانت غير معقولة.

يقول في ذلك :-

«إن التجسد قضية فيها تناقض مع العقل والمنطق والحس والمادة والمصطلحات الفلسفية، ولكننا نصدق ونؤمن أن هذا ممكن حتى ولو لم يكن معقولا»[2].

وهذان وغيرهما كثير، صادقون في أقوالهم هذه، ومادامو أنهم قد طوعوا نصوص العهد القديم والجديد، بل وآيات القرآن الكريم - كما رأينا - حسبما تمليه عليهم أهواؤهم لتشهد لهم بأقنومية الروح القدس وألوهيته، لا عجب بعد ذلك أن تؤمنوا بعقيدة ليست فائقة للادراك العقلى فقط بل مناقضة للعقل.

وليت الأمر توقف بهم عند هذا الحد، بل انهم اعترفوا اعترافا تاما بعدم ادراكهم لمسألة انبثاق روح القدس، وأنها عويصة جدا...

هذه المسألة التى رأينا كيف أنه ترتب عليها انقسام الكنيسة الأم

---

(١) كتاب رسالة التثليث والتوحيد ص ٤٥ نقلا عن محمد مجدي مرجان/ كتاب الله واحد أم ثالوث ص ١١٦ / ١١٧.

(٢) كتاب طبيعة السيد المسيح ص ١٨ نقلا عن الدكتور / أحمد شلبي / المسيحية ص ١٣٩ ط٥.

جغرافيا وعقديا، ولعن بعضهم البعض. وهذا كله راجع الى عدم وجود مصدر أصلي صحيح يستقون منه عقائدهم التى يعتقدونها .ومن أقوالهم في عدم ادراكهم لمسألة الانبثاق هذه ماجاء في كتاب علم اللاهوت النظامي من قولهم :-

«إنها (أى مسألة الانبثاق) فوق ادراكنا، ولذلك يتعذر علينا تفسيرها... وبما أن هذه المسألة عويصة جدا، ويتعذر على العقل البشرى ادراكها، فلا يليق بكل من الشرقيين والغربيين أن يحكم الفريق الواحد منهم على الآخر بالارتقة[1]. لعدم موافقته اياه في مذهبه في مسألة الانبثاق...»[2].

ويؤكدون اعترافهم هذا باعتراف آخر فيقولون :-

«وعندنا أن ما يهمنا هو اعتقاد أقنومية الروح ولاهوته، ومساواته للأب والابن في الجوهر، وان الجزم بالانبثاق هل هو من الأب وحده أو من الأب والابن معا، ليس في طاقتنا، لأنه من الأسرار غير المعلنة لنا بالوضوح، ولذلك حكمنا في هذه المسألة انما هو من باب الترجيح»[3].

واذا كانت هذه اعترافات المسيحيين بتناقض عقيدنهم هذه مع العقل والمنطق، وأنها من أسرار ديانتهم التى لا يمكن معرفتها في الوقت الحاضر، ويرجئون ذلك الى يوم الكشف عن البصائر - كما يقول الدكتور احمد شلبى -

نقول : إذا كانت هذه اعترافاتهم هم أنفسهم على مايعتقدونه، فمن باب أولى أن نجد من المسلمين من يؤكد هذا التناقض شاء المسيحيون أم أبوا.

---

(١) أي الهرطقة .

(٢) ج ١ ص ٣١٢ ، ٣١٤ (المؤلف مجهول الاسم).

(٣) علم اللاهوت النظامي ج ١ ص ٣٧٠.

وها هو الامام القرافي في أجوبته يخبرنا أن القول بتجسد الروح القدس يؤدي الى انقلاب الحقائق، وانقلاب الحقائق محال لما فيه من التناقض. فيقول :-

«الروح القدس - عند النصارى - هو حياة الله تعالى -، وتجسد المسيح منها يقتضي انقلاب الحقائق، حيث يلزم أن تكون المعانى أجساما، والصفات موصوفات، وفي هذا قلب للحقائق فإن الحياة معنى من المعانى كالارادة والعلم، وصيرورة الحياة جسدا كصيرورة اللون رائحة، والطعم حركة، والأعراض أجساما، وذلك كله محال، فالقول بتجسد الروح القدس محال»(١).

لكن ما الذى حدا بالمسيحيين وألجأهم الى تأليه الروح القدس، ولا سند لهم من العقل أو الدين.

سبق منا القول أن عقيدة تأليه روح القدس عقيدة دخيلة على الديانة المسيحية الصحيحة المنزلة من عند الله. والواقع الذى لا جدال فيه، أن الذى قام بتثبيت هذه العقيدة لدى المسيحيين هو بولس وأشياعه، حيث يدّعون أن عقيدة الخلاص من أدران الخطيئة هذه العقيدة - التى هى احدى دعائم دينهم - تحتم عليهم القول بألوهية روح القدس وقدرته على كل شىء، وذلك لأنها تستلزم مقدسا ومحييا يخلق من الانسان انسانا آخر طاهرا مطهرا من الذنوب والآثام، ولن يكون ذلك المقدس المحيى الخالق سوى روح القدس. وفي ذلك يقولون :

«ان عملية الخلاص تستلزم مقدسا ومحييا يخلق من الانسان الخاطىء

---

(١) الأجوبة الفاخرة في الرد على الأسئلة الفاجرة. بهامش كتاب عبدالرحمن بك باجه جي زاده : الفارق بين المخلوق والخالق ص ١٦٤ ط١.

انسانا جديدا في البر وقداسة الحق، ومقدسا يعيد للانسان الفاسد صورة القداسة المفقودة، ومن يكون ذلك المقدس المحيى سوى كائن الهى قادر على كل شيء وهو الأقنوم الثالث فى اللاهوت أى روح القدس»[1].

والواقع أن هذه ليست العقيدة الباطلة الوحيدة التى أدخلها بولس على المسيحيين، بل هى احدى أباطيله الكثيرة التى أفسد بها عقيدة النصارى بعد اعتناقه للنصرانية - كما رأينا - هذا من ناحية.

ومن ناحية أخرى فإن الاعتقاد بالخطيئة الموروثة في بنى آدم اعتقاد باطل، فالخطيئة لا تورّث {كل نفس بما كسبت رهينة}[2]. ومن ثم يبطل مايرتّبه النصارى على هذه العقيدة من الاعتقاد بضرورة خلاص بنى آدم من هذه الخطيئة الموروثة عن طريق الروح القدس الاله أو عن طريق المسيح، فالقول بألوهية روح القدس قول باطل، لأنه يبنى على عقيدة باطلة.

أما الدكتور أحمد شلبى فيرى أن : «المسيحيين انما قالوا بألوهية الروح القدس، لأنهم كانوا يريدون أن يدّعوا الصلة بالله، وتلقي العلم منه، فقالوا بألوهية الروح القدس وأنه ينزل عليهم ويمتلئون به ويعرفون بواسطته مالا يعرف البشر، فأصبح الروح القدس بذلك ثالث الألهة»[3].

ومافتيء هذا الروح - في زعمهم - حتى الآن يمد الكنيسة بالوحى ويقدم لها الارشاد في كل موقف وكل مشكلة عاصية ويدافع عنها وسيبقى كذلك الى

(١) محمد مجدي مرجان : الله واحد أم ثالوث ص ٢٧ ، ٢٨.
(٢) سورة المدثر / آية ٣٨.
(٣) المسيحية ص ١٣٠ ط ٥.

الأبد وهو حي على الدوام[1].

هذا بالاضافة الى أنه سبق وأن ذكرنا ادعاء المسيحيين نزول روح القدس على الحواريين والمسيحيين الأوائل بالتأييد والوحي، وأنه هو المعزى الذى بشرهم المسيح بارسال الله له ليقوم معهم في هذه المهمة، وفي ذلك يقول يوحنا نقلا عن المسيح «وأما المعزى الروح القدس الذى سيرسله الأب باسمى فهو يعلمكم كل شيء ويذكركم بكل ما قلته لكم»[2].

وجاء في سفر أعمال الرسل : «ولما حضر يوم الخمسين كان الجميع معا بنفس واحدة، وصار بغتة من السماء صوت كما من هبوب ريح عاصفة وملأ كل البيت، حيث كانوا جالسين وظهرت لهم ألسنة منقسمة، كأنها من نار واستقرت على كل واحد منهم وامتلأ الجميع من روح القدس وابتدأوا يتكلمون بألسنة أخرى كما أعطاهم الروح أن ينطقوا»[3].

ومعنى هذا أنهم قالوا بألوهية روح القدس ليكون التأييد الذى يعتقدون أنهم يتلقونه منه تأييدا الهيا. وان كانوا في نفس الوقت يعترفون بأن تأييده

---

(١) يعلق الدكتور أحمد شلبي على تحريفهم هذا، حيث يورد لنا التقاء الرئيس الأمريكي السابق ايزنهاور بالبابا في الفاتيكان عام ١٩٥٩م حيث إن البابا عندما أراد تحية الرئيس باللغة الانجليزية قرأها من رقعة لديه، وكانت تحية قصيرة - يطق الشلبي على هذا اللقاء وهذه التحية متهكما فيقول :

« ليت شعري لماذا لم يطمه (أي البابا) روح القدس اللغة الانجليزية كما يقول لوقا بأن روح القدس علم في لحظات هؤلاء الرسل لغات لم يكونوا يعرفونها» مشيرا بذلك الى ما جاء في سفر أعمال الرسل (٢:١-٤).

انظر (مقارنة الأديان) المسيحية ص ١٥٤ ط٥.

(٢) ١٤ : ٢٦.

(٣) ٢ : ١-٤.

لهم، وتأثيره فيهم، أمر فائق للعقل وان كان عليهم أن يؤمنوا به كعقيدة ايمانية.

جاء في كتاب علم اللاهوت النظامى :-

«ان الروح القدس ينير عقولنا، ويرشدنا ويحثنا على كيفية لا نقدر أن ندركها مطلقا، لأن تأثيره الالهي مقترن ومشترك مع عمل الاردة البشرية الحرة على كيفية تفوق إدراكنا، وهو من أعمق أسرارالديانة المسيحية»(١).

وهكذا يؤمن المسيحيون بألوهية روح القدس، في الوقت الذى يقرون فيه بأنهم يؤمنون بشىء لا تدركه عقولهم بل لا يدركون كيفية انبثاق الروح القدس من الأب والابن ولا كيفية تأثيره فيهم، وهو ماقدمناه من أن عقيدة القول بألوهية روح القدس مناقضة للعقل، ويعزّ على الادراك فهمها.

٤ - العقيدة القرآنية الصحيحة في روح القدس :

قبل الكلام عن العقيدة الصحيحة في روح القدس، كما يصورها القرآن، نبين المعانى اللغوية لهذه الكلمة. فـ (الروح) بالضم : النفس . وفي (التهذيب) قال أبو بكر الانبارى : الروح والنفس واحد، غير أن الروح مذكر، والنفس مؤنثة عند العرب. وفي التنزيل الحكيم :

{ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى}(٢).

---

(١) علم اللاهوت النظامي ج ١ ص ٣٧٩.

(٢) سورة الإسراء / آية٨٥.

وقال الفراء : «الروح هو الذى يعيش به الانسان، لم يخبر الله تعالى به أحدا من خلقه، ولم يعطِ علمه العباد.

ويسمى النفخ روحا؛ لأنه ريح يخرج من الروح[1]. ومنه قول ذي الرمة* في نار اقتدحها، وأمر صاحبه بالنفخ فيها فقال :

فقلت ارفعها اليك وأحيها **** بروحك واجعله لها قيتة قدرا[2].

و «كلمة ريح من مادة (رِوح) وأصلها : روح بكسر فسكون، قلبت الواو ياء لوقوعها ساكنة بعد كسرة. وهى تجمع على رياح وأرياح باعتبار الحال

---

(١) انظر السيد محمد مرتضى الزبيدي : تاج العروس من جواهر القاموس ج ٢ ص ١٤٧ فصل الراء من باب الحاء.

وانظر كذلك : ابن منظور : لسان العرب ج ٢ ص ٤٥٩ دار صادر.

* ذو الرمة هو : غيلان بن عقبة العدوي المتوفي سنة ١١٧هـ وهو شاعر ولد بالدهناء ببادية اليمامة، ومات بها. بدأ حياته الأدبية بالرجز، ثم تحول الى الشعر ... عشق البادية، فسجل مشاهدها وظواهرها في صورة حية مليئة بالبهجة والمشاعر، ينفرد بها عن بقية الشعراء. وبرع في التشبيه أكثر من غيره، ولكنه لم يحسن المدح والهجاء والفخر فانحطت منزلته عن الفحول عند نقاد عصره، ويكثر الغريب في شعره ... وله ديوان مطبوع.

انظر : محمد شفيق غربال : الموسوعة الميسرة ص ٨٤٧.

(٢) معنى البيت : « ارفعها » أي النار ، وأحيها بروحك» أي احيها بنفخك ونفخ في النار نفخا قوتا، واقتات لها كلاهما رفق بها. ثم يقول : واجعل نفخك للنار قيتة، فيأمره بالرفق في النفخ القليل.

انظر ديوان ذي الرمة. شرح الإمام أبي نصر أحمد بن حاتم الباهلي صاحب الأصمعي. برواية الإمام أبي العباس ثعلب. حققه وقدم له وعلق عليه الدكتور عبدالقدوس أبو صالح ج ٣ ص ١٤٢٩/ ١٤٣٠ مؤسسة الإيمان - بيروت - لبنان.

وانظر كذلك : ابن منظر : لسان العرب ج ٢ ص ٤٦٠ دار صادر.

وعلى أرواح باعتبار الأصل»[1].

أما القدس فهو (الطهر)، والقدس سيدنا جبريل - عليه السلام - كروح القدس.

وفي الحديث (ان روح القدس نفث في روعى) يعنى جبريل - عليه السلام -؛ لأنه خلق من طهارة. وفي صفة* عيسى - عليه السلام - {وأيدناه بروح القدس}[2].

معناه روح الطهارة، وهو جبريل - عليه السلام - [3].

هذا هو المعنى اللغوى لروح القدس. واذا جئنا الى القرآن الكريم، فإننا نجد كلمة الروح فيه قد استعملت في هذه المعانى المتقدمة في كتب اللغة، فقد وردت فيه بمعان عدة منها :

(!) بمعنى الوحي بوجه عام أو القرآن بوجه خاص.

(٢) بمعنى القوة التى تحدث الحياة في الكائنات الحية.

---

(١) ابن منظور : لسان العرب ج ٢ ص٤٥٥.
وانظر كذلك : السيد محمد مرتضى الزبيدي : تاج العروس من جواهر القاموس ج٢ ص ١٤٨ فصل الراء من باب الحاء.

* أي جاء في حديث القرآن عن عيسى عليه السلام.

(٢) سورة البقرة آية ٨٧ ، ٢٥٣.

(٣) انظر : الإمام اللغوي السيد محمد مرتضى الزبيدي : تاج العروس من جواهر القاموس ج ٤ ص ٢١٣ فصل القاف من باب السين.
وانظر كذلك : الفيروز أبادي : القاموس المحيط ج ٢ ص ٢٣٩.

(٣) بمعنى النصر والتأييد.

(٤) بمعنى جبريل عليه السلام.

فعن المعنـى الأول : قوله تعالى : {ينزل الملائكة بالروح من أمره}[١].

وقوله : {يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده}[٢].

وقوله جل جلاله {وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا}[٣].

وقد سمى الوحى روحا؛ لأنه حياة من موت الكفر، فصار بحياته للناس كالروح الذى يحيا به جسد الانسان.»[٤] قال تعالى : {أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشى به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها. كذلك زين للكافرين ماكانوا يعملون}[٥].

ويقول الامام الرازى عند تفسيره لآية النحل الثانية {ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده} يقول :

«اختلف الناس في المراد بهذه الروح، والصحيح : أن المراد من الروح هنا الوحى، وهو كلام الله، ونظيره قوله تعالى : {وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا}، وقوله : {يلقى الروح من أمره على من يشاء من عباده}...

---

(١) سورة النحل / آية ٢.

(٢) سورة غافر / آية ١٥.

(٣) سورة الشورى / آية ٥٢.

(٤) انظر : محمد مرتضى الزبيدي : تاج العروس من جواهر القاموس ج ٢ ص ١٤٧ فصل الراء من باب الحاء.

(٥) سورة الأنعام آية ١٢٢.

ثم قال : والقرآن والوحي به تكمل المعارف الالهية، والمكاشفات الربانية، وهذه المعارف بها يشرق العقل ويصفو ويكمل، والعقل به يكمل جوهر الروح، والروح به يكمل حال الجسد. وعند هذا يظهر أن الروح الأصلي الحقيقى هو الوحى والقرآن؛ لأنه به يحصل الخلاص من رقدة الجهالة، ونوم الغفلة، وبه يحصل الانتقال من حضيض البهيمية الى أوج الملكية، فظهر أن اطلاق لفظ الروح على الوحى في غاية المناسبة والمشاكلة (١).

وعن المعنى الثانى للروح، وهو القوة التى تحدث الحياة في الكائنات الحية.

ففى قوله تعالى : {ويسألونك عن الروح، قل الروح من أمر ربى}(٢).

وعن هذه الآية يقول الامام الرازى :

« للمفسرين في الروح المذكورة في هذه الآية أقوال : أظهرها : ان المراد منه : الروح الذى هو سبب الحياة»(٣).

ويقول : «ونفخ الروح في الجسد عبارة عن إحيائه، كما قال تعالى : {فإذا سويته ونفخت فيه من روحى...} أى أحييته...»(٤).

---

(١) الفخر الرازي (التفسير الكبير) المجلد العاشر ج ١٩ ص ٢٢٤ ، ٢٢٥.
وكذلك المجلد ١١ ج ٢١ ص ٣٩، وكذلك المجلد ١٤ ج ٢٧ ص ٤٥، ٤٦.
وانظر كذلك : محمد رشيد رضا : تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار المجلد الأول ص ٣٧٦.

(٢) سورة الاسراء / آية ٨٥.

(٣) الفخر الرازي : التفسير الكبير المجلد ١١ ج ٢١ ص ٣٧.
وانظر كذلك الإمام البيضاوي : تفسير القرآن الكريم ص ٢٤١.

(٤) الفخر الرازي : التفسير الكبير المجلد ١١ ج ٢٢ ص ٢١٨.
وانظر كذلك الإمام البيضاوي تفسير القرآن الكريم ص ٣٥٩.

أما مجيء الروح في القرآن بمعنى النصر والتأييد، ففى مثل قوله تعالى فى شأن المؤمنين المجاهدين : {أولئك كتب في قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه}(١). أى بنصر وتأييد منه.

والمعنى الرابع لكلمة الروح هو جبريل - عليه السلام - وقد تعددت اسماؤه وصفاته وأعماله في القرآن الكريم.

فمن أسمائه : (الروح)، حيث عبّر عنه القرآن بكلمة الروح مجردة، كما في قوله تعالى : {تنزل الملائكة والروح فيها}(٢).

وقوله جلّ جلاله : {تعرج الملائكة والروح اليه}(٣).

حيث أجمع المفسرون أن «المراد بالروح (في هاتين الآيتين) هو الملك المسمي جبريل الذى ينزل على الأنبياء بالوحى والتأييد، ومنه يستمدون الشرائع عن الله تعالى»(٤).

---

(١) سورة المجادلة آية ٢٢.

(٢) سورة القدر آية ٤.

(٣) سورة المعارج آية ٤.

(٤) أنظر الفخر الرازي (التفسير الكبير)المجلد الثاني ج ٣ ص ١٩٠، ١٩١.
والمجلد الثالث ج ٦ ص ٢١٩ والمجلد ٦ ج ١١ ص ١٣١/ ١٣٢ ، والمجلد ١٢ ج ٢٤ ص ١٦٦، والمجلد ١١ ج ٢١ص ٤٠، والمجلد ١٦ ج٣١ ص ٢٤/ ٢٥، والمجلد ١٦ج ٣٢ ص ٣٤.
وانظر كذلك : محمد رشيد رضا : تفسير المنار المجلد الأول ، والمجلد السابع ص ٢٤٤.
وانظر كذلك : القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ج ٦ ص ٣٦٣، والزمخشري الكاشف : ج ٢ ص ٥٠٥ ، وابن كثير في تفسيره ج ٣ ص ٣٤٧ والبيضاوي في تفسيره ص ٥٨٣ وتنوير المقياس من تفسير ابن عباس ص ٤٩٩ ، ٥١٥.

كما عبّر عنه القرآن بكلمة الروح مضافة الى لفظ القدس. قال تعالى :

{قل نزّله روح القدس من ربك بالحق}(١).

وقوله : {وأيدناه بروح القدس}(٢).

وقوله : {اذ أيدتك بروح القدس}(٣).

ويقول المفسرون في ذلك :

«روح القدس جبريل - عليه السلام - أضيف الى القدس وهو الطهر، كما يقال : حاتم الجود، وزيد الخير، والمراد الروح المقدس.

أى أن جبريل نزل بالقرآن من ربك ليثبت الذين آمنوا ...»(٤).

وقد روى مسلم في صحيحه ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت : (ان روح القدس لا يزال يؤيدك ما نافحت عن الله ورسوله)(٥).

وروى أيضا عن البراء بن عازب أنه سمع رسول الله صلى الله عليه

---

(١) سورة النحل / آية ١٠٢.

(٢) سورة البقرة / آية ٨٧ ، ٢٥٣.

(٣) سورة المائدة / آية ١١٠.

(٤) الفخر الرازي (التفسير الكبير) المجلد العاشر ج ٢٠ ص ١١٨،
وكذلك الزمخشري : الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، ج ١ ص ٢٩٤.
وانظر كذلك ابن تيمية : مجموع الفتاوي ج ١٧ ص ٢٨٤ / ٢٨٥.

(٥) صحيح مسلم ج ١٦ ص ٤٨، ٤٩.

وسلم يقول له : (اهجهم أو هاجمهم وجبريل معك)[1].

وقد تضاف كلمة (روح) الى ضمير العظمة،. كما في قوله تعالى حين نزل جبريل الى مريم بالبشارة بعيسى. قال تعالى : {فأرسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشر سويا}[2].

وقال جلّ جلاله : {ومريم ابنة عمران التى أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا)[3] الآية.

وقال تعالى أيضا : { والتي أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا}[4].

يقول الرازى :

«اختلف المفسرون في هذا الروح. فقال الأكثرون : انه جبريل – عليه السلام – وقال أبو مسلم : انه الروح الذى تصوّر في بطنها بشرا. والأول أقرب؛ لأن جبريل – عليه السلام – يسمى روحا.

قال تعالى : {نزل به الروح الأمين على قلبك}[5].

وسماه الله تعالى بروحه على المجاز، محبة له، وتقريبا. كما تقول لحبيبك

---

(١) صحيح مسلم ج ١٦ ص ٤٦.

(٢) سورة مريم / آية ١٧.

(٣) سورة التحريم / آية ١٢.

(٤) سورة الأنبياء / آية ٩١ .

(٥) سورة الشعراء / آية ١٩٣ ، ١٩٤.

روحى...[1].

ويقول الزمخشرى عند تفسيره لقوله تعالى : {والتى أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا}[2]. معناه :

«وفعلنا النفخ في مريم من جهة روحنا وهو جبريل - عليه السلام -؛ لأنه نفخ في جيب درعها، فوصل النفخ الى جوفها»[3].

وكما تعددت أسماء جبريل - عليه السلام - تعددت صفاته، حيث وصفه الله تعالى بأوصاف كثيرة. فهو أمين الله على وحيه، كما قال تعالى مخاطبا نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم : {نزل به الروح الأمين على قلبك}[4].

وهو رسول الله الى أنبيائه ورسله، المنفذ لأوامره صاحب القوة والدرجة المكينة عند الله. قال تعالى : {انه لقول رسول كريم، ذى قوة عند ذى العرش مكين، مطاع ثم أمين...}[5].

يقول ابن كثير - عند تفسيره لهذه الآيات :-

«يعنى أن هذا القرآن لتبليغ رسول كريم، أى ملك شريف، حسن الخلق، بهيّ المنظر. وهو جبريل عليه الصلاة والسلام...

---

(١) (التفسير الكبير) المجلد الحادي عشر ج ٢١ ص ١٩٧ .
وانظر كذلك الزمخشري : الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ج ٢ ص ٥٠٥.

(٢) سورة الأنبياء / آية ٩١ .

(٣) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ج ٢ ص ٥٨٣ .

(٤) سورة الشعراء / آية ١٩٣ ، ١٩٤ .

(٥) سورة التكوير / آية ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ .

(مطاع ثمّ) أى في السموات يعنى ليس هو من أفناد [1]. الملائكة، بل هو من السادة والأشراف، معتنى به، انتخب لهذه الرسالة العظيمة.

(أمين) صفة لجبريل بالأمانة، وهذا عظيم جدا. ان الرب عز وجل يزكى عبده ورسوله الملكى (جبريل)، كما زكى عبده ورسوله البشرى محمد صلى الله عليه وسلم بقوله : {وما صاحبكم بمجنون[2]}[3].

ويقول صاحب الكشاف أيضا :

«ذى قوة كقوله تعالى : { شديد القوى ذو مرة }. ولمّا كانت حال المكانة على حسب حال الممكّن، قال : { عند ذى العرش }، ليدل على عظم منزلته ومكانته.

(ثمّ) اشارة الى الظرف المذكور، أعنى (عند ذى العرش) على أنه عند الله مطاع في ملائكته المقربين، يصدرون عن أمره، ويرجعون الى رأيه.

وناهيك بهذا دليلا على جلالة مكانة جبريل وفضله على الملائكة.

وقرىء (ثم) تعظيما للأمانة وبيانا لأنها أفضل صفاته المعدودة[4].

أما وظائف جبريل وأعماله فهى عديدة وعظيمة فهو المكلّف بنزول الوحى

---

(١) الفِند بالكسر هو المنفرد من الجبال والجمع أفناد، والفند النوع يقال جاءوا أفنادا أي أنواعا مختلفة والمقصود هنا (عامة).

أنظر : الزبيدي / تاج العروس ج ٢ ص ٤٥٤ فصل الفاء من باب الدال.

(٢) سورة التكوير / آية ٢٢.

(٣) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج٤ ص ٤٧٩– ٤٨٠.

(٤) الزمخشري ج ٤ ص ٢٢٤.

على الأنبياء، وهو السفير بين الله وبين أنبيائه ورسله كما قال تعالى : {نزل به الروح الأمين على قلبك}[1].

وقال تعالى : {قل نزّله روح القدس من ربك بالحق}[2].

وقال تعالى : {قل من كان عدوا لجبريل فإنه نزله على قلبك باذن الله...[3]} الآية

قال الامام الرازى – عند شرحه لآية البقرة ٩٧ :-

«الها في (انه) تعود على جبريل، والثانية تعود على القرآن، وان لم يجرِ له ذكر كالمعلوم، كقوله : {ماترك على ظهرها من دابة}[4]. يعنى الأرض»[5]. و «اضمار مالم يسبق ذكره فيه فخامة لشأن صاحبه، حيث يجعل لفرط شهرته كأنه يدل على نفسه ويكتفى عن اسمه الصريح بذكر شيء من صفاته»[6].

ومن أعماله أيضا : نزوله بالبشارة على مريم، يبشرها بعيسى – عليه السلام –. قال تعالى على لسان جبريل : {انما أنا رسول ربك، لأهب لك غلاما زكيا}[7].

---

(١) سورة الشعراء / آية ١٩٣ / ١٩٤.

(٢) سورة النحل / آية ١٠٢ .

(٣) سورة البقرة / آية ٩٧ .

(٤) سورة فاطر/ آية ٤٥ .

(٥) التفسير الكبير المجلد الثاني ج ٣ص ٢١٢.

(٦) البيضاوي : تفسير القرآن الكريم ص ٣٩.

(٧) سورة مريم / آية ١٩.

«أى انما أنا رسول من استعذت به، لأكون سببا في هبة الغلام بالنفخ في الدرع»(١).

ومن أعماله كذلك : اهلاك الأمم، حيث أنه «اقتلع قرى قوم لوط من الماء الأسود، وحملها على جناحه، ورفعها الى السماء، ثم قلبها، وصاح صيحة بثمود فأصبحوا جاثمين، وكان هبوطه على الأنبياء وصعوده في أقل من رجعة الطرف...»(٢).

وقد تراءى جبريل للنبى صلى الله عليه وسلم في صورته الحقيقية التى خلقه الله فيها مرتين : مرة حين استوى له في الأفق الأعلى عند سدرة المنتهى، ومرة رآه وهو فى الأرض حين فترعنه الوحى فكان جبريل يتراءى له بين السماء والأرض يقول له : أنت رسول الله وأنا جبريل.

وكان له ستمائة جناح. كما يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : (رأيت جبريل له ستمائة جناح)(٣). هذا بالاضافة الى أنه كان يتمثل له في صورة انسان في بعض الأحايين، حيث نزل مرة في صورة «دحية بن خليفة الكلبى*(٤).

كما نزل في صورة شخص شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه من الصحابة أحد، وأخذ يسأل الرسول صلى الله عليه وسلم عن الايمان، والاسلام، والاحسان، وعن أشراط الساعة.

---

(١) الزمخشري : الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ج ٢ ص ٥٠٥.

(٢) المرجع السابق ج ٤ص ٢٨.

(٣) صحيح البخاري ج ١ ص ٤ باب «كيف كان بدء الوحي الى الرسول صلى الله عليه وسلم».

* روى ذلك النسائي بسند صحيح من حديث ابن عمر.

(٤) أنظر ابن هشام : السيرة النبوية ج ١ ص ٢٢٠ قدم لها وعلق عليها وضبطها: طه عبد الرؤوف سعد.

والصحابة يسمعون. كما جاء في حديث الايمان والاسلام[1].

هذه هى العقيدة الصحيحة في جبريل - عليه السلام -، وفيها يتضح لنا أنه مهما بلغ من الصفات والمنزلة العظيمة عند الله، فما هو الاّ مخلوق لله عز وجل، وأنه مهما بلغ من القوة، فانما يستمد قوته من الله تعالى وهو عبد مأمور ينفذ ما أمره الله به، قال تعالى على لسان جبريل مخاطبا محمدا صلى الله عليه وسلم : {وما نتنزل الاّ بأمر ربك له مابين أيدينا وما خلفنا ...}[2]. الآية.

ليس هو إذن إله، ولا يمثل أقنوما ثالثا من أقانيم الوحدة الالهية كما يزعم النصارى، فذلك كله من غلو النصارى في عقيدتهم، وانحرافهم فيها عن خط التوحيد، الذى كانت تمثل فيه العقيدة النصرانية الصحيحة حلقة من حلقاته المتصلة منذ آدم - عليه السلام - الى خاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم.

---

(١) أنظر صحيح البخاري / كتاب الإيمان / الباب السابع والثلاثون باب سؤال جبريل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإيمان والإسلام والإحسان وعلم الساعة وبيان النبي صلى الله عليه وسلم له . ج١ص ١٩ ، ٢٠.

(٢) سورة مريم / آية ٦٤.

الفصل الرابع
في عقيدة النصارى بالتثليث
وإبطال ابن تيمية لها

أ - تاريخ عقيدة التثليث عند النصارى، وأدلتهم عليها:

١ - التوحيد فى النصرانية الصحيحة قبل انحرافها.

٢ - النصرانية من التوحيد إلى التثليث.

٣ - دور المجامع والأناجيل فى تثبيت عقيدة التثليث.

٤ - جوهر التثليث وخصائصه عند الفرق النصرانية.

٥ - أدلة النصارى على عقيدة التثليث وبطلانها.

ب - إبطال ابن تيمية لعقيدة التثليث:

١ - إبطاله لاستدلال النصارى على التثليث بالتوراة.

٢ - إبطاله لاستدلال النصارى على التثليث بالأناجيل.

٣ - إبطاله لاستدلال النصارى على عقيدة التثليث بالعقل وبيان تناقضهما.

٤ - إبطاله لدعوى النصارى للتوحيد مع قولهم بالتثليث.

جـ - التعقيب:

١ - الجذور التاريخية لعقيدة التثليث النصرانية.

٢ - البطلان العقلى لعقيدة التثليث.

٣ - دلالة الكتاب المقدس على التوحيد.

٤ - إبطال القرآن الكريم لعقيدة التثليث.

الفصل الرابع

عقيدة النصارى بالتثليث وإبطال إبن تيمية لها

أ - تاريخ عقيدة التثليث عند النصارى، وأدلتهم عليها :

١ - التوحيد فى النصرانية الصحيحة قبل انحرافها :

إن التوحيد هو دين الله إلى البشر، ويهتدى إليه أصحاب الفطرة السليمة، والعقول الواعية (خلقت عبادي حنفاء فاجتالتهم الشياطين)[١].

لذا كان شعار الأنبياء والمرسلين جميعا إلى قومهم واحد. ألاَ وهو الله وحده لاشريك له، وافراده بهذه العبادة. قال تعالى : {وما أرسلنا من قبلك من رسول إلاّ نوحي إليه أنه لا إله إلاّ أنا فاعبدون}[٢]. وبهذا جاءت الأنبياء تترا إلى أقوامهم، ويقول كل منهم إلى قومه : (أعبدوا الله مالكم من إله غيره)[٣].

والديانة المسيحية - كأى دين سماوى - جاءت تدعو قبل تحريفها إلى توحيد الله، وعبادته وحده، ونفي الشريك عنه. فقد جاء عيسى عليه السلام إلى بنى اسرائيل بالتوحيد الخالص، فدعاهم إلى عبادة الله وحده، ونهاهم عن اتخاذ شريك معه.

---

(١) صحيح مسلم / باب الصفات التى يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار. جـ٤ ص ٢١٩٧ الحديث رقم ٢٨٦٥.

(٢) سورة الأنبياء / آية ٢٥.

(٣) سورة الأعراف / آية ٥٩.

وكان أول ماتكلم به عيسى - عليه السلام - وهو في مهده هو اثبات عبوديته لله تعالى، حيث أجاب قومه - الذين أنكروا على أمه حملها به - بما حكاه الله عنه في محكم تنزيله : {قال إنّي عبد الله آتانى الكتاب وجعلنى نبيا }.

ثم ختم اجابته لهم بقوله : { وان الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم}[1].

وقد افادت كتب التفاسير أن آية { وان الله ربي وربكم} جاءت على لسان عيسى - عليه السلام - وهي عطف على قوله : {اني عبد الله آتاني الكتاب}. كأنه قال : اني عبد الله، وان الله ربي وربكم فاعبدوه.

وقال وهب بن منبّه : عهد اليهم حين أخبرهم عن بعثه ومولده ونعته: أن الله ربي وربكم. أى كلنا عبيد الله[2].

ويقول إبن كثير عند تفسيره لهذه الآية : «أى ومما أمر به عيسى - عليه السلام - قومه، وهو في مهده أن أخبرهم إذ ذاك أن الله ربه وربهم، وأمرهم بعبادته فقال : {فاعبدوه هذا صراط مستقيم}[3].

وقد بقي عيسى - عليه السلام - على اقراره بالتوحيد، ودعوته له منذ كان فى المهد إلى أن صار نبيا ينادى قومه بقوله :

---

(١) سورة مريم / آية ٣٦.

(٢) أنظر الفخر الرازى : التفسير الكبير، المجلد ١١ جـ ٢١ ص ٢٢٠.

(٣) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم : جـ٣ ص ١٢٠.

{يابني اسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم أنه من يشرك بالله فقد حرّم الله عليه الجنة، ومأواه النار، وما للظالمين من أنصار}(١).

وقوله مخاطبا بني اسرائيل : { ومصدقا لما بين يديّ من التوراة، ولأحل لكم بعض الذى حرم عليكم وجئتكم بآية من ربكم، فاتقوا الله وأطيعون إن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم}(٢).

بل حتى فى يوم الحشر، حيث أخبر الله – سبحانه وتعالى – بأنه سوف يسأل – وهو أعلم – عيسى عليه السلام، فى ذلك اليوم، عما أحدثه قومه من تأليهه، وتأليه أمه، وهل هو الذى طلب من قومه ذلك ، فيجيبه عليه السلام بأنه مادعاهم الاّ إلى توحيد الله – عزّ وجلّ – وعبادته وحده قال تعالى : { وإذْ قَالَ اللهُ ياعيسى ابنَ مريمَ أأَنتَ قلتَ للناسِ اتخِذُوني وأمي إلهيْن مِن دُونِ الله. قال سبحانَك مايكونُ لِي أنْ أقولَ ماليس لي بحقٍ إن كنتُ قلتُه فقد علِمتَه تعلمُ مافي نفسى ولا أعلمُ مافي نفسِك إنك أنت علاّمُ الغيوب ماقلتُ لهم إلاّ ما أمرتني به أنِ أعبدوا اللهَ ربي وربَكم وكنتُ عليهم شهيداً مادمتُ فِيهم فلما توفيتني كنتَ أنتَ الرقيبَ عليهم وأنتَ على كل شىء شهيد}(٣).

فدعوة عيسى – عليه السلام – كانت دعوة توحيد، مثلها في ذلك مثل دعوة بقية الأنبياء والرسل جميعا، من لدن نوح، حتى خاتم الأنبياء والمرسلين. ومع أن القرآن يعتبر أوثق مصدر لبيان عقيدة النصرانية الأولى كما جاء بها الأنجيل، وكما كان عليها المسيح – عليه السلام – والصالحون من أتباعه – مع

---

(١) سورة المائدة / آية ٧٢.
(٢) سورة آل عمران / آية ٥٠، ٥١.
(٣) سورة المائدة / آية ١١٦، ١١٧.

ذلك، ومع انحراف النصارى بعد ذلك عن التوحيد وقولهم بالتثليث، فقد تضمنت أناجيلهم التي كتبوها جُملاً تدل على عقيدة التوحيد التي كان عليها عيسى - عليه السلام - وحواريوه، وكذلك تضمن العهد القديم من دلائل التوحيد نصوصا كثيرة خلافا لما حاوله النصارى من استشهادهم بنصوص العهد القديم أيضا على التثليث.

وسوف نذكر بعض نصوص العهدين الدالة على التوحيد في أواخر هذا الفصل[1] مما له دلالته على أن النصرانية في حقيقتها الأولى كانت ديانة توحيد ، بل بقيت دلائل هذا التوحيد في كتبها ظاهرة حتى الآن.

٢ - النصرانية من التوحيد إلى التثليث :

ولكن النصرانية بدأت تنحرف عن خط التوحيد إلى عقيدة التثليث، وذلك عند الجمهور الأعظم من النصارى.

وفي بياننا لمسيرة النصرانية بين التوحيد والتثليث، ينبغى أن نشير هنا إلى مافصلنا القول فيه سابقا، من بقاء عقيدة التوحيد عند بعض الأفراد، والفرق ، والكنائس، منذ المسيحية الأولى، حتى وقتنا الحاضر، وإن ظل الموحدون منذ ذلك الحين موضع الحرمان والاضطهاد من الأغلبية المسيحية المثلثة. وقد ذكرنا من قبل أن عقيدة التوحيد ظاهرة في انجيل برنابا الحواري، الذى ينكر ألوهية المسيح، وكذلك عند أبيون وفرقته، فقد تضمن انجيله النص على التوحيد، وهو من الأناجيل غير المعتمدة، وقد بقيت فرقته على ذلك حتى انقرضت في القرن الرابع. وأريوس الذى أعلن التوحيد، واضطهد بسببه، في مجمع نقية وظل كذلك هو واتباعه ، موضع الاضطهاد من الحكام، والقساوسه

---

(١) أنظر صفحة ٥٨١ - ٥٨٥ من هذه الرسالة.

المتسلطين بسبب عقيدته التوحيدية، وقد ذكرنا من قبل كذلك أنّ خط الدعوة إلى التوحيد، ضمّ (أوريجانوس) الذى أعلن عدم تعدّد الاله، وعدم تجزئته، فحكم عليه بالحرمان، وأحرقت كتبه. (وبولس) الشمشاطي بطريرك أنطاكية، الذى أعلن وحدة الجوهر الالهي، وأنه أقنوم. وطائفة الموحدين، فى بولونيا، التى كانت موضع الاضطهاد بسبب توحيدها. وكذلك المصلح الأسباني (سرفينوس) الذى أحرق حيا عام (١٥٥٣م) بسبب إعلانه التوحيد، وأفكار التثليث. ولايزال في الوقت الحاضر توجد بعض الكنائس التي تعلن التوحيد، وتنكر التثليث، في هولندا، وانجلترا، والمانيا والولايات المتحدة الأمريكية(١).

ومن هذا العرض الموجز يتضح لنا أن التوحيد كان عقيدة النصرانية في عهدها الأول ، وظل كذلك عبر هذه القرون فى قلوب القلة القليلة التي بقيت متمسكة بالعقيدة الصحيحة منكرة لهذا الانحراف الذى طرأ على المسيحية فأدخل عليها القول بألوهية المسيح وألوهية الروح القدس باعتبارهما أقنومين من الأقانيم الثلاثة التى تشكل الثالوث المقدس عندهم.

٣ - دور الأناجيل والمجامع فى تثبيت عقيدة التثليث :

ولقد بدأ هذا الانحراف عن خط التوحيد منذ حياة المسيح - عليه السلام - فكان هناك مَنْ ادعى بنوته لله ، ومَنْ ألّهه. ولهذا وجدنا برنابا يعلن على لسان المسيح براءته مِنْ دعوى الألوهية، ومن القائلين بألوهيته، مؤكدا عبوديته لله - تعالى - وبشريته، حيث يروى عن عيسى - عليه السلام - قوله :

«أني أقشعر؛ لأن العالم سيدعونني الها، وعليّ أن أقدّم لأجل هذا حسابا، لعمر الله الذى نفسى واقفة فى حضرته اني رجل فانٍ كسائر

---

(١) أنظر٥٨٤/٢٨٥ من هذه الرسالة.

الناس»[1].

وجاء في الفصل الثالث والخمسين من انجيله قول المسيح - عليه السلام :- «ليكن ملعونا كل من يدرج فى أقوالى أنى ابن الله»[2].

وحين نعت الاسرائيليون عيسى - عليه السلام - بأنه إله، اشتاط غضباً ووصف ناعتيه بالضلال والمروق عن الدين. قال لهم :« ... لقد ضللتم ضلالا عظيما أيها الاسرائيليون؛ لأنكم دعوتموني الهاكم وأنا انسان»[3].

ويستمر عيسى - عليه السلام - فى تبرئة نفسه من دعوى الألوهية التى ألصقوها به فيقول : «أشهد أمام السماء، وأُشْهِد كل شيء على الأرض، أني بريء من كل ماقد قلتم ؛ لأني إنسان مولود من أمرأة فانية بشرية. وعرضه لحكم الله، مكابد شقاء الأكل والمنام، وشقاء البرد والحر كسائر البشر»[4].

وقد بكى المسيح -عليه السلام - طويلا، حين استكثر عليه برنابا ذلك، وذكر له السبب الذى ألجأه للبكاء فقال : « .. لأنه لو لم يدعني الناس الهاً لكنت عاينت هنا الله، كما يعاين فى الجنة، ولكنت أَمِنْتُ خشية يوم الدين، بيد أن الله يعلم أني بريء؛ لأنه لم يخطر لي في بال أن أحسب أكثر من عبد فقير.

بل أقول : انني لو لم أدع الها لكنت حملت إلى الجنة عندما انصرف من العالم، أما الآن فلا أذهب إلى هناك حتى الدينونة، فترى إذا كان يحق لي

---

(١) انجيل برنابا ٥٢ : ١٠-١٢.

(٢) فقرة ٣٥.

(٣) انجيل برنابا : ٩٣ :٢.

(٤) المرجع السابق ٩٣ : ٩-١٠.

البكاء»[1].

ولا ننسى دور بولس فى هذا الشأن، حيث تضمنت رسائله الأربع عشرة التى كتبها بين سنتي ٤٥م، ٦٥م عقيدة القول بألوهية المسيح، وألوهية روح القدس، وهي إحدى أركان الثالوث المقدس فى العقيدة النصرانية.

فقد جاء فى الاصحاح الأول من رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس من قوله : «أنتم متوقعون استعلان ربنا يسوع المسيح الذى سيثبتكم أيضا إلى النهاية بلا لوم فى يوم ربنا يسوع المسيح. أمين هو الله الذى به دعيتم إلى شركة ابنه يسوع المسيح ربنا»[2].

وجاء أيضا على لسانه : «ربنا يسوع المسيح»[3].

وقال أيضا : «لكن لنا إله واحد الأب، الذى منه جميع الأشياء، ونحن له، ورب واحد يسوع المسيح الذى به جميع الأشياء ونحن به»[4].

وورد في رسالته الثانية إلى أهل كورنثوس عن الروح القدس قوله : وأما الرب فهو الروح »[5].

وجاء أيضا قوله :«فكم بالحري يكون دم المسيح الذى بروح أزلى قدّم نفسه لله»[6].

---

(١) انجيل برنابا ١١٢ : ٩-١٢.

(٢) فقرة ٧-٩.

(٣) رسالة بولس إلى أهل غلاطية ٦ : ١٤.

(٤) رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس ٨ : ٦.

(٥) ٢ : ١٧.

(٦) رسالة بولس إلى العبرانيين ٩ : ١٤.

لقد فصّلنا القول من قبل فى دور بولس الخطير فى انحراف المسيحية بما لانريد اعادته هنا[1].

ولكننا قصدنا بما ذكرناه هنا أن نقرر أن انحراف المسيحية عن خط التوحيد جاء بشكل واضح على يد بولس منذ العقود الأولى بعد رفع المسيح؛ ولهذا انتشر القول بألوهية المسيح وأولهية الروح القدس بين المسيحيين، وظهر ذلك فى الأناجيل التي كتبت خلال هذه الفترة. وقد فهم الناس هذه الأناجيل حسبما شاع بينهم من عقائد حتى أنهم أوّلوا من نصوصها مالا يدل على عقائدهم حتى يجعلوها دالة على تلك العقائد، وبهذا تكون عقائدهم – كما يريدون لها – عقائد دينية مستمدة من نصوص كتابهم المقدس، وليست انحرافات باطلة، أو أثر لتأثيرات وثنية قديمة كما يتوهمون.

وأيا كان الأمر ، فقد جاءت المجامع لتثبيت عقيدة النصارى القائلين بألوهية المسيح، والقائلين بأولهية روح القدس، فجاء اعلان العقيدة الأولى بصفة رسمية فى مجمع نيقية سنة (٣٢٥م)، وجاء اعلان العقيدة الثانية فى مجمع القسطنطينية الأول سنة (٣٨١م). وبذلك تأصلت ألوهية الثالوث المقدس فى المجامع المسكونية، فلم تعد مجرد عقيدة يدور حولها الخلاف، ولكنها أصبحت عقائد رسمية يدين لها الخاصة والعامة ومفروضة من قبل السلطان والبطارقة، ويحكم على من يخالفها بالاضطهاد والحرمان.

وقد ذكرنا – فيما سبق – أن مجمع نيقية المنعقد عام (٣٢٥م)؛ للقطع فى خلاف البطارقة فى شأن المسيح هل هو آله أم مجرد بشر رسول – ذكرنا أنهم قد انتهوا فيه إلى تأليه المسيح، وأنه اله حق من اله حق، ومساوٍ لله فى الطبيعة

---

(١) راجع ص ٢٨٨ وما بعدها من هذه الرسالة.

والجوهر. ولم يتعرضوا - فى هذا المجمع - لتأليه روح القدس اطلاقا. حتى قامت دعوة جديدة تدعو إلى تأليه روح القدس، وأنه رب خالق محيى مميت، وأنه مع الأب والأبن يمثّلون الأسرة الالهية الكاملة، والكل (إله واحد)، ويتزعم هذه الدعوة المؤلّهة لروح القدس بطريرك كنيسة الاسكندرية. وكان على الطرف المقابل أسقف القسطنطينية آنذاك (مقدنيوس) الذى يرى أن روح القدس مخلوق غير إله. وأنتهى الأمر بهم بالدعوة إلى عقد اجتماع لحسم هذا الخلاف بين الطرفين، وكان ذلك عام (٣٨١م) فى مدينة القسطنطينية، حيث عقد المجمع وتمخضت قراراته عن الآتى:

(١) لعن مقدنيوس، وكل من يقول مقالته.

(٢) اثبات أن روح القدس خالق غير مخلوق إله حق، وأنه مع الأب والأبن جوهر واحد وطبيعة واحدة.

وزادوا فى الأمانة التى وضعها الثلاثمائة والثمانية عشر أسقفا فى مجمع نيقية قولهم :

«ونؤمن بروح القدس الرب المحيى المميت المنبثق من الأب الذى هو مع الأب والأبن مسجود له وممجد وناطق فى الأنبياء»،

وجاء فى قرارات مجمع خليقدونية المنعقد عام (٤٥١م) على شاطىء البسفور الآسيوى : «أن روح القدس اله ، وأن الأب والإبن وروح القدس اله واحد، بطبيعة واحدة، وأقانيم ثلاثة»[1].

---

(١) ابن تيمية : الجواب الصحيح جـ٣ ص ٣٢/٣٣.
وكذلك ابن قيم الجوزية : اغاثة اللهفان جـ٢ ص ٢٧٥/٢٧٧.

وهكذا أصبح التثليث عقيدة ثابته، ومعلنة رسميا، واعتنقها الجماهير، وذلك عندما تدخلت عصا السلطان، وجبروته فى فرضها على الناس، وبالتالى أصبح هذا التثليث هو عقيدة الفرق المسيحية على اختلاف مذاهبهم ومنازعهم، من نساطرة، ويعاقبة، وملكانية. فهم مجمعون على القول بالتثليث، ومتفقون على أن «أقنوم الأب هو الذات ، وأقنوم الإبن هو الكلمة وهى العلم، وأقنوم الروح القدس هو الحياة، وأنها لم تزل فائضة من الأب»[1]. ولكل واحد منهم حقيقة ذاتية.

وتبنت آراءهم الفرق المسيحية الحديثة (الأرثوذكس والكاثوليك والبروتستانت) حيث أجمعت هذه الفرق على اعتقاد التثليث كعقيدة أساسية للديانة المسيحية، وأعلنت أن كل منكر لهذا الثالوث هو كافر؛ لأنه – فى نظرهم – قد جرّد الله عن المحبة والسعادة، حيث زعموا أن وحدانية الله المطلقة كفر، وانتقاص للذات الآلهية، وأن التثليث هو الكمال لوجود المحبة والسعادة بين أفراد الأسرة الالهية[2] تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا.

٤ – جوهر التثليث وخصائصه فى العقيدة النصرانية :

وبعد أن عرضنا فيما تقدّم مسيرة العقيدة النصرانية فى الله – تعالى من التوحيد إلى التثليث، ونعرض هنا لبيان طبيعة الثالوث المقدس عند النصارى، وطبيعة عمل كل واحد من أفراده، والعلاقة القائمة بينهم. فهذا البيان يصوّر لنا جوهر العقيدة النصرانية فى التثليث قبل أن نتناولها بالرد والإبطال.

«يعلن الكتاب المقدس فى العهد الجديد – كما يقول النصارى – عن أن الاله الواحد قائم فى ثلاثة أقانيم هى :

---

(١) سعد بن كمونه اليهودى : تنقيح الأبحاث فى الملل الثلاث ص٥٢.

(٢) أنظر : محمد مجدى مرجان : الله واحد أم ثالوث ص ١٧، ١٨.

(١) الأب (الله) الأقنوم الأول.

(٢) الإبن (يسوع المسيح) الأقنوم الثانى.

(٣) الروح القدس الأقنوم الثالث.

وأن الثلاثة أقانيم فى وحدة كاملة هى الاله الواحد الثالوث القدوس، وهم : الله الأب، وصورته، وروحه»[١].

ويقولون : «وكما تشهد الأناجيل بوحدة الأقنوم الأول (الله/الأب)، فإنها كذلك تشهد بوحدة الأقنوم الثانى (يسوع المسيح.الإبن)، وبوحدة الأقنوم الثالث (الروح القدس)»[٢].

وهذا الثالوث قائم على ألوهية المسيح، وألوهية روح القدس، وتأليفهما مع الله الحقيقة الالهية - حسبما يعتقدون - «الأب والإبن والروح القدس، اله واحد».

وقد رأينا من قبل [٣] كيف أن عقيدة النصارى فى ألوهية المسيح تقوم على أساس ما أتصف به فى الأناجيل - كما يقولون - من الصفات والأعمال التى هى من صفات الله تعالى وأفعاله - وكذلك ماتضمنته من توجيه العبادة إليه كما توجّه إلى الله، وأنه لهذا كله كان ايمان النصارى بألوهية المسيح كأحد الأقانيم الثالثة، وهو فى نفس الوقت يكشف عن طبيعة هذا الأقنوم، وعمله وخصائصه، كما يتمثل فى عقيدة التثليث عندهم.

---

(١) د. هانى رزق : يسوع المسيح فى ناسوته ولاهوته ص ٢٢٢.

(٢) المرجع السابق نفسه ص ٢٢٤/٢٢٥.

(٣) أنظر ص ٣٠٠ : ٣٠٧ من هذه الرسالة.

أما ألوهية الروح القدس، فقد رأينا[1] كيف أنهم يقيمونها على مثل ما أقاموا عليه ألوهية المسيح من نصوص الأناجيل التى تصفه بما وصف به الله من خصائص الألوهية، وتسند إليه ما أسند إلى الله من أعمالها (أى الألوهية).

فكما ثبتت ألوهية المسيح عند النصارى بما أسند إليه من هذه الصفات والأعمال، فكذلك ثبتت ألوهية روح القدس عندهم بما أسند إليه منها. وهذان الأقنومان يمثّلان مع أقنوم الأب (الله) حقيقة الثالوث المقدس.

ويعتقد النصارى : أن العلاقة بين الأقانيم الثالثة هى علاقة ترابط فى كيان واحد، وعلاقة اتحاد، ومشاركة ومساواة فى الطبيعة الالهية. يقولون:

«ان الأقانيم وان كانت ثلاثة فى أقنوميتها، وشخصيتها ليس لها سوى طبيعة إلهية واحدة. وكل واحد من الأقانيم يملك الطبيعة الكاملة»[2].

فمعنى هذا : أن الألوهية الكاملة ثلاثة أيضا؛ لأن الأقانيم ثلاثة، ولكل واحد منها الطبيعة الالهية الكاملة كما يقولون.

وعن اعلان ذات الله الواحد فى أقانيم ثلاثة يقول القس الياس مقار :

«وهذه الوحدانية الجامعة هى المعروفة فى الكتاب باسم : الأب والأبن والروح القدس» وقد التزم بها المسيحيون كإعلان عن الاله الواحد ذي الثلاثة أقانيم، وليست كتجليّات، أو مظاهر فى ذات الاله الواحد»[3].

و «بعد أن قام أصحاب الثالوث بتقسيم الله إلى ثلاثة أقسام، وبعد أن

---

(١) أنظر ٤٤٧ : ٤٥٨ من هذه الرسالة.

(٢) الأب بولس الياس اليسوعى : يسوع المسيح (شخصيته وتعاليمه) ص٧٨.

(٣) ايمانى أو قضايا المسيحية الكبرى ص ٧٠.

قاموا بجعل الله الواحد ثلاثة آلهة، قاموا بتوزيع الأعمال والوظائف الآلهية بين هذه الآلهة الثلاثة، فأعطوا لكل إله منها مجموعة من الأعمال والوظائف ومنحوه بعض الخصائص والميزات التى يختصّ بها وحده ولا يشاركه فيها الإلهان الآخران، فلكل إله عمل واختصاص محدد، ولكل أقنوم صفات وخصائص مقصورة عليه، ولايشاركه فيها ولا يتمتع بها معه الأقنومان الآخران.

فمثلا الله الأب : جعلوه مصدر العدل.

والله الإبن : جعلوه مصدر الرحمة.

والله الروح القدس جعلوه مصدر النعمة.

فمن يريد العدل فليتجه إلى الأب، ومن يرجو الرحمة فليتوسل إلى الإبن، ومن يطلب النعمة فليبتهل إلى الروح القدس.

والله الأب ينسب إليه الخلق والتبني والدعوة، أما الله الإبن فينسب إليه فداء البشرية وغفران الخطايا والذنوب،أما الله الروح القدس فينسب إليه منح الميلاد الثانى، والحياة الطاهرة للبشر، وتقديس النفوس»[1].

ونتساءل ماذا يحدث لو طُلب من أحد الآلهة مالا يدخل في اختصاصه ألاَ يقف عاجزا أمام هذا الطلب؟ فأي إله هذا؟!!!.

٥ - أدلة النصارى على عقيدة التثليث وبطلانها :

يحاول المسيحيون هنا أن يدللوا على عقيدة التثليث من التوراة لكنهم يخفقون، حيث لايجدون النصوص الصريحة التى تسعفهم فى تثبيت عقيدتهم

---

(١) محمد مجدى مرجان : الله واحد أم ثالوث ص ٢٧-٢٨.

هذه فيلجأون إلى القول بأن التثليث يظهر ضمنيا فى العهد القديم، بينما يظهر واضحا فى العهد الجديد. وفى ذلك يقول القس بوطر ما ملخصه :

«لاتوجد للنصارى أدلة صريحة من التوراة تدل على عقيدة التثليث لديهم، وإنما يفهم ضمنيا منها، فقد جاءت ألفاظ فى التوراة مثل «كلمة الله، حكمة الله، روح القدس .....» ولم يعلم من نزلت إليهم التوراة ماتكنّه هذه الكلمات من المعانى؛ لأنه لم يكن قد أتى الوقت المعين الذى قصد الله فيه أيضاحها على وجه الكمال والتفصيل. ومع ذلك فمن يقرأ التوراة فى ضوء الأنجيل يقف على المعنى المراد، إذ يجدها تشير إلى أقانيم فى اللاهوت.

وان المسمى بكلمة الله، والمسمى بروح الله فى التوراة هما المسيح والروح القدس، المذكوران فى الإنجيل، ولكل واحد منهما نسبة سرية أزلية إلى الله تفوق الادراك»(١).

أما هذه النصوص التى يستدل بها النصارى على عقيدة التثليث من العهد القديم. فمنها ماورد فى سفر التكوين فى الاصحاح الأول منه : «فى البدء خلق الله السموات والأرض»(٢).

ويقولون في بيان وجه الاستدلال بهذا النص : «ان اسم الله (ألوهيم*)

---

(١) رسالة الأصول والفروع ص ٤٣، ٤٥ نقلا عن الدكتور أحمد شلبى : المسيحية ص ١٢٧ ط٥.

(٢) فقرة (١).

* «يوجد فى العهد القديم باللغة العبرية ثلاث مترادفات رئيسية لاسم الجلالة، وهى : ألوهيم، ويهوه، وأدوناى. فالاسم الأول مستعمل كثيرا فى الاصحاح الأول من سفر التكوين، ويكثر استعماله فى مزامير (٤٢-٧٢) تلك المزامير التى سميت بمزامير ألوهيم... ويدل هذا الاسم على صفة الله كالخالق العظيم، وعلى علاقته مع جميع شعوب العالم من أمم ويهود ... غير أن هذه الكلمات الثلاث لا ترد فى الترجمة العربية بصيغتها العبرانية، إنما تستعمل بدلا منها ألفاظ مثل: الله ويهوه، والرب أو السيد». أنظر : قاموس الكتاب المقدس ص ١٠٧.

فى الأصل العبراني بصيغة الجمع، وهكذا هو حيثما ورد»[1].

ويقول القس الياس مقار :

«ان لفظ ألوهيم الذى ورد فى العهد القديم ألفى مرة، يشير بجلاء إلى التثليث فى شخص الله، التثليث الذى اتضح بالتدريج فى الاعلانات الآلهية عن الله الواحد الأحد، حتى أشرق نوره تماما فى العهد الجديد»[2].

كما يستدلون كذلك بقول الله تعالى : «نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا»[3].

«وقال الرب الاله هوذا الإنسان قد صار كواحد منا»[4].

وبما جاء فى قصة برج بابل من قول الرب :

«هلم ننزل ونبلبل هناك لسانهم حتى لا يسمع بعضهم لسان بعض»[5].

وماورد فى اشعياء : «من أرسل ومن يذهب من أجلنا»[6].

ويقولون فى بيان وجه الاستدلال بهذه النصوص :

---

(١) أنظر : جوش مكدويل : برهان يتطلب قرارا ص ٤٢٥،
وأنظر كذلك : حبيب سعيد : أديان العالم ص ٣٠٨.

(٢) ايمانى أو قضايا المسيحية الكبري ص ٦٩.

(٣) سفر التكوين ١ : ٢٦.

(٤) سفر التكوين ٤ : ٢٢.

(٥) سفر التكوين ١١ : ٧.

(٦) ٦ : ٨.

«صيغة المتكلم (الجمع) التى وردت فى الآيات المشار اليها سابقا، لايمكن تفسيرها إلا فى ضوء عقيدة الثالوث.

ولسنا نزعم اختلافا، أو نقحم التثليث قسراً فى تفسير هذه الآيات، ولكن الشواهد والتأمل المتأني لابدّ أن يشكفا عن مبلغ صدق هذا الرأى»[1].

والواقع أن التعبير فى النص بلفظ الله أو ألوهيم ليس فيه مايدل على التثليث لاضمنا ولا استتارا، بل كل مايدل عليه النص : أن الله جلّ جلاله فى بدء عمارة الكون خلق السموات والأرض. ونعلم أن لفظ الجلالة (الله) لايطلق إلاّ على الذات الالهية وهو الله - سبحانه - فقط.

وانا لنعجب من تعسفهم وشططهم فى تأويل النصوص، فأين صيغة الجمع فى هذا اللفظ؟!

بل إن صاحب قاموس الكتاب المقدس لم يشر إلى أن هذا اللفظ (ألوهيم) يدل على الجمع، بل قال : «يدل هذا الاسم على صفة الله، كالخالق العظيم، وعلى علاقته مع جميع شعوب العالم من أمم ويهود»[2].

ويقول أيضا عند تعريفه للفظ الجلالة هذا : « .. اسم الاله خالق جميع الكائنات والحاكم الأعظم لجميع العوالم، والواهب لكل المواهب الحسنة، وهو أزلي غير متغيّر فى وجوده، وحكمته وقدرته وقداسته وعدله..»[3].

ثم آن هذا اللفظ وان قصد به الجمع - كما يزعمون - فهو - كما ذكرنا

---

(١) القس موسى وهبة مينا : بالحقيقة نؤمن باله واحد. جـ١ ص ٥٠.

(٢) لنخبة من ذوى الاختصاص ومن اللاهوتيين ص ١٠٧.

(٣) لنخبة من ذوى الاختصاص ومن اللاهوتيين ص ١٠٧.

- للتعظيم وليس فيه دلالة على التثليث.

أما النصوص الأربعة الأخرى التى استدلوا بها، والتى ذكروا أن صيغة الجمع فى ضمير المتكلم هى التى استخلصوا منها عقيدة الثالوث، فهى لاتدل على مرادهم، حيث إن هناك آيات كثيرة فى التوراة أسند الكلام فيها إلى الله تعالى بصيغة المفرد، فما عساهم قائلون بشأنها ياترى؟. من هذه الآيات:

ما أسند إلى الله - تعالى - فى مخاطبته لآدم : «هل أكلت من الشجرة التى أوصيتك أن لا تأكل منها»[1].

وفى مخاطبته بنى اسرائيل عن طريق نبيّه موسى - عليه السلام -:

«وتعلمون أنّى أنا الرب الهاكم»[2].

فهل «أنّي»، و«أنا» تعنى الجمع أيضا؟!.

الواقع أن التعبير بصيغة الجمع عن العظمة حتى ولو كانت بشرية أمر مألوف فى كل لغة، فيعبر بها عن نفسه المتكلم المعظّم لها دون أن يقتضى ذلك تعددا فى ذاته، فإذا كان ذلك كذلك بالنسبة للبشر فكيف لايكون إذا كان التعبير بصيغة الجمع عن العظمة الآلهية؟!.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية :

«كان من أسباب نزول آية {هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب، وأخر متشابهات}[3]: احتجاج النصارى بما تشابه عليهم،

---

(٣) سفر التكوين ٣ : ١١.

(٢) سفر الخروج ١٦ : ١٢.

(٣) سورة آل عمران / آية ٧.

كقوله: (أنا) و (نحن)*، وهذا يعرف العلماء أن المراد به الواحد المعظّم الذى له أعوان؛ لم يرد به أن الآلهة ثلاثة، فتأويل هذا الذى هو تفسيره يعلمه الراسخون، ويفرقون بين ماقيل فيه : (اياى) وماقيل فيه (إنا) لدخول الملائكة فيما يرسلهم فيه؛ إذ كانوا رسله، وأما كونه هو المعبود الاله فهو له وحده، ولهذا لايقول : فايانا فاعبدوا، ولا ايانا فارهبوا، بل متى جاء الأمر بالعبادة والتقوى والخشية والتوكل ذكر نفسه وحده باسمه الخاص، وإذا ذكر الأفعال التى يرسل فيها الملائكة قال : {انا فتحنا لك فتحا مبينا}[1] {فإذا قرأناه فأتبع قرآنه}[2] {نتلوا عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق}[3] ونحو ذلك»[4].

ومن أدلتهم كذلك التى يستدلون بها فى إثبات الثالوث من العهد القديم ماورد فى المزمور (٨٩).

«... لأنه مَنْ فى السماء يعادل الرب، مَنْ يشبه الرب بين أبناء الله، إله مهوب جدا فى مؤامرة القديسين، ومخوف عند جميع الذين حوله»[5].

ووجه استدلالهم بهذا الدليل مايذكرونه من أن :

«هذا القول يشير إلى أن الرب والله أقنومان، وفى ذات الوقت إله واحد، إذ هم واحد، إذ لو كان الرب والله أقنوما واحداً، لكان القول يصاغ في هذه

* أنظر الألوس : روح المعانى جـ٣ ص ٧٥ والفخر الرازى / التفسير الكبير المجلد الرابع جـ٧ ص ١٦٧.

(١) سورة الفتح / آية ١.

(٢) سورة القيامة / آية ١٨.

(٣) سورة القصص / آية ٣.

(٤) مجموع الفتاوى المجلد ١٣ مقدمة التفسير ص ١٤٥.

(٥) ٦ - ٧.

الصورة : «من يشبه الرب بين أبنائه» أو «من يشبه الله بين أبنائه»، لكن جاء القول بهذه الصورة : «من يشبه الرب بين أبناء الله» ليشير بذلك إلى أن الرب والله أقنومان في الاله الواحد، لذلك جاءت الأقوال فى العهد القديم : بأن الاله هو الله، وأن الرب هو الاله، وأن الله هو الرب، وذلك لأن سرّ الاله الواحد الثالوث القدوس كان مخفيا ومستترا وقد أعلن في العهد الجديد: «الذى هو الله (الأب)، والإبن الرب يسوع المسيح، والروح القدس، ثالوث قدوس، اله واحد.

لذلك كان القول القائل : «من يشبه الرب بين أبناء الله» يكون في هذه الصورة في العهد الجديد : «من يشبه الرب يسوع المسيح بين أبناء الله الأب»(١).

والواقع أن المغايرة بين لفظي الرب والله لا موجب لها، فمدلولهما واحد من حيث الذات ، وان اختلفا في المعنى. فدلّ الأول على المربيٍّ، ودلّ الثانى على المستحق للعبادة، ومن ثم جاز الإخبار بأحدهما عن الآخر، أو استعمالهما معا في نص واحد، للدلالة على ذات الله الخالق. فمن التعسّف الظاهر أن تحمل كلمة الرب في النص السابق، وفى غيره من نصوص التوراة على المسيح - عليه السلام - لأنه لم يكن موضع حديث التوراة كما يدّعى النصارى أخيراً. ومن ثَمّ كان من التعسّف الظاهر استخلاص التعبير عن الأقانيم المتعددة فى الذات الآلهية كما يعتقدون من مثل هذه النصوص.

وفى نفس الوقت، فإنه ينبغى علينا ألاّ نغفل عن عدم دقة الترجمة بنصوص التوراة، وهو احتمال وارد، بل ومؤكدّ. ومن ثَمّ فلا ينبغى التمسك

---

(١) د. هانى رزق / يسوع المسيح (ناسوته ولاهوته) ص ١١٧.

بحرفية هذه الترجمة كدليل سابق على عقيدة لاحقة، ودلالته على تلك العقيدة باطلة - كما رأينا - فلا هى تطابقها، بل ولا تتضمنها أو تستلزمها كما يزعمون.

ويقول النصارى كذلك فى استدلالهم على تثليثهم من العهد القديم:

لقد أشارت المزامير إلى أقنومية الروح القدس، حيث جاء فيها على لسان داود مناجيا ربه : «لاتطرحنى من قدام وجهك وروحك القدوس لا تنزعه منى»[1].

ويقولون : وبمقابلة هذا النص مع ماورد فى الأناجيل من أن الله روح »[2]، «والرب روح»[3] يتضح لنا ألوهية الروح، كما اتضحت لنا ألوهية الإبن قبل ذلك .

وأرى أنه كلام كثير الغلط، وظاهر التكلف والشطط.

وقد أبطلنا سابقا أن يكون كلّ من المسيح أو الروح القدس ربّا، أو الها. ومن ثم ينهدم بذلك الركن الأساسى فى التثليث. وقد تبين لنا أن التعبير عن الرب الاله بالروح لايقتضي كون الروح ربّا وآلها؛ لأن التعبير عن الرب بالروح يعني تجسده فقط، ولهذا لايكون الروح ربّا ولا الها معبودا. وإذا كان داود قد طلب من الله ألاّ ينزع منه روح القدس فلايعنى ذلك أكثر من أنه يطلب من الله أن يبقي فيه تأييده له، وألاّ ينزع منه قوته الروحانية المقدسة التى وهبها اياه، أو

---

(١) ٥١ : ١١.

(٢) انجيل يوحنا ٤ : ٤ وكذلك أعمال الرسل ٥ : ٣.

(٣) رسالة بولس الثانية لأهل كورنثوس ٣:١٧، ١٨.
وكذلك أعمال الرسل ٥ : ٩.

الوحى الذى أنزله الله عليـه، أو ألاّ يفـرق بينه وبين جـبـريل ملك الوحى على اختـلاف المعانـى التى يدل عليـها روح القـدس - كمـا سبق أن ذكـرنا - والتى خصّ الله بها الأنبياء، ليس فقط كما تدل عليه آيات القرآن، بل كمـا تدل عليه نصوص الأناجيل.

ومـهـمـا تعسّف النصـارى فى اسـتـخـلاص التـثليث من نصـوص التـوراة، فـإنهم لن يـجـدوا سـبـيـلا إلى صـحـة ذلك الحكم. فـمن الحـقـائق. البـديـهـيـة أن اليهودية ديانة توحيد بغض النظر عما شاب هذا التوحيد من شوائب التشبيه. ودلالات التوراة على التوحيد أكثر من أن تذكر . منها :

ماجاء فى سفر اشعياء : «قبلي لم يصوّر اله، وبعدي لايكون»[1]. ومنـها : «الرب الهنا ربّ واحد»[2].

وكذلك مـاجـاء فى سـفـر الخـروج : «أنا الرب الهك لايكون لك آلهـة أخـرى أمامى»[3].

ومنها مـاجاء فى نحميا النبي حيث يخاطِب الله الواحد بقوله : « أنت هو الرب وحدك»[4].

فكيـف يمكن للنصـارى أن يسـتـدلون على التـثليث بنصـوص كـتـاب هذه بعض دلالاته الواضحة على التوحيد .

---

(١) ٤٣ : ١٠.
(٢) سفر التثنية ٦ : ٤.
(٣) ٢٠ : ٢-٣.
(٤) ٩ : ٦.

أما استشهادات النصارى على التثليث من الأناجيل فهى كثيرة فقد أخذوا من هذه الشواهد مجموعتين من الآيات كأدلة لإثبات عقيدة التثليث هما :

المجموعة الأولى : الآيات التى ذكر فيها الأب والإبن والروح القدس معا.

المجموعة الثانية : الآيات التي تثبت ألوهية كل واحد منهم على حده.

وسوف نهمل هنا ذكر شيء من هذه المجموعة الأخيرة (الثانية)، حيث سبق لنا إبطال استدلالهم بها على ألوهية المسيح أو ألوهية روح القدس فى الفصلين السابقين.

ونكتفى بالمجموعة الأولى ، وهى الأدلة التى يستدلون بها نصا على عقيدتهم فى التثليث من العهد الجديد. ومنها ماجاء فى (متّى) من قول المسيح - على زعمهم - لتلاميذه :

(١) «أذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الأب والإبن والروح القدس»[١].

وفى بعض التراجم اضافة «اله واحد»لهذه العبارة المذكورة.

ورغم أن ابن تيمية قد تناول دليلهم هذا بالابطال - كما سيأتى[٢]- فإننا نضيف إلى ماكتبه اضافة جديدة تظهر بطلان الاستشهاد بهذا النص على التثليث - على فرض صحة صدوره عن السيد المسيح -.

فتكاد تخلو الأناجيل الثلاثة من هذه العبارة ، فهو الأنجيل الوحيد الذى

---

(١) ٢٨ : ١٩.

(٢) وكما سبق . أنظر ص ٤٦٥ من هذه الرسالة.

ذكرها، ولو كانت فعلا وصية عيسى لحوارييه لأثبتها يوحنا فى أنجيله، وهو الحوارى المقرب، والتلميذ الحبيب، ولمّا لم يذكرها يوحنا فى أنجيله كان ذلك دليلا على أنها ليست من قول المسيح فلا يعتد بها.

وهى على فرض صحتها، فإنها قابلة للتأويل، بما يتناسب مع نصوص الوحدانية، التى زخرت بها الأناجيل، حيث التوحيد فيها ظاهر جلي، والتثليث خفي غير بيّن.

وقد وجدنا الامام القرطبى - رحمه الله - قد أوضح لنا ما المراد بهذا الدليل الذى اعتمد عليه دعاة الثالوث فى اعتقادهم بالتثليث فيقول - مخاطبا النصارى - :

«إن هذا القول : «عمدوا الناس باسم الأب والإبن وروح القدس» لاحجة لكم فيه ، إذ ليس بنص قاطع، بل هو مما أنتم فيه متشابه، فإنه يحتمل أن يكون مراده به:

عمدوهم على بركة هذا القول، كما يقول القائل : كُلْ على اسم الله، وامش على اسم الله ، أى على بركة اسم الله، ولم يعين الأب والإبن من هما، ولا ما المعنى المراد بهما، فلعله أراد بالأب هنا الملك، الذى نفخ فى مريم أمه الروح، إذ نفخه سبب علوق أمه وحبلها به، وأراد بالابن نفسه، إذ خلقه الله تعالى من نفخة الملك، فالنفخة له بمثابة النطفة فى حق غيره.

ثم لا يبعد أيضا فى التأويل - إن صح عن عيسى - عليه السلام - أنه كان يطلق على الله لفظ الأب - أن يكون مراده به : أنه ذو حفظ له، وذو رحمة وحنان عليه، وعلى عباده الصالحين، فهو لهم بمنزلة الأب الشفيق الرحيم، وهم

له فى القيام بحقوقه وعبادته بمنزلة الولد البار»[1].

كما وان صاحب الفارق قد أدلى بدلوه فى هذا الدليل أيضا فى ذيل فارقه ، وأثبت أن هذه الوصية الحاقية، وهى من مفتريات مترجم انجيل (متّى). وأنه على فرض صحة ورودها على لسان المسيح - كما يدّعون - فليس المقصود منها تثليث الاله، وإنما الايمان بالله رب الكائنات وموجدها، وبعيسى كلمته التى ألقاها إلى مريم ، وجبريل عليه السلام أمين الوحي لجميع أنبيائه. فيقول :

«أن أساس التعميد بالتثليث مبني على هذه الوصية «عمدوا الناس باسم الأب والإبن والروح القدس» فقط ... وان هذه الوصية وحدها تكفينا بأن هذه الأناجيل مصنعة؛ لأن يحيى - عليه السلام - صرّح بأن المسيح سيعمدكم بروح القدس، ولم يذكر التثليث، وكذلك (متّى، ومرقس، ولوقا، ويوحنا) اتفقوا وصرحوا فى أناجيلهم بأن عيسى حين الرفع وقبله أوصى تلاميذه بأن يعمدوا بروح القدس فقط، والمترجم المختلس لانجيل (متّى) افترى وذيل ترجمته بقوله:

إن المسيح قبل الرفع أصى التلاميذ أن «يعمدوا الأمم باسم الأب والإبن وروح القدس»[2].

فتبيّن ببداهة العقل أن هذه الجملة إلحاقية[3] من المترجم، والاّ فلا يتصور

---

(١) الامام القرطبي : الإعلام بما فى دين النصارى من الفساد والأوهام تحقيق الدكتور أحمد حجازى السقا. ص ٦٤/٦٩ بتصرف.

(٢) متّى ٢٨ : ١٩.

(٣) قد أثبت الحاقية هذه الجملة أيضا العالم والمؤرخ الكنسي الدكتور أدولف هرنك. أستاذ تاريخ الكنيسة بجامعة برلين فى كتابه تاريخ العقيدة جـ١ ص ٧٩ واعتبرها دخيلة على انجيل (متّى) وأعزى ذلك لعدة أسباب منها: =

أن (متّى) يروى روايتين مختلفتين بانجيله عن المسييح فى آن واحد.

وعلى فرض صحة رواية المترجم فهى ليست تثليثا للاله، بل إنما المقصد منها ظاهر وهو قوله : «عمدوا الأمم باسم الأب» أي لقنوا الأمم المتنصرة بأن يؤمنوا بواجب الوجود والموجد لكل موجود وقوله : «والإبن» أى وأن يؤمنوا أيضا بعيسى رسول الله وكلمته. وقوله «روح القدس» أى وأن يؤمنوا بجبريل أمين الوحي لكافة الأنبياء، والمبشر للعذراء بحملها بعيسى صوات الله عليه. ولا نزاع فى جبريل بأنه «روح القدس»، ولا خلاف فى الأنبياء والرسل والأبرار بأنهم أبناء الله، أى أصفياء الله، كما ثبت ذلك فى التوراة والزبور والأسفار والأنجيل[1].

وهذا توجيه وجيه لا يحتمل غيره ؛ لأنه موافق لسنن الله فى أنبيائه وخلقه منذ خلق الدنيا إلى يومنا هذا»[2].

(٢) كما جاء فى رسالة يوحنا الأولى - وهى من ضمن الرسائل المقدسة لدى المسيحيين ومثبتة فى كتابهم المقدس - فى زعمهم - مانصه :

= (١) أنه لم يرد إلاّ فى الأطوار المتأخرة من التعاليم المسيحية مايتكلم عن المسيح، وهو يلقي مواعظ ويعطي تعليمات بعد أن أقيم من الأموات وأن بولس لايعلم شيئا عن هذا.

(٢) أن صفة التثليث هذه (التى تتكلم عن : الأب والإبن والروح القدس) غريب ذكرها علي لسان المسيح، ولم يكن لها نفوذ فى عصر الرسل وهو الشيء الذى كانت تبقى جديرة به - لو أنها صدرت عن المسيح شخصيا.

أنظر المهندس أحمد عبد الوهاب : المسيح فى مصادر العقائد المسيحية ص ٦١.

(١) أنظر ص ٤٠٧/٤١٠ من هذه الرسالة.

(٢) هو عبد الرحمن بك باجه جي زاده حين ردّه على رسالة أبحاث المجتهدين المطبوعة فى ذيل الفارق ص ٥٦/٥٧.

«فإن الذين يشهدون فى السماء هم ثلاثة : الأب ، والكلمة ، والروح القدس. وهؤلاء الثلاثة هم واحد»[1].

وهذه العبارة أيضا ثبت أنها إلحاقية كسابقتها باعتراف علماء النصارى، حيث اتفق «المحققون من علماء النصارى من أمثال كريسباخ وشولز وأدم كلارك، بل وحتى المتعصبون منهم مثل : هورن، وجامعو تفسير هنرى واسكات هؤلاء جميعا اتفقوا على أن عبارة «فإن الذين يشهدون فى السماء ثلاثة هم : الأب والكلمة والروح ، وهؤلاء الثلاثة هم واحد». إلحاقية واجبة الترك، وأن المصلح الكنسي (مارتن لوثر) حين ترجم العهد الجديد إلى اللغة الألمانية لم يأخذ هذه العبارة فى الاعتبار»[2].

(٣) وجاء على لسان بولس من قوله :

«نعمة ربنا يسوع المسيح، ومحبة الله، وشركة الروح القدس مع جميعكم»[3].

ويكفينا فى فساد هذه العبارة وبطلانها ورودها على لسان رجل (يهودى) طالما اضطهد المسيحيين وعذبهم بسبب مسيحيتهم، وكان له دور بارز فى المسيحية الحالية (المحرّفة) وتحويلها من ديانة توحيد إلى تثليث. وعيسى لم يأتِ قومه إلا بانجيل واحد، لم يأتهم برسالة إلى أهل كورنثوس حتى يمكن اعتبار هذا القول حجة فى عقيدة هى أساس دينهم وعمدته.

---

(١) ٥ : ٧.

(٢) الشيخ رحمة الله الهندى : اظهار الحق جـ١ ص ٣٩٤/٣٩٩ بتصرف كثير.

(٣) رسالة بولس الثانية إلى أهل كورنثوس ١٣ : ١٤.

تلك هى الأدلة النقلية للمسيحيين على عقيدتهم فى التثليث، وقد ناقشناها على فرض صحتها أو صحة نقلها وترجمتها.

وسوف نرى فيما بعد كيف أن ابن تيمية يذكر أدلة أخرى عندهم ويعقّب عليهم فيها بالنقد والإبطال نوردها فى حينها ، وفى موضعها.

«ويلاحظ أنهم لم يعتمدوا في اثبات تلك العقيدة على أى دليل عقلى بل كان اعتمادهم على ماعندهم من نقل يحملونه من أثقال المعانى ما تنوء به العبارات، ولاتحتمله أبعد الاشارات - كما رأينا - وأنهم إذا حاولوا أن يربطوا قضية التثليث بالعقل، حاولوا جهد الطاقة أن يجعلوا العقل يستسيغها في تصوره، ويدركون تمام الادراك أن العقل لايكاد يستسيغ ذلك التصور[1].

وفي احدى محاولاتهم للاستدلال على عقيدة التثليث بالعقل قد وجدنا لبعض قسوستهم، وعلمائهم من حاول أن يستدل على هذه العقيدة بدليل عقلي يضحك الثكلى، ويدل على خفة عقول هؤلاء القوم. من هؤلاء :

القس بولس الياس اليسوعى، حيث يعلل استشهاد النصارى العقلى لعقيدة التثليث أنهم - بزعمه - يقولون بالتثليث؛ لأن كنه الله، وحقيقته تفرض فيه التثليث، حيث أن القول بالوحدانية المطلقة لله - تعالى - هو انتقاص له ، بينما القول بالتثليث هو كمال للذات الالهية، وذلك لأنه بدون التثليث لايبقى لله الاّ ذاته ليحبها .. وتنزيها لله عن محبة الذات وجد الثالوث؛ وذلك لتتبادل أفراده المحبة والسعادة. يقول :

«إذا اطلعنا على كنه الله لا يسعنا إلاّ القول بالتثليث، وكنه الله محبة،

---

(١) الشيخ محمد أبو زهرة / محاظرات في النصرانية ص ١٠٥ ط ٣.

ولايمكن الاّ أن يكون محبة ، ليكون سعيدا. فالمحبة هي مصدر سعادة الله، وهي تفترض شخصين على الأقل يتحابان، وتفترض مع ذلك وحدة تامة بينهما، بحيث يندفع المحب إلى هبة الذات لمن يحب، هبة تكون فيها سعادتهما ، فلأجل أن يكون الله سعيدا كان عليه أن يهب ذاته شخصا آخر يجد فيه سعادته، ومنتهى رغباته، وثمرة هذه المحبة المتبادلة بين الأب والإبن كانت الروح القدس، فالحب إذن هو مايجعل الله ثالوثا وواحدا معا»(١).

نقول : فكرة أن الله محبة فكرة باطلة، فالله هو الكامل المتصف بجميع الصفات ولو فرض أنه محبة فلا مانع أن يحب ذاته، فهو منتهى الكمال ودلائل حبه واحسانه ظاهرة لجميع خلقه المستحقين لها وليس للمسيح ميزة حتى يكون هو المحبوب الوحيد ثم يكون أحد أقطاب ثالوثهم الآلهى كما يدّعون.

وبنفس الرأى - تقريبا - يدلى القس توفيق جيّد فيقول : «ان الوحدانية دون الثالوث تجعل الله فى الأزل بدون موضوع للمحبة فالواحد من كل وجه لا يقدر أن يحب غير نفسه، وبعبارة أخرى بدون الثالوث، أو بالأحرى بدون التمييز الأقنومى لايبقى لله فى أزليته سوى ذاته ليحبها، وتنزيها لله عن محبة الذات فقد وجد الثالوث حتى تتجه محبة الأقنوم الإلهى نحو الأقنوم الآخر»(٢).

ويقول - الشماس الذى أسلم - محمد مجدى مرجان تعليقا على هذه التصورات الخرافية :

---

(١) أنظر كتاب يسوع المسيح (شخصيته وتعاليمه) ص ٧٩ بتصرف قليل.

(٢) سر الأزل ص ١٧ نقلا عن : محمد مجدى مرجان : الله واحد أم ثالوث ص ١٨.

«هذا هو تصور دعاة الثالوث لله ذى الجلال، التصور الذى يجعل الله الغني محتاجا إلى شخص آخر يبثّه عواطفه، وينشىء معه علاقات تنزل بالله إلى مستوى مخلوقاته، علاقات نربأ بأنفسنا عن ذكرها، ويعف فكرنا عن تصورها حيث يلد الله ابنا يحتكر محبته، وحنانه، ويحجبها عن بقية خلقه، وابنائه ثم ينتج عن هذه العلاقة العاطفية، الحسية بين الأب والإبن ثمرة هى الروح القدس. يكتمل بها أفراد الثالوث الالهى [١] . فتعالى الله عمّا يقوله الجاهلون، بل هو الله الواحد الأحد،الفرد الصمد، الذى (لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد)[٢].

وبمناسبة الحديث عن التثليث نورد قصة طريفة، ذكرها الشيخ رحمة الله الهندى فى كتابه / اظهار الحق، مؤداها :

أن أحد القساوسة تولّى تنشئة ثلاثة من الصبية، فى أحد الأديرة، وعلّمهم كافة العقائد المسيحية، وخاصة عقيدة التثليث. ثم حضر يوماً أحد أصدقاء القسيس، وسأله عن حال الصبية الثلاثة، ومدى المامهم بالعقائد المسيحية، فاستدعى القسيس أحدهم، وسأله أمام صديقه الزائر عن عقيدة التثليث، فقال : إنّك علّمتنى أنّ الآلهة ثلاثة، أحدهم الذى فى السماء، والثاني الذى تولّد من بطن مريم العذراء، والثالث الذى نزل فى صورة حمامة (عند التعميد) على الاله الثانى، بعد ما صار ابن ثلاثين سنة. فغضب منه القسيس وطرده، ثم طلب الثانى منهم ، وسأله فأجاب : إنّك علّمتنى أنّ الآلهة كانوا ثلاثة، وصلب واحد منهم، فالباقى الهان، فغضب عليه القسيس أيضا ، وطرده، ثم استدعى الثالث، وكان أذكى الثلاثة ، وحريصا فى حفظ العقائد ، وسأله ،

---

(١) الله واحد أم ثالوث / ص ٢٠.

(٢) سورة الأخلاص / آية ٣، ٤.

فقال : يامولاى، حفظت ماعلمتنى حفظا جيدا ، وفهمت بفضل الرب المسيح أن الواحد ثلاثة والثلاثة واحد، والآلهة ثلاثة صلب واحد منهم، فمات الكل؛ لأنهم واحد، ولا اله الآن»[1].

ومعلوم أن موقف التلميذ الثالث هو بعينه موقف معظم المثقفين الغربيين الآن.

---

(1) جـ١ ص ٥٨٩، ٥٩٠.

ب - ابطال ابن تيمية لعقيدة التثليث :

سبق أن ذكرنا أن النصارى يستدلون على عقيدتهم في التثليث بماورد في كتابهم المقدس من أدلة أفادت بمضمون بعضها، وبصريح البعض الآخر، استناد عقيدة التثليث الى أسس دينية صحيحة - كما يدعون - وهى العقيدة التى تعتبر أساس عقائدهم، ودعامة ايمانهم...

وقد رددنا من قبل على بعض تلك الأدلة. وفى هذا المقام نورد إبطال ابن تيمية لما نقله عنهم من أدلة، وهى ردود - كما سنرى - من القوة بمكان.

١ - ابطاله لاستدلال النصارى على التثليث بالتوراة :

فمن تلك الأدلة ماأورده عنهم من استشهاداتهم بنصوص التوراة، حيث قالوا : إنه جاء في السفر الثانى من التوراة قول الله تعالى لموسى عليه السلام : «أنا اله ابراهيم، واله اسحاق، واله يعقوب»[1]. فلم يقل - والكلام للنصارى - أنا اله ابراهيم واسحاق ويعقوب، بل كرر اسم الاله ثلاث مرات. وذلك لتحقق مسألة الثلاثة أقانيم في لاهوته.

ويرد ابن تيمية على استدلالهم هذا بما يبطله ويجعله حجة عليهم لا لهم، مبينا لهم أن الاحتجاج بهذا النص على الأقانيم الثلاثة احتجاج فاسد، فيقول. إنه لو أريد بلفظ الاله أقنوم الوجود، وبلفظ الاله مرة ثانية أقنوم الكلمة، وبالثالث أقنوم الحياة، لكان الأقنوم الأول اله ابراهيم، والأقنوم الثانى اله اسحاق، والأقنوم الثالث اله يعقوب. فيكون كل من الأقانيم الثلاثة اله أحد الأنبياء الثلاثة، والأقنومان ليسا بالهين له. وهذا كفر عندهم، وعند جميع

---

(١) سفر الخروج ٣ : ٦ .

أهل الملل.

وأيضا فيلزم من ذلك أن يكون الآلهة الثلاثة ثلاثة وهم يقولون : اله واحد.

ثم يقول ابن تيمية في معرض الرد عليهم، وابطال أخذهم بعقيدة التثليث من مجرد تكرار اسم الاله ثلاث مرات في النص السابق.

يقول في ذلك :

«انه يقال : ان الله ربّ العالمين، وربّ السموات، وربّ الأرض، وربّ العرش، ورب كل شيء، فيلزم أن يكون ربّ كل شيء. ويقال : اله موسى، واله محمد. مع قولنا : اله ابراهيم واسحاق. أفَتراه أثبت الهين : أحدهما : الهه، والآخر : اله الثلاثة؟!

ثم ان العطف يكون تارة لتغاير الذوات، وتارة لتغاير الصفات، كقوله تعالى : {سبح اسم ربك الأعلى، الذى خلق فسوّى، والذى قدّر فهدى، والذى أخرج المرعى، فجعله غثاء أحوى}[1].

فالذى خلق هو الذى قدّر وأخرج. فقوله في التوراة :

اله ابراهيم، واله اسحاق، واله يعقوب هو من هذا الباب، ولا يختص هذا بثلاثة، بل يقال : في الاثنين والأربعة والخمسة بحسب ما يقصد المتكلم ذكره من الصفات. وفي هذا من الفائدة ماليس في قوله : اله ابراهيم واسحاق ويعقوب. فانه لوقيل ذلك لم يفد إلاّ أنه معبود الثلاثة...»[2].

---

(١) سورة الأعلى/ آية ١ -٥.

(٢) ابن تيمية : الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح ج ٢ ص٢٣٩/٢٤١ بتصرف قليل.

ثم يقول ابن تيمية لهم أيضا : «ان كان هذا التكرار لا يقتضى إلاّ إثبات اله واحد، فلا حجة لكم فيه لو قال : أنا اله ابراهيم واسحاق ويعقوب. وان كان يقتضى اثبات ثلاثة آلهة، فقد أثبتم ثلاثة آلهة، وأنتم تقولون : لا نثبت إلاّ إلها واحداً، وان كان المعنى : أنه إله واحد موصوف بأنه معبود ابراهيم، ومعبوداسحاق، ومعبود يعقوب، فلا حجة لكم فيه على التثليث والأقانيم، حيث تجعلون الأقنوم اسما للذات مع أن صفة الذات واحدة. فالتعدد في الصفات لا في الذات، ولا يمكن أن تتحد صفة دون أخرى، ولا دون الذات، فيمتنع اتحاد أقنوم، وحلوله بشيء من المخلوقات، دون الأقنوم الآخر»(١).

وقد استشهد النصارى أيضا من أسفار العهد العتيق - كما ذكر ذلك ابن تيمية- بما يرون أنه يؤيد عقيدتهم في التثليث، حيث يزعمون أن نبّى الله اشعياء قد شهد بتحقق الثالوث؛ بوحدانية جوهره، وذلك في قوله : «رب القوات»، وفي قوله : « رب السموات والأرض »(٢).

ويقولون : إنّ مثل هذا القول، قد حفلت به التوراة والمزامير، وان اليهود أنفسهم يقرأون هذه الأقوال، ولا ينكرون منها كلمة واحدة، ولكنهم لا يعرفون لها تأويلاً؛ بسبب قسوة قلوبهم، وانهم (أى اليهود) إذا اجتمعوا في كنيستهم كل سبت يقف الحزّان أمامهم، ويقول كلاما عبرانيا هذا تفسيره، ولا يجحدونه : «نقدسك، ونعظمك، ونثلث لك، تقدسيا مثلثا، كالمكتوب على لسان نبيك اشعياء. «ويردّ عليه الجميع صارخين مجاوبين» :

«قدوس، قدوس، قدوس، ربّ القوات، وربّ السموات والأرض».

---

(١) ابن تيمية : الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح ج ٢ ص ٢٤٦.

(٢) اشعياء ٦ : ٣.

والنصارى يقولون (كما يذكر ذلك عنهم ابن تيمية) :

لأجل هذا البيان الواضح الذى قاله الله في التوراة، وفي كتب الأنبياء نجعل ثلاثة الأقانيم جوهرا واحدا، طبيعة واحدة، الها واحدا، أبا واحدا، خالقا واحدا، وهو ما يعبرون عنه بقولهم : أب وإبن وروح قدس[١].

ويردّ ابن تيمية على قولهم هذا مفنّدًا مزاعمهم فيقول :

«ان ما جاء في كتب الأنبياء عليهم السلام من تسميته اسم الرب عند اضافته الى مخلوق آخر، فهو من نمط تسميته اسم الاله، وهذا لا يقتضى تعدد الارباب والآلهة، ولا يقتضي جعلهم اثنين أو أربعة إذا ذكر اللفظ مرتين أو أربعة. فكذلك إذا كان ثلاث مرات لا يقتضي أن الأرباب ثلاثة، وهم أيضا لا يقولون بثلاثة أرباب، وثلاثة الهة تدل على نقيض قولهم، بل هم يزعمون أنهم انما يثبتون الها واحدا، ولكنهم يتناقضون فيصرّحون بثلاثة آلهة، ويقولون هم اله واحد.

والكتب (أى كتب العهد القديم) لا تدل على قولهم المتناقض بوجه من الوجوه»[٢].

أمّا ما يذكره النصارى في هذا المقام من اعتراف اليهود بصحة هذه النصوص السابقة والموجودة في كتبهم، ودعواهم أنهم لا يعرفون لها تأويلا، - أمّا ما يذكرونه من ذلك فان ابن تيمية يبطله بقوله :

«ان أرادوا بالتأويل تفسيرها، وما يدل عليه لفظها، فهذا ظاهر لا يخفى

---

(١) أنظر ابن تيمية : الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح ج ٢ ص ٢٤١ بتصرف.

(٢) المرجع السابق ج ٢ ص ٢٤٢.

على الصبيان من اليهود وغيرهم، ولكن النصارى ادعوا مالا يدل عليه اللفظ، فهذا انما يحتاج اليه ان أرادوا بالتأويل معنى يخالف ظاهر اللفظ - انما يحتاج اليه - ان كان يحتاج اليه - إذا كان ظاهره معنى باطلا لا يجوز ارادته. وليس ماذكر هنا من هذا الباب، بل الكتب الالهية يكثر فيها مثل هذا الكلام عند أهل الكتاب وعند المسلمين، ولا يفهم منها ثلاثة أرباب أو ثلاثة آلهة الاّ من اتبع هواه بغير هدى من الله، وقال قولا مختلفا يؤفك عنه من أفك»[1].

ويستشهد ابن تيمية على صحة ماذكره، من أن تعدد الاضافات بالنسبة للشخص الواحد لا يؤدى الى وجوب التعدد في حقيقة ذلك الشخص، - يستشهد على ذلك بما تجري عليه اللغة، فمثل هذا في سائر الكلام «فيقال : هذا أمير البلد الفلانى، وأمير البلد الفلاني، وأمير البلد الفلاني. وهو أمير واحد. ويقال : هذا رسول الى الأميين، ورسول الى أهل الكتاب، ورسول الى الجن والانس، وهو رسول واحد»[2].

وأما قولهم : ان اليهود كانوا يردّون على الحران بقولهم : قدوس، قدوس، قدوس. عندما يقف أمامهم يقرأ التوراة ويقول :

«نقدسك، ونعظمك، ونثلث لك. تقديسا مثلثا، كالمكتوب على لسان نبيك اشعياء». وقولهم مجاوبين :

«قدوس، قدوس، قدوس، ربّ القوات، ورب السموات والأرض»

- أما قولهم هذا، واستدلالهم به على وجود التثليث في اليهودية، فيبطله

---

(١) ابن تيمية : الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح ج ٢ ص ٢٤٢ ، ٢٤٣.

(٢) المرجع السابق نفسه ج ٢ ص٢٤٣.

ابن تيمية بقوله : «هذا الكلام صريح في أن المثلّث هو نفس التقديس لا نفس الاله المقدس. وكذلك قولهم : «قدوس، قدوس، قدوس» قدّسوه ثلاث مرات، فإنه قال : نقدسك، ونعظمك، ونثلث لك تقديسا مثلثا «فنصب التثليث على المصدر الذي ينصب بفعل التقديس، فقال : نقدسك تقديسا مثلثا، كما تقول : سبّحتك تسبيحا مثلثا أي سبحتك ثلاث مرات. وقال نثلث لك : أي نثلث تقديسا لك، لم يقل أنت ثلاثة، بل جعلوا أنفسهم هم الذين يقدّسون التقديس المثلث، وهم يثلثون له. وهذا صريح في أنهم يسبحونه ثلاث مرات لا يسبحون ثلاثة آلهة، ولا ثلاثة أقانيم... ولهذا قالوا مجاوبين : قدوس، قدوس، قدوس «فيقدسونه ثلاث مرات»(١).

وقد قال النصارى – كما ذكرنا من قبل – توضيحا لقيام عقيدتهم في التثليث على أساس ماذكروه من نصوص التوراة . قالوا : انه لأجل هذا البيان الواضح – أى الواضح في تقرير عقيدة التثليث بزعمهم – الذى قاله الله في التوراة ، وفي كتب الأنبياء نجعل ثلاثة الأقانيم: جوهرا واحد، الها واحداً، ربا واحدا، خالقا واحدا، وهو الذى نقول : أب وابن وروح قدس.

ويردّ عليهم ابن تيمية في ادعائهم الباطل قول أنبياء الله بالتثليث فيقول : «ان في التوارة والكتب الالهية من اثبات وحدانية الله، ونفي تعدد الآلهة، ونفي إلهية ماسواه ما هو صريح في ابطال قول النصارى ونحوهم، وليس فيها ذكر الأقانيم لا لفظا ولا معنى، حيث يجعلون الأقنوم اسما للذات مع الصفة، والذات واحدة، والتعدد في الصفات لا في الذات...

وانهم يقولون : إنما نثبت إلها واحدا، ثم يقولون في أمانتهم وأدلتهم

---

(١) ابن تيمية : الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح ج ٢ ص٢٤٣، ٢٤٤.

وغير ذلك من كلامهم ما هو صريح بإثبات ثلاثة آلهة، فينقضون كلامهم بعضه ببعض، ويقولون من الأقوال المتناقضة مايعلم بطلانه كل عاقل...

وقولهم : وهو الذى نقوله : «أب وابن وروح قدس» هذا القول هم معترفون بأنهم لم يقولوه ابتداءً ، ولا علموه بالعقل، ثم عبروا عنه بذلك، بل هذه العبارة منقولة عندهم في بعض الأناجيل : إن المسيح عليه الصلاة والسلام أمر أن يعمدوا الناس بها، وحينئذ فالواجب اذا كان المسيح قالها أن ينظر ماأراد بها، وينظر سائر ألفاظه ومعانيها، فيفسرّ كلامه بلغته التى تكلم بها تفسيرا يناسب سائر كلامه»[1].

٢ -ابطاله لاستدلال النصارى على التثليث بالأناجيل :

واستمراراً لابطال ابن تيمية لما يزعمه النصارى من قيام عقيدتهم في التثليث على أسس دينية من الكتاب المقدس - استمراراً لذلك يناقشهم ابن تيمية فيما يذكرونه على ذلك من نصوص الأناجيل فيبطلها، كما سبق وأبطل استدلالهم بما نقلوه من نصوص التوراة ورسائل الأنبياء. ومن ذلك ابطاله لاستشهادهم على التثليث بما ذكرناه من قبل مما ورد في انجيل (متّى) : «عمدوا الناس باسم الاب والابن والروح القدس اله واحد». يبطل ابن تيمية استشهادهم هذا بقوله :

«هذا عمدتكم على ماتدعونه من الأقانيم الثلاثة، وليس فيه شيء يدل على ذلك لا نصا ولا ظاهرا، فإن لفظ الابن لم يستعمل قط في الكتب الإلهية في معنى صفة من صفات الله، ودعواكم أن المسيح أراد بالعلم ابن الله وكلامه دعوى في غاية الكذب على المسيح، وهو حمل اللفظ على مالم يستعمله هو ولا

---

(١) ابن تيمية : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ج ٢ ص ٢٤٥ ، ٢٤٦.

غيره فيه لا حقيقة ولا مجازا، فأى تحريف لكلام الأنبياء أعظم من هذا؟!

وكذلك روح القدس لم يستعملها الأنبياء في حياة الله، ولا أرادوا بهذا اللفظ حياة الله ولا صفته، وانما أرادوا بذلك ماينزله على الصدّيقين والأنبياء»[1].

وقد استبان لابن تيمية من تحليله لهذا النص في الانجيل، وتحقيق القول في معناه أن النصارى كما يقول :

حملوا كلام الأنبياء في لفظ الابن وروح القدس وغيره على مالم يوجد استعمال هذا اللفظ فيه، وتركوا حمله على المعنى الموجود في كلامهم ، وليس معهم على ماادعوه من الأقانيم حجة أصلا لا سمعية ولا عقلية، وانه ليس لقولهم بالتثليث، وحصرهم لصفات الله في ثلاثة مستند شرعى ولا عقلى، وانهم ممن قيل فيهم :

{لوكنا نسمع أو نعقل ماكنا في أصحاب السعير}[2].

وممن قيل فيهم {أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون ان هم إلاّ كالانعام، بل هم أضل سبيلا}[3] وفعلهم هذا ليس إلاّ فعل من يحرف كلام الأنبياء، ويفترى عليهم بالكذب.. وانهم انما ضلوا بعدولهم عن صريح كلام الأنبياء وظاهره، الى ما تأوّلوه عليه من التأويلات التى لايدل عليها لفظه لانصا

---

(١) المرجع السابق ج ٢ ص ١٣١ - ١٣٤ بتصرف كثير،
وانظر كذلك المرجع نفسه ج ٣ ص ١٦١ - ١٦٣.

(٢) سورة الملك / آية ١٠.

(٣) سورة الفرقان / آية ٤٤.

ولا ظاهرا، فعدلوا عن المحكم*، واتبعوا المتشابه*، {ابتغاء الفتنة، وابتغاء تأويله}[1]. وخالفوا بتأويلهم هذا صريح المعقول، وصحيح المنقول.

بل ظاهر هذا الكلام أن يعمدوهم باسم الأب الذى يريدون به في لغتهم الرب، و (باسم) الابن الذى يريدون به في لغتهم المربىٌّ. وهو هنا المسيح. و(باسم) روح القدس، الذى أيّد الله به المسيح، من الملك والوحي وغير ذلك.

---

* معني المحكم : تقول : حاكمت وحكمت وأحكمت بمعنى رددت، ومنعت والحاكم يمنع الظالم عن الظلم.. وفى حديث النخعي : أحكم اليتيم كما تحكم ولدك. أى امنعه عن الفساد. وقال جرير : احكموا سفهاءكم، أى امنعوهم، وبناء محكم أى وثيق يمنع من تعرض له، وسميت الحكمة حكمة، لأنها تمنع عما لا ينبغى.

أما المتشابه : فهو أن يكون أحد الشيئين مشابهاً للآخر بحيث يعجز الذهن عن التمييز بينهما. هذا فى اللغة.

أما فى الشرع فنقول : اللفظ الذى جعل موضوعاً لمعنى، فإما أن يمون محتملاً لغير ذلك المعنى، واما أن لا يكون فإذا كان اللفظ موضوعاً لمعنى ولا يكون محتملاً لغيره فهذا هو النص، وأمّا إن كان محتملاً لغيره، فلا يخلو إمّا أن يكون احتماله لأحدهما راجحا على الآخر، واما أن لا يكون كذلك، بل يكون احتماله لهما على السواء، فإن كان احتماله لأحدهما راجحا على الآخر سمي ذلك اللفظ بالنسبة الى الراجح ظاهرا، وبالنسبة الى المرجوح مؤولا، وأمّا ان كان احتماله لهما على السوية كان اللفظ بالنسبة اليهما معا مشتركا وبالنسبة الى كل واحد منهما على التعيين مجملا، فقد خرج من التقسيم الذى ذكرناه أن اللفظ إما أن يكون نصا، أو ظاهرا، أو مؤولا، أو مشتركا، أو مجملا، أما النص و الظاهر فيشتركان فى حصول الترجيح، إلا أن النص راجح مانع من الغير، والظاهر راجح غير مانع من الغير. فهذا القدر المشترك هو المسمى بالمحكم.

وأما المجمل والمؤول فهما مشتركان فى أن دلالة اللفظ عليه غير راجحة، وان لم يكن راجحا، لكنه غير مرجوح، والمؤول مع أنه غير راجح فهو مرجوح لا بحسب الدليل المنفرد، فهذا القدر المشترك هو المسمى بالمتشابه.

أنظر الفخر الرازى / التفسير الكبير المجلد ٤ ج ٧ ص ١٨٠، ١٨١.

(١) سورة آل عمران / آية ٧.

فعدلتم عن ظاهر اللفظ ومفهومه الى معنى لا يدل عليه اللفظ ألبتة. وبهذا فّسر هذا الكلام من فّسره من أكابر علمائهم[1].

٣ - ابطاله لاستدلال النصارى على عقيدة التثليث بالعقل، وبيان تناقضها :

وكما نقل ابن تيمية ما استشهد به النصارى من نصوص نقلية، ثم أبطله، فكذلك ينقل عن النصارى ما يبررون به الثالوث تبريراعقليا ثم يبطله.

وفي ذلك يقول :

«إن قولهم « أب وابن وروح قدس» وأنها ثلاثة أقانيم، انما يعنون به : أن الله شىء حى ناطق. وذلك لأنهم لما رأوا حدوث الاشياء، علموا أن شيئا غيرها أحدثها، إذ لا يمكن حدوثها من ذواتها؛ لما فيه من التضاد والتقلب فقالوا : إنه شىء لا كالأشياء المخلوقة، إذ هو الخالق لكل شىء، وذلك لينفوا عنه العدم كما يزعمون.

ورأوا أن الأشياء المخلوقة تنقسم قسمين : شىء حى، وشىء غير حى، فوصفوه بأجلهما، وقالوا : هو شىء حى؛ لينفوا عنه الموت.

ثم رأوا أن الحى ينقسم إلى قسمين، حي ناطق وحي غير ناطق، فوصفوه بأفضل القسمين. وقالوا : هو شىء حي ناطق؛ لينفوا عنه الجهل.

ثم يقولون : والثلاثة أسماء هي اله واحد، مسمى واحد، ورب واحد،

---

(١) ابن تيمية : الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح ج ٢ ص١٣١، ١٣٤ بتصرف، وكذلك المرجع نفسه ج ٣ ص١٦١، ١٦٤.

وخالق واحد. شيء حي ناطق. أى الذات والنطق والحياة...»[1].

والواقع أن هذا التعليل لعقيدة التثليث تعليل باطل - كما يقول ابن تيمية - فـ «ليس الأمر كما ادعيتموه أيها النصارى، فإنكم تقولون : إن هذا القول : «أب وابن وروح قدس»، فكان أصل قولكم هو ماتذكرونه من أنه تلقي من الشرع المنزل، لا أنكم أثبتم الحياة والنطق بمعقولكم ، ثم عبّرتم عنها بهذه العبارات...

ومعلوم أن الحياة والنطق لا تعقل إلاّ صفة قائمة بموصوف، ولا يعلم موصوف بالحياة والنطق إلاّ وهو مشار اليه، بل ما هو جسم كالانسان.

ولو كان الأمر كذلك (أى اثبات وجود الله وحياته ونطقه) لما احتجتم الى هذه العبارة «أب وابن وروح قدس»، ولا الى جعل الأقانيم ثلاثة، بل معلوم عندكم وعند سائر أهل الملل أن الله موجود حى عليم قدير متكلم، لا تختص صفاته بثلاثة، ولا يعبرون عن ثلاثة منها بعبارة لا تدل على ذلك، وهو لفظ الاب والابن وروح القدس، فإن هذه الألفاظ لا تدل على مافسرتموها به في لغة أحد من الأمم، ولا يوجد في كلام أحد من الأنبياء أنه عبّر بهذه الألفاظ عما ذكرتموه من المعانى، بل إثبات ما ادعيتموه من التثليث والتعبير عنه بهذه الألفاظ هو مما ابتدعتموه، لم يدل عليه شرع ولا عقل»[2].

---

(١) أنظر ابن تيمية : الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح ج ٢ ص ٩٠ بتصرف قليل.
وأنظر كذلك للمؤلف نفسه / مجموع الفتاوى الجزء الثالث من التفسير المجلد ١٦ ص ٣٦١، ٣٦٢.

(٢) ابن تيمية الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح ج ٢ ص٩١ بتصرف قليل،
وكذلك المرجع نفسه ج ٣ ص١٥٩.
وانظر كذلك للمؤلف نفسه : مجموع الفتاوى المجلد ١٧ الجزء الرابع من التفسير ص ٢٧٧.

«فدعواكم : أنا إنما قلنا : «أب وابن وروح قدس» لتصحيح القول بأن الله حى ناطق، كذب ظاهر. وأنتم تعلمون أنه كذب.

وتصحيح القول بأن الله حي متكلّم لا يتوقّف على هذه العبارة، بل يمكن تصحيح ذلك بالأدلة الشرعية والسمعية والعقلية، والتعبير عنه بالعبارات المبيّنة، كما يقوله المسلمون وغيرهم، بدون قولنا : أب وابن وروح قدس»(١).

و يستمر ابن تيمية في الرد على النصارى مبينا اختلافهم فيما بينهم حول تفسير عبارة انجيل (متّى)، فيقول :

«ان النصارى المقّرين بأن هذه العبارة «أب وابن وروح قدس» في الانجيل المأخوذ عن المسيح في تفسير هذا الكلام فكثير منهم يقول :

الأب هو الوجود، والابن هو الكلمة، وروح القدس هو الحياة.

ومنهم من يقول : الأب هو الوجود، والابن هو الكلمة، وروح القدس هو القدرة.

وبعضهم يقول : الأب هو الجواد ، والابن هو الحكيم، وروح القدس هو القادر.

ومنهم من يعبر عن الكلمة بالعلم، فيقولون : موجود، حي، عالم.

أو : موجود، عالم، قادر.

ومنهم من يقول : موجود، حي، حكيم.

ومنهم من يقول : قائم بنفسه، حي، حكيم»(٢).

---

(١) المرجع السابق ج ٢ ص٩٤.

(٢) ابن تيمية : الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح ج ٢ ص٩٤ بتصرف قليل.

ويذكر ابن تيمية أنه قد رأى كل هذه التفاسير في كتبهم. ثم يقول : «فعلم بذلك أن أصل قولهم : الأب والابن وروح القدس لم يكن لأجل تصحيح القول بأن الله موجود حي ناطق الذى علموه أولا بالعقل، وانما كان تفسيرا لشيء شرعى»(١).

ويقول ابن تيمية ردًا على قولهم : «انهم لمّا رأوا حدوث الأشياء علموا أن غيرها أحدثها ... الخ» - يقول في ذلك :

«إن كان المتكلم بها طائفة معينة من النصارى، فيقال لهم : إن القول : بالأب والابن وروح القدس موجود عند النصارى قبل وجودكم، وقبل نظركم هذا، واستدلالكم، فلا يجوز أن يكون نظركم هو الموجب لقول النصارى هذا.

وان كان المراد به أن جميع النصارى من حين قالوا هذا الكلام، نظروا واستدلوا، حتى قالوا ذلك (أب وابن وروح قدس)، فهذا كذب بيّن. فإن هذا الكلام يقول النصارى إنهم تلقوه عن الانجيل، وان المسيح - عليه السلام - قال : «عمدوا الناس باسم الأب والابن وروح القدس».

والمسيح والحواريون لم يأمروهم بهذا النظر الموجب لهذا القول، ولا جعل المسيح هذا القول موقوفا عندهم على هذا البحث، فعلم أن جعلهم هذا القول ناشئا عن هذا البحث قول باطل، يعلمون هم بطلانه.

ثم إن هذا القول «عمدوا الناس... الخ» ان كان المسيح لم يقله، فلا يجوز أن يقال. ولو عنى به معنى صحيحا، فإن هذه العبارة انما يفهم منها عند الاطلاق المعانى الباطلة.

---

(١) المرجع السابق ج ٢ ص ٩٥ وأنظر كذلك المرجع نفسه ج ٣ ص١٦٧، ١٦٨.

وان كان المسيح قاله، فقد علمنا أن المسيح - عليه السلام - وغيره من الأنبياء - صلوات الله عليهم - معصومون لا يقولون الاّ الحق، واذا قالوا قولا، فلابدّ له من معنى صحيح، ويمتنع أن يريدوا بقولهم مايمتنع بطلانه بسمع أوعقل.

فإذا كانت العقول ونصوص الكتب المتقدمة مع نصوص القرآن تناقض ماابتدعته النصارى في المسيح، علم أن المسيح لم يرد معنى باطلا يخالف صريح المعقول وصحيح المنقول. بل إن صحت هذه العبارة عن المسيح (المعصوم) - عليه الصلاة والسلام - فإنه أراد بذلك مايناسب سائر كلامه. وفي الموجود في كتبهم تسمية الرب أبا وتسمية عباده أبناء[1].

والمراد بالأب : الرب المربِّي الرحيم. والمراد بالابن عبده المسيح الذى رباه. فان تربية الله لعبده أكمل من تربية الوالدة لولدها.

وأما روح القدس، فهى لفظة موجودة في غير موضع من الكتب التى عندهم، وليس المراد بها حياة الله باتفاقهم، بل روح القدس عندهم تحل في ابراهيم وموسى وداود وغيرهم من الأنبياء والصالحين. والقرآن قد شهد أن الله أيّد المسيح بروح القدس، كما قال تعالى : {وآتينا عيسى بن مريم البينات وأيدناه بروح القدس}[2].

وروح القدس قد يراد بها الملك المقدس كجبريل، وقد يراد بها الوحي والهدى والتأييد الذى ينزله الله بواسطة الملك أو بغير واسطته، وقد يكونان متلازمين، فإن الملك ينزل بالوحى، والوحى ينزل به الملك ، والله يؤيد رسله

---

(١) أنظر ص٤٠٧ : ٤١٥ من هذه الرسالة.

(٢) سورة البقرة آية ٨٧، ٢٥٣.

بالملائكة وبالهدى، كما قال تعالى عن نبيه محمد صلى الله عليه وسلم : {فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها}[1].

واذا كان روح القدس معروفا في كلام الأنبياء والمتقدمين والمتأخرين أنها أمر ينزّله الله على أنبيائه وصالحي عباده، سواء كان ملائكة تنزل بالوحي والنصر، أو وحيا وتأييدا مع الملك، وبدون الملك ليس المراد بروح القدس أنها حياة الله القائمة به، فإن قال : « عمدوا الناس باسم الأب والابن وروح القدس» «مراده : مروا الناس أن يؤمنوا بالله ونبيه الذى أرسله، وبالملك الذى أنزل عليه الوحى الذى جاء به، فيكون ذلك أمرًا لهم بالايمان بالله وملائكته، وكتبه ورسله. وهذا هو الحق الذى يدل عليه صريح المعقول وصحيح المنقول.

فتفسير كلام المعصوم بهذا التفسير الذى يوافق سائر ألفاظ الكتب التى عندهم، ويوافق القرآن والعقل، أولى من تفسيره بما يخالف صريح المعقول وصحيح المنقول.

وهذا تفسير ظاهر ليس فيه تكلف، ولا هو من التأويل الذى هو صرف الكلام عن ظاهره الى ما يخالف ظاهره، بل هو تفسير له بما يدل ظاهره عليه باللغة المعروفة والعبارة المألوفة في خطاب المسيح، وخطاب سائر الأنبياء»[2].

ثم يذكر ابن تيمية تضاربهم في تفسير الثالوث، وبطلان استنادهم فيه الى العقل والنقل. فيقول :

«ان قولهم : بالأقانيم مع بطلانه في العقل والشرع، لم ينطق به عندهم كتاب، ولم يوجد هذا اللفظ في شيء من كتب الأنبياء التى بأيديهم، ولا في كلام

---

(١) سورة التوبة / آية ٤٠.

(٢) ابن تيمية : الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح ج ٢ ص٩٥، ٩٩ بتصرف كثير واختصار.

الحواريين، بل هي لفظة ابتدعوها. ويقال : إنها رومية. وقد قيل : الأقنوم في لغتهم معناه : الأصل، ولهذا يضطربون في تفسير الأقانيم. تارة يقولون : أشخاص، وتارة خواص، وتارة صفات، وتارة جواهر، وتارة يجعلون الأقنوم اسما للذات والصفة معا. وهذا تفسير حذاقهم»[1].

فتبيّن أنه ليس معهم في التثليث لا حجة سمعية ولا عقلية، بل هو باطل شرعا وعقلا، والعقل الصريح يجزم أن الله {ليس كمثله شيء}[2].

والواقع أنّ القول بالتثليث يجمع النقائض، كما يذكر ذلك ابن تيمية ويحاجج ابن تيمية النصارى في عقيدتهم بالتثليث، من خلال نصوص أمانتهم، حيث يقول - موجها كلامه لهم :-

«أنتم الذين سميتم نطق الله ابنا، وقلتم : سميّناه ابنا؛ لأنه تولّد منه، كما يتولّد الكلام من العقل، فكان ينبغى أيضا أن تسموا حياته ابنا؛ لأنها منبثقة منه، ومتولّدة عنه أيضا...

وقلتم : انّه مولود من الله، وانّه قديم أزلي، وأنتم تعترفون بأن أحدا من الأنبياء لم يسم علم الله، وكلامه، ولا حكمته مولودا منه..

والذى يعقله الخلق في المولود الذى يولدمن غيره، كما يتولّد العلم، والكلام من نفس الانسان أنّه حادث فيه، أو منفصل عنه، لا يعقل أنّه قائم به، وأنّه متولّد منه قديم أزلي.

---

(١) المرجع السابق ج ٢ ص١٠٠. وانظر كذلك المرجع نفسه ج ٣ ص١٦٤.

(٢) سورة الشورى / آية ١١.

ثمّ قلتم في أمانتكم : انّه (أى المسيح) تجسّم* من روح القدس، أو منه ومن مريم. وهو انما تجسّم - عندكم - من الكلمة التى سميتموها الابن دون روح القدس. وان كان تجسّم من روح القدس فيكون هو روح القدس، لا يكون هو الكلمة التي هي الابن.

ثمّ تقولون : «هو كلمة الله وروحه. «فيكون حينئذ أقنومين، أقنوم الكلمة، وأقنوم الروح، وانما هو عندكم أقنوم واحد (أقنوم الكلمة فقط). فهذا تناقض، وحيرة. تجعلونه الابن الذى هو الكلمة، وهو أقنوم الكلمة فقط.

وتقولون : تجسّم من روح القدس. ولا تقولون أنّه تجسم من الكلمة.

وتقولون هو كلمة الله وروحه، والكلمة والروح أقنومان. ولا تقولون أنّه أقنومان، بل أقنوم واحد»(١).

«ولمّا كان قول النصارى في التثليث متناقضا في نفسه لا حقيقة له، صار مجرد تصوره التام كافياً في العلم بفساده من غير احتياج الى دليل، وان كانت الأدلة تظهر فساده. ولهذا سلك طائفة من العلماء في الكلام معهم هذا المسلك، وهو أن مجرد تصور مذهبهم كاف في العلم بفساده، فإنه غير معقول.

وقالوا : ان النصارى ناقضت في اللفظ وأحالت في المعنى، فلا يجوز أن يعتقد مايدعون انتحاله لتناقضه»(٢).

---

* تجسّم، وتجسّد كلاهما بمعنى واحد. فالجسم أصله فى اللغة الجسد وهو قول أبى زيد والاصمعى وغيرهما من أهل اللغة. أنظر الرازى فى مختار الصحاح ص ١٠٣. ١٠٤ وانظر ايضا ابن تيمية فى الجواب الصحيح ج ٣ ص١٥٢، ١٥٣ وما بعدهما، حيث بيّن ذلك لغة، كما بينّه اصطلاحا.

(١) ابن تيمية/ الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح ج ٣ ص ١٦١ : ١٦٢.

(٢) ابن تيمية الجواب الحيح لمن بدّل دين المسيح ج ٣ ص١٦٦.

ومن مظاهر هذا التناقض «أنهم يزعمون أن الثلاثة واحد، والواحد ثلاثة. وهذا لا يصح اعتقاده؛ لأنه لا يجوز أن يعتقد المعتقد في الشيء أنه ثلاثة، مع اعتقاده فيه أنه واحد؛ لأن ذلك متضاد. واذا كان ذلك كذلك، فليس يخلو من أن يعتقد أنه ثلاثة، أو أنه واحد. وليس يحتاج أن يعرف بدليل بطلان قول من ادّعى في الشيء أنه موجود معدوم، أو قديم محدث، أو في الجسم أنه قائم قاعد، متحرك ساكن. واذا كان كذلك فتناقضه أظهر من أن يحتاج فيه الى دلالة (لأنه من البدهيات).

واذا قال النصارى : إنه أحديّ الذات ثلاثيّ الصفات. قيل : لو اقتصرتم على قولكم : إنه واحد وله صفات متعددة لم ينكر ذلك عليكم جمهور المسلمين، بل ينكرون تخصيص الصفات بثلاث»[1].

« ووصفهم الأقانيم الثلاثة بأنها جوهر واحد، إنما ينبئ أنها جملة، وليس هذا مما يذهبون اليه، ولا يعتقدونه، ولا يجعلون له معنى، لأنهم لايعطون حقيقة التثليث، فيثبتون الأقانيم الثلاثة متغايرة، ولاحقيقة التوحيد، فيثبتون القديم واحدا ليس باثنين ولا أكثر من ذلك. واذا كان ذلك كذلك، فما قالوه هو شئ لايعقل، ولايصح اعتقاده، ويمكن أن يعارضوا على قولهم بكل حال»[2].

« واذا جاز عندكم أن تكون ثلاثة أقانيم جوهرا واحد، فلِمَ لايجوز أن تكون ثلاثة آلهة جوهرا واحدا، وثلاثة فاعلين جوهراً واحدا، وثلاثة أغيار جوهرا واحدا، وثلاثة أشياء جوهرا واحدا، وثلاثة قادرين جوهرا واحدا، وكل ثلاثة أشياء جوهرا واحدا؟!

وكل ما يجري هذا المجرى من المعارضة فلا يجدون فصلا»[3]. أي هذا

(١) المرجع السابق ج ٣ ص ١٦٦ : ١٦٧.

(٢) ابن تيمية : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ج ٣ ص ١٦٨.

(٣) المرجع السابق ج ٣ ص ١٦٨، ١٦٩.

الكلام لازم لهم لا ينفصلون عنه.

ويقول النصارى : «كل من اعتقد أن الثلاثة أقانيم ثلاثة آلهة مختلفة أو متفقة، أو ثلاثة أشخاص مركبة، أو غير ذلك مما يقتضي الاشتراك والتكثير، والتبعيض، والتشبيه فنحن نلعنه ونكفره »(١).

فيردّ عليهم ابن تيمية مبينا تناقضهم في ذلك، فيقول لهم :

« وأنتم أيضا تلعنون من قال : إن المسيح ليس هو اله حق من اله حق، ولا هو مساو الأب في الجوهر، ومن قال : إنه ليس بخالق، ومن قال : إنه ليس بجالس عن يمين أبيه، ومن قال أيضا : إن روح القدس ليس برب حق محي، ومن قال : إنه ليس ثلاثة أقانيم.

وتلعنون أيضا مع قولكم : إنه الخالق،مَنْ قال : إنه الأب،والأب هو الخالق، فتلعنون من قال : هو الأب الخالق، ومن قال : ليس هو الخالق، فتجمعون بين النقيضين : فتلعنون من جرد التوحيد بلا شرك ولا تثليث، ومن أثبت التثليث مع انفصال كل واحد عن الآخر، وتجمعون بذلك بين قولين متناقضين : أحدهما حق ، والآخر باطل.

وكل قول يتضمن جمع النقيضين (اثبات الشئ ونفيه)، أو رفع النقيضين (الاثبات والنفي) فهو باطل»(٢).

ومن مظاهر تناقضهم أيضا : « زعمهم أن كلمة (ابن الله) التي يفسرونها بعلمه أو حكمته، وروح القدس التي يفسرونها بحياته وقدرته، وأنها

---

(١) المرجع السابق ج ٣ ص١٣٨. وانظر كذلك المرجع نفسه ص١٧٧.

(٢) ابن تيمية : الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح ج ٣ ص١٧٧، ١٧٨. بتصرف.

صفة له قديمة أزلية، لم يزل ولا يزال موصوفا بها. ويقولون - مع ذلك - : ان الكلمة مولودة منه، فيجعلون علمه القديم الأزلي متولدا عنه، ولا يجعلون حياته القديمة الأزلية متولدة عنه، وقد أصابوا في أنهم لم يجعلوا حياته متولدة عنه، لكن ظهر بذلك بعض مناقضاتهم وضلالهم، فإنه إن كانت صفة الموصوف القديمة اللازمة لذاته، يقال : إنها ابنه وولده ومتولد عنه، ونحو ذلك. فتكون حياته أيضا ابنه وولده ومتولدا عنه، وان لم يكن كذلك، فلا يكون علمه ابنه، ولا ولده، ولا متولدا عنه ... فعلم أن القوم في غاية التناقض في المعاني والألفاظ، وأنهم مخالفون للكتب الالهية كلها، ولِمَا فطر الله عليه عباده من المعقولات، ومخالفون لجميع لغات الآدميين، وهذا مما يظهر به فساد تمثيلهم ...»[1].

ويقول النصارى : « الموجود إما جوهر ، واما عرض، فالقائم بذاته هو الجوهر، والقائم بغيره هو العرض.

ثم يقولون : إنه موجود حي ناطق، له حياة ونطق»[2].

ويرد عليهم ابن تيمية بقوله :

« حياته ونطقه : إما جوهر واما عرض. وليس جوهرا؛ لأن الجوهر ما قام بنفسه. والحياة والنطق لا يقومان بأنفسهما، بل بغيرهما، فهما من الأعراض، فتعيّن أنه عندهم جوهر تقوم به الأعراض، مع قولهم: إنه جوهر لايقبل عرضا.

وان قيل أرادوا بقولهم : « لا يقبل عرضا » ما كان حادثا. قيل : فهذا

---

(١) المرجع السابق ج٣ ص١٨٢:١٨٣ بتصرف وانظر كذلك المرجع نفسه ج٣ ص١٩٢.

(٢) الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح ج ٣ ص ٢٢٤، ٢٢٥.

ينقض تقسيمهم الموجود الى جوهر وعرض. فإن المعنى القديم الذي يقوم به ليس جوهرا، وليس حادثا. فإن كان عرضا فقد قام به العرض وقبله، وان لم يكن عرضًا، بطل التقسيم.

فتبيّن من هذا أنهم يقال لهم : أنتم قلتم : انه شئ حي ناطق، وقلتم : هو ثلاثة أقانيم، وقلتم : المتحد بالمسيح أقنوم الكلمة، وقلتم في الأمانة :

« نؤمن باله واحد أب ضابط الكل ، وبرب واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد المولود من الأب قبل كل الدهور، اله حق من اله حق من جوهر أبيه، مولود غير مخلوق، مساو للأب في الجوهر.

ثم قلتم : ان الرب جوهر لا يقبل عرضا. وقلتم : إن الذي يشغل حيّزًا أو يقبل عرضا هو الجوهر الكثيف. وأمّا الجوهر اللطيف فلا يقبل عرضا ولا يشغل حيزا، مثل :جوهر النفس وجوهر العقل، وما يجري هذا المجرى من الجواهر اللطيفة، وبعد أن صرحتم بأن الرب جوهر لا يقبل عرضا. قلتم : ليس فى الوجود شئ الاّ وهو امّا جوهر، وامّا عرض، فإن كان قائما بنفسه غير محتاج فى وجوده الى غيره، فهو الجوهر، وان كان مفتقرا فى وجوده إلى غيره لاقوام له بنفسه فهو العرض.

فيقال لكم : الابن القديم الأزلى الموجود من جوهر أبيه، الذى هو مولود غير مخلوق، الذى تجسّد ونزل هل هو جوهر قائم بنفسه أم هو عرض قائم بغيره؟

فإن قلتم : هو جوهر، فقد صرحتم بإثبات جوهرين، الأب جوهر والابن جوهر، ويكون حينئذ أقنوم الحياة جوهرا ثالثا، فهذا تصريح باثبات ثلاثة جواهر قائمة بأنفسها. وحينئذ يبطل قولهم : إنه اله واحد، وانه أحدى الذات،

ثلاثى الصفات. وانه واحد بالجوهر، ثلاثة بالأقنوام، إذ كنت قد صرحتم - على هذا التقدير - باثبات ثلاثة جواهر.

وان قلتم : بل الابن القـديم الأزلى، الذى هو الكلمـة التى هـي العلم والحكمة، عرض قائم بجوهر الأب، ليس جوهرا ثانياً. فقد صرّحتم بأن الربّ جوهر تقوم به الأعراض، وقد أنكرتم هذا في كلامكم. قلتم : هو جوهر لا تقوم به الأعراض، وقلتم : إن من المخلوقات جواهر لا تقوم بها الأعراض، فالخالق أولى. وهذا تناقض بيّن ...»[1].

ويقول ابن تيمية - بيانا لسبب هذا التناقض - : إنهم يلفقون عقيدتهم من مصادر متعددة، بحيث يبدو فيها وضوح التضارب والتناقض بين أجزائها فيقول :

« وسبب ذلك : أنهم ركبوا لهم اعتقادا، بعضه من نصوص الأنبياء المحكمة كقولهم : الاله الواحد، وبعضه من متشابه كلامهم، كلفظ الابن وروح القدس، وبعضه من كلام الفلاسفة المشركين المعطلين كقولهم : جوهر لا تقوم به الصفات»[2]. فجاءت عقيدتهم ملفقة.

٤ - ابطال ابن تيمية لدعوى النصارى للتوحيد مع قولهم بالتثليث:

ورغم أن النصارى يقولون بالتثليث، إلاّ أنهم يدّعون التوحيد وأن هذا الثالوث يؤلف إلهاً واحداً. وينقدهم ابن تيمية من خلال نص عقيدة ايمانهم، ويثبت أنهم مثلثون لا موحدون، وأنهم يثبتون ثلاثة آلهة منفصلة تنطبق على كل واحد منها صفة الألوهية. ويثبت أن دعواهم للتوحيد دعوى باطلة، وأنهم

---

(١) ابن تيمية : الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح ج ٣ ص٢٢٤: ٢٢٥ بتصرف قليل.

(٢) ابن تيمية : الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح ج ٣ ص٢٢٧.

متناقضون فى ذلك تناقضاً بيّناً.

فالنصارى يقولون : إن الثلاثة الأب والإبن وروح القدس أسماء، وهى إله واحد، وربّ واحد، وخالق واحد، ومسمى واحد، لم يزل ولا يزال حياً ناطقاً. أى الذات والنطق والحياة.

فالذات عندهم : الأب، الذى هو ابتداء الاثنين، والنطق : الإبن، الذي هو مولود منه كولادة النطق من العقل، والحياة :هي الروح القدس[1].

وقد ناقشهم ابن تيمية في دعواهم هذه ، وردّ عليهم . فقال :

« إن أسماء الله تعالى متعددة كثيرة، فإنه { هو الله الذي لا إله إلاهو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر، سبحان الله عمّا يشركون. هو الله الخالق البارئ المصور له الأسماء الحسنى، يسبح له مافي السموات والأرض وهو العزيز الحكيم}[2] ... الى اخر الآيات الكثيرة في هذا الشأن.

وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال :

(إن لله تسعة وتسعين اسما من أحصاها دخل الجنة* .)[3].

---

(١) أنظر المرجع السابق ج ١١٢:١١٥.

(٢) سورة الحشر / آية ٢٢:٢٤.

* وهذا معناه فى أشهر قولي العلماء، وأصحهما، أن من أسمائه تعالى تسعة وتسعين اسما من أحصاها دخل الجنة، والاّ فأسماؤه تبارك وتعالى أكثر من ذلك.

(٣) أنظر صحيح البخارى ج ٨ ص١٠٨، ١٠٩ كتاب الدعوات/ باب لله مائة اسم غير واحد.

وانظر كذلك صحيح مسلم ج ٤ ص٢٠٦٢:٢٠٦٣ كتاب الذكر والدعاء والتوبة/ والاستغفار باب فى أسماء الله تعالى وفضل من أحصاها الحديث رقم ٥، ٦ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى.

واذا كانت أسماء الله كثيرة ومتعددة فالاقتصار على ثلاثة أسماء دون غيرها باطل. وأي شئ زعم الزاعم في اختصاص هذه الأسماء دون غيرها فهو باطل.

أما قولهم : الأب الذي هو ابتداء الاثنين، والابن : النطق، الذي هو مولود منه كولادة النطق من العقل فكلام باطل. بل هو من أعظم الكفر وأشده استحالة؛ فإن صفات الكمال لازمة لذات الرب عز وجل أولاً وآخراً، لم يزل ولا يزال حيا عالما قادرا، لم يصر حيا بعد أن لم يكن حيا، ولا عالما بعد أن لم يكن عالما...

أما تسمية حياة الله (روح القدس)، فهو أمر لم ينطق به شيء من كتب الله المنزّلة، فإطلاق روح القدس على حياة الله انما هو من تبديلهم وتحريفهم...»[1].

ثم يقول : «ان أمانتكم التى وضعها أكابركم بحضرة (قسطنطين)، وهى عقيدة ايمانكم التى جعلتموها أصل دينكم، تناقض ماتدّعونه من أن الاله واحد، وتبيّن أنكم تقولون لمن يناظركم خلاف ماتعتقدونه. وهذا ان أمران معروفان في دينكم :

(١) تناقضكم في ادعائكم أن الثلاثة واحد.

(٢) واظهاركم في المناظر خلاف ماتقولونه من أصل ايمانكم.

فإن الأمانة التى اتفق عليها جماهير النصارى، يقولون فيها :

---

(١) ابن تيمية : الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح ج ٢ ص١١٢:١١٥ بتصرف.

«نؤمن باله واحد، أب ضابط للكل، خالق السموات والأرض، كل ما يرى وما لا يرى، وبرب واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد، المولود من الأب قبل كل الدهور، نور من نور، اله حق من اله حق، من جوهر أبيه، مولود غير مخلوق مساوٍ للأب والابن في الجوهر... وبروح القدس، الرب المحي، المنبثق من الأب، الذى هو مع الأب والابن مسجود له، وسجد ناطق في الأنبياء...»[(١)].

« فهذا تصريح بالثلاثة أرباب، وأن الابن اله حق من اله حق، ومع تصريحكم بثلاث أرباب، وتصريحكم بأن هذا اله حق من اله حق، تقولون : أن ذلك اله واحد، وهذا تصريح بتعدد الآلهة، مع القول باله واحد. ولو لم تذكروا ما يقتضي أنه جوهر آخر، لامكن أن يحمل كلامكم على عطف الصفة، لكن كان يكون كلامكم أعظم كفرا. فتكونون قد جعلتم المسيح هو نفس الاله الواحد الأب خالق ما يري ومالا يرى، وهذا من أعظم كفركم مع أن هذا حقيقة قولكم، فانكم تقولون : « المسيح هو الله، وتقولون : هو ابن الله « ... وهذا أيضا من تناقضكم، فانه ان كان هو الله لم يكن هو ابن الله سواء عبّر بالابن عن الصفة أو غيرها، فإن الأب هو الذات ليست هي الصفة ...

والمقصود أنهم لم يريدوا بقولهم : وبرب واحد يسوع المسيح عطف الصفة، وأن هذا هو الأب ... والعطف لتغاير الصفة، فلو كان المراد بالابن نفس الأب لكان هذا خلاف مذهبهم، ويكونون قد جعلوه الهاً من نفسه، فقالوا : برب واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد، المولود من الأب قبل كل الدهور، نور من نور، اله حق من اله حق، ومن جوهر أبيه، مولود غير مخلوق، فصرّحوا بأنه رب، وأنه إله حق، من اله حق، وصرحوا باله ثان مع الاله الأول. وقالوا مع ذلك: إنه مولود من الأب قبل كل الدهور، وأنه مولود غير مخلوق، فامتنع أن يريدوا

---

(١) المرجع السابق ج ٢ ص ١١٦: ١٢٠ باختصار وتلخيص.

بذلك الناسوت، فإن الناسوت مخلوق.

ثم قالوا : مساوٍ الأب في الجوهر، فاقتضى هذا أن يكون المولود الذي هو الكلمة جوهرا، وأنه مساو الأب في الجوهر. والمساوي ليس هو المساوىَ. وهذا يقتضي إثبات جوهر ثان مساو الجوهر الأول، وهو صريح باثبات الهين. وتقولون مع ذلك : إنه اله واحد، جوهر واحد ...

ثم قلتم في أقنوم روح القدس الذي جعلتموه الرب المحيى أنه منبثق من الأب مسجود له ممجد، ناطق في الأنبياء ، فإن كان المنبثق ربا حيا، فهذا اثبات إله ثالث، وقد جعلتم الذات الحية منبثقة من الذات المجردة، وفي كل منهما من الكفر والتناقض مالا يخفى. ثم جعلتم هذا الثالث مسجوداً له، والمسجود له هو الاله المعبود، وهذا تصريح بالسجود لاله ثالث مع ما فيه من التناقض، ثم جعلتموه ناطقًا في الأنبياء، وهذا تصريح بحلول هذا الأقنوم الثالث بجميع الأنبياء، فيلزمكم أن تجعلوا كل نبي مركبا من لاهوت وناسوت، وانه اله تام، وانسان تام، كما قلتم في المسيح، إذ لافرق بين حلول الكلمة، وحلول روح القدس، فكلاهما أقنوم. وأيضا فيمتنع حلول إحدى الصفتين دون الأخرى، وحلول الصفة دون الذات، فيلزم الاله الحي الناطق بأقانيمه الثلاثة حالاً في كل نبي، ويكون كل نبي هو ربّ العالمين، ويقال مع ذلك هو ابنه، وفي هذا من الكفر الكبير والتناقض العظيم مالا يخفى، وهذا لازم للنصارى لزوما لا محيد عنه»(١).

ويتتبع ابن تيمية تبرير النصارى للتثليث حيث يذكر أنهم قالوا : « قد علمنا أنه لا يلزمنا إذا قلنا : « أب وابن وروح قدس » عبادة ثلاثة آلهة، بل اله

---

(١) ابن تيمية : الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح ص٢٤٩ -٢٥١ .

واحد، كما لا يلزمنا إذا قلنا : الانسان ونطقه وروحه ثلاثة أناس، بل انسان واحد، ولا إذا قلنا : لهيب النار وضوء النار وحرارة النار ثلاثة نيران، ولا إذا قلنا : قرص الشمس، وضوء الشمس، وشعاع الشمس، ثلاثة شموس»[١]. أي لا يلزمهم التثليث في كل ما مرّ، بل الانسان هو الانسان بنطقه وروحه، والنار هي النار بضوئها وحرارتها، وقرص الشمس هو قرص الشمس بضوئه وشعاعه. لكن شيخ الاسلام ردّ عليهم بقوله :

« إنكم صرحتم بتعدد الالهة الأرباب في عقيدة ايمانكم وفي استدلالكم، وغير ذلك من كلامكم، فليس ذلكم شيئا ألزمكم الناس به، بل أنتم تصرّحون بذلك كما تقدم من قولكم : « نؤمن بالله واحد ضابط الكل خالق ما يرى ومالا يرى، وبرب واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد، المولود من الأب قبل كل الدهور نور من نور، إله حق من إله حق، من جوهر أبيه، مولود غير مخلوق، مساوٍ الأب في الجوهر وبروح القدس الرب المحي، المنبثق من الأب، الذي معه الأب مسجود له وممجّد»[٢].

أمّا « تمثيلكم الثالوث بالانسان، ونطقه، وروحه، فهو تمثيل باطل. فإن أردتم بالروح حياته، فليس هذا هو مفهوم الروح، وان أردتم الروح التي تفارق بدنه بالموت، وتسمى النفس الناطقة، فهذه جوهر قائم بنفسه، ليست عرضا من أعراضه. وحينئذ فيلزم أن تكون روح الله جوهرًا قائما بنفسه، مع جوهر آخر نظير بدن الإنسان. ويكون الرب - سبحانه وتعالى - مركبا من بدن وروح كالانسان. وليس هذا قول أهل الملل، لا المسلمين ولا اليهود، ولا النصارى،

---

(١) المرجع السابق ج ٢ ص٢٤٨.

(٢) ابن تيمية / الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح ج ٢ ص٢٤٨، ٢٤٩.

فتبيّن أن تمثيلكم هذا باطل»[1].

ثم إن حرّ النار وضوءها القائم بها، ليس نارا من نار، ولا جوهرا من جوهر، ولا هو مساوٍ النار والشمس في الجوهر، وكذلك نطق الإنسان ليس هو إنسانا من انسان، ولا هو مساوٍ الانسان في الجوهر، وكذلك الشمس وضوءها القائم بها، وشعاعها القائم بها ليس شمسا، ولا جوهراً قائما بنفسه. وأنتم قلتم : « إله حق من إله حق » وقلتم في روح القدس : « إنه ربّ ممجد ، مسجود له ». فأثبتم ثلاثة أرباب»[2].

وهكذا يبيّن ابن تيمية أن النصارى « قد ضلّوا في عقيدتهم بالتثليث ضلالاً بعد ضلال. ضلّوا أولاً، حيث جعلوا مراد المسيح وغيره بالابن وروح القدس صفة الرب. ثم ضلّوا ثانياً، حيث جعلوا الصفة خالقا وربا. ثم ضلّوا ثالثاً، حيث جعلوا الصفة تتحد ببشر، هو عيسى، ويسمى المسيح، ويكون هو الخالق ربّ العالمين. فضلّوا في التثليث ضلالاً مثلثاً، حيث أثبتوا ثلاث صفات دون غيرها، وجعلوها جواهر وأربابا، ثم قالوا: هي اله واحد»[3].

وهكذا يبطل ابن تيمية استدلالات النصارى على عقيدتهم بالتثليث داحضا ما فيها من الأباطيل، وسوء الفهم، ومبيّنًا أنه لاحجة لهم في كل ما احتجوا به، بل عامة ما يحتجون به من نصوص الانبياء، ومن المعقول هو نفسه حجة عليهم، ويظهر منه فساد قولهم. كما نقلنا عنه آنفا.

---

(١) المرجع السابق ج ٢ ص٢٥٤ بتصرف قليل.

(٢) المرجع السابق ص٢٥٢ ، ٢٥٣.

(٣) المرجع السابق ص٢٥٦.

ج - تعقيب :

١ - الجذور التاريخية لعقيدة التثليث النصرانية :

هذه هي عقيدة التثليث عند النصارى ، وهذه هي استشهاداتهم على ما يزعمونه من صحة تلك العقيدة نقلا وعقلا.

وبعد هذا الذي قدمناه عن ابن تيمية في ابطال هذه العقيدة، يتبيّن لنا فساد ما تستند اليه تلك العقيدة، سواء من الناحية العقلية أو النقلية.

والواقع أنها عقيدة ليس لها من سند ديني، أو عقلي، وانما هي مستقاة ومأخوذة من المصادر الخارجية التي اتصل بها المسيحيون، بما تحمله تلك المصادر من موروثات وثنية، أو ثقافية قديمة.

فالثالوث ليس بدعا في المسيحية، ولكنه يمتد بجذور عميقة في أرض الوثنية القديمة، في الهند، ومصر، وأفريقية، حيث أخذه النصارى من الامم السابقة عليهم والتي اختلطت بهم فيما بعد، وانتشرت المسيحية بين صفوفها، وبطبيعة الحال فان الاختلاط بين المسيحيين وبين تلك الامم قد أثمر ثمرته، وأينع حصاده، وهو انتقال التصورات الدينية عند تلك الأمم إلى تصور المسيحيين للعقائد والشعائر المسيحية. وكان هذا التقارب بين العقيدة المسيحية ، - في صورتها المحرّفة - وبين عقائد تلك الأمم سببا من أسباب قبولهم لها - كما ذكرنا من قبل -.

فالعقيدة المسيحية بعد هذا التلوّث بلون المصادر الأجنبية والامتزاج بمفاهيمها، أصبحت أمراً مقبولاً لدى هذه الأمم، غير بعيد عن فكرها ومشاعرها .

لا نقول هذا تجنيا وادعاء، وإنما نقوله بعد الدراسة والتمحيص لتلك العقائد، والمقارنة بينها وبين العقيدة المسيحية في وضعها الجديد، وتبيّن مدى تأثير تلك العقائد فيها.

ونقوله كذلك بعد الدراسة للتلاحم العميق الذي كان بين الأمم المسيحية وبين أصحاب تلك العقائد من الأمم المجاورة والتى انتشرت فيما بينهم.

«لقد كان موضوع تعدد الآلهة يكاد يكون عاماً فى جميع الثقافات القديمة قال به المصريون القدماء، وقال به الآشوريون ، والبابليون، والفرس، والهنود والصينيون واليونان على اختلاف فى عدد الآلهة، ومكانتهم، واختلاف فى تصور صلة الآلهة بعضهم ببعض أو صلتهم بالبشر.

أما التثليث فلعله كان تحديدا لهذا التعدد الذى بولغ فيه أحيانا. ويمكن القول بأن تحديد الآلهة بثلاثة عمل له صلة بعبادة الأبطال، تلك العبادة التى بدأت منذ فجر التاريخ، والتى لايزال لها بقايا فى عالمنا الحاضر.

وإرتباط التثليث بعبادة الأبطال مرجعه أن الجماهير كانت تعبد البطل لعمل رائع قام به، ثم يتخذ البطل له زوجة فتحتلّ معه مكان الألوهية وتسجد لهما الجماهير، وينجب الزوجان، ويعيّن البطل أحد أبنائه ليتولى مكانه فيما بعد، فتسجد له الجماهير أيضا، ويتمّ بذلك الثالوث.

تلك هى الفكرة الأولى للتثليث، ثم انطلق التثليث فلم يعد يتقيّد بهذه الفكرة، وأصبح الثالوث معبودا معروفا لكثير من الأمم»[(١)].

فالتثليث عقيدة وثنية، نقلها الوثنيون المتنصرون إلى النصرانية. وكونها

---

(١) الدكتور أحمد شلبى / المسيحية ص ١٣٠/١٣١.

عقيدة وثنية قد وضّحه، وبيّنه بجلاء علماء أوربا بالتفصيل، وأتوا عليها بالشواهد الكثيرة.

وفى بحثنا هذا نذكر طرفا من الوثنيات المثلّثة التى نراها قد أثّرت بتصوراتها فى العقيدة المسيحية.

«ولعل البابليين هم أول من قال بالثالوث، وذلك فى الألف الرابع قبل الميلاد، حيث كانوا يدينون بتعدد الآلهة، ولكنهم نظّموا هؤلاء الآلهة فجعلوها مجموعات متميزة المكانة والقدر، كل مجموعة ثلاثة، فكانت المجموعة الأولى على رأس الآلهة، وتتكون هذه المجموعة من إله السماء، فإله الأرض، فإله البحر. أما المجموعة الثانية، فإله القمر، وإله الشمس، وإله العدالة والتشريع»[1].

وأيضا كان التثليث معروفا عند قدماء الهنود، وكانوا قبل المسيح بآلاف السنين، حيث نرى «أن أعظم وأشهر عبادتهم اللاهوتية هو التثليث (أى القول بأن الإله ذو ثلاثة أقانيم) ويسمون هذا التعليم بلغتهم «ترى مورتي» وهى عبارة مركبة من كلمتين، بلغتهم السنسكريتيه «ترى» ومعناها : ثلاثة، و «مورتي» ومعناها هيئات أو أقانيم، وهى. برهما وفشنو وسيفا، ثلاثة أقانيم متحدة لا تنفكّ عن الوحدة فهي إله واحد»[2].

ويشرح دوان – حين كلامه عن الثالوث البرهمي – معنى هذه الأقانيم عند الهنود، فيقول : «إن الهنود يرمزون إلى الأقانيم بثلاثة أحرف هى : «أ.و.م» وأنهم يصفون هذا الثالوث المقدس بأنه غير منقسم، فى الجوهر، ولا فى الفعل،

---

(١) د. ابراهيم مدكور/ تاريخ الفلسفة ص ٦ نقلا عن الدكتور أحمد شلبى المسيحية ص ١٣١ ط٥.

(٢) دوان : خرافات التوراة وما يماثلها فى الأديان الأخرى ص ٣٦٦ نقلا عن الأستاذ محمد طاهر التنير / العقائد الوثنية فى الديانة النصرانية ص ١٩.

ولا فى الاتحاد بقولهم : «برهما الممثل لمبادىء التكوين والخلق، ولايزال خلاقاً إلهياً وهو «الأب). وفشنو يمثّل مبادىء حماية وحفظ الأشياء المكونة، وهو «الإبن » المنبثق والمتحول عن اللاهوتية، وسيفا هو المهلك والمبيد والمبدىء والمعيد وهو «الروح القدس» ويدعون كرشنا الرب المخلّص، والروح العظيم الذى ولد منه (فشنو) الإله الذى ظهر بالناسوت على الأرض، ليخلص الناس، فهو أحد الأقانيم الثلاثة التى هى الإله الواحد وأنهم - أى الهنود - يرمزون للأقنوم الثالث بصورة حمامة»[١] كالنصارى تماما[٢].

وجاء فى كتاب «الباجافاتا بورانا» وهو من الكتب الهندية المقدسة أن كاهنا توجه إلى الآلهة برهما وفشنو وسيفا سألهم جميعا : أيكم الاله بحق ؟ فأجابه الالهة الثلاثة جميعا قائلين :-

«أعلم أيها الكاهن أنه لايوجد أدنى فارق بيننا نحن الثلاثة. فإن الاله الواحد يظهر بثلاثة أشكال بأعماله من خلق وحفظ وملاشاة*، ولكنه فى حقيقته واحد، فمن يعبد أحد الثلاثة فكأنه عبدها جميعا أو عبد الواحد الأعلى»[٣].

ونظير هذا القول ماجاء فى العهد الجديد على لسان يوحنا (اللاهوتى): «إن الذين يشهدون فى السماء هم ثلاثة : الأب والكلمة والروح القدس وهؤلاء

---

(١) دوان : خرافات التوراة وما يماثلها فى الأديان الأخرى ص ٣٦٦ نقلا عن الأستاذ محمد طاهر التنير / العقائد الوثنية فى الديانة النصرانية ص ٢٠، ٢١ بتصرف

(٢) أنظر انجيل متّى ٣ : ١٦، وانجيل مرقس ١ : ١٠ وانجيل لوقا ٣ : ٢٢ وانجيل يوحنا ١ : ٣٢.

* أطلقت هذه الكلمة على القوة المستترة التى تلاشي الكائنات واحد بعد الآخر وتدمرها. (أنظر محمد فريد وجدى / دائرة معارف القرن العشرين جـ ٢ ص ١٥٥).

(٣) محمد فريد وجدى / دائرة معارف القرن العشرين جـ ٢ ص ١٥٥.

الثلاثة هم واحد»[1].

«وكما نجد عند اليهود ثالوثا - مؤلفا من برهما وفشنو وسيفا ، نجد كذلك عند البوذيين ثالوثا ، فإنهم يقولون : إن بوذا إله له ثلاثة أقانيم. كما يقول الهنود ورمزهم «أ.و.م»[2].

أما عن التثليث عند الصينيين فقد جاء فى كتاب «خرافات التوراة ومايماثلها فى الأديان الأخرى» مانصه :

« وأنصار لاوكومتذا (الفيلسوف الصينى المشهور) وكان قبل المسيح بأربع سنين وستمائة (٦٠٤) يدعون (شيعة تاوو) ويعبدون الها مثلث الأقانيم. وأساس فلسفته اللاهوتية أن (تاوو) وهو العقل الأزلى ، أنبثق منه واحد، ومن هذا الواحد أنبثق ثان ومن الثانى، انبثق ثالث، ومن هذه الثلاثة صدر كل شىء. وهذا القول بالتولد والانبثاق أدهش العلامة موريس، لأن قائله وثني»[3]. أى ليس نصرانيا، حتى يكون القول بالتثليث عقيدة جديدة، ولم يسبق إليها النصارى، بل هى عقيدة قلدوا فيها الوثنيين.

ولقد كان التثليث معروفا أيضا عند المصريين القدماء فقد قامت مدرسة الاسكندرية عقب إنشاء مدينة الاسكندرية سنة (٣٣١ ق.م)، وورثت حضارات مختلفة ، وقام بها علماء مصريون، وساميون، ويونان، ورومان. وعرفت اليهودية طريقها إليها، كما انسابت إليها أفكار وثنية كثيرة، وأصبحت مدينة الاسكندرية بعد الفتح الاغريقى مركزا لحياة مصر الدينية ؛ بل أصبحت مركز

---

(١) رسالة يوحنا الأولى ٥ : ٦-٩.

(٢) محمد طاهر التنير / العقائد الوثنية فى الديانة النصرانية ص ٢٢.

(٣) المرجع السابق ص ٢٤.

الحياة الدينية للعالم الهلليني كافة «فأقام بطليموس الأول معبدا عظيما هو معبد السرابيوم المكّرس لعبادة ثالوث من الآلهة كان يمثّل احدى عمليات اتحاد الآلهة (الثيوكرازيا) مطبقه على الأخص على آلهة بلاد الأغريق ومصر.

وكان هذا الثالوث يتكون من الرب سيرابيس (أوزيريس و أبيس)، والربة ايزس، والرب الطفل حورس. وبطريقة أو بأخرى كانت المطابقة بين أى واحد من هذه الثلاث للرب الواحد .. وكان كل واحد منها هو الآخر، كانت ثلاثة آلهة، ولكنها أيضا إله واحد »(١).

«وقد انتشرت عبادة سيرابيس انتشارا عظيما فى جميع أقطار العالم المتمدين فى القرنين الثالث والثانى قبل الميلاد، ترى فيها أعجب الطلائع والظواهر المؤذنة بعادات وطرق العبادة التى قدر لها أن تتسلط على العالم الأوربى طوال الحقبة المسيحية .... على أن الطقوس والصيغ الاصطلاحية التى اتخذتها المسيحية والتى مابرحت ترتديها إلى يومنا هذا فى كثير من الأقطار، قد نسجت ولا مراء فى عقائد ومعابد جوبيتر سيرابيس وايزيس التى انتشرت عند ذلك من الاسكندرية إلى كافة أصقاع العالم المتمدين فى عصر الثيوكرازيا (اتحاد الآلهة) فى القرنين الثانى والأول قبل الميلاد»(٢). وهؤلاء الثلاثة (الأب والأم والإبن) يمثّلون العائلة الآلهية عند قدماء المصريين.

«وقد استمرت مدرسة الاسكندرية هذه تباشر مكانتها الثقافية حتى ميلاد المسيح، وبعد ميلاد المسيح، ومن أشهر علمائها :

أفلوطين (٢٠٥-٢٧٠) وعلى يده كان تجديد مذهب أفلاطون حتى عرف

---

(١) هـ.ج. ولز / معالم تاريخ الإنسانية جـ٢ ص ٤٦٧.

(٢) المرجع السابق جـ٢ ص ٤٦٩.

مذهب (أفلوطين)[١] بالأفلاطونية الحديثة. وخلاصة مذهب أفلوطين :

أن فى قمة الوجود يوجد «الواحد» أو «الأول» وهو جوهر كامل فياض، وفيضه يحدث شيئا غيره هو «العقل» وهو شبيه به، وهو كذلك مبدأ الوجود، وهو يفيض بدوره، فيحدث صورة منه هى «النفس» وتفيض النفس، فتصدر عنها الكواكب والبشر. أو بعبارة سهلة موجزة : «ثلاثة فى واحد، وواحد فى ثلاثة، الأول، العقل، النفس»[٢].

وقريب منه قول القس (بولس سباط) الذى يطلق على (الله) لفظ العقل المجرد، وعلى عيسى (الأبن) لفظ العقل العاقل، وعلى (الروح القدس) لفظ العقل المعقول[٣].

وجاء فى تاريخ العالم مانصه : «كانت عقيدة التثليث حقيقة أساسية عند (أوغسطين) - الذى نشأ على فلسفة الأفلاطونية الجديدة - وكانت نظرته برمتها إلى الأشياء تقوم على فكرة «الأب الذى تصدر عنه جميع الكائنات ، والإبن الذى منه تكتسب جميع الكائنات حياتها، والروح القدس الذى به ترتّب كل الأشياء ترتيبا متناسقا أكمل تناسق». وليس هذا الا ثالوث الأصل الأول والكلمة «اللوغوس» وروح الكون. وهو الثالوث الذى قالت به الأفلاطونية الجديدة»[٤].

---

(١) فى المرجع «أفلاطون» والصحيح «أفلوطين» حسب سياق الكلام.

(٢) H.G.Wells-Ashort history of the world P. 169.

نقلا عن كتاب الدكتور أحمد شلبى/ المسيحية ص ١٣٢/١٣٣ بتصرف.

(٣) ابراهيم سليمان الجبهان : معاول الهدم والتدمير فى النصرانية وفى التبشير ص ٥٨.

(٤) السيرجون . أ. هامرتن : تاريخ العالم المجلد الرابع ص ٣٦٩/٣٧٠ أشرف على ترجمته العربية / قسم الترجمة بوزارة التربية والتعليم بمصر.

وقد اقتبس المسحيون ثالوثهم من الثالوث المصرى هذا «بسبب قرب المسافة بين موطن الفكر الفرعوني والفكر المسيحى»(١).

«بيد أن نمو النزعة نحو التقشف والنسك جعل القساوسة ذوي الانحرافات الجنسية ينفرون من اشتمال الثالوث الآلهي على امرأة، وأحلوا محلها عضوا غير ملموس هو الروح القدس»(٢).

وكان قسيسو هيكل منفيس بمصر يعبرون عن الثالوث المقدس للمبتدئين بتعليم الدين بقولهم : «ان الأول خلق الثانى، وهما خلقا الثالث، وبذلك تم الثالوث المقدس»(٣).

ولقد اعترف القس (الياس مقار) «بأن المصريين القدماء كانوا يؤمنون بعقيدة التثليث، وأن الهنود كانوا يؤمنون بعقيدة التثليث، وهذا إنما يدل على شيوع هذه العقيدة فى العالم، تلك العقيدة التى جعلت العالم يقبل على النصرانية حينما صاغها اليهود على مثالها؛ لأنها لا تتصادم أساسا مع عقائد آبائهم واجدادهم»(٤).

ومع أعتراف النصارى بأن العالم قديما كان يعرف عقيدة التثليث، فهم يقولون : ان هناك مغايرة تامة بين عقيدة التثليث عندهم، وبين عقيدة التثليث فى

---

(١) د. سامى جبره/ فى رحاب المعبود توت ص ٢٤ نقلا عن الدكتور أحمد شلبى/ المسيحية ص ١٧٣.

(٢) د. عصام الدين حنفى ناصف : المسيح فى مفهوم معاصر ص ٥٦.

(٣) دوان : خرافات التوراة وما يماثلها فى الأديان الأخرى ص ٤٧٣ نقلا عن كتاب الأستاذ محمد طاهر التنير / العقائد الوثنية فى الديانة النصرانية ص ٢٦.

(٤) الدكتور أحمد حجازى السقا : أقانيم النصارى ص ٨٨.

العالم(١).

وقد حاول أحد اليسوعيين أن يفرّق بين الثالوث البرهمي والثالوث المسيحي فقال : ان ثالوث البراهمة وأمثالهم نجس، وثالوث النصارى مقدس»(٢). وهي محاولة غير تامة وغير مجدية.

ويقول الدكتور أحمد حجازى السقا :

«إننا نسلّم بهذه المغايرة؛ لأن الذى يقتبس فكرة غيره ليضع فيها مبادىء دعوته قد لايسلم من أن يضيف شيئا أو ينقص شيئا، ولكننا لانعفيهم من القول : بأن عقيدة التثليث التى كانت منتشرة فى العالم هى التى ذكرتهم حين أرادوا قصر النبوة عليهم أن يجعلوا الاله الواحد الذى أخبر عنه موسى وعيسى، والأبن الذى أخبر عنه داود ، والروح القدس الذى أخبر عنه عيسى، أن يجعلوا الكل الها واحدا»(٣).

هذه لمحة عابرة عن وجود التثليث فى الأمم القديمة وانتقاله إلى العقيدة النصرانية، لم نرد أن نطيل القول بذكر صور التثليث فى جميع الوثنيات، والمذاهب السابقة على النصرانية، فقد اَلّفت فى ذلك الكتب المطولة(٤). وفيما ذكرناه كفاية فى الدلالة على ما أوردناه من التقاء النصارى بالأمم السابقة، وتأثرهم بعقائد تلك الأمم.

---

(١) المرجع السابق ص ٨٧.

(٢) الشيخ محمد رشيد رضا : تفسير المنار جـ ٦ ص ٨٩.

(٣) أقانيم النصارى ص ٨٧، ٨٨.

(٤) من أمثال : العقائد الوثنية فى الديانة النصرانية لمحمد طاهر التنير، وكذلك : تاريخ العالم للسيرجون .أ. هامرتن ومعالم تاريخ الإنسانية هـ.ج. ولز ، وقصة الحضارة : وول ديوَرانت . الخ.

ومن العجيب أن النصارى يعترفون بوجود عقيدة التثليث فى الأمم السابقة، ولكن بعضهم يرى أن وجود هذه العقيدة فى تلك الأمم وفى النصرانية لايدل على تأثر النصرانية لما فى الأمم السابقة كما نقول ، ولكن يدل على فطريتها ووحدة مصدرها فى تلك الديانات جميعا. يقول حبيب سعيد :

«عقيدة التثليث منتشرة فى أهم الأديان الوثنية قديما وحديثا ففى ديانة الفينيقيين نرى أنه كان لكل عاصمة من عواصمهم، ولكل مستعمرة من مستعمراتهم ثالوث. وثالوث المصريين أوزيريس وايزيس وحورس، وثالوث الهنود بوذا وبرهما وفشنو، وعند الصينيين ثالوث يعبرون عنه بمثلث متساوي الأضلاع والزوايا.

هذا الثالوث لم يأخذه المسيحيون عن الوثنيين، غير أن عقيدة الثالوث فى المسيحية وغيرها مستقاه من مصدر واحد، مثل عقيدة وجود اله أو عبادة اله. فليس من أمة بلا معبود أو عبادة. ووجود هذه العقيدة عند غير المسيحيين ليس إلاّ للدلالة على أن مصدرها واحد هو الله نفسه»(١).

والواقع أن هذا كلام غير مسلم به فقد أقمنا فى أول هذا الفصل الأدلة القاطعة على أن المسيحية فى أول أمرها وعلى نحو ماجاء بها المسيح كانت ديانة توحيد. فإذا وجدناها قد انحرفت فيما بعد عن خط التوحيد، وأصبحت ديانة تثليث، ووجدنا أن التثليث فيها يشبه ماكان فى الوثنيات القديمة، فإن ذلك يدل بالضرورة على تأثرها بتلك الوثنيات التى كانت موجودة فى المناطق المجاورة لمهد المسيحية، والتى انتشر منها دعاتها فيما بعد.

ويعترف مؤرخو الحضارة الغربية من المسيحيين أنفسهم بأن رجال

---

(١) أديان العالم ص ٣٠٤، ٣٠٥.

المسيحية الأوائل انحرفوا بالدين، وأدخلوا عليه تلك التصورات الوثنية: وقبلوا كثيرا من مظاهرها، ورأوا أن ذلك أدعى إلى قبول الوثنيين للدخول فى المسيحية. ولاننسى فى هذا دور قسطنطين الامبراطور الوثني.

يقول (داربر الأمريكى) فى كتابه (الدين والعلم): «ودخلت الوثنية والشرك فى النصرانية بتأثير المنافقين الذين تقلدوا وظائف خطيرة ومناصب عالية فى الدولة الرومية بتظاهرهم بالنصرانية، ولم يكونوا يحفلون بأمر الدين، ولم يخلصوا له يوما من الأيام ... وكذلك كان قسطنطين .. فقد قضى عمره فى الظلم والفجور، ولم يتقيّد بأوامر الكنيسة الدينية الاّ قليلا فى آخر عمره (سنة ٣٣٧م).

إن الجماعة النصرانية، وان كانت قد بلغت من القوة بحيث ولّت قسطنطين الملك، لكنها لم تتمكن من أن تقطع دابر الوثنية وتقتلع جرثومتها. وكان نتيجة كفاحها أن اختلطت مبادئها، ونشأ من ذلك دين جديد، تتجلى فيه النصرانية والوثنية سواء بسواء...

وان هذا الامبراطور الذى كان عبدا للدنيا، والذى لم تكن عقائده الدينية تساوي شيئا، رأى لمصلحته الشخصية، ولمصلحة الحزبين المتنافسين - النصراني والوثني - أن يوّحدهما، ويؤلف بينهما، حتى أن النصارى الراسخين أيضا لم ينكروا عليه هذه الخطة. ولعلهم كانوا يعتقدون أن الديانة الجديدة ستزدهر إذا طعّمت ولقّمت بالعقائد الوثنية القديمة! وسيخلص الدين النصرانى عاقبة الأمر من أدناس الوثنية وأرجاسها»[1].

ويقول (برنتن) :

---

(١) نقلا عن أبو الحسن الندوى : ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ص ١٨٥، ١٨٦.

«ان المسيحية الظافرة فى مجمع نيقية - وهى العقيدة الرسمية فى أعظم امبراطورية فى العالم - مخالفة كل المخالفة لمسيحية المسيحيين فى الجليل (أى المسيحية الأولى)، ولو أن المرء اعتبر العهد الجديد التعبير النهائى عن العقيدة المسيحية لخرج من ذلك قطعا، لا بأن مسيحية القرن الرابع تختلف عن المسيحية الأولى فحسب، بل بأن مسيحية القرن الرابع لم تكن مسيحية بتاتا»[1].

وهكذا يتبين لنا بوضوح الجذور التاريخية لعقيدة التثليث فى الديانة النصرانية وأنها ليست عقيدة دينية صحيحة.

٢ - البطلان العقلى لعقيدة التثليث :

ومع ماذكرناه فى هذا الفصل من ابطالات لعقيدة التثليث، ومع ما أوضحنا كذلك من بيان جذورها التاريخية فى الوثنيات القديمة، الأمر الذى انتهى بنا إلى القول - آنفا - بأن هذه العقيدة لاتقوم على أسس دينية صحيحة - ومع ذلك كله فقد وجدنا أن جميع فرق النصارى وكنائسهم قد انتهوا إلى القول بالتثليث، وأنه ركن أساسى من أركان دينهم يجب قبوله كحقيقة لاهوتية، وأنه سمة وعلامة يحملها على جبينه كل داخل إلى ملكوت الله - في زعمهم - وأن كل من لايؤمن به ويعتقده يعتبر مارقا مستحقا للّعن والطرد من رحمة الكنيسة، ومحروم من دخول الفردوس ومن العجيب أنهم مع إيمانهم بهذه العقيدة - رغم بطلانها - يقرّون بأنها فوق طاقة العقل البشري، وفوق إدراكه. وأنه من الصعب عليهم أن يحاولوا فهم هذا الأمر بعقولهم القاصرة، وأن كل ما يمكنهم ايضاحه حول كيفية وجود ذات الله فى ثلاثة أقانيم أن كلا منهم ممتاز

---

(١) نقلا عن : الشيخ محمد قطب : مذاهب فكرية معاصرة ص ١١، ١٢.

عن الآخر فى الأقنومية لا فى الجوهر، فهم جوهر واحد، وطبيعة واحدة، واله واحد، ولكل واحد منهم صفات اللاهوت....

وقد حاول علماؤهم وفلاسفتهم مرارا وتكرارا إيضاح ثالوث الوحدانية هذا فلم يفلحوا، لأن ذلك فوق طاقة عقولهم، وصرحوا بأنه سرّ من الأسرار الالهية يستحيل فهمه وإدراكه، ولايجوز لهم أن يتفلسفوا فى تفكيك هذا السر أو تحليله، أو يلصقوا به أفكار من عندياتهم، وكل من يحاول إدراك هذا السر الثالوثي فهو كمن يحاول أن يضع مياه المحيطات كلها فى كفه. يقول الدكتور دونالديماري:

«لو واجهنا الحقائق بانصاف لتحتم علينا القول بأن عقيدة التثليث لايمكن تفسيرها بل يجب قبولها كحقيقة لاهوتية»(١).

وقد يتكفّل المستقبل بإيضاح سرّ الثالوث هذا وبيانه بواسطة النور الالهي، وذلك يوم الكشف عن البصائر لكل مافى السموات والأرض، أمام الحضرة الآلهية. كما يزعمون»(٢).

وانا لنعجب إذا كان هذا هو حال علمائهم، ورجال الدين منهم فما هو ياترى حال بسطائهم وعامتهم، إذا ماحاولوا أن يفهموا عقائدهم.

وكفى فسادا بعقيدة يؤدى اعتقادها إلى المحال باعتراف أصحابها.

والواقع أن هناك فرقا بين مايحكم العقل باستحالته كالتثليث، وبين مالا

---

(١) مدخل فى علم اللاهوت (عقائد أساسية) ص ٣٢.

(٢) أنظر علم اللاهوت النظامى / (المؤلف مجمهول الاسم) جـ١ ص ٣٠١.

وكذلك / القس موسى وهبة مينا : بالحقيقة نؤمن باله واحد جـ١ ص ٧.

يستطيع العقل إدراكه، وعقيدة التثليث مما أثبت العقل تناقضها مع الحسّ والمنطق.هذا التناقض الذى يبدو فيما يأتى:

أولا : يبدو تناقضهم واضحا بين ما أثبتوه فى أمانتهم، وبين مايعتقدونه، حيث اتفقوا على أن الأب والإبن وروح القدس اله واحد. أى أن الباري جوهر واحد ثلاثة أقانيم. بينما الأمانة التى اتفقوا عليها أوضحوا فيها أن ذات الإبن غير ذات الأب وهما معا غير الروح القدس. وبذلك خالفوا مايعتقدونه من أنهم اله واحد فى ثلاثة أقانيم، وتناقضوا، حيث جعلوا جوهر البدن شيئا معبودا وليس من الثلاثة، فأثبتوا بذلك تربيعا لا تثليثا. وفى ذلك يقول أبو عبيدة الخزرجي مخاطبا النصارى :

«قد اتفقتم على أن أقانيم : الأب والإبن والروح القدس غير مختلفة، بل هي أقنوم ،احد، فإذا كان هذا فالأب هو الإبن وهما مع الروح القدس الكل شيء واحد. وقلتم : وهذا توحيد.

فلم خصصتم المسيح بالإبن ولم تقولوا هو الأب، وقد قلتم : ان الأب والإبن والروح القدس شيء واحد؟ ثم جعلتم جوهر البدن شيئا معبودا وليس من الثلاثة، فهؤلاء اذن أربعة، وقد بطل التثليث وصار تربيعا، فإن أبيتم إلاّ ثلاثة فقد جعلتم نفي العدد واثباته سواء وكابرتم العقول»[1].

وبنفس الرأى يورد ابن كمونة* - على لسان مخالفي النصارى - بطلانا

---

(١) مقاطع الصلبان ص ٨٦ تحقيق وتقديم عبد المجيد الشرفي.

* ابن كمونة هو : سعد بن منصور بن كمونة (١٢١٥-١٢٨٥) بغدادى، من المدافعين عن اليهودية ضد خصومها اليهود الذين دخلوا في الإسلام. أنكر نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فهاجم المسلمون داره فى بغداد عقب صلاة الجمعة ليقتلوه لكنه تمكن من الهرب. أنظر الدكتور عبد المنعم الحفنى: الموسوعة النقدية للفلسة اليهودية ص ٢٤/٢٥.

عقليا على التثليث فيقول : «لمخالفي النصارى أن يقولوا : إن هذه الأقانيم التى ذكرتموها، إن كان مرادكم بها ذوات ثلاثة قائمة بأنفسها فبرهان الوحدانية يبطله، وهو أيضا على خلاف معتقدكم فى التوحيد. وان كان مقصودكم أنها صفات، أو أحدها ذات والباقيتان صفتان، فهلاّ جعلتم صفة القدرة أقنوما رابعا؟ وكذا سائر مايوصف به الله تعالى أقانيم؟ فإن قالوا : قدرته هى علمه، قلنا : وحياته أيضا هى علمه، فلم أفردتموها أقنوما؟

.... ولو كان المراد بقولكم : «ان الباري سبحانه جوهر واحد ثلاثة أقانيم»: أنه ذات عالمة حية، أو ذات عاقلة لنفسها، وذات معقولة لها، فما قلتموه فى أمانتكم التى اتفقتم عليها ينافي ذلك، فإن فيها تحقيقا أن الإبن ذات غير ذات الأب، وأن ذات الإبن هى التى نزلت وصعدت دون الأب. فجميع مذاهبكم باطلة»(١).

ثانيا : يتناقض النصارى فى عقيدة التثليث، إذ يقصرون الصفات الالهية على أثنين (الحياة والنطق)، وان الباري تعالى ذات حية ناطقة، وان الحياة والنطق وان كانا غيره فى الشخصية فهما هو فى الجوهرية. فنقول لهم :

«اذا كان الحيى له حياة ونطق، فأخبرونا عنه، أتقولون : أنه قادر عزيز، أم عاجز ذليل؟ فإن قلتم : لا ، بل هو قادر عزيز ، قلنا : فأثبتوا له قدرة وعزة، كما أثبتّم له حياة وحكمة.

فان قلتم : لايلزمنا ذلك؛ لأنه قادر بنفسه، عزيز بنفسه. قلنا لكم : وكذلك

---

(١) سعد بن منصور بن كمونة اليهودى : تنقيح الأبحاث فى الملل الثلاث ص ٥٤، ٥٦.

فقولوا : إنه حي بنفسه، وناطق بنفسه، ولابدّ لكم مع ذلك من إبطال التثليث، أو إثبات التخميس، وإلا فما الفرق، وهيهات من فرق»[1].

ثالثا : يدّعي النصارى أن العدد ثلاثة هو أكمل الأعداد، لجمعه بين الزوج والفرد، لذا صاروا إلى القول بالتثليث دون غيره من الأعداد. وهو من سفه القول الذى اعتادوا عليه، وذلك لأن:

أ- «البارى لا يوصف بكمال ولا تمام من باب الاضافة؛ لأن ذلك لايقع إلا على مافيه نقص.

ب - ولأن قولهم أن الثلاثة هى أكمل الأعداد مناقض لقولهم : أن الثلاثة واحد، والواحد ثلاثة، لأن الثلاثة التى تجمع الزوج والفرد ليست الفرد الذى هو فيها، (وهى جامعة له ولغيره، بل ولا هى بعض ، فالكل ليس هو الجزء، والجزء ليس هو الكل، والفرد جزء للثلاثة، والثلاثة كل للفرد وللزوج معا. فالفرد غير الثلاثة، والثلاثة غير الفرد، والعدد مركّب من واحد يراد به الفرد وواحد كذلك وواحد كذلك إلى نهاية العدد المنطوق به. فالعدد ليس الواحد، والواحد ليس هو العدد، لكن العدد مركّب من الآحاد التى هى الأفراد، وهكذا كل مركّب من أجزاء، فذلك المركب ليس هو جزءا من أجزائه كالكلام الذى هو مركّب من حرف وحرف حتى يقوم المعنى المعبرّ عنه، فالكلام ليس هو الحرف، والحرف ليس هو الكلام.

---

(١) أنظر ابن تيمية : الجواب الصحيح جـ٢ ص ٣٥٢/٣٥٣. والقائل هو الحسن ابن أيوب. وهو عالم مسيحى، أسلم على بصيرة بعد أن خَبر كتب المسلمين ومقالاتهم، وقد أرسل إليه أخوه على بن أيوب رسالة يسأله فيها عن سبب إسلامه، فردّ عليه برسالة يبيّن له فيها ذلك، ويذكر الأدلة على بطلان دين النصارى، وصحة دين الإسلام، وقد نقل ابن تيمية نص رسالته فى كتابه الجواب الصحيح جـ٢ من ص ٣١٣ إلى ٣٦٠.

جـ - ولأن كل عدد بعد الثلاثة فهو أتّم من الثلاثة ، لأنه يجمع اما زوجا وزوجا، واما زوجا وزوجا وفردا، واما أكثر من ذلك.

وبالضرورة يعلم أن ماجمع أكثر من زوج فهو أتم وأكمل مما لم يجمع الاّ زوجا وفردا فقط.

فيلزمهم أن يقولوا : ان ربهم أعداد لا تتناهى، أو أنه أكثر الأعداد، وهذا أيضا ممتنع ومحال لو قالوه.

ثم ان الزوج والفرد نجده فى الأثنين ، لأن الاثنين عدد يجمع فردا وفرداً، وهو زوج مع ذلك، فيلزمه أن يجعل ربه اثنين.

د - ولأن كل عدد فهو محدث، وكذلك كل معدود يقع عليه عدد فهو أيضا محدث والمعدود لم يوجد قط الاّ فى ذى عدد، والعدد لم يوجد قط الاّ فى معدود، والواحد ليس عددا»[1].

رابعا: يتناقض النصارى فى جمعهم بين التوحيد والتثليث، وحملهم إياهما على المعنى الحقيقى. وذلك سفسطة محضة، لأنه إذا وجد التثليث الحقيقي وجدت الكثرة الحقيقة، ومع وجودهما يختفي التوحيد الحقيقي، والألزام اجتماع النقيضين، واجتماع النقيضين محال.

فقائل التثليث لايكون موحدا لله تعالى توحيدا حقيقيا ،وذلك لأن التثليث الحقيقي ممتنع في ذات الله تعالى.

وكيف وان الواحد الحقيقي ليس له ثلث صحيح، والثلاثة لها ثلث صحيح،

---

(١) ابن حزم / الفصل فى الملل والأهواء والنحل/ المجلد الأول جـ١ ص ٥٢، ٥٣.

وهو الواحد، وان الثلاثة مجموع آحاد ثلاثة، والواحد الحقيقي ليس مجموع آحاد رأساً، وان الواحد الحقيقي جزء الثلاثة، فلو اجتمعا فى محل يلزم كون الجزء كلاً، والكل جزءا ، وان هذا الاجتماع يستلزم كون الله مركّبا من أجزاء غير متناهية بالفعل لاتحاد حقيقة الكل والجزء على التقدير، والكل مركب، فكل جزء من أجزائه أيضا مركب من الأجزاء التي تكون عين هذا الجزء ... وهلم جراً.

وكن الشيء مركّبا من أجزاء غير متناهية بالفعل باطل قطعا، وان هذا الاجتماع يستلزم كون الواحد ثلث نفسه، وكون الثلاثة ثلاثة أمثال نفسها، والواحد ثلاثة أمثال الثالثة، وهو محال.

ثم إنه لو وجد فى ذات الله ثلاثة أقانيم ممتازة بامتياز حقيقيّ - كما قالوا - فمع قطع النظر عن تعدد الموجبات يلزم أن لايكون لله حقيقة محصلة، بل يكون مركّبا اعتباريا ، فإن التركيب الحقيقى لابدّ فيه من الافتقار بين الأجزاء، فإن الحجر الموضوع بجنب الإنسان لايحصل منهما أحدية، ولا افتقار بين الواجبات؛ لأنه من خواص الممكنات ، فالواجب لا يفتقر إلى الغير، وكل جزء منفصل عن الآخر وغيره وان كان داخلا فى المجموع، فإذا لم تفتقر بعض الأجزاء إلى بعض آخر لم تتألف منها الذات الأحدية، على أن يكون الله فى الصورة المذكورة مركّبا، وكل مركب يفتقر فى تحققه إلى تحقق كل واحد من أجزائه، والجزء غير الكل بالبداهة. فكل مركّب مفتقر إلى غيره، وكل مفتقر إلى غيره ممكن لذاته، فيلزم أن يكون الله ممكنا لذاته، وهذا باطل.

وعلى ذلك إذا اثبت الامتياز الحقيقي بين الأقانيم، فالأمر الذى حصل به هذا الامتياز إما أن يكون من صفات الكمال أولا يكون، فعلى الشقّ الأول لم يكن جميع صفات الكمال مشتركا فيه بينهم، وهو خلاف ماتقرر عندهم أن كل

أقنوم من هذه الأقانيم متصف بجميع صفات الكمال، وعلى الشقّ الثانى فالموصوف به يكون موصوفا بصفة ليست من صفات الكمال، وهذا نقصان يجب تنزيه الله عنه.

ولو كانت الأقانيم الثلاثة ممتازة بامتياز حقيقي وجب أن يكون المميز غير الوجوب الذاتي، لأنه مشترك بينهم، ومابه الاشتراك غير مابه الامتياز فيكون كل واحد منهم مركبا من جزأين، وكل مركّب ممكن لذاته، فيلزم أن يكون كل واحد منهم ممكنا لذاته»[1].

و «اذا علمت بالبراهين العقلية القطعية أن التثليث الحقيقي ممتنع فى ذات الله، فلو وجد قول من الأقوال المسيحية دالاً بحسب الظاهر على التثليث يجب تأويله؛ لأنه لايخلو امّا أن نعمل بكل واحد من دلالة البرهين ودلالة النقول. امّا أن نتركهما، وامّا أن نرجّح النقل على العقل، وامّا أن نرجح العقل على النقل. والأول باطل قطعا، والاّ يلزم كون الشيء الواحد ممتنعا، وغير ممتنع فى نفس الأمر. والثاني أيضا محال، والاّ يلزم ارتفاع النقيضين. والثالث أيضا لايجوز؛ لأن العقل أصل النقل، فإن ثبوت النقل موقوف على وجود الصانع وعلمه وقدرته وكونه مرسلا للرسل ... فالقدح فى العقل قدح فى العقل والنقل معا، فلم يبق إلاّ أن نقطع بصحة العقل، ونشتغل بتأويل النقل، والتأويل عند أهل الكتاب ليس بنادر ولا قليل»[2].

وهكذا يتضح لنا بطلان عقيدة التثليث عقلا بما تستلزمه من هذه المحالات والنقائض، كما اتضح بطلانها نقلا بفساد الأدلة التى استند إليها

---

(١) الشيخ رحمة الله الهندى : اظهار الحق جـ١ ص ٥٨٣/٥٨٦.

(٢) الشيخ رحمة الله الهندى : اظهار الحق جـ١ ص ٥٩٠/٥٩١.

أصحابها فيها. وكان على أصحاب هذه العقيدة الاّ يلغوا عقولهم أمام دعوى الإيمان والتسليم. فالعقيدة التى لا تكون عن اقتناع وفهم لاتكون لها قيمتها الدينية، ولايكون لها تأثيرها فى حياة صاحبها.

والدين الصحيح يوجّه خطابه إلى الكيان الإنسانى كله بعقله ووجدانه، فليس هو مجرد مشاعر ذاتية ينفعل بها وجدان المرء ، ولكنه أيضا حقائق معقولة يدركها فكره.

وهكذا فإننا نجد الخطاب القرآنى فى أمر العقيدة يتوجّه إلى عقول المؤمنين وقلوبهم. يتوجه إلى عقولهم بالاقناع والدليل، حيث يطالب المخالفين له بالبرهان على صحة عقائدهم {قل هاتوا برهانكم أن كنتم صادقين}[(١)]، ويندد بتقليدهم لآبائهم فى تلك العقائد {أو لو كان آباؤهم لايعقلون شيئا ولا يهتدون}[(٢)]، ويهيب بهم قائلا : {قل إنما أعظمكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ..}[(٣)] الآية، ويتوّج عرضه للعقائد التى يدعو الناس إلى الايمان بها بقول الله لهم : {ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون}[(٤)]، {ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون}[(٥)]، ولايسمح أن يكون الايمان بعقائدهم وليد تسلط فكرى {لا اكراه فى الدين قد تبيّن الرشد من الغيّ}[(٦)].

ومع ذلك كله، فإن خطاب الوجدان البشري له مكانه فى القرآن الكريم

---

(١) سورة البقرة / آية ١١١.

(٢) سورة البقرة / آية ١٧٠.

(٣) سورة سبأ / آية ٤٦.

(٤) سورة الرعد / آية ٤.

(٥) سورة الرعد / آية ٣.

(٦) سورة البقرة / آية ٢٥٦.

ليحرك المشاعر حتى تنفعل بهذه العقائد التى يقنع بها العقول والقلوب معا.

أمّا أن يأتي رجال الدين فى النصرانية المحرّفة ليبتدعوا عقيدة التثليث بكل ما تتضمنه من محالات، ونقائض عقلية، ويطالبوا الناس - مع تسليمهم باستحالة فهمها - بالإيمان بها دون محاولة لتعقّلها، فذلك مسلك لايتفق مع الدين ولا مع المنطق السليم.

٣ - دلالة الكتاب المقدس على التوحيد :

وهذا كتاب المسيحيين - المقدس - بعهديه القديم والجديد، رغم ما اعتراه من تحريف، وتبديل - كما رأينا ، وأثبتنا - فليس كثير من نصوصه غير دال على التثليث إذا فهم على وجهه الصحيح فقط، بل هو مليء - كما بيّنا من قبل* - بالنصوص التى تدل على وحدانية الله تعالى، وتنزّهه عن مشابهة مخلوقاته. وقد أبقى الله فيه عقيدة التوحيد خالصة كما جاءت على لسان موسى وعيسى - عليهما السلام - لتكون حجة على النصارى، وخزياً لهم ، يوم تبيضّ وجوه، وتسودّ وجوه.

وسنذكر هنا بعض النصوص من أسفار العهد القديم، ونثنّيها بالنصوص من أسفار العهد الجديد، وكلها ناطقة بالتوحيد الخالص لله تعالى، ونفي الشبيه عنه. من ذلك ماجاء فى سفر التثنية على لسان موسى - عليه السلام من قوله :

«الرب هو الاله في السماء من فوق ، وعلى الأرض من أسفل، ليس سواه»[١].

---

* أنظر ص ٥٢٤ من هذه الرسالة.

(١) ٤٠ : ٣٩.

كما يسجل لنا السفر نفسه، العظات الأخيرة، التى ألقاها موسى عليه السلام في أواخر حياته. ومما جاء في تلك العظات :

«اسمع يااسرائيل، الرب الهنا ربّ واحد، فتحب الرب الهك من كل قلبك، ومن كل نفسك، ومن كل قوتك»(١).

وجاء على لسان (نحميا) النبي مخاطبا الله تعالى بقوله:

«أنت هو الرب وحدك» (٢).

– ويخاطب داود ربّ العزة والجلالة بقوله؛ لأنك عظيم أنت وصانع عجايب أنت الله وحدك»(٣).

ويناجي (أرميا) ربّه قائلا :

«لامثل لك ياربّ، عظيم أنت، وعظيم اسمك فى الجبروت»(٤).

أما (حزقيال) فيقول : «أنت هو الاله وحدك لكل ممالك الأرض، أنت صنعت السماء والأرض»(٥).

ويقرر (ملاخي) النبي أن الاله الخالق واحد فيقول : «أليس اله واحد خلقنا»(٦).

---

(١) ٦ : ٤ وأنظر السفر نفسه ٦ : ١٣–١٥، وكذلك سفر الخروج ١٤:٣٤.

(٢) سفر نحميا ٩ : ٦.

(٣) مزمور ٨٦ : ١٠.

(٤) سفر أرمياء ١٠ : ٦.

(٥) سفر أشعياء ٣٧ : ١٦.

(٦) سفر ملاخي ٢ : ١٠.

وجاء في سفر أشعياء قول الله تعالى عن نفسه مبينا للناس وحدانيته وأزليته فيقول : «أنا الأول، وأنا الآخر، ولا اله غيرى»[1].

وجاء فيه أيضا : «انى أنا الله وليس غيرى اله، وليس لى شبه»[2].

وإذا تركنا أسفار العهد القديم جانبا، بعد أن أوردنا قليلا من كثير مما يدل فيها على وحدانية الله تعالى، نعرّج على الأناجيل، ورسائل الرسل، ورغم مافيها من تحريف، بل تبديل، فإننا نجد فيها أيضا مايؤكد وحدانية الله تعالى، الأمر الذى يثبت لنا بالضرورة أن الديانة المسيحية الصحيحة ماهى الاّ دعوة إلى الوحدانية، وحدانية الله التى هى عماد كل دعوة سماوية، وأساس كل دين الهي. من تلك النصوص مارواه (متّى) عن عيسى - عليه السلام - من قوله :

«ان أباكم واحد فى السموات»[3].

وماجاء فى مرقس على لسان المسيح من قوله: «الرب الهنا اله واحد، وليس آخر سواه»[4].

وماورد فى مرقس أيضا على لسان يسوع رداً على سؤال سائل له : أية وصية هى أول الوصايا التى ينبغي للمرء أن يسير عليها، ويستنير بها، فأجاب يسوع :

«إن أول كل الوصايا هى : اسمع يا اسرائيل الرب الهنا رب واحد».

---

(١) ٢٤ : ٦.

(٢) ٤٠ : ١٨ وأنظر كذلك السفر نفسه ٤٥:٢١، ٢٢.

(٣) ٢٣ : ٨.

(٤) ١٢ : ٣٠-٣١.

وكأن السائل قد استحسن الجواب من عيسى - عليه السلام - فردّ عليه معبّرا عن هذا الاستحسان، ومؤكدا وحدانية الله تعالى ، حيث قال :

«جيدا يامعلم، بالحق قلت؛ لأنه الله واحد، ولس آخر سواه»(١).

والحدث ذاته يتكرر فى انجيلى (متّى) و (لوقا)(٢)، حيث يؤكد فيهما المسيح - عليه السلام - أن مدار نجاة العبد هو توحيد الله وعبادته سبحانه، وافراده بتلك العبادة.

كما وان المسيح - عليه السلام - قد ردّ على ابليس - اللعين - حين حاول غوايته، طالبا منه السجود لغير الله والاشراك به، - ردّ عليه بقوله :

«قد كتب : للرب الهك تسجد ، واياه وحده تعبد»(٣).

ويناجي المسيح - عليه السلام - ربه قائلا :

«هذه هى الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الاله الحقيقي وحدك»(٤).

وفى الانجيل أيضا على لسان عيسى - عليه السلام -:

«لاتدعوا لكم أبا على الأرض؛ لأن أباكم واحد الذى فى السموات»(٥).

هذه هى رسالة المسيح الحقّة، وهذه هى الديانة المسيحية المنزّلة من لدن

---

(١) ١٢ : ٢٩، ٣٢.

(٢) أنظر انجيل متّى ٢٢: ٣٥-٣٧ وأنظر انجيل لوقا ١٠: ٢٥-٢٨.

(٣) أنظر انجيل متّى ٤ : ١٠ ، وانجيل لوقا ٤ : ٩.

(٤) أنظر انجيل يوحنا ١٧ : ٢.

(٥) انجيل متّى ٢٣ : ٩.

العلي القدير، وهى تدعو إلى وحدانية الله، وتقديسه، وتنزيهه عن مشابهة مخلوقاته وافراده، وعدم إشراك أحد معه فى العبادة، ووصفه بكل صفات الصلاح والكمال. لا يشركه فيها رسول أو ملاك.

وكان على النصارى ألاّ يناقضوا أنفسهم، فيجمعوا فى كتبهم بين هذه النصوص الدالة على التوحيد، والنصوص الأخرى الدالة على التثليث، فذلك تناقض غير مفهوم فى منطق الايمان، إذ كيف يجمعون بين الايمان بصحة بعض النصوص، والايمان بصحة نصوص أخرى، تثبت نقيض ما أثبتته الأولى.

وكان عليهم كذلك أن يفهموا النصوص المتضمنه لوصف الله بالأبوة، ووصف المسيح بالبنوة، والمتضمنة كذلك لأوصاف الروح القدس – مما يستشهدون به على التثليث – كان عليهم أن يفهموا هذه النصوص على ضوء دلالة النصوص الأخرى على التوحيد. وبهذا يؤمنون بالكتاب كله، ويجمعون بين دلالات نصوصه دون تناقض. ولو فعلوا ذلك لما انحرفوا بالنصرانية من طريق التوحيد الصحيح، إلى طريق التثليث الباطل.

٤ – إبطال القرآن الكريم لعقيدة التثليث :

قدّمنا إبطال ابن تيمية لعقيدة التثليث وهو يسير فيه مع هدى القرآن الكريم، حيث أبطل القرآن تلك العقيدة فى العديد من آياته كقوله تعالى :

{ياأهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم ولا تقولوا على الله الاّ الحق، إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيرا لكم، إنما الله اله واحد، سبحانه أن

يكون له ولد له مافى السموات ومافى الأرض، وكفى بالله وكيلا}[1].

يقول الرازى - عند تفسيره لقوله تعالى : {ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيرا لكم}:

«المعنى : ولا تقولوا - والخطاب للنصارى - إن الله سبحانه واحد بالجوهر ثلاثة بالأقانيم، أو لا تقولوا آلهتنا ثلاثة، وذلك لأن القرآن يدل على أن النصارى يقولون : إن الله والمسيح ومريم ثلاثة آلهة، والدليل عليه قوله تعالى : {أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى الهين من دون الله}.

قال الفراء : ولا تقولوا هم ثلاثة كقوله : {سيقولون ثلاثة}، وذلك لأن ذكر عيسى ومريم مع الله تعالى بهذه العبارة يوهم كونهما آلهين.

ثم يقول : «واعلم أن مذهب النصارى مجهول جدا، والذى يتحصل منه أنهم أثبتوا ذاتا موصوفه بصفات ثلاثة ، إلاّ أنهم وان سموها صفات فهى فى الحقيقة ذوات، بدليل أنهم يجوّزون عليها الحلول فى عيسى وفى مريم بأنفسها، والاّ لما جوزوا أن تحلّ في الغير، وأن تفارق ذلك الغير مرة أخرى، فهم وان كانوا يسمونها بالصفات إلاّ أنهم في الحقيقة يثبتون ذوات متعددة، قائمة بأنفسها، وذلك محض الكفر. فلهذا قال تعالى : {ولا تقولوا ثلاثة انتهوا}.

ثم أكّد التوحيد بقوله : {إنما الله اله واحد}، ثم نزّه نفسه عن الولد بقوله : {سبحانه أن يكون له ولد} أى سبحانه مايكون له ولد.

ثم قال تعالى : {له مافى السموات وما في الأرض}.

---

(١) سورة النساء / آية ١٧١.

واعلم أنّه سبحانه في كل موضع نزّه نفسه عن الولد، ذكر كونه ملكاً ومالكا لما في السموات والأرض، فقال في سورة مريم : {ان كلّ من في السموات والأرض الاّ آتى الرحمن عبدا}[1].

والمعنى : من كان مالكا لكل السموات والأرض، ولكل ما فيهما كان مالكا لعيسى ولمريم - عليهما السلام - لأنهما كانا في السموات والأرض، وماكانا أعظم من غيرهما في الذات والصفات. وإذا كان مالكا لما هو أعظم منهما فبأن يكون مالكا لهما أولى ، وإذا كانا مملوكين له، فكيف يعقل مع هذا توهّم كونهما له ولداً، وزوجة. ثم قال {وكفى بالله وكيلا}. والمعنى أنّ الله سبحانه كاف في تدبير المخلوقات، وفى حفظ المحدثات، فلا حاجة معه إلى القول باثبات اله آخر وهو اشارة إلى ما يذكره المتكلمون من أنه سبحانه لما كان عالما بجميع المعلومات ، قادرا على كل المقدورات، كان كافيا فى الالهية، ولوفرضنا الها آخر معه لكان معطلا لافائدة منه، وذلك نقص ، والناقص لايكون الها.

وبالجملة فلا نرى مذهبا فى الدنيا أشد ركالة وبعداً عن العقل من مذهب النصارى»[2].

وقال تعالى أيضا فى إبطال عقيدة التثليث: {لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة، وما من اله الا اله واحد وان لم ينتهوا عما يقولون ليمسّن الذين كفروا منهم عذاب أليم}[3].

---

(١) آيـــــــــة ٩٣.

(٢) التفسير الكبير المجلد السادس جـ١١ ص ١١٨-١١٩ بتصرف.
وأنظر كذلك تفسير البيضاوى ص ١٤٢.
وأنظر كذلك تفسير ابن كثير جـ٢ ص ٨١.

(٣) سورة المائدة / آية ٧٣.

يقول الرازى : «في تفسير قول النصارى (ثالث ثلاثة) طريقان :

الطريق الأول : قول بعض المفسرين، وهو أنهم أرادوا بذلك أن الله تعالى ومريم[1] وعيسى آلهة ثلاثة، والذى يؤكد ذلك قوله تعالى للمسيح : {أأنت قلت للناس أتخذوني وأمى آلهين من دون الله}. فقوله : (ثالث ثلاثة)، أى أحد ثلاثة آلهة، أو واحد من ثلاثة آلهة. والدليل على أن المراد ذلك قوله تعالى فى الرد عليهم : {وما من اله الاّ اله واحد}. وعلى هذا التقدير ففي الآية اضمار إلاّ أنه حذف ذكر الآلهة؛ لأن ذلك معلوم من مذاهبهم.

الطريق الثانى: ان المتكلمين حكوا عن النصارى أنهم يقولون : جوهر واحد، ثلاثة أقانيم : «أب وابن وروح القدس»، وهذه الثلاثة اله واحد، كما أن الشمس اسم يتناول القرص والشعاع والحرارة.

وعنوا بالأب : الذات ، وبالإبن : الكلمة ، وبالروح : الحياة وأثبتوا الذات والكلمة والحياة، وقالوا : إن الكلمة التى هى كلام الله اختلطت بجسد عيسى اختلاط الماء بالخمر، واختلاط الماء باللبن. وزعموا : أن الأب اله ، والإبن اله ،

---

(١) الاعتقاد بألوهية مريم كواحد من الآلهة الثلاثة هو رأى بعض النصارى، وقد حكى الطبري أن ذلك كان قول النصارى قبل أن يفترقوا إلى فرق تقول بالأقانيم الثلاثة «الأب والإبن والروح القدس».
أنظر ابن جرير الطبري فى تفسيره المجلد الرابع جـ ٦ ص ٢٠٢.
ويقول شيخ الاسلام ابن تيمية:
«ومنهم – أى النصارى – من يجعل مريم الها مع الله، كما جعل المسيح الها . فإن قالوا بذلك، جعلوا لله صاحبة وولدا، وجعلوا المسيح بن مريم وأمه الهين من دون الله، كما فعل ذلك من فعله منهم. فإنهم يعبدون مريم، ويدعونها بما يدعون به الله سبحانه والمسيح، ويجعلونها الها كما يجعلون المسيح الها، فيقولون : ياوالدة الاله، اغفرى لنا وارحمينا ... ونحو ذلك فيطلبون منها مايطلبونه من الله عز وجل. «أنظر الجواب الصحيح جـ٣ ص ١٩٣.

والروح اله ، والكل اله واحد.

واعلم أن هذا معلوم البطلان ببديهة العقل، فإن الثلاثة لاتكون واحدا، والواحد لايكون ثلاثة، ولايرى فى الدنيا مقالة أشد فسادا، وأظهر بطلانا من مقالة النصارى»(١).

ويقول القرطبى: «قوله : {لقد كفر الذين قالوا : إن الله ثالث ثلاثة} أى أحد ثلاثة. وهذا قول فرق النصارى من الملكية والنسطورية واليعقوبية، لأنهم يقولون : أب وابن وروح القدس، اله واحد، ولا يقولون ثلاثة آلهة وهو معنى مذهبهم ، وإنما يمتنعون من العبارة وهى لازمة لهم. وماكان هكذا صح أن يحكى بالعبارة اللازمة، وذلك أنهم يقولون : أن الإبن اله ، والأب اله، وروح القدس اله. فأكفرهم الله بقولهم هذا، وقوله : {ومامن اله إلاّ اله واحد} أى أن الاله لا يتعدد. وقوله تعالى : {وان لم ينتهوا} أى يكفوا عن القول بالتثليث ليمسنهم عذاب أليم فى الدنيا والآخرة(٢).

وقال البيضاوى : {لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة} ، أى أحد ثلاثة وهو حكاية عمّا قاله النسطورية والملكانية منهم القائلون بالأقانيم الثلاثة وماسبق قول اليعقوبية القائلين بالاتحاد. {ومامن اله الاّ اله واحد} ومافى الوجود ذات واجب مستحق للعبادة – من حيث إنه مبدأ جميع الموجودات – إلاّ اله واحد، موصوف بالوحدانية متعال عن قبول الشركة. (ومِنْ) زائدة للاستغراق . (وان لم ينتهوا عما يقولون) ولم يوحّدوا، (ليمسّن الذين) بقوا منهم على الكفر، العذاب والنكال»(٣).

---

(١) التفسير الكبير المجلد السادس جـ١٢ ص ٦٤.

(٢) الجامع لأحكام القرآن جـ ٦ ص ٢٤٩/٢٥٠.

(٣) أنظر تفسير القرآن الحكيم (تفسير البيضاوى) ص ١٥٦.

أما الشيخ محمد رشيد رضا فيقول - عند تفسيره لهذه الآية -:

«أكّد تعالى بالقسم أيضا كفر الذين قالوا : ان الله الذى هو خالق السموات والأرض ، ومابينهما ، ثالث أقانيم ثلاثة، وهى «الأب والإبن وروح القدس».

قال ابن جرير : وهذا قول كان عليه جماهير النصارى قبل افتراق اليعقوبية والملكانية والنسطورية. كانوا فيما بلغنا يقولون :

الاله القديم جوهر واحد، يعمّ ثلاثة أقانيم : أبا والدا غير مولود، وابناً مولوداً غير والد، وزوجا متتبعة بينهما. أ.هـ[1].

أما النصارى المتأخرون فالذى نعرفه منهم وعنهم أنهم يقولون بالثلاثة الأقانيم ، وبأن كل واحد منها عين الآخر. فالأب عين الإبن، وعين روح القدس. ولما كان المسيح هو الإبن، كان عين الأب ، وروح القدس أيضا.

قال تعالى رداً عليهم : {ومامن إله الاّ إله واحد} أى قالوا قولهم هذا بلا رويّة ولا بصيرة. والحال أنه ليس فى الوجود ثلاثة آلهة، ولا أثنان، ولا أكثر من ذلك - لايوجد إلاّ اله واحد، متصف بالوحدانية،. وهو الله الذى لا تركيب فى ذاته ولا تعدد. وهذه العبارة أشد تاكيدا لنفي تعدد الاله من عبارة : لا إله إلاّ إله واحد؛ لأن (مِنْ) بعد (ما) تفيد استغراق النفي، وشموله لكل نوع من أنواع المتعدد، وكل فرد من أفراده. فليس ثَم تعدد ذوات وأعيان، ولا تعدد أجناس وأنواع، ولا تعدد جزئيات أو أجزاء»[2].

هذا هو إبطال القرآن لعقيدة التثليث، ومن العجيب بعد هذه الأدلة الدالة

---

(١) جامع البيان في تفسير القرآن، المجلد ٤ جـ ٦ ص ٢٠٢.

(٢) تفسير المنار : جـ ٦ ص ٤٨٣/٤٨٤.

على تكفيرهم، وبعد التوضيح لحكم القرآن على إبطال التثليث أن نجد بعض المسيحيين يتشدق ويدفعه الغي والمكابرة إلى الزعم بأن هذا التثليث الذى يتمسكون به كعقيدة جوهرية أساسية فى ديانتهم المحرّفة - يزعمون أنه موجود فى القرآن، ويحاولون أن يستدلوا على ذلك بأدلة يتعسفون فى تأويلها تعسّفا يفضي بهم إلى الحضيض يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار.

ونرى واحداً من هؤلاء المتشدقين وهو القمص باسيلوس* اسحاق يذكر شدة الشبه بين البسملة الإسلامية (بسم الله الرحمن الرحيم) ، بالبسملة المسيحية «بسم الأب والإبن والروح القدس» فيقول :

«ان البسملة الإسلامية وهى : بسم الله الرحمن الرحيم، تؤيدّ التثليث فالله هو الأب، والرحمن هو الإبن ، والرحيم هو الروح القدس»(١).

ويشاركه فى هذا الرأى المؤرخ المسيحى / حبيب سعيد(٢).

وهو ادعاء باطل؛ لأن لفظ الجلالة (الله) علم على الذات الالهية والرحمن والرحيم صفتان له.

ويتولّى الشيخ القرافي فى أجوبته الرد على هذا المدعي ، وعلى أمثاله فيقول : «وأما مافي القرآن من بسم الله الرحمن الرحيم، فتفسيركم له غلط

---

* (٣٣٠-٣٧٩) أحد آباء الكنيسة اليونانية المشهورين، مطران قيصرية الجديدة من أعمال كبادوكيا، كتب معظم، القانون المطول والمختصر لرهبنه الباسليين. أسهم فى معارضة الآريوسية، وتوطيد دعائم الأرثوذكسية.

أنظر : محمد شفيق غربال / الموسوعة العربية الميسرة ص ٣١٢.

(١) كتاب الحق ص ١٢٢ ومابعدها نقلا عن / محمد مجدى مرجان / الله واحد أم ثالوث ص ٥٣.

(٢) أديان العالم ص ٣٠٥.

وتحريف ؛ كما فعلتم فى الانجيل ؛ لأن (الله) تعالى عندنا فى البسملة معناه : الذات الموصوفة بصفات الكمال ونعوت الجلال، والرحمن والرحيم وصفان له سبحانه وتعالى باعتبار الخير والاحسان الصادرين عن قدرته. فالرحمن معناه : المحسن فى الدنيا والآخرة لخلقه بفضله. والرحيم معناه : المحسن فى الآخرة خاصة لخلقه بفضله.

وأما النطق والحياة، فلا مدخل لهما فى الرحمن الرحيم، بل هو تحريف منهم للقرآن. وإذا بطل المستند فى الأناجيل والقرآن حرم هذا الاطلاق.

فاطلاق الموهمات لما لايليق بالربوبية يتوقف على نقل صحيح ثابت عن الله تعالى، وليس هو عندكم، فكنتم عصاة بهذا الاطلاق»[1].

وللأستاذ محمد مجدى مرجان رأى آخر فى الرد على ادعاء هذا القمص، حيث يقول : «نحن إذا تابعنا هذا الرأى فإنه يمكن الاستدلال من القرآن ليس فقط على التثليث، بل أيضا على التسبيع، ووجود سبعة آلهة، وليس ثلاثة. وذلك بما ورد فى أول سورة (غافر) : {حم. تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم. غافر الذنب ، وقابل التوب ، شديد العقاب ، ذى الطول}[2] الآية.

بل يمكن أن يجرفنا الزيغ والضلال فنقرر أن القرآن يثبت وجود سبعة عشر إلها، وذلك بما ورد فى آخر سورة الحشر[3] التى جاء بها سبعة عشر اسما من أسمائه الحسنى»[4].

---

(١) ص ٤٧، ٤٨ بهامش كتاب عبد الرحمن بك باجه جى زاده، الفارق بين المخلوق والخالق.

(٢) آية ١ : ٣.

(٣) آية ٢٢ - ٢٤.

(٤) الله واحد أم ثالوث / ص ٥٣، ٥٤.

ويتمادى القمص باسيلوس فى ادعائه هذا، ويأتي ببعض الألفاظ الدراجة، ويطوعها لأهوائه، ويحمّلها فوق ما تحتمل رغبة منه فى الصاق تهمة التثليث بها، وهى بريئة منها براءة الذئب من دم يوسف. يقول :

«ان القسم المغلّظ الذى يقسمه المسلم قائلا : والله العظيم ثلاثة. فإنما يقسم بالأب والإبن والروح القدس. واذا طلّق المسلم زوجته طلقة بائنة فإنه يطلقها ثلاثة، أى يطلقها باسم الأب والإبن والروح القدس»(١).

ثم بعد تخرصاته هذه وهرطقاته، وادعاء اعتناق الإسلام لعقيدة التثليث - بعد ذلك يقرر عدم فهمه وإدراكه لحقيقة الثالوث فيقول :

«أجل إن هذا التعليم عن التثليث فوق إدراكنا ، ولكن عدم إدراكه لايبطله»(٢).

وكفى دليلا على فساد هذه العقيدة وتفاهتها وبطلانها عدم فهم أصحابها ومعتنقيها لها.

أما ماذكره القمص عن العدد (ثلاثة) فيما يتعلق بالقسم أو الطلاق فلا علاقة له بعقيدة التثليث، وإنما هو ربط لتغليظ القسم بعدد مراته، أو تحديد للحكم المترتّب على استنفاد الرجل لعدد مرات الطلاق.

وهذه كلها أحكام فقهية لا علاقة لها بالعقيدة.

ويشرع كاتب ثالوثي آخر فى محاولة لإثبات الثالوث، والبرهنة عليه من القرآن، ولكن بطريقة أخرى مغايرة لطريقة القمص باسيلوس. ذلكم هو الأستاذ

---

(١) نقلا عن محمد مجدى مرجان / الله واحد أم ثالوث ص ٥٤.

(٢) المرجع السابق ص ٥٥.

«يسى منصور» فى رسالته التثليث والتوحيد ص ١٠٥ ومابعدها. حيث يقول:

«إن الإسلام يذكر حوالى تسعا وتسعين اسما لله ، أى أن صفات الله الحسنى نحو تسع وتسعين صفة. وهذه الصفات متباينة ومختلفة تناقض إحداها الأخرى، بحيث لايمكن التوفيق بينها فى الذات الواحدة إلاّ إذا آمنّا بالتثليث. فمن أسماء الله الحسنى :

الضار المنتقم، ومنها العفو الرؤوف، ومنها القدوس البار.

ويستطرد الكاتب متسائلا : كيف يكون الله منتقما وغافرا معا ؟

فالمنتقم يدل على انتقامه من المذنب انتقاما بلا تساهل، أما الغفور فيدل على تبريره للمذنب تبريرا شاملا. ويضيف قائلا:

أنه لايمكن التوفيق بين هذه الصفات المتناقضة الاّ بالقول بالتثليث»(١).

ويعلق الأستاذ محمد مجدى مرجان على قول يسى منصور هذا بقوله – متهكما – :

«يعنى كاتبنا (الألمعي!) أن نقوم بتوزيع أسماء وصفات الله الحسنى على أفراد الثالوث الالهى، بحيث يكون لكل أقنوم أو اله من آلهة الثالوث عدة أسماء وصفات متوافقة مع بعضها ، وأن اختلفت مع أسماء وصفات الاله الآخر. فيكون الله الأب مثلا هو الضار المنتقم، ويكون الله الإبن هو العفو الرؤوف الغفور، ويكون الله الروح القدس هو القدوس البار.

وهذا هو عين مذهب الثنوية الذى كان منتشرا فى بلاد الفرس القديمة

---

(١) نقلا عن محمد مجدى مرجان / الله واحد أم ثالوث ص ٥٧، ٥٨.

أبان الوثنية. والذى كان يقسم الآلهة إلى قسمين متعارضين كل إله منها يحمل صفة مناقضة لصفة الاله الآخر. فهذا اله الخير، وذاك اله الشر .. وهذا اله الحرب، وذاك اله السلام ... وهكذا.

فقد جانبه التوفيق، وأخفق من حيث أراد النجاح، وهوى من حيث أراد الارتقاء»[1].

ومن حيث المبدأ فالإسلام يبطل التثليث - كما قدمنا - بحجج كثيرة، ويكفّر النصارى باعتقادهم اياه. فكيف يقال : إن التثليث يمكن أخذه من القرآن ، بينما أن معظم آيات القرآن الكريم إنما جاءت لتأصيل التوحيد فى مواجهة الوثنية والثنوية والتثليث، وغيرها من العقائد الباطلة؟!

ولا أدرى كيف يدل تعدّد أسماء الله الحسنى على التثليث ، وهى ليست ثلاثة أسماء، بل يبلغ مجموعها عشرات الأسماء، كما هو معروف.؟

والواقع أن عقيدة الإسلام فيما يتعلق بأفعال الله : أنه سبحانه وتعالى فاعل مختار، أى أنه مريد لأفعاله، لا تصدر عنه بالايجاب. ولهذا تعددت أفعاله تبعا لإرادته ، فلم يكن ذا فعل واحد، أو ذا أفعال لها وجه واحد - كما هى العقيدة الثنوية فى أنها تقصر الخير على اله ، والشر على اله آخر - فهو خالق كل شىء فى هذا الوجود، وهو الفعّال لما يريد، يعطي ويمنع ، ويخفض ويرفع، ويقبض ويبسط، ويعاقب ويغفر، ويعزّ ويذلّ .. وكل ذلك منه سبحانه وتعالى خير وحكمة.

وهكذا تتعدد أفعاله ، وتتعدد صفاته، وتتعدد أسماؤه. ولا محالة فى أن

---

(١) الله واحد أم ثالوث ص ٥٧/٥٩ بتصرف كثير..

تجمع الذات الالهية بينها جميعا مهما كان بينها من تناقض، مادام فعله سبحانه وتعالى لايجمع بين النقيضين فى موضوع واحد، تتم فيه شروط التناقض،

فأى محال فى أن يغفر لهذا، ويعاقب هذا؟ بل وأي محال فى أن يعاقب إنسانا، ثم يغفر له بعد ذلك، ويدخله الجنة؟

وهكذا يمكننا أن نفهم تعدد أسماء الله الحسنى على اختلاف مابينها وأن نفهم تعدد أفعاله على اختلاف مابينها، مادام الفعلان المتناقضان لايتحدان موضوعا، أو محمولا ، أو زمانا ، أو مكانا .. الخ أى لايتحدان فى النسبة الحكمية بين موضوع الفعل ومحموله.

فالله الفاعل المختار واحد، يفعل بارادته كل فعل تقتضيه حكمته، وليس ذاتا موجبة لأفعال معينة. وكمالات الفاعل المختار على هذا النحو تبدو فى تعدد أسمائه وأفعاله، وليس فى هذه التعدد مايوجب توزيعها على آلهة متعددة أو على آلهة مختلفة ، لا الهين أثنين، ولا آلهة ثلاثة، ولا أكثر من ذلك. وقيامها بالذات الواحدة أمر مفهوم على نحو ما قدمنا. وهذا هو مقتضى الكمال الالهي ومقتضى التوحيد.

الفصل الخامس
في عقيدة النصارى بالصلب والفداء
وإبطال ابن تيمية لها

أ - عقيدة النصارى بالصلب والفداء وأدلتهم عليها :

١ - خلو النصرانية الأولى من عقيدة الصلب والفداء.

٢ - إدخال بولس لعقيدة الصلب والفداء فى النصرانية.

٣ - تقرير عقيدة الصلب والفداء فى المجامع.

٤ - معارضة بعض النصارى لعقيدة الصلب والفداء.

٥ - آراء الفرق النصرانية في عقيدة الصلب والفداء.

٦ - أدلة النصارى على عقيدة الصلب والفداء وبطلانها.

ب - إبطال ابن تيمية لعقيدة الصلب والفداء عند النصارى :

أولا : بطلانها لعدم الوثاقة التاريخية لرواية حادثة الصلب.

ثانيا : تناقض النصارى فى جمعهم بين عقيدة صلب المسيح وألوهيته.

ثالثا : بطلان عقيدة الصلب والفداء لبطلان عقيدة الخطيئة الموروثة.

رابعاً : بطلان عقيدة الصلب لما فيها من تناقضات.

جـ - التعقيب :

١ - الجذور التاريخية لعقيدة الصلب والفداء.

٢ - بطلان الأسس التي تقوم عليها عقيدة الصلب والفداء.

٣ - تناقض روايات الأناجيل لحادثة الصلب.

٤ - موقف الإسلام من قضية الصلب والفداء.

الفصل الخامس

عقيدة النصارى بالصلب والفداء وإبطال ابن تيمية لها

أ - عقيدة النصارى بالصلب والفداء وأدلتهم عليها:

يعتقد النصارى «أنه بسبب خطيئة آدم استحق المسيح الصلب ، تكفيرا عن تلك الخطيئة، ويعتقدون أنّ آدم مسؤول عن كل من تحدرّ منه مسؤولية ربّ العائلة عن أفراد عائلته.

ويعتقدون أن عصيان آدم لربه تسبّب في القطيعة بينهما، وبات يحنّ الى مافقده من نعيم ، ولكنه لايملك وسيلة للتكفير؛ لأنّه مخلوق حقير.[1] وعندما أراد الله أن يتدارك الانسان البائس، أرسل ابنه الوحيد إلى نجدته، وهو المسيح الذى أخذ يقدّم نفسه وسيطا بين الله والناس؛ ولهذا تجسّد، وتألم ، ومات (فداء للبشرية من خطيئتها الموروثه)، ولولا المعصية والخطيئة لما كان من موجب لموته»[2].

هذه عقيدة النصارى في الصلب والفداء. وقبل أن نعرض بالتفصيل لبدء ظهور هذه العقيدة عندهم، وكيفية تقريرها في المجامع (المقدسة)! وشرح تفصيل الخلاف بين الفرق المسيحية فيما وقع عليه الصلب من طبيعتي المسيح الالهية، والبشرية - فى نظرهم - قبل أن نقوم بذلك، لابدّ وأن نمرّ بتلك الحقبة التاريخية الأولى التى كانت فيها النصرانية الأولى خالية من تلك العقيدة، ومن كل ماسواها من العقائد الباطلة، مستقيمة على طريق التوحيد الصحيح.

---

(١) هذه العبارة غير لائقة في حقّ الأنبياء.

(٢) أنظر : الأب بولس الياس اليسوعي / يسوع المسيح (شخصيته وتعاليمه) ص ٩٨ بتصرف.

١ - خلو النصرانية الأولى من عقيدة الصلب والفداء :

قلنا سابقا : إنّ عيسى - عليه السلام - ابتدأ دعوته فى قومه بني اسرائيل ؛ ليردهم عن غيّهم، وتماديهم فى البعد عن الله، وعما جاء به موسى - عليه السلام - وافراطهم فى الماديات حيث لم يرسل الاّ إلى خراف بني اسرائيل الضالة.

وكانت دعوته - كما نعلم ، وكما أثبتنا ذلك - تدعو إلى وحدانية الله سبحانة وتعالى، وأنّ عيسى مجرد رسول، حيث جاء على لسانه : «هذه هي الحياة الابدية أن يعرفوك أنّك أنت الاله الحقيقي وحدك، ويسوع المسيح الذى أرسلته»(١).

لكن المتتبع لروايات الأناجيل، وماجاء في كتاب الله الكريم، يرى رفض بني اسرائيل لدعوته، وانكارهم لرسالته، والنيل منه، ومحاولة قتله. الاّ أنّ الله نّجاه من كيدهم - كما سنرى - الأمر الذى اضطره إلى صرف دعوته عنهم إلى الأمم المقيمة بينهم، والمجاورة لهم.

والأمر الذي لابدّ من ايضاحه، هو أنّ المسيحيين الأوائل لم يكونوا على علم ودراية بما سيؤول إليه أمر المسيح ومن ثمّ فلم يكن لديهم فكرة عن صلب المسيح كفارة لخطيئة آدم الموروثة في البشر، وإنما هذه العقيدة قد تبنّتها الكنيسة بعد حادث الصلب.

يقول الكاتب المسيحى - الذى أسلم - عبد الأحد داود :

«إن من العجيب أن يعتقد المسيحيون أن هذا السر اللاهوتى (وهو

---

(١) انجيل يوحنا ١٧ : ٣.

خطيئة آدم ، وغضب الله على الجنس البشري بسببها) ظل مكتوماً عن كل الأنبياء السابقين، ولم تكتشفه إلاّ الكنيسة بعد حادثة الصلب»[1].

لم يكن الحواريون إذن فى بدء دعوتهم يجدون فى النصوص المقدسة، ولا فى كتب الأحبار مايشير من قريب أو بعيد إلى صلب المسيح، وتعذيبه على خشبة الصليب كما يزعم بولس. يؤكد ذلك المؤرخ المسيحى شارل جنيبيير فيقول : «ولنلاحظ هنا أمرا هاما : ذلك أن الأثنى عشر أنفسهم لاشك قد تملكتهم الحيرة فى بدء دعوتهم، عندما نظروا فى النصوص المقدسة، وفى كتب الأحبار الحديثة، فلم يجدوا كلمة واحدة تشير إلى إمكان قيام مسيح يعذب تعذيبا شائنا، بل قرأوا على العكس من ذلك سطورا تبعث فيهم الرعب» لعن الله كل انسان يشنق بالغابة.[2].. »[3].

ثم يقول : «إن موت عيسى فى نظر الأثنى عشر ليس بالتضحية التكفيرية، أما عند بولس فنعم، وفى عقيدته : أن المسيح مات من أجل خطايا البشر»[4].

٢ - إدخال بولس لعقيدة الصلب والفداء فى النصرانية:

وحقا إن الذى يحمل وزر التبني لهذه العقيدة هو بولس اليهودى الذى تأثر بالفلسفة الأغريقية، وبعقائد الهنود تأثراً كبيراً انعكس على تعاليم المسيح التى أخذ يبشر بها عندما اختلق قصة دخوله المسيحية.

---

(١) الانجيل والصليب ص ٧ بتصرف.

(٢) إشارة إلى النص الوارد فى التوراة سفر التثنية ٢٣:٢١ «..لأن المعلق ملعون من الله».

(٣) المسيحية / نشأتها وتطورها ٩١.

(٤) المرجع السابق نفسه والصفحة نفسها.

ولقد كان الصلب وسفك الدم هو ماعزم على الاّ يعرف من المسيحية شيئا سواه. وهو يقرر ذلك فى رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس حيث يقول :

«إني لم أعزم أن أعرف شيئا بينكم الاّ يسوع المسيح واياه مصلوبا»[1].

ولقد كان ذلك هو ماقبله بولس، وانجيله - حسب تعبيره - الذى ذهب يبشر به «أعرفكم إيها الأخوة بالانجيل الذى بشرتكم به وقبلتموه ... فإننى سلمت اليكم فى الأول ماقبلته أنا أيضا : أن المسيح مات من أجل خطايانا حسب الكتب»[2].

ويذكر (ول ديورانت) أن سبب إدخال بولس لعقيدة الصلب والفداء ضمن معتقدات النصارى، إنما يرجع إلى تأثره بالفلسفة الأفلاطونية، وكذلك بالسّنة اليهودية والوثنية، سنة التضحية والفداء تكفيرا عن خطايا البشر . يقول :

«ولقد أنشأ بولس لاهوتا لا نجد له إلاّ أسانيد غامضة أشد الغموض فى أقوال المسيح، وكانت العوامل التى أوحت إليه بالأسس التى أقام عليها ذلك اللاهوت هى : انقباض نفسه ، وندمه، والصورة التى استحال إليها المسيح فى خياله. ولعله قد تأثر بنبذ الأفلاطونية والرواقية للمادة والجسم، واعتبارهما شراً وخبثاً. ولعله تذكر السّنة اليهودية، والوثنية. سنة التضحية والفداء ، للتكفير عن خطايا الناس.

أما هذه الأسس فأهمها : ان كل ابن انثى يرث خطيئة آدم، ولاشىء ينجيه من العذاب الأبدى إلاّ موت ابن الله، ليكفر بموته عن خطيئته . وتلك فكرة كانت أكثر قبولا لدى الوثنيين منها لدى اليهود..»[3].

---

(١) ٢ : ٢.

(٢) رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس ١٥ :١-٣.

(٣) قصة الحضارة جـ٣ من المجلد الثالث رقم (١١) ص ٢٦٣/٢٦٤.

وها هو أحد كبار علماء المسيحيين والباحثين يعترف بأن بولس قد نقل إلى المسيحية الكثير من أفكار زمانه ومصطلحاته، وأنه هو الذى قال : بأن المسيح ابن الله نزل ليقدّم نفسه قرباناً، ويصلب تكفيراً عن خطيئة البشر. يقول فى ذلك (ولز):

«بولس من أعظم من أنشأوا المسيحية الحديثة، وهو لم ير عيسى ولا سمعه، وكان اسمه فى الأصل (شاول) ، وكان من مضطهدى المسيحيين، ثم اعتنق المسيحية فجأة، وغيّر اسمه إلى بولس، وكان شديد الاهتمام بعقائد زمانه، فنقل إلى المسيحية كثيراً من أفكارهم. ومن ذلك قوله :

«إن المسيح ابن الله ، نزل ليصلب ، ويفدى البشرية[1]، وذلك مثل الضحايا القديمة أيام الحضارات البدائية ..»[2].

ويقول المسيو (أرنست دى بولس) الألمانى . فى كتابه (النصرانية الحقة) مامعناه : «ان جميع مايختص بمسائل الصلب والفداء هو من مبتكرات، ومخترعات بولس، ومن شابهه من الذين لم يروا المسيح، لا من أصول النصرانية»[3].

وهذا اعتراف آخر صريح، من أسقف مسيحى، يعلن فى جرأة وصراحة أن بولس هو الذى ابتدع فكرة الصلب والفداء هذه، وقد حمل هو وتلميذه الحبيب (لوقا) لواء الدعاية لها. يقول هذا الأسقف :

«ومما لاريب فيه أن الفكرة الأساسية التى ملكت على بولس مشاعره

---

(١) أنظر رسالة بولس إلى أهل رومية ٣:٢٢-٢٥.

(٢) نقلا عن : المستشار محمد عزت اسماعيل الطهطاوى / النصرانية والإسلام ص ٢٦١.

(٣) نقلا عن / عبد الرحمن بك باجه جى زاده / الفارق بين المخلوق والخالق ص ٢٨٢.

فعبّر عنها فى رسائله بأساليب مختلفة ، هي فكرة رفق الله بالبشر. وهذا الرفق بهم هو ماحمله على إقالتهم من عثارهم فأرسل إليهم ابنه الوحيد ليفتديهم على الصليب، وينتقل بهم من عهد الناموس الموسوى إلى عهد النعمة، وهذه الفكرة عينها هى التى هيمنت على انجيل لوقا»[1].

وهكذا فقد «تبنى بولس فكرة سفك دم المسيح كفارة عن خطايا البشر، وروّج لها فى رسائله – تلك الرسائل التى لم يكتب أقدمها إلاّ بعد رفع المسيح بأكثر من عشرين عاما»[2].

والحقيقة أن «نظرية بولس فى سفك دم المسيح، ليس لها من أساس فى تعاليم المسيح، وتلاميذه الحقيقيين الذين عاصروه وتعلموا بين يديه (ولم يكن بولس واحدا منهم)، حيث يبني بولس نظريته هذه على أساس يرفضه المسيح رفضا تاما، وذلك أن بولس يقول :«إن كان بالناموس برّ فالمسيح إذن مات بلا سبب»[3].

فإذا رجعنا إلى مايقوله المسيح عن الناموس لوجدنا فيه البرّ الذى لاينكر. فهو يقول : «لاتظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء، ماجئت لأنقض بل لأكمل»[4].

ويؤكد الانجيل على لسان المسيح ان البر هو العمل الصالح قولا وفعلا. «الانسان الصالح من الكنز الصالح فى القلب يخرج الصالحات. والانسان

---

(١) هو الأب بولس الياس الخورى فى كتابه / يسوع المسيح. نقلا عن المستشار محمد عزت اسماعيل الطهطاوى / النصرانية والإسلام ص ٤٧/٤٨.

(٢) المهندس أحمد عبد الوهاب / المسيح فى مصادر العقائد المسيحية ص ١٩١.

(٣) غلاطية ٢ : ٢١.

(٤) انجيل متّى ٥ : ١٧.

الشرير، من الكنز الشرير، يخرج الشرور. ولكنى أقول لكم إن كلمة بطالة يتكلم بها الناس سوف يعطون عنها حسابا يوم الدين، لأنك بكلامك تبرر ، وبكلامك تدان»[1].

لكنه بولس الذى اعترف صراحة بعجزه عن الفكاك من أسر خطاياه الجسدية، التى تقوده إلى الشقاء:

«لست أعرف ما أنا أفعله ، إذ لست أفعل ما أريده بل ما أبغضه، فاياه أفعل ... إني أعلم أنه ليس ساكن فيّ أى ليس فى جسدى شىء صالح، لأن الارادة حاضرة عندي. وأما أن أفعل الحسنى فلست أجد»[2].

وهو بولس الذى جعل المسيح لعنة بصلبه، وذلك كنتيجة حتمية لنظريته فى القتل وسفك الدم.

«المسيح افتدانا من لعنة الناموس، إذ صار لعنة من أجلنا ، لأنه مكتوب : ملعون كل من علقّ على خشبه»[3].

٣ - تقرير عقيدة الصلب والفداء فى المجامع :

وأيّا ماكان الأمر فقد دخلت عقيدة الصلب والفداء فى المسيحية على يد بولس، ثم انتشرت بين الناس وظهرت فى الأناجيل التى كتب فيما بعد، وإذا كان الخلاف حولها ظل باقيا خلال القرون الأولى إلاّ أنها تقررت فيما بعد فى المجامع، حتى أصبحت هى العقيدة التى يعتقدها الغالبية العظمى من المسيحيين ، والتى تدين بها الفرق الثلاث الكبرى على اختلاف مابينها فى

---

(١) انجيل متّى ١٢:٣٥-٣٧.

(٢) رسالة بولس إلى أهل رومية ٧ : ١٥، ١٨.

(٣) رسالة بولس إلى أهل غلاطية ٣ : ١٣.

تصورها لهذه العقيدة. فقد جاء فى الوثيقة الايمانية التى اتخذت فى مجمع نيقية عام (٣٢٥م) مايدل على إيمان المسيحيين واعتقادهم بصلب المسيح كعقيدة مسلمة، وأن صلبه هو أحد أركان المسيحية، وأساس هام من أسس ديانتهم. حيث جاء فى قرار هذا المجمع مايلى :-

«نؤمن باله واحد، أب ضابط الكل خالق السموات والأرض كل مايرى ومالا يرى، وبرب واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد المولود من الأب قبل كل الدهور نور من نور، اله حق من اله حق مولود غير مخلوق، مساو الأب فى الجوهر الذى به كان كل شيء ، الذى من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا نزل من السماء وتجسّد من روح القدس، ومن مريم العذراء، وتأنّس (صار انسانا) وصلب على عهد بيلاطس البنطى، وتألم وقبر وقام فى اليوم الثالث - كما فى الكتب - وصعد إلى السماء، وجلس عن يمين الأب »[1].

إذن عقيدة الصلب كانت جزءا من قرارات مجمع نيقية وهذه القرارات كانت موضع خلاف من الأغلبية، ولاسيما حول ألوهية المسيح أو كونه ابن الله الوحيد.

ومما لاشك فيه أن إنكار ألوهية المسيح يقتضى إنكار عقيدة الصلب لأن الصلب والفداء مبنيان على كون المسيح ابن الله، أو كونه ناسوتا قد تجسد فيه الله ليصلب فداء للبشرية من خطيئة آدم، فإذا بطل الأساس بطلت فكرة الفداء.

٤ - معارضة بعض النصارى لعقيدة الصلب والفداء :

وفى الحقيقة أن الواقع هو كذلك ، فالنصارى ليسوا متّفقين على صلب المسيح تكفيرا عن خطيئة البشر. فمسألة صلب المسيح وقتله لم تكن عند

---

(١) ابن تيمية ، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح جـ١ ص ١١٥ وكذلك جميع كتب الفرق والأديان.

المسيحيين مسألة جماعية متفق عليها، بل وجد من طوائف المسيحيين من ينفى صلب المسيح وقتله . يقول ابن تيمية فى هذا الشأن :

«والنصارى ليسوا متفقين على صلب المسيح، ولم يشهد أحد منهم صلبه، فإن الذى صلب إنما صلبه اليهود، ولم يكن أحد من أصحاب المسيح حاضراً، وأولئك اليهود الذين صلبوه قد اشتبه عليهم المصلوب بالمسيح. وقد قيل : إنهم عرفوا أنه ليس هو المسيح، ولكنهم كذبوا وشبّهوا على الناس ، والأول هو المشهور، وعليه جمهور الناس»[1].

ويقول أيضا : «ذهبت طائفة من النصارى إلى أنه إنما صلب الذى شبه بالمسيح كما أخبر به فى القرآن، وان الذين أخبروا بصلبه كانوا قد أخبروا بظاهر الأمر، فإنه لما ألقى شبهه على المصلوب ظنوا أنه هو المسيح أو تعمدوا الكذب»[2].

ومن النصارى من لم يسلّم بوجه من الوجوه أن المسيح سمّر فعلا، ومات على الصليب. وهذا مقرر فى تاريخهم «موسيهيم» الذى يدرس فى مدارس اللاهوت الانجيلية.

يقول المسيو «أردوارسيوس» - العالم المشهور بمعارضة المسلمين - فى كتابه «عقيدة المسلمين»:

«إن القرآن ينفي قتل عيسى وصلبه ، ويقول : بأنه ألقى شبهه على غيره فغلط اليهود فيه، وظنوا أنهم قتلوه، وماقاله القرآن موجود عند طوائف نصرانية

---

(١) مجموع الفتاوى (مقدمة التفسير) جـ١٣ ص ١٠٦، ١٠٧ ط١.
وأنظر كذلك للمؤلف نفسه الجواب الصحيح جـ١ ص ٣١٣.

(٢) ابن تيمية الجواب الصحيح جـ١ ص ٣٦٧.

منهم : الباسليديون : كانوا يعتقدون بغاية السخافة أن عيسى وهو ذاهب لمحل الصلب ألقى شبهه على سيمون السيرناى تماماً، وألقى شبه سيمون عليه، ثم أخفى نفسه ليضحك على مضطهديه (اليهود) الغالطين ... ومنهم السيرنتيون فإنهم قرروا أن أحد الحواريين صلب بدل عيسى وقد عثر على فصل من كتب الحوراين ، وإذا كلامه نفس كلام الباسيليديين. وقد صرّح انجيل القديس برنابا باسم الذى صلب بدل عيسى أنه يهوذا»[1].

ويقول عوض سمعان فى كتابه (قضية الغفران فى المسيحية) : إنه «على الرغم من الأدلة الواضحة التى تثبت أن موت المسيح كان كفارة عنّا إلاّ أن بعض الفلاسفة المنتمين إلى المسيحية أمثال : مرقيون ، وستروس، ورينان، وهولتزمان، ينكرون هذه الحقيقة»[2].

وتحت عنوان «تاريخ انكار موت المسيح وأسبابه» قال عوض سمعان فى كتابه المذكور :

«ظهر فى القرن الثانى للميلاد فلاسفة أطلقوا على أنفسهم «الغنوسيين»[3] أقبلوا على فحص تعاليم المسيحية ، فأنكروا صلب المسيح،

---

(١) ص ٤٩ نقلا عن عبد الرحمن بك باجه جى زاده/ الفارق بين المخلوق والخالق ص ٢٨١.

(٢) ص ١٢٨ نقلا عن محمود بن الشريف/ الأديان فى القرآن ص ٢١٦.

(٣) الغنوسية أو الغنوصية هى شيعة دينية فلسفية متعددة الصور. نشأت فى العصر الهيلينستى. ومعناها (المعرفة).

وأساسها : أن الخلاص يتم بالمعرفة، أكثر مما يتم بالايمان والأعمال الخيرة.

ويقول الغنوسيون بالثنائية ، أى بالتمييز بين الخير والشر المعتبرين عنصرين أساسيين للوجود.

وقد تأثرت بالغنوسية بعض الفرق اليهودية مثل : الاسينيين الذين رفضوا فكرة الاله العادل، واستبدلوا بها الحكمة الالهية.

وكان للغنوسية أيضا أثرها فى المسيحية

أنظر محمد شفيق غربال / الموسوعة العربية الميسرة ص ١٢٥٨.

وأيضا : د. يوسف كرم / تاريخ الفلسفة اليونانية ص ٢٤٤.

وقالوا : إن سمعان القيرواني رضي أن يصلب عوضاً عن المسيح؛ لذلك جعل الله هيئته مثل هيئة المسيح، وترك سمعان يصلب عوضا عنه»[1].

٥ - آراء الفرق النصرانية فى عقيدة الصلب والفداء :

وأيّا كان السبب الذى رفض فيه هؤلاء عقيدة الصلب والفداء - عقدياً وتاريخياً - فقد أصبحت هذه العقيدة بحكم إقرارها فى المجامع عقيدة الفرق النصرانية الكبرى، ورغم أن قصة الصلب والفداء قد تقررت فى المجامع - كما قلنا - ورغم كتابتها فى الأناجيل فإنها موضع خلاف بين الفرق المسيحية فيما يتعلق بتصورها ، وتقرير الجزء الذى وقع عليه الصلب فى المسيح - حسب اعتقادهم - هل هو اللاهوت أو الناسوت أو هما معا:

فالملكانية يقولون : إن المسيح ناسوت كلي لاجزئي، وهو قديم أزلى من قديم أزلى، ولقد ولدت مريم - عليها السلام - إلها أزليا.

ويقولون : إن القتل والصلب وقعا على الناسوت واللاهوت معا .

أما اليعقوبية فإنها لما اعتقدت أن المسيح جوهر من جوهرين، وهو إله، وهو المولود. قالوا : إن مريم ولدت إلها.

وكذلك قالوا : إن القتل وقع على الجوهر الذى هو من جوهرين ، وقالوا : ولو وقع على أحدهما لبطل الاتحاد.

والنسطورية يخالفون فى القتل والصلب مذهب الملكانية واليعقوبية جميعا.

---

(١) ص ٨٩ نقلا عن محمود بن الشريف / الأديان فى القرآن ص ٢١٦.

ويقولون : إن القتل والصلب وقعا على المسيح من جهة ناسوته لا من جهة لاهوته؛ لأن الاله لا تحله الآلام[1].

أما الفرق النصرانية الحديثة، فلا خلاف بينها فى الإيمان بعقيدة الصلب والفداء، لما جاء عنها فى الأناجيل ، ولاقرار المجامع لها، ولأنها فى واقع الأمر امتداد تاريخيّ، لتلك الفرق القديمة، على نحو ما أسلفنا من قبل . ومن ثَمّ فإن تصور هذه الفرق الحديثة لتلك العقيدة هو نفس التصور الذى أسفلناه عند أصولها التاريخية من الفرق القديمة[2].

٦ - أدلة النصارى على عقيدة الصلب والفداء وبطلانها :

قدمنا أن المسيحيين يعتبرون الصلب والفداء أصل من أصول النصرانية المحرفة ، وحجر الأساس فيها، وأنه ماكان للنصرانية أن توجد أصلا لو لم يرتفع صليب الرب يسوع - على حدّ قولهم - بل لم يكن ممكنا - فى اعتقادهم - أن يستعلن التجسد الآلهى إلاّ بواسطة الصليب، لأن الذي حقق لهم أن ابن الله - كما يقولون - أخذ جسداً حقيقياً مساوياً له تماماً هو موته على الصليب. فابن الله - على زعمهم - تجسّد ليصل إلى الصليب بسهولة ، ويتمكن من المــوت عليه [3].

---

(١) الشهرستانى / الملل والنحل جـ٢ ص ٦٢-٦٧. وأنظر كذلك : الأمام الرازى / التفسير الكبير المجلد ٦ جـ١١ ص ١٠٣.

وأنظر كذلك ابن تيمية الجواب الصحيح جـ٣ ص ٤٢-٤٩.

وكذلك القلقشندى / صبح الأعشى ص ٢٧٦/٢٨١.

(٢) أنظر ص ١٨٧ ومابعدها من هذه الرسالة.

(٣) أنظر الأب متّى المسكين / الصليب المقدس ص ١٨، ٢٧.

وأنظر كذلك / جون ستوت / المسيحية فى جوهرها ص ١٣٧ تعريب نجيب غالى.

ويقوم اعتقاد النصارى بالصلب والفداء - كما يقولون - على أسس نصّية من كتبهم ، وعلى أسس عقلية فلسفية مرتبطة بعقائدهم الدينية.

أما الأسس النصية التى يستدلون بها على عقيدتهم بالصلب والفداء، فهى :

أولا : من العهد القديم :

يدعي النصارى أن التوراة ، وأسفار العهد القديم قد امتلأت بما يفيد موت المسيح فداء عن خطايا البشر. «إن المسيح مات من أجل خطايانا حسب الكتب»[1]. ويعللون ذلك بماجاء فى الأناجيل ، من ضرورة الرجوع إلى أسفار العهد القديم، فهى خير معين - كما يزعمون - لتبيان صدق ماهم عليه من معتقدات بشأن المسيح. ومن ذلك ماجاء فى انجيل (يوحنا) من قول المسيح لليهود : «فتشوا الكتب ... وهي تشهد لي »[2].

يقول شارح انجيل يوحنا عند تعليقه على قول المسيح هذا :

«والكتب التى يشير إليها الرب هنا هي أسفار التوراة الموجودة عندهم وكانوا يعتبرونها واسطة للحياة الأبدية، على أساس حفظهم الوصايا الموجودة بها. ويقول لهم المسيح : «ولا تريدون أن تأتوا إليّ لتكون لكم حياة «أى مالم تؤمنوا أنى أنا الشخص الذى تتكلم عنه هذه الكتب فلن تنالوا الحياة الأبدية»[3].

ويقولون (أى النصارى) : قد قال عيسى - عليه السلام - موضحاً أن

---

(١) رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس ١٥ :٣.

(٢) ٥ : ٣٩.

(٣) هو هلال أمين موسى ص ٨٢.

موسي والأنبياء كتبوا عنه - : «لابد أن يتم جميع ماهو مكتوب عنّي فى ناموس موسى والأنبياء والمزامير»[1].

ثم قال : «هكذا هو مكتوب ، وهكذا كان ينبغى أن المسيح يتألم ويقوم من الأموات في اليوم الثالث، وأن يكرز باسمه بالتوبه ومغفرة الخطايا لجميع الأمم مبتدئا من أورشليم»[2].

ولما ابتدأ الرسل يبشرون بالانجيل أثبتوا - كما يزعمون - من العهد القديم لاهوته، وتجسده ، وموته ذبيحة عن الخطيئة.

ومنذ فجر التاريخ - كما يقولون - «كان الانسان فى حيرة ، يفتش عن الذبيحة وكان اسحاق - حسب اعتقادهم أنه هو الذبيحة - يعبّر عن حيرة البشرية، وعجزها. عندما تحدث إلى أبيه ابراهيم متسائلا : «هو ذا النار والحطب، ولكن أين الخروف للمحرقة؟ فقال ابراهيم : الله يرى له الخروف للمحرقة يا ابني»[3].

ويقولون عند شرح هذه الفقرة من سفر التكوين :

«ومن العجيب أن جواب ابراهيم - عليه السلام - لم يكن مجرد عبارة عابرة ، وإنما يرى فيها المؤمن إلهاما إلهياً، ونبوة حققها الله، إذ أعدّ لذاته بالفعل خروفا حقيقيا للمحرقة[4].

---

(١) أنظر انجيل لوقا ٢٤ : ٤٤.

(٢) انجيل لوقا ٢٤ : ٤٦، ٤٧.

(٣) سفر التكوين ٢٢ : ٧، ٨.

(٤) الأرشيد ياكون نجيب جرجس / تفسير سفر التكوين ص ٢٦٣.

غير أن هذا الكبش أو الخروف - كما يزعمون - لم يكن فى حقيقة الأمر إلاّ رمز لحمل الله الذى يرفع خطايا العالم، فما كان الله ليعتمد على إحدى مخلوقاته ليقتدى بها الانسان، فالخلاص الثمين هو من صنعه، وكان لابدّ وأن يتممه على حساب نفسه ، حتى يتزكى الله فى قضائه، ويكون كاملا فى كل شىء .. وكان لابدّ لله فى ملء الزمان أن يهيىء لهذه الذبيحة الأزلية جسداً يليق بها ، وأن يتحد ذلك الجسد باللاهوت اتحادا أبديا ... «عالمين أنكم قد افتديتم لا بأشياء تفنى بفضة أو ذهب من سيرتكم الباطلة التى تقلدتموها من الآباء، بل بدم كريم كما من حمل بلا عيب ولا دنس، دم المسيح معروفا سابقا قبل تأسيس العالم»[1].

وهكذا فإن يسوع المسيح - كما يقولون - هو الذبيح العظيم الذى قدمه الأب ليفدى به العالمين، فهو ذبيح عظيم فى أزليته وألوهيته، وفى محبته أيضا .

لقد صوره الوحي بكبش ممسك فى الغابة بقرنية، ولقد كانت الذبائح تمسك وتقيد حتى لاتفر هاربة. أما يسوع فقد أمسك منذ الأزل فى غابة البشرية طوعا. كانت هناك قيود عجيبة من المحبة هى التى أمسكته ، وطوقته مع البشرية الساقطة[2]. «ليس لأحد حب أعظم من هذا أن يضع أحد نفسه لأجل أحبائه[3] «هوذا حمل الله الذى يرفع خطية العالم»[4].

لذا فإن كتّاب الأناجيل ، وسائر أسفار العهد الجديد، لن يجدوا صعوبة - كما يزعمون - فى معرفة أن المسيح هو الذبيحة التى فدى الله بها البشر من

---

(١) رسالة بطرس الأولى ١ : ٢٠.

(٢) الدكتور فؤاد بولس / علامة الصليب ص ٢٧/٣٠.

(٣) انجيل يوحنا ١٥ : ١٣.

(٤) انجيل يوحنا ١ : ٢٩.

خطاياهم . ويقولون : إن ماورد فى العهد القديم من نصوص تشير إلى الفداء هى أساس لعقيدة موت المسيح تكفيراً عن خطيئة البشر.

وعلينا أن نفرق فى هذا المقام بين مايذكر فى العهد القديم وبين تعقيبات شرّاح العهد الجديد واستنتاجاتهم من نصوص العهد القديم، مايدل على صلب المسيح فداء للبشرية، فليس لهم أن يتعملّوا ويتمحّلوا فى تأويل نصوص العهد القديم، ماشاء لهم الهوى، فيحمّلوا هذه النصوص مالا تحتمل من البشارة بصلب المسيح.

وماقيل هنا من بشارة موسى والأنبياء بعيسى - عليه السلام - وأن عيسى - عليه السلام - كان يلفت نظر اليهود ليعرفوا صدقه من هذه البشائر ، فذلك حق، فقد بشر موسى بعيسى - عيلهما السلام - وإذا كانت تلك البشائر قد تضمنت ذكرماينزل بعيسى من الآلام فلاشىء فيه، فكل نبي يتحمل من الآلام والمصائب فى سبيل الدعوة مايفوق ماذكروه مما تضمنته نصوص التوراة، فهذه سنة الأنبياء، غير أنه لاينبغى لشراح الأناجيل أن يأخذوا من ذلك أن موسى - عليه السلام - بشر بصلبه وفدائه للبشرية. أما النص السابق الذى تضمن كتابة أسفار العهد القديم - صراحة - للبشارة بصلب المسيح وقيامته من الأموات بعد ثلاث .. الخ فالواقع أنه لاوجود لهذا الكلام في أى سفر من تلك الأسفار . فليس صحيحا ماأجرى على لسان المسيح، ولو فرضنا - جدلا - وجوده فيها فليس لهذه الأسفار من الصحة ما يستوجب وقوع تنبؤاتها.

وبغض النظر عن كون الذبيح اسماعيل أو اسحاق، فإن كلمته فى سؤال أبيه عن الذبيحة بعد أن رأى النار والمحرقة لاتعنى أكثر من دلالتها عن السؤال عن هذه الذبيحة، وجواب ابراهيم - عليه السلام - أن ذلك متروك لله - عز

وجل على أمل أن يرسل إليه هذه الذبيحة. فأى ذكر صريح أو رمزى في هذه الكلام للمسيح أو غيره . وكيف تفسّر نصوص سابقة بحوادث تاليه بعد هذه النصوص بقرون على فرض وقوع هذه الحوادث.

أما ماذكرناه بعد ذلك من استنتاجات كتّاب الأناجيل والرسائل من نصوص التوراة التى ذكرناها مايبشر بالمسيح، فليست له قيمة فى هذا المقام، مادامت هذه النصوص لاتساعدهم على أفهامهم السقيمة فيها.

ومن نصوص العهد القديم التى يستدل بها النصارى[١] على موت المسيح فداء عن الخطيئة ماجاء فى اشعياء حيث يقول : «قالت الكتب : «رجل ضربات يعرف كيف يتحمل الضعف؛ لأن وجهه قد أقصى بعيداً، احتقر ولم يعتد به، خطايانا حملها، وتألم من أجلنا، ونحن حسبناه مصابا ومضروبا ومذلولا، جرح لأجل خطايانا، سحق لأجل آثامنا ... »[٢] ثم يقول الكتاب أيضا :

«كلنا كغنم ضللنا ، وحاد الانسان عن طريقه، والرب وضع عليه إثم جميعنا، أسلمه لأجل خطايانا ، سيق كشاة للذبح، وكنعجة صامتة أمام جازّيها، فلم يفتح فاه...»[٣].

وجاء فى انجيل متّى مايؤكد ذلك : «لكي يتم ماقيل باشعياء النبي القائل : هو أخذ أسقامنا ، وحمل أمراضنا»[٤].

لم نجد فى سفر اشعياء عن هذا الذى تضمن هذا السفر البشارة به أى

---

(١) أنظر القديس اثناسيوس الرسولى / تجد الكلمة ص ١٠٥/١٠٦.
وأنظر كذلك الأب متّى المسكين / مع المسيح فى آلامه حتى الصليب ص ١٣١/١٣٢.

(٢) ٥٣ : ٣-٥.

(٣) سفر أشعياء ٥٣ : ٦-٨.

(٤) ٨ : ١٧.

ذكر الاسم المسيح أو رمز إليه فيه ، ولو فرضت صحة ماورد فيه، فلماذا لاتكون البشارة فيه باشعياء نفسه، وبما سيتحمله هو من الآلام فى سبيل الدعوة. ويكفى فى بطلان ماتضمنته نصوص أشعياء ماتحويه تلك النصوص من الكلام على الحلول والاتحاد مما لايمكن أن يكون كلاما لله . ومع ذلك كله فإذا قرأنا فى أشعياء قبل هذا الكلام الذى يستشهدون به على بشارته بعيسى وصلبه، فإننا نجد وصف الرب لهذا الذى تجرى به البشارة فى هذا السفر بقوله : «هوذا عبدى يعقل يتعالى ..»[١].

فهل يوافق النصارى على وصف المسيح بالعبودية لله تعالى، وهو عندهم اله أزلى، وأبدي، مساو الأب فى الجوهر.

ومما أستدل به النصارى أيضا على صلب المسيح ماوعد الله به آدم حال سقوطه بفاد، وليس الفادى - كما يقولون - إلاّ من دعي فى العهد القديم بـ «نسل المرأة» ... فقد جاء فى سفر التكوين : «إن نسل المرأة يسحق رأس الحية»[٢].

«أى أن مولوداً من امرأة سيغلب الشيطان ويبيده، والاشارة فى ذلك إلى المسيح الغالب العظيم للشيطان»[٣].

ويقولون عند شرح هذا النص : «أمّا نسل المرأة الذى يسحق رأس الحية، فهو الرب يسوع المسيح الذى داس الشيطان وقهرة وأذلّه، فقد انتصر

---

(١) ٥٣ : ١٣.

(٢) سفر التكوين ٣ : ١٥.

(٣) علم اللاهوت النظامى جـ ٣ ص ٧٦٢.

عليه فى التجارب التى جرّبه بها[1]، وفى الفخاخ التى نصبها له عن طريق اليهود وأخيرا كسر شوكته، وسحقه بموته على الصليب، حيث خلص البشرية بدمه، وأخذ الأسرى من يد الشيطان عدوهم»[2].

ويقولون تأكيدا لذلك : «ان لوقا انتهى فى سلسلة نسب المسيح إلى آدم(٣) وماذلك إلاّ ليبين أنه المخلص الذى وعد به آدم وحواء ليسحق رأس الحية. كما قال عن ولادته من امرأة «لما جاء ملء الزمان أرسل الله ابنه مولوداً من امرأة، مولودا تحت الناموس»[4].

وقوله : «من امرأة» ترديد لقول الله لحواء : «بين نسلك ونسلها»[5] أى النسل الذي يأتي من امرأة بدون رجل؛ لأن المسيح ولد من عذراء»[6].

نقول : وأى إشارة فى هذا الذى ذكروه ، أو عبارة ، تدل على صلب المسيح؟ ولو صح مانسب إلى الله ، وأنه قاله لآدم ، وأن المقصود بنسل المرأة هو عيسى، فليس فيه إلاّ إشارة لانتصاره على الشيطان، فيما عرّضه الشيطان له من تجارب . سيما وأن بولس قد قال عنه : «فإذ قد تشارك الأولاد في اللحم والدم، اشترك هو أيضا كذلك فيهما؛ لكي يبيد بالموت ذاك الذى له سلطان الموت . أى أبليس»[7].

---

(١) انجيل متّى ٤

(٢) الأرشيد ياكون/ نجيب جرجس / شرح سفر التكوين ص ١٠٦.

(٣) انجيل لوقا : ٣ : ٢٣-٣٨.

(٤) رسالة بولس إلى أهل غلاطية ٤ :٤.

(٥) سفر التكوين ٣ ١٥

(٦) الارشيد ياكون نجيب جرجس / تفسير سفر التكوين ص ١٠٦.

(٧) الرسالة إلى العبرانيين ٢ : ١٤.

أما مايقال من انتصار المسيح على الشيطان ، وأخذه البشرية من أسره عن طريق الصلب فداء لهم ، فلايدل عليه نص الكلام، وهو قائم على أساس فكرة هي موضع الابطال فى اجمالها وتفصيلها - كما سيأتى - وهي فكرة الخطيئة الموروثة فى البشرية من آدم عليه السلام.

وكما أن العهد القديم لم يغفل عن نبوءات موت المسيح - كما يزعم النصارى - فداء عن الخطايا، فهو - على حدّ قولهم - لم يغفل أيضا عن نبوءات موته على الصليب. فـ «لم يكنَ الصليب إلاّ مذبحا فريدا ، قدمت عليه تلك الذبيحة الأزلية التى كانت لأهميتها العظمى موضوع نبوة الأنبياء، ورؤى الحالمين، وحين أتى ملء الزمان تمت هذه الذبيحة بكل دقائقها وتفاصيلها فى المكان والزمان المعينين»[1].

وقد تنبأ بذلك موسى والأنبياء الذين بعده، فقد جاء فى سفر التثنية «وتكون حياتك معلقة قدامك، ولا تأمن على حياتك »[2].

وقال داود فى مزموره الثانى والعشرين مانصه :

«إلهي إلهي لماذا تركتنى، بعيدا عن خلاصي، أحاطت بي ثيران كثيرة أقوياء، باشان اكتنفنى، فغروا على أفواههم، كأسد مفترس مزمجر، كالماء انسكبت، انفصلت كل عظامى، صار قلبى كالشمع قد ذاب فى وسط أمعائى، يبستْ مثل شقفة قوتي، ولصق لسانى بحنكي؛ ... لأنه قد أحاطت بي كلاب، جماعة من الأشرار اكتنفني، ثقبوا يدىّ ورجليّ، أحصوا كل عظامى، وهم ينظرون ويتفرسون فيّ، يقسمون ثيابي بينهم ، وعلى لباسي يقترعون»[3].

---

(١) الدكتور فؤاد بولس / علامة الصليب ص ٣٣.

(٢) ٢٨ : ٦٦

(٣) فقرة ١، ١٢-١٨.

فالموت الذى يرفع المرء إلى فوق ، وتثقب فيه اليدان والرجلان لايمكن أن يكون إلاّ موت على الصليب كما يقولون[1].

ولا نجد فى كلام موسى، ولا فى كلام داود ذكر للمسيح ولا لصلبه، ولو صح مانسب إلى موسى مما ذكرناه آنفا، فليس - كما قلنا من قبل - إلاّ تنبؤا بما يلاقيه كل نبى من المتاعب والآلام فى دعوته. وماجاء فى مزمور داود فهو على لسان داود فى خطابه لربه، وحتى لو فرض أنه جرى على لسان عيسى - عليه السلام -- وهم يحاولون صلبه بعض ماحفظه من كلام داود «الهى، الهى، لماذا تركتني؟» فأي دلالة فى هذا على أن داود بشّر بصلب المسيح، وأنه سيقول هذا الكلام عند صلبه؟!

وجاء فى أشعياء : «أنه سكب للموت نفسه، وأحصي مع أَثَمه»[2]، ويقابله ماجاء فى انجيل لوقا على لسان المسيح : «لأنى أقول لكم : إنه ينبغي أن يتم فيّ أيضا هذا المكتوب ، وأحصى مع أَثَمة ..»[3].

وهذه الأقوال - كما يقولون - كافية لإثبات ماحدث ، وغيرها كثير.

ونحن نقول : ليس فيها مايكفى في ذكر ماحدث للمسيح، على نحو مايصورنه عليه ، فكل مافيها من ذكر المسيح أنه سيحصى اسمه ضمن الأَثَمة معتبرا كأنه واحد منهم، ولايمكن أن يكون أعداؤه ينظرون إليه إلاّ على هذا النحو لكّن نظرتهم إليه على هذا النحو، وعداؤهم له، ومحاولتهم قتله أو صلبه كل ذلك شيء ، وصلبه بالفعل فداء للبشرية شيء آخر، وهو الذى نقول إنما

---

(١) أنظر القديس اثناسيوس الرسولى / تجسد الكلمة ص ١٠٧، ١٠٨.

(٢) ٥٣ : ١٢.

(٣) ٢٢ : ٣٧.

استشهدوا به من نصوص العهد القديم - حتى ولو فرضت صحة هذه النصوص - ليس فيها دلالة عليه.

ثانيا من العهد الجديد :

يستدل النصارى على عقيدتهم بالصلب والفداء من العهد الجديد، حيث تأثرت الأناجيل جميعها بنظرية بولس فى سفك دم المسيح فدية عن كثيرين وقد جاء فى انجيلى (مرقس ولوقا) مايدل على تنبؤ المسيح لتلاميذه بآلامه، ورفضه من قومه ، حيث بيّن لهم : «كيف هو مكتوب عن ابن الانسان أن يتألم كثيرا ويرذل»[1]. وجاء فى أنجيل (لوقا) مايدل على نفس المعنى من قول المسيح لتلاميذه أيضا : « ستأتي أيام فيها تشتهون أن تروا يوما واحدا من أيام ابن الانسان ولاترون .... ولكنه ينبغى أولا أن يتألم كثيرا ويرفض من هذا الجيل»[2].

ثم تطوّر هذا التنبؤ حتى صار تنبؤا بصلب المسيح ، كما ذكر ذلك (متّى) في انجيله على لسان المسيح : «هانحن صاعدون إلى أورشليم وابن الانسان يسلّم إلى رؤساء الكهنة والكتبة فيحكمون عليه بالموت، ويسلمونه إلى الأمم؛ لكي يهزأوا به، ويجلدوه، ويصلبوه»[3]. وهو الانجيل الوحيد الذى نسب إلى المسيح تنبؤه بالقتل صلبا[4].

وقد امتلأت الأناجيل ، وكافة أسفار العهد الجديد بنصوص صريحة تقرر

---

(١) انجيل مرقس ٩ : ١١ - ١٢.

(٢) ١٧ : ٢٢-٢٥.

(٣) ٢٠ : ١٨، ١٩.

(٤) جون فنتون / تفسير انجيل متّى ص ٣٢٣ نقلا عن المهندس أحمد عبد الوهاب / المسيح في مصادر العقائد المسيحية ص ١٩٨.

صلب المسيح نفسه فدية عن خطيئة البشر. من ذلك ماجاء فى انجيل (مرقس): «لأن ابن الانسان أيضا لم يأت لِيُخدَم، بل ليَخدُم، وليبذل نفسه، فدية عن كثيرين»[1].

وجاء فى رسالة (بولس) إلى أهل رومية من قوله : «عالمين هذا أن انساننا العتيق قَد صلب معه؛ ليبطل جسد الخطية، كى لانعود نستعبد أيضا للخطيئة»[2]. وقال أيضا : «والذى فيه لنا الفداء بدمه»[3]. ويقول القديس بطرس : «الذى حمل هو نفسه خطايانا فى جسده على الخشبة، لكى نموت عن الخطايا، فنحيا للبر الذى بجلدته شفيتم»[4].

وإلى جانب ماتضمنته الأناجيل من تبنؤ المسيح بصلبه، ومن تقرير هذه الأناجيل أن هذا الصلب فدية للبشر - إلى جانب ذلك روت الأناجيل قصة صلب المسيح - كما يعتقدون - على اختلاف فيما بينها فى رواياتها لأحداث تلك القصة، الأمر الذى سنتناوله فيما بعد بالتحليل والنقد. ومن أمثلة ذلك مارواه (مرقس) فى انجيله من قوله : «وكان الفصح، وأيام الفطير بعد يومين ، وكان رؤساء الكهنة والكتبة يطلبون كيف يمسكونه بمكر ويقتلونه ... ثم إن يهوذا الاسخريوطي واحد من الأثنى عشر ، مضى إلى رؤساء الكهنة ليسلمه إليهم ، ولما سمعوا فرحوا ، ووعدوه أن يعطوه فضة، وكان يطلب كيف يسلّمه فى فرصة ... ولما كان المساء (لليوم الأول من أيام الفطير جاء (أى المسيح)، مع الأثنى عشر (حواريا)، وفيما هو متكئون يأكلون ، قال يسوع : الحق أقول

---

(١) ١٠ : ٤٥.

(٢) ٦ : ٦. وأنظر كذلك انجيل يوحنا ٣ : ١٧، والرسالة إلى أهل غلاطية ٦ : ١٤، والرسالة إلى العبرانيين ٩ : ١٥. وغيرها كثير جدا.

(٣) رسالة بولس إلى أهل أفسس ١ : ٧.

(٤) رسالة بطرس الأولى ٢ : ٢٤.

لكم : إن واحدا منكم يسلمني. الآكل معى. فابتدأوا يحزنون ، ويقولون له واحداً فواحداً. هل أنا ؟ وآخر : هل أنا ؟ فأجاب ، وقال لهم : هو واحد من الأثنى عشر الذى يغمس معى فى الصحفة. إن ابن الانسان ماضٍ كما هو مكتوب عنه، ولكن ويل لذلك الرجل الذى به يسلّم ابن الانسان. كان خيرا لذلك الرجل لو لم يولد»(١).

وبعد أن صلى وأخذ يضرع إلى الله أن يجيز عنه كأس الردى والهلاك، ومعه بعض تلاميذه . ذكر مرقس ماجرى بعد ذلك ، فقال : «وللوقت فيما هو يتكلم أقبل يهوذا واحد من الأثنى عشر ومعه جمع كثير ، بسيوف وعصي، من عند رؤساء الكهنة والكتبة والشيوخ، فألقوا أيديهم عليه ، وأمسكوه ... فمضوا بيسوع إلى رئيس الكهنة، فاجتمع معه جميع رؤساء الكهنة والشيوخ والكتبة. وكان رؤساء الكهنة والمجمع كله يطلبون شهادة على يسوع ليقتلوه ، فلم يجدوا ؛ لأن كثيرين شهدوا عليه زوراً، ولم تتفق شهاداتهم ، ثم قام قوم، وشهدوا عليه زورا، قائلين : نحن سمعناه يقول : إنى أنقض هذا الهيكل المصنوع بالأيادى، وفى ثلاثة أيام أبني آخر غير مصنوع بأياد . ولا بهذا كانت شهادتهم تتفق ، فقام رئيس الكهنة فى الوسط، وسأل يسوع قائلا: أما تجيب بشيء؟ ماذا يشهد به هؤلاء عليك؟ أما هو فكان ساكتا، ولم يجب بشيء ، فسأله رئيس الكهنة أيضا، وقال له : أأنت المسيح ابن المبارك؟ فقال يسوع : أنا هو ... فمزق رئيس الكهنة ثيابه، وقال ماحاجتنا بعد إلى شهوده قد سمعتم التجاديف. مارأيكم؟ فالجميع حكموا عليه أنه مستوجب الموت، فابتدأ قوم يبصقون عليه، ويغطون وجهه، ويلكمونه ، ويقولون له : تنبأ وكان الخدام يلطمونه»(٢).

---

(١) ١٤ : ١-٢١.

(٢) ١٤ : ٤٣-٦٥.

«وللوقت فى الصباح تشاور رؤساء الكهنة والشيوخ والكتبة والمجمع كله، فأوثقوا يسوع ، ومضوا به وأسلموه إلى بيلاطس. فسأله بيلاطس : أنت ملك اليهود؟ فأجاب ، وقال له : أنت تقول ، وكان رؤساء الكهنة يشتكون عليه كثيراً. فسأله بيلاطس أيضا قائلا: أما تجيب بشيء؟ أنظر ، كم يشهدون عليك؟ فلم يجب يسوع أيضا بشيء حتى تعجب بيلاطس. وكان يطلق لهم فى كل عيد أسيراً واحداً من طلبوه وكان المسمى باراباس موثقا مع رفقائه فى الفتنة الذين فعلوا قتلا، فصرخ الجميع ، وابتدأوا يطلبون أن يفعل كما كان دائما يفعل معهم ، فأجابهم بيلاطس قائلا : أتريدون أن أطلق لكم ملك اليهود، لأنه عرف أن رؤساء الكهنة كانوا قد أسلموه حسدا، فهيّج رؤساء الكهنة الجمع، لكى يطلق لهم بالحري باراباس، فأجاب بيلاطس أيضا ، وقال لهم : فماذا تريدون أن أفعل بالذى تدعونه ملك اليهود؟ فصرخوا أيضا : اصلبه . فقال لهم بيلاطس : وأى شر عمل؟ فازدادوا جدا صراخا : اصلبه. فيلاطس إذ كان يريد أن يعمل للجمع مايرضيهم، وأطلق لهم باراباس، وأسلم يسوع، بعد ماجلده ليصلب ... وكانت الساعة الثالثة فصلبوه ... وكان المجتازون يجدّفون عليه ، وهم يهزّون رؤسهم قائلين : آهَ يانَاقض الهيكل، وبانيه فى ثلاثة أيام، خلّص نفسك ، وانزل عن الصليب ... وفى الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم قائلا : الوي، الوي، لما شبقتني ... واسلم الروح»(١).

وتعقيبا على ماذكرناه هنا ، نقرر أن قصة الصلب هذه تداولتها الأناجيل الأربعة فى صور مختلفة. وسوف نتناول هذه القصة بالدراسة التحليلية المقارنة فيما بعد ، حيث ننتهي فيها إلى تقرير بطلانها ، نظرا لما تضمنته روايات هذه القصة من تناقضات، ومحالات.

---

(١) انجيل مرقس ١٥ : ١-٣٧.

أما ماتضمنته الأناجيل من تنبؤ المسيح بما يحدث له من آلام، فإنما يجري فيه مجرى غيره من الأنبياء ، فيما يتحمّلونه، ومايتنبؤون به. فليس للمسيح خصوصية فى ذلك حتى يؤوّل هذا التنبؤ بالآلام التى قد يتعرض لها كل نبي ورسول إلى صلبه فداء عن خطيئة البشر، فهذا مالا يقوله عاقل. وقد أكدّ (لوقا) فى انجيله – على لسان المسيح من قوله لتلاميذه – صحة ماذهبنا إليه، حيث جاء فيه : «من لايحمل صليبه ، ويأتى ورائي، فلا يقدر أن يكون لى تلميذا»(١).

فهذا القول لو صح على لسان المسيح لابدّ وأن يؤوّل بأن مراده – عليه السلام – حثهم ، وتحريضهم على الدعوة إلى دين الله، والمجاهدة فى سبيل الله، بحيث لاتأخذهم فى الله لومة لائم. والمراد بالصليب : آلة القتل(٢). فكأن المسيح يقول : ليتبعني كل واحد منكم ، وآلة موته على كتفه، وكفنه على عاتقه، مستقتلا فى سبيل الله، مؤثرا ماعند الله على الحياة الدنيا. فهو من قبيل قوله تعالى فى القرآن العظيم : «إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة»(٣).

ويدل على ذلك أمره لتلاميذه (٤) بأن يبيعوا ثيابهم ، ويشتروا سيوفا»(٥).

وغاية القول : إننا لانجد فيما استشهد به النصارى من نصوص العهد

---

(١) ١٤ : ٢٦.

(٢) الصليب المعروف عند النصارى الآن لم يكن في عهد المسيح، وإنما حدث فى زمان الملك قسطنطين لرؤيا رآها فى المنام، حسبما تذكر مصادرهم التاريخية.

أنظر سعيد بن البطريق / نظم الجوهر نقلا عن ابن تيمية / الجواب الصحيح جـ٣ ص ١٨، ١٩.

(٣) سورة التوبة / آية ١١١.

(٤) انجيل لوقا ٢٢ : ٣٦.

(٥) عبد الرحمن بك باجه جى زاده / الفارق بين المخلوق والخالق ص ٧١/٧٢.

القديم على صلب المسيح شاهداً على ذلك. أما نصوص العهد الجديد ، فمعلوم أنها كتبت بعد رفع المسيح - عليه السلام - ، وبعد أن روّج بولس لعقيدة الصلب والفداء.

وإذا كان النصارى يأخذون من نصوص العهد القديم مايدل على أن عقيدتهم فى صلب المسيح عقيدة دينية، ويرجعون فيها إلى أسفارهم المقدسة ، فإن ذلك لايعنى أنها عقيدة صحيحة. فهناك فرق بين وجودها فى كتبهم الدينية، وبين كونها صحيحة من الناحية التاريخية، ومن ناحية الأسس الدينية التى تقوم عليها. وفي تعقيبنا على هذا الفصل، وفيما سنورده من نقد لهذه العقيدة على لسان ابن تيمية، أو من نقدنا ، ونقد العلماء الآخرين لها، مايكفي فى بيان بطلانها، وبطلان ماتقوم عليه من شبهات واهية.

ثالثا : الأساس العقلى الفلسفى الذى بني عليه المسيحيون عقيدتهم فى الصلب والفداء. هو : أن الصلب والفداء إنما كان فداء لخطايا بني آدم، تخليصا لهم من أدران ذنب أبيهم الذى علق بهم، حيث يربطون منشأ هذه العقيدة بحدث أزلي، وهو توارث الخطيئة من آدم. ولن يكفّر هذه الخطيئة المتوارثة إلاّ دم زكى طاهر، لم يفعل صاحبة إثما، وليس هذا لأى أحد من البشر، بل لابن الاله. وطبيعى أن الدم لايكون إلاّ بموت. وهكذا قتل المسيح، وصلب، وكان هو الوحيد صاحب هذا الدم الزكى؛ لأنه لم يفعل خطيئة. وبداية القصة من سفر التكوين، حيث جاء فى هذا السفر مايلى:

«وأخذ الرب الاله آدم، ووضعه فى جنة عدن؛ ليعملها، ويحفظها. وأوصى الرب الاله آدم قائلا : من جميع شجرة الجنة تأكل أكلا، وأما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها؛ لأنك يوم تأكل منها موتا تموت»(١). «فرأت المرأة

---

(١) ٢ : ١٥-١٧.

أن الشجرة جيدة للأكل، وأنها بهجة للعيون، وأن الشجرة شهية للنظر، فأخذت من ثمرها، وأكلت ، وأعطت رجلها أيضا معها فأكل»[١]. يقول بولس :

« من أجل ذلك كأنما بإنسان واحد دخلت الخطيئة إلى العالم ، وبالخطيئة الموت، وهكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس، إذ أخطأ الجميع»[٢].

وبناء على هذا يرى المسيحيون « أن الخطيئة الأولى لم تقتصر على آدم وحواء، بل امتدت بحكم التناسل من ذات الدم الموبوء بالخطيئة إلى البشرية كلها على مرّ الأجيال، فجلبت الدمار على البشر أجمعين، وأن كلّ مانحسّ به نحن البشر من شك أو نزوع إلى الفتنة وما إليها من الدس والوقيعة والرياء والخديعة ، وأصول الجرائم وأسسها كلها منحدرة من مصدر واحد هو الأبوان والأولاد»[٣].

وهكذا يرى النصارى أن خطيئة آدم وزوجته أفقدتهما حياة الاستقامة، وأصبحا خاطئَيْنْ قبل أن ينجبا نسلا، ولذلك ولد البشر جميعا منهما خطاة وتحملوا تبعة وزرهما.

فما العمل وما الحل إذن ؟

يقول بولس : «لاتوجد مغفرة بدون سفك دم»[٤].

وسرعان مايخرجون من حيرتهم ويضعون حلاً لمشكلتهم هذه فيقولون : «إن خطيئة آدم لا تشترى إلاّ بدم زكى نفيس، وهذا الدم لايكون دم إنسان من

---

(١) سفر التكوين ٣ : ٦.

(٢) رسالة بولس إلى أهل رومية ٥ : ١٢.

(٣) محمد مجدى مرجان / المسيح انسان أم اله ص ١٤٣.

(٤) الرسالة إلى العبرانيين ٩ : ٢٢.

البشر، ذلك أن البشر ملوثون، ودمائهم نجسة، كذلك ليس دم حيوان من الحيوانات التى تعوّد الوثنيون واليهود ذبحها كفارة عن ذنوبهم، وذلك أن الحيوان لم يشترك فى خطيئة آدم[1].

كذلك ليس دم ملاك ، لأن الملائكة ليس لهم دم، وبالتالى لايصلحون للفداء. واذاً فلابد أن يكون الدم إلهيا طاهرا، ولكن فى نفس الوقت يمثل البشرية ، فهو دم طاهر، ولا طاهر إلاّ الله ، ويمثل الانسان»[2].

فلا حلّ إذن الاّ بنظرية التجسد[3] حيث يرسل الله ابنه الوحيد ليحل - كما يعتقدون - فى جسد العذراء مريم، ثم يولد بالجسد إنسانا ذا لحم ودم، ولكنه الله نفسه فيفتدى به البشرية من خطيئة آدم أبى البشر.

يقول بولس : «لما جاء ملء الزمان أرسل الله ابنه مولودا من امرأة، ومولودا تحت الناموس ليفتدي الذين هم تحت الناموس لننال التبني»[4] فغاية التجسد الأولية إذن هى الفداء، وهى التكفير عن معاصى البشر، ومصالحتهم مع الله عن طريق الطاعة والمحبة. «ولاشىء غير الحب - حسب اعتقادهم - هو

---

(١) تقرر التوراة أن الحية وهى حيوان، هى التى حرضت حواء على الأكل من الشجرة المحرمة (تك ٣ : ١-٦) وفى الحقيقة : أن الشيطان تمثل لهما فى شكل حيّة (عبد الأحد داود / الانجيل والصليب ص ٦).

(٢) محمد مجدى مرجان / المسيح انسان أم اله ص ١١٦.

(٣) التجسد هو : حلول الاله وعمله فى شخص انسان ما ، والمسيحيون يقولون أن الله سبحانه قد تواجد بين البشر فى شخص عيسى بطريقة خاصة فذة، وفى صورة أدمية حقيقية، وبهذا يصبح المسيح إلها وانسانا فى نفس الوقت (عبد الصمد شرف الدين/ حول أسطورة تجسد الاله / طبعة جامعة الملك عبد العزيز عام ١٣٩٨هـ ص ٢).

(٤) غلاطية ٤ : ٤-٥.
وكذلك أفسس ٥ : ١.
وأنظر كذلك يوحنا ٣ : ١٦.

الذى حدا بالله الأب على ارسال ابنه الوحيد الى أرض البشر، ليفتديهم ويخلصهم من آثامهم التى ورثوها. وهو (أى صلب المسيح) أجمل وأنصع شهادة على حب الله الأب السماوى للإنسان»[1] إذ أنه - على حد تعبير بولس - : «لم يدخر ابنه الوحيد، بل أسلمه إلى الموت لأجل خطايانا»[2].

إذن نظرية المسيحية هي : صلب المسيح للتكفير عن خطيئة البشر ، يقول القس بولس إلياس : «إن موت المسيح وبالتالى سر الفداء، يمثل نقطة الدائرة من الدين المسيحى، لقد تم مفعول الوساطة بموت المسيح، وسفكه دمه الذى به كفّر عن خطايانا وأرضى الله أباه»[3].

وهناك أساس عقلي آخر بنى عليه المسيحيون عقيدتهم فى الصلب والفداء حيث يدّعون أن «من صفات الله العدل والرحمة، وبمقتضى صفة العدل كان على الله أن يعاقب ذرية آدم بسبب الخطيئة التى ارتكبها أبوهم وطرد بها من الجنة واستحق هو وأبناؤه البعد عن الله بسببها، وألاّ يترك المذنب دون عقاب والاّ لم يكن عادلا.

وبمقتضى صفة الرحمة كان على الله أن يغفر سيئات البشر. ولم يكن هناك من طريق للجميع بين العدل والرحمة إلاّ بتوسط ابن الله ووحيده وقبوله أن يظهر فى شكل إنسان، وأن يعيش كما يعيش الانسان ، ثم يصلب ظلما بعد أن يلطموه على وجهه ويسخروا منه ويضفروا له اكليلا من الشوك ويبصقوا فى وجهه، كل ذلك ليكفر عن خطيئة البشر من ذنب لم يقترفه هو ولا هم»[4].

فالمخرج فى نظرهم للتوفيق بين عدل الله ورحمته لايكون الاّ بالكفارة

---

(١) الأب بولس الياس اليسوعي / يسوع المسيح (شخصيته وتعاليمه) ص ٩٥/١٠٦.

(٢) رسالة بولس إلى أهل رومية ٨ : ٣٢.

(٣) الأب بولس الياس اليسوعي / يسوع المسيح (شخصيته وتعاليمه) ص ٩٩ بتصرف.

(٤) عبد الأحد داود / الانجيل والصليب ص ٦-٧.

حيث أن الصفتين متغايرتان ومتعارضتان، ولايمكن التوفيق بينهما إلاّ بصلب المسيح فداء للبشر.

إذن كان لابدّ من صلب المسيح وقد كان - كما يعتقدون - وهذا هو ماتقتضيه العقيدة ويقتضيه العقل فى نظرهم.

على هذه الأسس الدينية والعقلية يبني النصارى عقيدتهم فى الصلب والفداء باعتبارها عقيدة دينية مستقاه من كتابهم المقدس، ويشهد لها النظر العقلى الصحيح - كما يزعمون- .

وسوف نتناول هذه العقيدة ومابنيت عليها من أسس بالنقد والابطال ، سواء فيما نورده عن ابن تيمية من ذلك فى الفقرة التالية، أو مانورده فيما بعد فى التعقيب الأخير.

ب - إبطال ابن تيمية لعقيدة الصلب والفداء عند النصارى :

هذه هي عقيدة الصلب والفداء، كما يعتقدها النصارى في حقيقتها وأسسها الدينية، والعقلية عندهم، وابن تيمية يتناول هذه العقيدة بالرد والإبطال من أوجه متعددة.

أولا : بطلانها لعدم الوثاقة التاريخية لرواية حادثة الصلب :

فهي عقيدة باطلة؛ لأنها تقوم على أساس ما رواه كتّاب الأناجيل عن حادثة الصلب، وهم يشهدوا أخبار تلك القصة، بل ولم يشهد الحواريون أنفسهم ذلك ، لأنّ نصوص أناجيلهم التي عليها معوّلهم قد ذكرت أن المأخوذ للقتل كان في نفر قليل من أصحابه ولمّا قبض عليه ولّوا هاربين، مذعورين، ومن تبعه منهم - وهو بطرس . أنكر معرفته به لدى الوالي الرومانى، وآخر ترك ازاره، وهرب عريانا لايلوى على شيء. فهؤلاء أصحابه، وأتباعه ، لم يحضر أحد منهم صلبه - كما يزعمون - بشهادة الأناجيل.

ورواية صلب من يزعمون أنه المسيح إنما هي رواية مأخوذة عن اليهود الذين شهدوها (وهم أعداء المسيح)، ومن ثمّ فهي قصة تفقد وثاقتها التاريخية، ولا أمان من تواطؤ رواتها على الكذب، ايهاما أنهم ظفروا بعدوّهم (المسيح)، وأنهم بلغوا أمانيهم . أو اختلاط الأمر عليهم ، وأشتباه المسيح بغيره فيما وقع من الصلب، فكيف تكون تلك القصة وهي بهذه المثابة من ضعف السند، وقبول الخطأ في روايتها - كيف تكون أساسا لعقيدة تقوم عليها النصرانية على نحو ماذكرنا .

يقول ابن تيمية :

«وقصة الصلب مما وقع فيها الاشتباه ، وقد قام الدليل على أنّ المصلوب لم يكن هو المسيح - عليه السلام - بل شبهه ، وهم ظنوا أنّه المسيح ، وأنّ الأناجيل التي بأيدى أهل الكتاب فيها ذكر صلب المسيح، وعندهم أنها مأخوذة عن الأربعة (مرقس، ولوقا ، ويوحنا، ومتّى) ولم يكن في هؤلاء من شهد صلب المسيح، ولا من الحواريين ، بل ولا في اتباعه من شهد الصلب وإنما الذين شهدوا الصلب طائفة من اليهود. فمن الناس من يقول : أنهم علموا أنّ المصلوب غيره، وتعمدوا الكذب في أنهّم صلبوه، وشبّه صلبه على من أخبروهم.

ومنهم من يقول : بل اشتبه على الذين صلبوه ، وهو قول أكثر الناس ويقولون : أنّ قوله تعالى : {وماقتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم} أى شبّه للناس الذين أخبرهم أولئك اليهود بصلبه، وهم شرط أعوان الظلمة، ولم يكونوا خلقا كثيرا يمتنع تواطؤهم على الكذب»[1].

---

(١) الجواب الصحيح جـ١ ص ٣١٣ وكذلك جـ٢ ص ١٤ وكذلك جـ٢ ص ٢٨٣ بتصرف

ثانيا : تناقض النصارى في جمعهم بين عقيدة صلب المسيح وألوهيته:

وعقيدة الصلب والفداء باطلة فى نظر ابن تيمية ؛ لما فيها من التناقض مع عقيدتهم في المسيح، فهو يلزمهم بمقتضى تلك العقيدة أنّهم يجمعون بينها وبين ما يناقضها، فإذا كانوا يؤمنون بأنّ المسيح اله حقّ من اله حق كما تنص عليه أمانتهم، فكيف يجمعون بين ذلك وبين القول بأنّ الاله الحقّ صلب، وقتل، ولحقته الاهانات الشنيعة. إنّ ذلك يتناقض مع مقتضى الالوهية. يقول ابن تيمية - موجها كلامه للنصارى - : «انكم قلتم في أمانتكم عن المسيح : أنّه اله حقّ من اله حقّ، ومن جوهر أبيه، الذى هو مساو الأب في الجوهر. الذى نزل وتجسّد من روح القدس، ومن مريم العذراء، وتأنّس، وصلب ، وتألم». اقتضى ذلك أن يكون الآله الحقّ المساو للأب في الجوهر، صلب وتألم ، فيكون اللاهوت مصلوبا ، متألما . وهذا تقرّبه طوائف منكم، وطوائف تنكره، لكن مقتضى أمانتكم هو الأول، أنّ اللاهوت صلب وتألم ، وهذا لايمكن أن يقال»(١).

ثالثا : بطلان عقيدة الصلب والفداء ببطلان عقيدة الخطيئة الموروثة:

واذا كان النصارى يقيمون عقيدة الصلب والفداء على أساس من ايمانهم بفداء المسيح للبشرية، من الخطيئة الموروثة، فإنّ ابن تيمية ينقض هذا الأساس ، وبذلك ينتقض زعم النصارى بصلب المسيح من أجل الفداء.

(أ) فالنصارى يدينون بوراثة أبناء آدم لخطيئة أبيهم، تلك الخطيئة التى لم يتب منها آدم كما يزعمون، والتى دنّسته، ودنّست ذريته من بعده، وكانت سببا فى تسليط الشيطان على أرواح هؤلاء الذرية ليحبسهم في محبسه ... إلى غير ذلك من الأوهام التي يدين بها النصارى.

والواقع أنّ آدم - عليه السلام - وأن كان قد أذنب ، إلاّ أنّه تاب، فتاب

(١) الجواب الصحيح جـ٢ ص ١١٨/١١٩ بتصرف قليل. وكذلك جـ٣ ص ٤٢/٤٩، ١١١.

الله عليه. ومن ثمّ لم يورّث أبناءه خطيئته، لو فرض أنّ الخطايا يرثها الأبناء عن الآباء.

يقول ابن تيمية : «... لقد تاب الله على آدم ، واجتباه، وهداه. قال تعالى : {وعصى آدم ربّه فغوى ثمّ اجتباه ربّه فتاب عليه وهدى}[1].

وقال تعالى : {فتلقّى آدم من ربه كلمات فتاب عليه أنه هو التواب الرحيم}[2].

وليس عند أهل الكتاب فى كتبهم ماينفى توبته، وإنما قد يقول قائلهم : إنا لانعلم أنه تاب أو ليس عندنا توبته، وعدم العلم بشىء ليس علما بعدمه، وعدم وجود الشىء فى كتاب من كتب الله لاينفي أن يكون في كتاب آخر»[3].

(ب) ويستنكر ابن تيمية القول بوراثة بني آدم لخطيئة أبيهم حتى ولولم يتب منها ولاسيما الأنبياء عليهم السلام. الذين أكرمهم الله عز وجل والذين لايعقل أن يتسلط الشيطان على أرواحهم فيحبسها فى محبسه - كما يزعمون - وإذا كان الله عز وجل لم يؤاخذهم بذنوب آبائهم فكيف يؤاخذهم بذنب أبيهم الأول. يقول ابن تيمية :

«وسواء تاب آدم ، أو لم يتب فكيف يجوز أن يكون رسل الله الذين هم أفضل منه محبوسين فى حبس الشيطان فى جهنم بذنبه؟ وابراهيم خليل الرحمن كان أبوه كافراً ولم يؤاخذه الله بذنبه فكيف يجعله الله فى جهنم فى

---

(١) سورة طه / آية ١٢١/١٢٢.

(٢) سورة البقرة / آية ٣٧.

(٣) الجواب الصحيح جـ ١ ص ٣٦٤.

حبس الشيطان بسبب ذنب أبيه الأقصى آدم ، مع أنه كان نبيا؟ ونوح - عليه السلام - قد مكث فى قومه ألف سنة إلاّ خمسين عاما يدعوهم إلى عبادة الله وحده، وأغرق الله أهل الأرض بدعوته وجعل ذريته هم الباقين، فكيف يكون فى جهنم فى حبس الشيطان لأجل ذنب آدم؟ وموسى بن عمران كلمه الله تكليما، وأظهر على يديه من البراهين، والآيات مالم يظهر مثله على يدي المسيح، وقتل نفسا لم يؤمر بقتلها، فغفر الله له ذلك ، وله من المنزلة عند الله والكرامة مالا يقدر قدره، فكيف يكون فى جهنم فى حبس الشيطان»[1].

«... فمن كان قولهم مثل هذه الخرافات التى هي مضاحك العقلاء والتى لاتصلح أن تضاف إلى أجهل الملوك وأظلمهم، فكيف يدّعون مع هذا أنهم يصفون الله بالعدل ، ويجعلون من عدله أنه لا يأمر الانسان بتعلم مالايقدر على تعلمه، وفيه صلاح معاشه، ومعاده، ويجعلون مثل هذا موجبا لتكذيب كتابه ورسله، والاصرار على تبديل الكتاب الأول، وتكذيب الكتاب الآخر، وعلى أنه يتضمن مخالفة موسى وعيسى وسائر الأنبياء والرسل ؟»[2].

(جـ) يرى ابن تيمية أنه لا مناسبة بين الصلب الذى هو فى نفسه من أعظم الذنوب وبين فداء البشرية، بل ويرى أن تصور النصارى لعقيدتهم فيه نسبة الظلم إلى الله عز وجل حيث أخّر فكاك أرواح البشرية من حبس الشيطان إلى عهد المسيح، فلماذا لم يردّ الشيطان عن ظلمه للبشرية منذ البداية وفى ذلك يتساءل ابن تيمية مستنكرا :

«أي مناسبة بين الصلب الذى هو من أعظم الذنوب ، سواء صلبوا

(١) المرجع السابق جـ١ ص ٣٦٥ وكذلك جـ١ ص ٢١٥.

(٢) الجواب الصحيح جـ ١ ص ٢١٥/٢١٦.

المسيح ، أو المشبه به، وبين تخليص هؤلاء من الشيطان:؟ فإن الشيطان إن فعل ذلك بالذرية كان ظالما معتديا ، والله عز وجل قادر على منعه من ظلمهم، بل وعلى عقوبته إذا لم ينتهِ عن ظلمهم. فلماذا آخرّ منعه من ظلمهم إلى زمن المسيح؟ وهو سبحانه ولي المومنين ، وناصرهم ، ومؤيدهم، وهم رسله الذين نصرهم على من عاداهم، بل أهلك أعداءهم الذين هم جند الشيطان. فكيف لايمنع الشيطان بعد موتهم أن يظلمهم، ويجعل أرواحهم فى جهنم؟ هذا إن قدّر أن الشيطان كان قادرا على ذلك وكيف يجوز أن يجعل الشيطان بعد موت أنبيائه وأوليائه، وسقوط التكليف عنهم، واستحقاقهم كرامته واحاسنه وجنته بحكم وعده، ومقتضى حكمته - يجعله مسلطا على حبسهم فى جهنم ؟! وان قالوا : الرب عز وجل ماكان يقدر على تخليصهم من الشيطان ، ومع علمه بأنه ظالم معتدٍ عليهم بعد الموت إلاّ بأن يحتال عليه بإخفاء نفسه ليتمكن منه - كما يزعمون - فهذا مع مافيه من الكفر العظيم، وجعل الرب سبحانه عاجزا ، كما جعلوه أولا ظالما فيه من التناقض مايقتضي عظيم جهلهم الذى جعلوا به الرب جاهلا ، فإنهم يقولون :

إنه احتال على الشيطان ليأخذه بعدل، كما احتال الشيطان على آدم بالحيلة ، فاختفى منه لئلا يعلم أنه ناسوت الاله ، وناسوت الاله لم يعمل خطيئة قط بخلاف غيره.

فلما أراد الشيطان أخذ روحه ليحبسه فى جهنم كسائر من مضى، وهو لم يعمل خطيئة، استحق الشيطان أن يأخذه الرب، ويخلص الذرية من حبسه، وهذا تجهيل منهم للرب سبحانه وتعالى عما يقولون، مع تعجيزه وتظليمه، فإنه إن كان هو سلط الشيطان على بني آدم كما يقولون . فلا فرق بين ناسوت المسيح وغيره ، إذ الجميع بني آدم ، وأيضا فإذا قدر أن الناسوت دفع

الشيطان عن نفسه بحق، فإنهم يقولون : إنه دخل الجحيم وأخرج منه ذرية آدم. فيقال : إن كان تسلط الشيطان على حبسهم فى الجحيم بحق لأجل ذنوبهم مع ذنب أبيهم ، لم يجز اخراجهم لأجل سلامة ناسوت المسيح من الذنب، وان كانوا مظلومين مع الشيطان وجب تخليصهم قبل صلب الناسوت ولم يجز تأخير ذلك، فليس فى مجرد سلامة المسيح من الذنب مايوجب سلامة غيره، وان قالوا : إنه كان بدون تسلطهم على صلبه عاجزا عن دفعه، فهو مع تسلطه على صلبه أعجز وأعجز»[1].

رابعا : بطلان عقيدة الصلب والفداء لما فيها من تناقضات :

ويستفيض ابن تيمية فى ذكر وجوه الإبطال التى يوجهها إلى عقيدة النصارى فى وراثة أبناء آدم الخطيئة وصلب المسيح فداء لأرواحهم من آثار تلك الخطيئة ، ومايسندونه إلى الله عز وجل من احتياله على الشيطان بحلوله فى ناسوت المسيح الذى لم يفعل خطيئة، حتى إذا أراد الشيطان أن يحبس روحه فى محبسه كما فعل مع بقية بني آدم عاقبه الله عز وجل، لأنه أراد أن يحبس روح المسيح الذى لم يفعل خطيئة وكان فى عقابه له عادلا - يفيض ابن تيمية فى ذكر الوجوه التى تبطل هذه العقائد بما بينها من تناقضات وما تستلزمه فى حق الله عز وجل من المحالات، وفى ذلك يقول :

«والنصارى يقولون : إن المسيح الذى هو عندهم اللاهوت والناسوت جميعا إنما مكّن الكفار من صلبه ليحتال بذلك على عقوبة ابليس ، قالوا : فأخفى نفسه عن أبليس لئلا يعلم، ومكن أعداءه من أخذه وضربه، والبصاق فى وجهه، ووضع الشوك على رأسه وصلبه، وأظهر الجزع من الموت وصار يقول :

---

(١) الجواب الصحيح جـ ١ ص ٣٦٥/٣٦٧.

ياالهى لم سلطت أعدائى علىّ ليخفى بذلك عن ابليس ، فلايعرف ابليس أنه الله أو ابن الله، ويريد ابليس أن يأخذ روحه إلى الجحيم كما أخذ أرواح نوح وابراهيم، وموسى وغيرهم من الأنبياء والمؤمنين.

فيحتج عليه الرب، حينئذ ويقول بماذا استحللت يا أبليس أن تأخذ روحي؟ فيقول له أبليس : بخطيئتك . فيقول : ناسوتى لاخطيئة له كنواسيت الأنبياء. فإنه كان لهم خطايا استحقوا بها أن تأخذ أرواحهم إلى جهنم ، وأنا لا خطيئة لى، قالوا : فلما أقام الله الحجة على ابليس جاز للرب حينئذ أن يأخذ ابليس ويعاقبة ويخلص ذرية آدم من إذهابهم إلى الجحيم، وهذا الكلام فيه من الباطل ونسبة الظلم إلى الله ما يطول وصفه، فمَنْ هذا قوله ، فقد قدح فى علم الرب وحكمته وعدله قدحا ماقدحه فيه أحد، وذلك من وجوه:

الوجه الأول :

أن يقال ابليس إن كان أخذ الذرية بذنب أبيهم فلا فرق بين ناسوت المسيح وغيره، وان كان بخطاياهم فلم يأخذهم بذنب أبيهم، وهم قالوا : إنما أخذهم بذنب آدم.

الوجه الثاني :

أن يقال من خلق بعد المسيح من الذرية كمن خلق قبله فكيف جاز أن يمكن إبليس من الذرية المتقدمين دون المتأخرين، وكلهم بالنسبة إلى آدم سواء، وهم أيضا يخطئون أعظم من خطايا الأنبياء المتقدمين، فكيف جاز تمكين إبليس من عقوبة الأنبياء المتقدمين، ولم يمكن من عقوبة الكفار والجبابرة الذين كانوا بعد المسيح؟.

الوجه الثالث :

أن يقال أخْذ إبليس لذرية آدم وادخلهم جهنم. أما أن يكون ظلما من إبليس. وأما أن يكون عدلا. فإن كان عدلا فلا لوم على إبليس، ولايجوز أن يحتال عليه ليمتنع من العدل الذى يستحقه بل يجب تمكينه من المتقدمين والمتأخرين. وان كان ظلما فلم لايمنعه الرب منه قبل المسيح؟ فإن قيل : لم يقدر ، فقد نسبوه إلى العجز. وأن قيل : قدر على دفع ظلم إبليس ولم يفعله، فلا فرق بين دفعه فى زمان دون زمان، ولوجاز ذلك جاز فى كل زمان، وان امتنع امتنع فى كل زمان.

الوجه الرابع :

إن إبليس ان كان معذورا قبل المسيح فلا حاجة إلى عقوبته ولا يلام عليه. وان لم يكن معذورا استحق العقوبة ولا حاجة أن يحتال عليه بحيلة تقام بها الحجة عليه.

الوجه الخامس:

إنه بتقدير أنه لم يقم عليه حجة قبل الصلب، فلم يقم عليه بالصلب فإنه يمكنه أن يقول : أنا ماعلمت أن هذا الناسوت هو ناسوت الرب، وأنت يارب قد أذنت لى أن آخذ جميع ذرية آدم، فأؤديهم إلى الجحيم ، وهذا واحد منهم، وماعلمت أنك أو ابنك اتحد به، ولو علمت ذلك لعظمته فأنا معذور فى ذلك فلايجوز أن تظلمنى.

الوجه السادس :

أن نقول إن إبليس يقول حينئذ يارب فهذا الناسوت الواحد أخطأت فى

أخذ روحه لكن سائر بني آدم الذين بعده لى أن أحبس أرواحهم فى جهنم كما حبست أرواح الذين كانوا قبل المسيح، إما بذنب أبيهم ، وأما بخطاياهم أنفسهم وحينئذ فإن كان مايقوله النصارى حقا فلا حجة لله على إبليس.

الوجه السابع:

أن يقال هب أن آدم أذنب وبنوه أذنبوا بتزيين الشيطان فعقوبة بني آدم على ذنوبهم هى إلى الله أو إلى إبليس ؟ فهل يقول عاقل إن إبليس له أن يغوي بني آدم بتزيينه لهم ، ثم له أن يعاقبهم جميعا بغير إذن من الله له فى ذلك ..؟ وهل هذا القول إلاّ من قول المجوس الثنوية الذين يقولون إن كل مافى العالم من الشر من الذنوب والعقاب وغير ذلك هو من فعل إبليس لم يفعل الله شيئا من ذلك ، ولاعاقب الله أحدا على ذنب ؟ ولاريب أن هذا القول سرى إلى النصارى من المجوس، ولهذا لاينقلون هذا القول فى كتاب منزل، ولا عن أحد من الحواريين ، ولهذا كان المانوية دينهم مركبا من دين النصارى والمجوس، وكان رأسهم ماني نصرانيا مجوسيا، فالنسب بين النصارى ، والمجوس، بل وسائر المشركين نسب معروف.

الوجه الثامن:

أن يقال إبليس عاقب بني آدم ، وأدخلهم جهنم بإذن الله أو بغير إذنه؟ إن قالوا بإذنه فلا ذنب له، ولايستحق أن يحتال عليه ليعاقب ويمتنع وان كان بغير إذنه فهل جاز فى عدل الله أن يمكنه من ذلك أم لم يجز؟ فإن جاز ذلك فى زمان جاز فى جميع الأمنة، وان لم يجز فى زمان لم يجز فى جميع الأزمنة ، فلا فرق بين ماقبل المسيح ومابعده.

الوجه التاسع :

أن يقال هل كان الله قادرا على منع إبليس وعقوبته بدون هذه الحيلة، وكان ذلك عدلا منه لو فعله أم لا ؟ فإن كان ذلك مقدورا له ، وهو عدل منه لم يحتج أن يحتال على إبليس ولا يصلب نفسه أو أبنه، ثم إن كان هذا العدل واجبا عليه وجب منع إبليس،، وان لم يكن واجبا جاز تمكينه فى كل زمان، فلا فرق بين زمان وزمان، وان قيل : لم يكن قادراً على منع إبليس فهو تعجيز للرب على منع إبليس وهذا من أعظم الكفر باتفاق أهل الملل من جنس قول الثنوية الذين يقولون : لم يكن يقدر النور أن يمنع العالم من الشر، ومن جنس قول ديمقراطيس* والمنانيين** الذين يقولون : لم يكن واجب الوجود الذى يمنع النفس عن ملابسة الهيولى*** بل تعلقت النفس بها بغير اختياره.

الوجه العاشر :

إن مافعله به الكفار اليهود الذين صلبوه قد كان طاعة لله أو معصية :

---

* فيلسوف يونانى عاش حوالى (٤٦٠-٣٧٠ ق.م.) قال : إن كل كائن مركب من ذرات متجانسة فى طبيعتها ، ولكنها مختلفة حجما وشكلا وثقلا. وغاية الحياة عنده هى السعادة متحققة بضبط أهواء النفس. يعتبر كمؤسس للفلسفة المادية

أنظر. محمد شفيق غربال / الموسوعة العربية الميسرة ص ٨٣٧ وكذلك منجد الأعلام ص ٢٩٦.

** هم أتباع مانى بن فاتك، ثنوى، مجوسى أحدث دينا، ودعا إليه ، وزعم أن صانع العالم أثنان : أحدهما فاعل الخير، وهو نور. وثانيهما فاعل الشر، وهو ظلمة. وهما قديمان لم يزالا، ولن يزالا. وهما مختلفان فى النفس والصورة، متضادان فى الفعل والتدبير ... أنظر الشهرستانى / الملل والنحل جـ ٢ ص ٨١. ، وانظر هامش ص ١٩ من هذه الرسالة .

*** الهيولى : لفظ يونانى بمعنى الأصل والمادة .وفى الاصطلاح هى جوهر فى الجسم، قابل لما يعرض لذلك الجسم من الاتصال والانفصال، محل للصورتين الجمسية والنوعية. أنظر الجرجانى فى تعريفاته ص ٤٧٩ . وأنظر كذلك المعجم الفلسفى ص ١٣٦، ٢٠٨.

فإن كان طاعة لله : استحق اليهود الذين صلبوه، أن يثيبهم ويكرمهم على طاعته، كما يثيب سائر المطيعين له، والنصارى متفقون على أن أولئك من أعظم الناس إثماً - وهم من شر الخلق - وهم يستحلون دمهم ولعنتهم مالا يستحلونه من غيرهم بل يبالغون فى طلب اليهود ، وعقوبتهم فى آخر صومهم الأيام التى تشبه أيام الصليب.

وان كان أولئك اليهود عصاة لله ، فهل كان قادرا على منعهم من هذه المعصية أم لا؟ فإن لم يكن قادرا ، لم يكن قادرا على منع إبليس من ظلم الذرية فى الزمن المستقبل، وان كان قادرا على منعهم من المعاصى ولم يمنعهم كان قادراً على منع إبليس بدون هذه الحيلة. وان كان حسنا منه تمكينهم من هذه المعصية كان حسنا منه تمكين إبليس من ظلم الذرية فى الماضى والمستقبل. فلا حاجة إلى الحيلة عليه.

الوجه الحادى عشر :

وهو أما أن نقول فى الظلم كما تقول الجهمية المجبرة[1] الذين يقولون : يفعل مايشاء بلا حكمة ولا سبب ولا مراعاة ، وأما أن يقال بقول القدرية[2]: أنه

---

(١) الجهمية المجبرة، اتباع جهم بن صفوان، الذى قال بالاجبار والاضطرار إلى الأعمال ، وأنكر الاستطاعات كلها، وقد ظهرت بدعته بترمذ، وقتله سالم ابن أحوز المازنى بمرو، فى آخر ملك بني أمية. أنظر الشهرستانى / الملل والنحل جـ ١ ص ١٠٩.
وكذلك عبد القاهر البغدادى / الفرق بين الفرق/ تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ص ٢١١.

(٢) هى فرقة المعتزلة الذين يزعمون أن الناس هم الذين يقدرون على اكسابهم، وأنه ليس لله عز وجل فى اكسابهم، ولا فى أعمال سائر الحيوانات صنع وتقدير، ولأجل هذا القول سماهم المسلمون قدرية. أنظر عبد القاهر البغدادى / الفرق بين الفرق ص ١١٤/١١٥.
وكذلك الشهرستانى / الملل والنحل جـ ١ ص ٥٤.

يجب عليه العدل الذى يجب على المخلوقين.

وأمّا أن يقال هو عادل منزه عن الظلم ولكن ليس عدله كعدل المخلوقين. فهذه أقوال الناس الثلاثة.

فإن قيل بالأول : (أنه يفعل بلا سبب) جاز أن يسلط إبليس على جميع الذرية بلا ذنب وأن يعاقبهم جميعا بلا ذنب ولاحاجة حينئذ إلى الحيلة على إبليس.

وان قيل بالثانى : (يجب عليه العدل)، فمعلوم أن الواحد من الناس لو علم أن بعض مماليكه أمره غيره بذنب يكرهه السيد ففعله كان العدل منه أن يعاقب الآمر والمأمور جميعا.

وأما تسليطه للآمر على عقوبة المأمور فليس من العدل، وكذلك تسليط الآمر الظالم على جميع ذرية المأمور الذين لم يذنبوا ذنب أبيهم ليس من العدل.

وان قيل : بل هو استحق أن يستعبدهم لكون أبيهم أطاعه، قيل فحينئذ يستحق أن يأسر الأولين والآخرين. فلا يجوز أن يمنع من حقه بالاحتيال عليه. وان قيل : إنما يستحق أخذهم بخطاياهم، قيل : فله أن يأخذ الأولين والآخرين.

وان قيل : هل لما طلب أخذ روح ناسوت المسيح منع بهذا الذنب؟ قيل : هذا إن كان ذنبا فهو أخف ذنوبه، فإنه لم يعلم أنه ناسوت الاله، فإذا استحق الرجل أن يسترقّ أولاد غيره، فطلب رجلا ليسترقه، لظنه أنه منهم، ولم يكن منهم لم يكن هذا ذنبا يمنع استرقاق الباقين.

وان قيل بالثالث (إن عدل الرب ليس كعدل المخلوقين، بل من عدله أن لانقص أحداً من حسناته ولا يعاقبه إلاّ بذنبه) لم يجز حينئذ أن يعاقب ذرية

آدم بذنب أبيهم، ولم يجز أن يعاقب الأنبياء الذين ليس لهم ذنب إلاّ ذنبٌ تابوا منه بذنب غيرهم بأن الأنبياء معصمون أن يقروا على ذنب ، فكل من مات منهم مات وليس له ذنب يستحق عليه العقوبة، فكيف يعاقبون بعد الموت بذنب أبيهم إن قدر أنه مات مصراً على الذنب مع أن هذا تقدير باطل ، ولو قدر أن الأنبياء لهم خطايا يستحقون بها العقوبة بعد الموت وتسليط إبليس على عقوبتهم، مع أن هذا تقدير باطل، فمَنْ بعد المسيح من غير الأنبياء أولى بذلك .

فكيف يجوز في العدل الذى يوجب التسوية بين المتماثلين عقوبة الأنبياء ومنع عقوبة من هو دونهم ، بل من هو من الكفار.

الوجه الثاني عشر :

إن الرب إذا قصد بهذا دفع ظلم إبليس فهلاّ اتحد بناسوت بعض أولاد آدم ليحتال على إبليس فيمنعه من ظلم من تقدم ، فإن المنع من الشر الكثير أولى من المنع من الشري القليل، أتراه ماكان يعلم أن إبليس يعمل هذا الشر كله، فهذا تجهيل له، أو كان يعترف وعجز عن دفعه ، فهذا تعجيز له. ثم ما الفرق بين زمان وزمان؟ أم كان ترك منعه عدلا منه فهو عدل في كل زمان؟

وأعلم أن الوجوه الدالة على فساد دين النصارى كثيرة جدا ، وكلما تصور العاقل مذهبهم، وتصور لوازمه، تبيّن له فساده. لكن المقصود هنا بيان تناقضهم في أنهم يقيمون عذر أنفسهم في ترك الإيمان بكتابه ورسوله ودينه، لكونه سبحانه عدلا لا يأمر الناس بما يعجزون عنه، وهو سبحانه لم يأمرهم الاّ بما يقدرون عليه، وقد نسبوا إليه من الظلم مالم ينسبه إليه أحد من بني آدم»[1].

---

(١) الجواب الصحيح جـ ١ ص ٢١٦/٢٢١.

وليس لنا من تعقيب على هذه الوجوه المستفيضه التى ذكرها ابن تيمية فى إبطال عقيدة النصارى فى الصلب والفداء، وإبطال تصورهم لكيفية هذا الفداء ، وإبطال الأسس التى تقوم عليها تلك العقيدة ، فقد كانت حجج ابن تيمية - كما رأينا - حججاً بالغة فى إبطال هذه العقيدة من جميع تلك الوجوه.

جـ تعقيـــب :

١ - الجذور التاريخية لعقيدة الصلب والفداء :

عقيدة صلب المسيح مقرونة بفكرة الفداء والخطيئة الأولى هى عقيدة وثنية محضة تمتد جذورها إلى مئات السنين قبل ميلاد المسيح - عليه السلام - تماما كغيرها من العقائد النصرانية الأخرى التى سبق الكلام عنها فى الفصول السابقة واللاحقة.

ويذكر الفرد لوازي بأن المسيحية تأثرت وتفاعلت بالديانات الوثنية السريّة المنتشرة آنئذ فى الامبراطورية الرومانية، وبلدان الشرق الأدنى، لاسيما فى مصر وسوريا وبلاد فارس فريجية*، حيث كانت طقوس العبادة تمثل على المسرح موت الآلهة، وبعثهم ، تشجيعاً للراغبين فى الانتساب إلى تلك الديانات، والطامعين فى البقاء والخلود»(١).

---

* فريجيا (Phrygie) اقليم قديم بوسط آسيا الصغرى بين بحر ايجه والبحر الأسود، قدم الفريجيون من أوربا ، واستقروا هناك حوالى عام ١٢٠٠ ق.م. ثم احتلها الفرس سنة ٥٤٦ ق.م. ثم الرومان سنة ١٣٣م، بشّر فيها بولس بالمسيحية. أنظر : منجد الأعلام ص ٥٢٧ ط ٢٦. وأنظر كذلك محمد شفيق غربال الموسوعة العربية الميسرة ص ١٢٩٧.

(١) L.De Grandma is on, Jesus-Chrisl, t.2/p. 5/9.

وكذلك J. lagrange/Attis et le christian is me R.B. 1616. p. 449.

نقلا عن الأب بولس الياس / يسوع المسيح (شخصيته وتعاليمه) ص ١٣٢.

ويؤكد ذلك المؤرخ المسيحى ول ديورانت حيث يذكر أن الاممين فى بلاد اليونان الذين آمنوا بالمسيح، ولم يروه، قد آمنوا به كما آمنوا بآلهتهم المنقذة، التى ماتت لتفتدي بموتها بني الانسان، حيث كانت هذه العقيدة منتشرة منذ زمن بعيد فى مصر وآسيه الصغرى وبلاد اليونان.

يقول فى ذلك : «لقد كانت مصر وآسيه الصغرى، وبلاد اليونان تؤمن بالآلهة، من زمن بعيد، تؤمن بأوزيريس، وأوتيس ، وديونيشس، التى ماتت لتفتدى بموتها بني الانسان، وكانت ألقاب مثل : سوتر «المنقذ» واليوتريوس «المنجى» تطلق على هذه الآلهة، وكان لفظ كريوس «الرب» الذى سمى به بولس المسيح هو اللفظ الذى تطلقه الطقوس اليونانية - السورية على ديونيشس الميت المفتدى، ولم يكن فى وسع غير اليهود من أهل أنطاكية وسواها من المدن اليونانية ، الذين لم يعرفوا عيسى بجسمه أن يؤمنوا به إلاّ كما آمنوا بآلهتهم المنقذين»[1].

«ويحترم النصارى أوزيريس ، ويعدونه أعظم مثال لتقديم النفس ذبيحة لينال الناس الحياة»[2].

وقد أسهب جميع علماء مقارنة الأديان والمهتمين بالتاريخ القديم ، فى الحديث عن عقيدة الصلب والفداء، وعن أصولها، وكانوا جميعا متقاربي الآراء فى بيان جذور هذه العقيدة، وكيفية وصولها للديانة المسيحية المحرفة، من هؤلاء صاحب كتاب العقائد الوثنية فى الديانة النصرانية الذى كان عبارة عن خلاصة إطلاعه على مايقرب من أربعين كتابا أجنبيا فى مقارنة الأديان وفى التاريخ

---

(١) قصة الحضارة جـ ٣ رقم ١١ ص ٢٦٤.

(٢) الخرافات / مورى ص ٣٨٤ نقلا عن كتاب العقائد الوثنية ص ٤٤.

القديم. حيث جمع الشيء الكثير مما يشترك فيه النصارى مع الوثنيين المختلفي النحل، والأمكنة في العقائد . ولو حاولنا التوسع في سرد ماذكره في هذا المقام لطال بنا القول، ولكن سأقتصر في فصلنا هذا على بعض ماذكره ، مما يكفي في المعرفة بجذور هذه العقيدة. فتقول ومن الله نستمد العون:

تقديم البشر ذبيحة فداء للخطيئة، كان شائعا في الأزمنة القديمة لدى الرومان واليونان والمصريين وهي في نفس ملابساتها وأشكالها لاتخرج عما يعتقده النصارى في شأن عيسى - عليه السلام - وفي ذلك يقول :

«كان الوثنيون يقدمون البشر ذبيحة، والغالب عندهم تقديم الأرقاء والأسارى ذبيحة فداء عن الخطيئة، وليس هذا فقط ، بل ونفس أولادهم ، وكان الرومانيون واليونان يقدمون أنفسهم ذبيحة للآلهة استرضاء لها. وكانوا في مصر يقدمون من البشر ذبيحة، وتمكنت بهم هذه العادة الشريرة حتى إنهم صاروا يقدمون الابن البكر من أحد العائلات ذبيحة ، يأخذونه إلى هيكل ويضعون على رأسه إكليلا ، ثم يذبحونه قربانا للآلهة كما تذبح الأنعام»[1].

وكتب النصارى وسائر أسفارهم تصرح بأن عيسى صلب وعلى رأسه إكليل من الشوك[2]. ويقول «دوان » في كتابه (خرافات التوراة ومايقابلها في الديانات الأخرى) ماترجمته ملخصا :

«إن تصور الخلاص بواسطة تقديم أحد الآلهة نفسه ذبيحة فداء عن

---

(١) محمد طاهر التنير / ص ٣٧.

(٢) أنظر مثلا انجيل مرقس ١٥ : ١٧.

الخطيئة قديم العهد جداً عند الهنود الوثنيين وغيرهم ، فالهنود يعتقدون أن «كرشنا المولود البكر الذى هو نفس الاله فشنو ، الذى لا ابتداء له ولا انتهاء – على رأيهم – تحرك حنواً كى يخلص الأرض من ثقل حملها، فأتاها ، وخلص الانسان بتقديم نفسه ذبيحة عنه»(١).

ويؤكد ذلك المؤرخ الأوربى (هوك) فى المجلد الأول من رحلته فيذكر «أن الهنود الوثنيين يعتقدون بتجسد أحد الآلهة وتقديم نفسه ذبيحة فداء عن الناس من الخطيئة(٢).

وهذا يعنى أن الاعتقاد بالخطيئة الأصلية وتوارثها ليس قاصرا على الرومانيين واليونانيين والمصريين فحسب، بل هو يمتد بجذور عميقة جدا لدى الهنود الوثنيين أيضا الذين يعتقدون بالخطيئة الأصلية «ومما يدل على ذلك ماجاء فى تضرعاتهم التى يتوسلون بها وهى : إنى مذنب ومرتكب الخطيئة ، وطبيعتى شريرة، وحملتنى أمي بالاثم فخلصنى ياذا العين الحندوقوقية(٣) يامخلص الخاطئين من الآثام والذنوب»(٤).

وفي سياق كلامه عن الهنود وعقائدهم قال القس جورج كوكس فى كتابه (الديانات القديمة) إن الهنود «يصفون كرشنا بالبطل الوديع المملوء لاهوتا، لأنه قدم شخصه ذبيحة»(٥).

---

(١) ص ١٨٢/١٨١ نقلا عن الأستاذ محمد طاهر التنير / العقائد الوثنية فى الديانة النصرانية ص ٣٦.

(٢) ص ٣٢٦ نقلا عن المرجع السابق ص ٣٧.

(٣) الحِنْدقوق ، والحَنْدقوقى. بقلة أو حشيشة مثلثة الورق تمسى أيضا الذُرَق. أنظر المنجد فى اللغة والأعلام ص ١٥٧ ط ٢٦.

(٤) مورينور وليمس / كتاب الهنود ص ٣٦ نقلا عن الأستاذ محمد طاهر التنير العقائد الوثنية فى الديانة النصرانية ص ٣٨.

(٥) نقلا عن الأستاذ محمد طاهر التنير / العقائد الوثنية فى الديانة النصرانية ص ٣٩.

ويؤكد العالم المسيحى آرثر فندلاي هذه الحقيقة ، حقيقة موت الآلهة من أجل خطايا البشر فى كتابه صخرة الحق، فيذكر ستة عشر إلها ملكا مخلصا عرفوا قبل مجيء المسيح، وهؤلاء فى تواضعهم وحبهم لبني قومهم ماتوا لأجل خطايا العالم، وسمى كل واحد منهم الها مخلصا ، وأعطى لقب المسيح[1].

ونقل «هيجين» عن اندرادا الكريوس - هو أول أوربى دخل بلاد النيبال والتبت - ، وقال عند تكلمه عن الاله «اندرا» الذي يعبدونه: «إنه سفك دمه بالصلب ، وثقب بالمسامير لكى يخلص البشر من ذنوبهم، وان صورة الصلب موجوده فى كتبهم»[2].

والنصارى فى اعتقادهم بصلب المسيح، وتقديم نفسه ذبيحة فداء عن البشر لايختلفون عن كل هؤلاء بل صور مكررة ومنطبقة تماما.

وأما مايروى عن البوذيين فى أمر بوذا فهو أكثر إنطباقا على مايرويه النصارى عن المسيح من جميع الوجوه، حتى إنهم يسمونه المسيح ، والمولود الوحيد ، ومخلص العالم، ويقولون : إنه انسان كامل واله كامل، تجسد بالناسوت، وأنه قدم نفسه ذبيحة ليكفر ذنوب البشر، ويخلصهم من ذنوبهم فلا يعاقبوا عليها، ويجعلهم وارثين لملكوت السموات، وقد بيّن ذلك كثير من علماء الغرب منهم : (بيل) فى كتابه / تاريخ بوذا، و (هوك) فى رحلته ، و (مولر) فى كتابه/ تاريخ الآداب السنسكريتية ... وغيرهم[3].

ومن أوجه الشبه بين البوذية والمسيحية أن البوذية تقول : «الانسان شرير

---

(١) أنظر الدكتور رؤوف شلبى المسيحية الرابعة ص ٤٣/٤٤.

(٢) نقلا عن الأستاذ محمد طاهر التنير / العقائد الوثنية فى الديانة النصرانية ص ٤٠/٤١.

(٣) نقلا عن الأستاذ محمد طاهر التنير / العقائد الوثنية فى الديانة النصرانية ص ٤١، ٤٣.

بطبعه ، والخير طارىء عليه».

ومنها تسربت العدوى إلى النصرانية التى ترى أن الانسان منذ خطيئة آدم قد انقلب شريراً لا حيلة فى إصلاحه إلاّ بمنقذ ومخلص إلهى، وليس ذلك - كما يزعمون - الاّ المسيح - عليه السلام - [(١)].

هذا عند الهنود، أما عند الصينيين فقد «كان الفداء بواسطة التألم والموت لمخلص إلهى قديم العهد جداً عندهم»[(٢)].

ليس هذا فحسب بل إن فكرة الاله الفادي جاءت إلى آسيا - على أرجح الأقوال - من أرض فارس أو بابل ، حيث كان هناك اله النور واله الظلام فى صراع دائم معا ثم يأتى فى النهاية الاله المنقذ متراس ليحكم بين الناس ويقيم العدالة والسلام يقول فى ذلك المؤرخ (ول ديورانت):

«والراجح أن فكرة الاله المنقذ قد جاءت إلى غربى آسية من بلاد فارس أو بابل ، فالتاريخ كله والحياة كلها قد صورا في الديانة الزرادشتية فى صورة صراع بين قوى النور المقدسة وقوى الظلمة الشيطانية، ثم يأتي فى آخر الأمر المنقذ شوسيانت أو متراس ليحكم بين الناس ويقيم العدالة والسلام الدائمين»[(٣)].

وهذا - فى حد ذاته - لايختلف عما عليه المسيحيون من الاعتقاد بصلب

---

(١) ابراهيم سليمان الجبهان / معاول الهدم والتدمير فى النصرانية وفى التبشير ص ٥٨.

(٢) دوان / خرافات التوراة ومايقابلها فى الأديان الأخرى / نقلا عن الأستاذ محمد طاهر التنير / العقائد الوثنية فى الديانة النصرانية ص ٤٣.

(٣) قصة الحضارة الجزء الثالث من المجلد الثالث ص ١٨٠.

المسيح فداء للبشر ، ثم نزوله آخر الزمان ليملأ الدنيا عدلا ونورا .

بل ويذكر الدكتور / كمال الدين خواجا «أن ديانة بعل إله البابليين كانت معيناً للمسيحية فى موضوع هام، من موضوعاتها العاطفية، ذلك هو قصة محاكمة عيسى وصلبه . وقد وضع البابليون قصة محاكمة بعل فى تمثيلية مؤثرة كانت تمثل كل عام قبل مولد المسيح بقرون عديدة، وكانت تمثيلية حافلة بالغموض والحزن .... وقد أخذ اليهود إلى سجن بابل منذ عهد بختنصّر، وهناك رأوا هذه التمثيلية تعرض عند مطلع كل ربيع، وعندما عاد اليهود إلى ديارهم كانت هذه القصة عالقة بأذهانهم، ومؤثرة فى حياتهم، فانعكست على آدابهم وعلى حياتهم العامة، وعقب نهاية المسيح ظهرت تمثيلية بعل، بنفس عناصرها مع اسم جديد وضع مكان بعل، وهذا الاسم هو المسيح، حتى ليمكن القول : إن قصة صلب المسيح كما توردها الأناجيل هى قصة منتحلة تماما .

وفيما يلي بعض عناصر التشابه بين القصتين :

محاكمة بعل	محاكمة عيسى
١ - أخذ بعل أسيرا	أخذ عيسى أسيرا .
٢ - حوكم بعل علَناً	وكذلك حوكم عيسى.
٣ - جرح بعل بعد المحاكمة	اعتدى على عيسى بعد المحاكمة.
٤ - اقتيد بعل لتنفيذ الحكم على الجبل	اقتيد عيسى لصلبه على الجبل.
٥ - كـــان مع بعل مــذنب حكم عليــه بالاعدام، وجرت العادة أن يعفى كل عـام عن شـخص حكم عليـه بالموت. وقد طلب الشعب إعدام بعل والعفو عن المذنب الآخر.	وكان مع عيسى قاتل اسمه باراباس مــحكوم عليــه بالاعــدام، ورشح بيلاطس عيسى ليعفي عنه كالعادة كل عام، ولكن اليهود طلبوا العفو عن باراباس واعدام عيسى.
٦ - بعــد تنفــيــذ الحكم على بعل عمّ الظلام، وانطلق الرعــد، واضطرب الناس.	عقب تنفيذ الحكم على عيسى، زلزلت الأرض، وغامت السماء.
٧ - حرس بعل فى قبرة حتى لايسرق أتباعه جثمانه.	وحرس الجنود مقبرة عيسى حتى لايسرق حواريوه جثمانه.
٨ - إلا هات جلسن حـول مـقـبـرة بعل يبكينه.	مريم المجدلية ومريم أخرى جلستا عند مقبرة عيسى تنتحبان عليه.
٩ - قام بعل من الموت وعاد إلى الحياة مع مطلع الربيع وصعد إلى السماء.	قام عيسى من مقبرته في يوم أحد وفى مطلع الربيع أيضا وصعد إلى السماء(١).

(١) نقلاً عن الدكتور أحمد شلبي / المسيحية ص ١٨٧/ ١٨٠ .

وهكذا نلاحظ أن مسيح بولس المحكوم عليه بالموت لمحو خطايا البشر، ليس إلا بطلان من إبطال تلك الأساطير الذين أعدموا فداء لخطايا البشرية.

٢ - بطلان الأسس التى تقوم عليها عقيدة الصلب والفداء :

بعد ما قدمناه من أوجه النقد والإبطال التى وجهها ابن تيمية لعقيدة الصلب والفداء، وماقدمناه كذلك بيانا للأصول التاريخية لهذه العقيدة نقّدم هذه الوجوه زيادة فى بيان بطلانها ببطلان الأسس التى تقوم عليها :

أولا : عقيدة الصلب والفداء هذه باطلة لأنها تتنافى مع القول بالألوهية حيث تستلزم وقوع الاهانة والعذاب للاله ، والاله لايجوز أن يعذب أو تلحقه الاهانات كما لايجوز عليه الموت. والمسيح عند النصارى اله مطلق، حيث إنه «اله حق من اله حق من جوهر أبيه» - كما يقولون - وحيث إن موت الاله محال لذا فإن عقيدة الصلب محالة لما فيها من تناقض. و«لو كان ناسوت المسيح هو جزء من الله لكان ماوقع عليه من العذاب والاهانة والقتل قد وقع على الله. وهذا مستحيل . ولو كان ناسوت المسيح هو جزء من آدم الذى هو أصل بني الانسان لكان ماوقع عليه من عذاب وإهانة وقتل وقع على الناسوت فقط. وهذا يبطل فكرة الفداء والتكفير - لديهما - اللذين يقتضيان أن يكون صاحبهما كفوءا لله وندا ... وفى هذا بطلان للاهوت المسيح وزلزلة لفكرة الفداء..»(١).

وقد ناقشهم الباقلاني مناقشة علمية قيمة ، وألزمهم بما يترتب على قولهم بصلب ذات المسيح فوجّه إليهم الكلام قائلا :

---

(١) أنظر الأستاذ أحمد عبد الغفور عطار/ الديانات والعقائد فى مختلف العصور جـ ٣ ص ١١٣/١١٤ بتصرف.

«أخبرونا عن اتحاد الإبن بالجسد ، أكان باقيا موجودا فى حال وقوع القتل والصلب أم لا ؟ فإن قالوا : كان باقيا موجودا. قيل لهم : فالذى مات مسيح من طبيعتين : لاهوت هو الإبن ، وناسوت هو الجسد، فيجب أن يكون ابن الله القديم مات كما قتل وصلب ، لأن جواز القتل والصلب عليه كجواز الموت. وإذا صار الإبن عند القتل ميتا لم يجز أن يكون فى تلك الحال إلها ، لأن الاله لايكون ميتا ولا ناقصا ، ولا ممن يجوز عليه الموت. ولوجاز ذلك عليه لجاز موت الأب والروح. وهذا ترك (خلاف) قولهم .

وان قالوا : إن اتحاد بطل عند القتل والصلب قيل لهم : فيجب انتقاض الاتحاد عند القتل والصلب. وهذا ترك قولهم . ويجب أيضا الاّ يكون المقتول مسيحا، لأن الجسد عند انتقاض الاتحاد، ومفارقة المتحد به ليس بمسيح، وإنما يكون الجسد وما اتحد به مسيحا مع ثبوت الاتحاد ووجوه . فإن بطل كان المقتول المصلوب الواقع عليه الموت والدفن انسانا ، ولا معنى لقولهم : إن المسيح قتل وصلب»(١).

ولقد بلغ افتراء المسيحيين على الله وعلى نبيه مبلغا عظيما، فهم يزعمون أن المسيح صلب نفسه اختياريا وبكامل ارادته، تنفيذا لأمر الله. وقد كذبوا فى ذلك ، حيث إن نصوص أناجيلهم ترد على زعمهم هذا فتبيّن أن المصلوب صلب قهرا بعد أن أشبعوه ضرباً ولكماً، علاوة على ذلك فإنه كان يهرب ويدعو الله أن يخلصه من كيد اليهود ويجيز عنه كأس الموت، وكان عرقه كقطرات دم نازلة، وكان يهتف من أعماقه وهو على خشبة الصلب، الهي الهي لماذا تركتني؟ فهل إذا صح هذا يكون المسيح قد أقبل على الصلب فداء لخطيئة

---

(٢) التمهيد للباقلانى ص ٩٧ نقلا عن / يونس تورى / عقيدتنا التثليث والصلب وموقف الإسلام منهما ص ٢٧٤.

البشر معتقدا لذلك؟!

ثانيا : عقيدة الصلب والفداء باطلة، لأنها تستلزم نفي المسئولية الفردية والغـاء هذه المسـئوليـة باطل، لأنه يتنافى مع التكليف ونظام الخلق فلزم: «أن يكون الشرير الذى يعتدى على أموال الناس وأنفسهم وأعراضـهم ويفسد فى الأرض ويهلك الحـرث والنسل من أهـل الملكوت الأعلـى ، لا يعـذب على شـروره وخطيئاته، ولايجازى عليها بشىء ، فله أن يفعل فـى هذه الدنيا ماشاء هواه، وهو آمن من عذاب الله ، وإذا كـان يعـذب على شـروره وخطيئـاته كـغيـره من الصليبيين فماهـى مزية هذه العقيدة؟ وإذا كان لها امتياز عند الله تعالى فى نفس الجزاء فأين العدل الالهى»[١] حيث (لاتزر وازرة وزر أخرى)[٢] (وان ليس للانسان إلاّ ماسعى)[٣].

إن مؤاخذة برىء بجريرة مذنب ليس مخالفا للشريعة فحسب ، بل هو يتعارض مع الفكرة الأساسية للعدالة الانسانية (قال معاذ الله أن نأخذ إلاّ من وجدنا متاعنا عنده إنا اذاً لظالمون)[٤] فأي عدل هذا الذي يتحقق بعقاب برىء لم تقتـرف يداه مـايوجب له العقـاب. ومـاذنب الأبناء فى إثم ارتكبـه أبوهـم؟ ومـا حجم هذا الذنب ياترى الذى ارتكبه آدم ، وكان الثمن له رأس المسيح.

إنه ذنب صـغير جدا يتـضـاءل أمـام مـافعله بنو اسـرائيل مع أنبيـاء الله ورسله على مدى تاريخهم الطويل، اللهم إلاّ إذا كان النصارى يعتقدون أن ما

---

(١) الشيخ محمد رشيد رضا / تفسير المنار جـ ٦ ص ٢٧.

(٢) سورة الأنعام / آية ١٦٤.

(٣) سورة النجم / آية ٣٩.

(٤) سورة يوسف / آية ٧٩.

أكله آدم من الشجرة أعظم قدرا عند الله من عيسى بن مريم عليهما السلام.

إن النصارى بذلك يخالفون ماجاء فى كتابهم المقدس - عندهم - لأن نصوصه قد صرحت بعدم مؤاخذة أحد بذنب غيره وأن «النفس التى تخطىء هى تموت ، الابن لايحمل من إثم الأب ، والأب لايحمل من إثم الإبن، بر البار عليه يكون ، وشر الشرير عليه يكون»(١).

كما جاء فى سفر التثنية : «لا يقتل الآباء عن الأولاد ، ولايقتل الأولاد عن الآباء كل انسان بخطيئته يقتل»(٢).

«وان أذنب رجل فليقتل وليصلب على خشبة ولا يبات جسده على الخشبة لكن يدفن من يومه من أجل أنه من الله ملعون كل مرفوع على خشبة»(٣).

فاللعنة على كل مذنب مصلوب، وعيسى لم يخطىء باعتراف النصارى، وحاشا لله أن يلعن نبيا من أنبيائه بل ومن أولي العزم من الرسل. هذه النصوص وغيرها كثير تجتثّ جذور عقيدة صلب المسيح وفدائه ، حيث لايمكن الجمع بين دعواهم بصلب المسيح، وبين ماتثبته التوراة والانجيل من أن المسئولية الدينية شخصية محضة ، وأن (من يكسب اثما فإنما يكسبه على نفسه)(٤).

ثالثا : ثم إن القول بصلب المسيح بسبب خطيئة آدم على أنه مقتضى

---

(١) سفر حزقيال ١٨ : ٢٠.

(٢) ٢٤ : ٦.

(٣) سفر التثنية ٢١ : ٢٢-٢٣.

(٤) سورة النساء / آية ١١١.

عدل الله ورحمته لبنى البشر - هذا القول : «يستلزم الجهل والبداء* على البارى عز وجل (وهما محالان فى حقه تعالى) كأنه حين خلق آدم ماكان يعلم مايكون عليه أمره، وحين عصى ماكان يعلم مايقتضيه العدل والرحمة فى شأنه، حتى اهتدى إلى ذلك بعد ألوف من السنين مرت على خلقه، كان فيها جاهلا كيف يجمع بين تينك الصفتين من صفاته وواقعا فى ورطة التناقض بينهما»[1].

رابعا : ولو صح وكان هناك فداء لكان من الأعدل والأحكم صلب بعلزبول[2] رئيس الشياطين الذى أغوى آدم وحواء وسوّل لذئاب الرهبان فى الكنائس اقتناص الغوانى والغلمان. أو يطالب آدم بتقديم نفسه قربانا على الصليب تكفيرا عن خطيئته بدلا من تقديم عيسى - حسب زعمهم - قربانا بلا سبب وجيه[3].

« أو أن يكون الفداء بولد الصلب ، حيث إنه أولى من ولد البنت فى كثير من الأحكام ، فولد صلب آدم وهو هابيل، أولى فى الفداء من ولد بنته،، وهو المسيح لسببين:

١ - لأنه من جوهر أبيه، انسان حق من انسان حق، أما المسيح فهو عند النصارى إله حق من إله حق من جوهر أبيه.

٢ - إن فى ذلك مبادرة إلى خلاص الخلايق من الجحيم ، وفى الفداء

---

* الجهل هو عدم العلم بالشيء. أما البداء فهو ظهور الرأى بعد أن لم يكن. وهو مستلزم للعلم بعد الجهل، والظهور بعد الخفاء، وذلك مستحيل فى حق الله تعالى. أنظر الجرجانى / التعريفات ص ٤٤.

(١) الشيخ محمد رشيد رضا / تفسير المنار جـ ٦ ص ٢٦.

(٢) أنظر انجيل متّى ١٢:٢٤ وانجيل لوقا ١١ : ١٥.

(٣) أنظر ابراهيم الجبهان / معاول الهدم والتدمير ص ٥٤/٥٥،
وكذلك الأمام القرافى / الأجوبة الفاخرة ص ١٨٤.

بالمسيح بقايا الخلايق وأبيهم آدم فى العذاب خمسة آلاف عام - على حد تعبير التوراة - فكان الفداء بهابيل أولى.

أو أن يصلب اسرائيل ابن الله البكر - كما فى توراتهم - حيث إن البكر أولى وأفضل عند أبيه. فهلا فداه به، ولم يدع الناس فى عذاب إلى مجىء المسيح»(١).

ثم إن الأحرى إن كان هناك خلاص للبشرية من وزرها الذى حملته هذه السنين - كما يدعى النصارى - أن يقوم به من امتازت رسالته على رسالة عيسى، فنحن نعلم أن رسالة عيسى خاصة لبني اسرائيل وليست عامة لكافة الناس، كما جاء ذلك على لسانه وفى أناجيلهم، اللهم إلاّ إذا كان الورثة الحقيقيون لخطيئة آدم هم بنو اسرائيل فقط دون سائر الناس وهذا لا يعترفون هم به.

خامسا : وعقيدة الصلب والفداء على نحو مايعتقدها النصارى عمل غير معقول، بل يتصف بالهمجية فى نظر بعض المفكرين المسيحيين. وفى ذلك يقول المؤرخ (روى ديكسون سميث) مؤكدا هذه الحقيقة «لايوجد متدين مهما كان مذهبه أو فرقته يعتقد أن الله العظيم قد أرسل ابنه الوحيد إلى هذه البشرية التى لا توازي في مجموعها - منذ بدء الخلق إلى نهايته - كوكبا من الكواكب المتناهية في الصغر ، لكى يعاني موتا وحشيا فوق الصليب ... لكى يساعد جلالته على أن يغفر للبشرية على شرط أن تعلن البشرية اعترافها بهذا العمل الهمجى الذي لا يستسيغه عقل ...»(٢).

---

(١) أنظر المسعودى / المنتخب الجليل فى تخجيل من حرف الانجيل ص ١٧٤.

(٢) د. رؤوف شلبى / المسيحية الرابعة ص ٢٩.

ومن العجيب أن يعترف المسيحيون بغموض سرّ هذه العقيدة واستعصائها على الفهم ، ومع ذلك يرون أنها هى حجر الزواية فى العقائد النصرانية، ويجب اعتقادها على أمل أن يأتى المستقبل بحل هذا اللغز العويص. يقول (جون ستوت)[1]:

«على الرغم من أن الصليب هو ذلك الحدث التاريخي الذى تدور فى فلكه سائر أحداث التاريخ، فإن عقولنا لتعجز عن إدراكه تمام الادراك . ومع ذلك فإن اليوم لا محالة آت ... حين ترفع الحجب ، وتحل الألغاز ، وتتكشف الأسرار ... فنرى المسيح كما هو ، ونعبده إلى أبد الآبدين من أجل صنيعه معنا ... أما الآن فإننا كمن ينظر فى مرآة ، فى لغز ، لكن حينئذ وجها لوجه ..»[2].

٣ - تناقض روايات الأناجيل لحادثة الصلب * :

والواقع أن عقيدة الصلب والفداء باطلة؛ لأنها مروية بطريقة متناقضة، ومتخالفة ولوكانت هذه العقيدة أساسا هاما من أساس دينهم لكانت أحداثها متوافقة فى سائر الأناجيل ، ولا دليل لديهم على إثبات هذه العقيدة سوى هذه الكتب التى يدّعون إلهاميتها . وقد علمنا «حالة أوّلها وأولاها وهو انجيل متّى ، وحالة الأناجيل الثلاثة الأخرى إجمالا ، حتى أقرّ العلماء منهم فى المناظرات العلنية الرسمية، وغير الرسمية بفقدان السند المتصل بالمصنفين لها ، وأنها مملوءة من الأغلاط والمناقضات - كما مرّ - وان دعوى التحريف بسائر

(١) المسيحية فى جوهرها ص ١٣٨ تعريب نجيب غالى.

(٢) رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس ١٣:١٢.

* أنظر المهندس أحمد عبد الوهاب / المسيح فى مصادر العقائد المسيحية وكذلك سارة العبادى / التحريف والتناقض فى الأناجيل الأربعة.

أقسامه فيها دعوى مسلّمة لاينكرها أرباب العقول منهم – كما أوضحنا –[1]
ولو لم يكن من دلائل تحريف الأناجيل إلاّ روايات حادثة صلب المسيح هذه ، ومافيها من إحالات ، وتناقضات لكفى دليلاً على سقوطها بنفسها، فيخجل العاقل من أن يقول فيما تضمنته تلك الأناجيل أنه كلام الله.

وقد اعتبر مؤلفو دائرة المعارف البريطانية الكبرى، وعددهم حوالى خمسمائة من كبار العلماء والباحثين والمحققين الذين أكّدوا على وقوع التحريف والتزوير فى الأناجيل – اعتبروا قصة الصلب ومافيها من تناقض وتعارض أحد الأدلة على التحريف والتزوير والواقع فى الأناجيل[2].

وفيما يلى نورد أوجه التناقض بين روايات الأناجيل لحادثة الصلب لشخص المسيح، الأمر الذى يدل على بطلانها بالنسبة له، وان كانت قد وقعت بالفعل لمن شبه لهم أنه المسيح، كما جاء بذلك الكتاب العزيز[3].

وتنقسم روايات الأناجيل عن أحداث الصلب والفداء إلى عناصر عدة تجرى مناقشتها تباعا.

أولا : العاطفة المترددة :

ومن العجيب أن الأناجيل الثلاثة (متّى ومرقس ولوقا) تتحدث عن هلع يسوع وخوفه من الموت، وأنه عندما علم بدنو نهايته جثا على ركبتيه، وأخذ يبتهل إلى الله ، ويدعوه أن يصرف عنه كأس الحمام هذه . بينما نجد انجيل

---

(١) أنظر عبد الرحمن بك باجه جى زاده/ الفارق بين المخلوق والخالق ص ٢٨٢/٢٨٣.

(٢) أنظر الشيخ ابراهيم الجبهان / معاول الهدم والتدمير فى النصرانية وفى التبشير ص ٥٨. وأنظر كذلك ص ١٤٩/١٥٠ من هذه الرسالة.

(٣) راجع في تفصيل ذلك صفحة ٦٩٠ من هذه الرسالة.

(يوحنا) قد خالف الأناجيل الثلاثة وناقضها فى ذلك . حيث ذكر أن المسيح طلب من يهوذا (الخائن) أن يعجل بخيانته ويدل اليهود عليه ، فعبارة يوحنا صريحة فى تكذيب الثلاثة . يقول يوحنا :

« ... فغمس اللقمة ، وأعطاها ليهوذا سمعان الاسخريوطي، فبعد اللقمة ، دخله الشيطان ، فقال له يسوع : ماأنت تعمله فأعمله بأكثر سرعة»[1].

فمقتضى هذه الرواية أن (يهوذا) إنما فعل ذلك - إن صح - بأمر المسيح، وأن المسيح استبشر بموته لخلاص العالم.

فكيف يصح على رواية الأناجيل الثلاثة أنه طلب من الله أن ينجيه من تلك الساعة. ويأمر التلاميذ بشراء السيوف مع أنه لم يأتِ إلى هذا العالم الاّ ليصلب ويموت - كما هو نص الأناجيل الأربعة - فهل بعد هذا التناقض يقدر المسيحى أن يقول أن الوحي قد ألقى مضمون الأنجيل في قلوب الانجيليين ، وهم أفرغوه بعبارات شتى لاتختلف فى المعنى وان اختلفت فى اللفظ[2].

أما نص (مرقس) فهو كما يلي - حكاية عن المسيح - :

«فقال لهم : نفسي حزينة جدا حتى الموت ، امكثوا هنا واسهروا، ثم تقدّم قليلا ، وخرّ على الأرض ، وكان يصلي لكى تعبر عنه الساعة أن أمكن، وقال : يا أبا الأب كل شيء مستطاع لك فأجزْعني هذه الكأس، ولكن ليكن ليس ماأريد أنا بل ماتريد أنت »[3].

---

(١) يوحنا ١٣:٢٦، ٢٧.

(٢) أنظر : عبد الرحمن بك باجه جى زاده / الفرق بين المخلوق والخالق ص ٢٢٢.

(٣) ١٤ : ٣٤-٣٦.

وقد أتى متّى[1] ولوقا[2] بما يوافق هذا المعنى.

وأنه لأمر يدعو للعجب حقا! إذ كيف يدّعى كتبة الأناجيل فيمن يرونه أنه اله وابن اله - تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا - كيف يدّعى هؤلاء الكتبة أن المسيح - عليه السلام - قد وجل من دنو نهايته، لدرجة أنه جثا على ركبتيه داعيا وملتمسا من الله أن ينجيه من الهلاك.

فما لزوم الهلع والحزن والكآبة المنافية لمقام الألوهية، سيما وأنه كان على دراية تامة بهذه النهاية كما تذكر الأناجيل[3].

بل أنه كان من أولي العزم من الرسل ، ولا يخفى مافى لفظ العزم من الشجاعة والثبات والصبر والأقدام.

إن حالة الفزع والحزن والاكتئاب ، التى ألمّت بالمسيح - كما يزعمون - لدرجة أن عرقه صار كقطرات دم نازلة على الأرض[4].

هذه الحلاة تخالف حالة الثبات ، ورباطة الجأش التى واجه بها الموت كثيرون من الشهداء على مرّ العصور التاريخية، دون أن يظهر منهم أى تردد أوندم فى سبيل المبدأ الذى يعتنقونه، والعقيدة التى ينادون إليها. وهذا ما أكّده عميد كلية اللاهوت المتحدة بكندا[5] من قوله :

---

(١) ٢٦ : ٣٦-٣٩.

(٢) ٢٢ : ٤١-٤٤.

(٣) أنظر على سبيل المثال : انجيل متّى ٢٠ : ١٨، ١٩ وكذلك انجيل لوقا ٢٤ : ٤٦، ٤٧.

(٤) لوقا ٢٢ : ٤٤.

(٥) هو الدكتور (جورج برد فورد كيرد) عمل أستاذا لدراسات العهد الجديد بجامعة (مكجيل) بكندا ،
=

«عندما نتذكر الشجاعة والثبات التى واجه بها الموت رجال آخرون شجعان بكل أشكاله البربرية، وماكان يصحب ذلك من تعذيب مفرط، فلا يسعنا إلاّ أن نتساءل عن ماهية الكأس التى كان يسوع يرجو الله – فى صلاته – أن يجيزها عنه؟[1] سيما وأنه كان عارفا بنهايته هذه .

إن واقعة تصبب العرق من المسيح لدرجة أنه كان كقطرات دم نازلة على الأرض هذه الواقعة، لم يذكرها سوى لوقا على الرغم من أنه لم يشاهدها، حيث إنه لم يكن بين الثلاثة المختارين ـ(بطرس وابني زبدى) ، ولكنه دون ريب سمعها منهم، أو من أحدهم.

والأعجب من ذلك أن نجد لهم تعليلا لذلك حيث أوضح الكاتب المسيحى (نصري سلهب) سبب انفراد لوقا دون الآخرين بذكر واقعة قطرات الدم. فقال:

«الواقع أن الانجيليين الآخرين لم يعيروا هذه الظاهرة الفيزيولوجية اهتماما أو هم لم يروها خليقة بالتدوين، لأنهم ليسوا من ذوى خبرة والمام بمثل هذه الشئون. فالثابت أن المرء يميل بصورة خاصة إلى الاهتمام بالشئون التى تدخل فى نطاق اختصاصه ، فيرى فيها مالا يراه سواه.

ولهذا السبب عندما انطلق الرسل يرددون على مسامع المؤمنين وقائع حياة يسوع وعظاته، أتوا دون ريب ، على ذكر ذلك الحدث فى سياق الكلام،

= ثم عميدا لكلية اللاهوت . وكذلك عمل أستاذاً بجامعة اكسفورد، ورئيسا للجميعية الكندية لدراسة الكتاب المقدس. أنظر : المهندس أحمد عبد الوهاب / المسيح فى مصادر العقائد المسيحية ص ٧.

(١) تفسير انجيل لوقا ص ٢٤٣ نقلا عن المهندس أحمد عبد الوهاب / المسيح فى مصادر العقائد المسيحية ص ١٤٢.

فسمعه لوقا، وعلق فى ذهنه - إذ كان لوقا طبيبا - بينما لم يتوقف عنده الآخرون، وفيما بعد وعندما راح يدوّن انجيله حرص على إثبات ذلك الحدث»[1].

والواقع أن تصبّب العرق ليس ظاهرة غريبة تستدعي فى الانتباه إليها تخصصا فى الطبّ، فهى ظاهرة عادية، تعرض لكل من يقع فى شدة، ويلحظها كل إنسان، ويعرف منشأها فيمن يقع فى تلك الشدة، بحكم المشاركة بين الناس فى الانفعالات النفسيه، وآثارها الجسمية.

ثانيا : دوافع الصلب فى نظر المسيحيين :

إننا لم نجد فى مناقضات الأناجيل أشدّ تناقضا وتباينا من روايات سبب الصلب، فإنه لم يتفق على السبب اثنان.

هذا التباين والتضاد كان بين الأناجيل الثلاثة (متّى، ومرقس، ولوقا) من جهة، وبين انجيل (يوحنا) من جهة أخرى. فقد ذكرت الأناجيل الثلاثة (متّى، ومرقس، ولوقا) أن السبب المباشر الذى حركّ رؤساء الكهنة والكتبة ضد المسيح - كما يزعمون - هو حادث الهيكل.

وقد جاء فى مرقس : «... ولما دخل يسوع الهيكل ابتدأ يخرج الذين كانوا يبيعون ويشترون فى الهيكل، وقلب موائد الصيارفة، وكراسى باعة الحمام، ولم يدع أحداً يجتاز الهيكل بمتاع. وكان يعلّم قائلا لهم : أليس مكتوبا بيتى بيت صلاة يدعى لجميع الأمم، وأنتم جعلتموه مغارة لصوص...

وسمع الكتبة ورؤساء الكهنة، فطلبوا كيف يهلكونه، لأنهم خافوه، إذ بهت الجمع كله من تعليمه[2].

---

(١) فى خطىء المسيح ص ٣٥١.

(٢) ١١ : ١٥ - ١٨.

ويقول مؤلف انجيل لوقا : «ولما دخل الهيكل ابتدأ يخرج الذين كانوا يبيعون ويشترون فيه. قائلا لهم : «مكتوب أن بيتي بيت الصلاة ، وأنتم جعلتموه مغارة لصوص. وكان يعلّم كلّ يوم فى الهيكل، وكان رؤساء الكهنة والكتبة مع وجوه الشعب يطلبون أن يهلكوه ولم يجدوا مايفعلون، لأن الشعب كله متعلقا به يسمع منه»(١).

«فطلب رؤساء الكهنة والكتبة أن يلقوا الأيادى عليه فى تلك الساعة، ولكنهم خافوا الشعب».

«فراقبوه وأرسلوا جواسيس يتراءون أنهم أبرار لكي يمسكوه بكلمة حتى يسلموه إلى حكم الوالي وسلطانه»(٢).

أمّا مؤلف انجيل متّى فبعد أن ذكر حادثة طرد الباعة والصيارفة قال : «ولما سمع رؤساء الكهنة والفريسيون أمثاله عرفوا أنه تكلم عليهم. وإذ كانوا يطلبون أن يمسكوه خافوا من الجموع، لأنه كان عندهم مثل نبيّ»(٣).

أمّاَ مفاد نص مؤلّف يوحنا : فإن السبب المباشر فى القبض على من يزعمون أنه المسيح – عليه السلام – إنما هو إقامته لرجل يدعى لعازر من قبره واحياءه(٤). الأمر الذى كان سببا لتحرك اليهود ضده فى تنفيذ مؤامرة القبض عليه، وتسليمه لرجال السلطة ... ونص يوحنا كما يلى :

«فرفعوا الحجر – حيث كان الميت موضوعا – ورفع يسوع عينيه إلى

---

(١) ١٩ : ٤٥-٤٨.

(٢) لوقا ٢٠ : ١٩، ٢٠.

(٣) ٢١ : ٤٥، ٤٦.

(٤) عجبا منهم، كيف يقتلونه لأنه أحيا لعازر، مع أن معجزاته إحياء الموتى.

فوق ، وقال : أيها الأب ، أشكرك، لأنك سمعت لى، وأنا علمت أنك فى كل حين تسمع لى، ولكن لأجل هذا الجمع الواقف قلت ليؤمنوا أنك أرسلتنى. ولما قال هذا صرخ بصوت عظيم : لعازر هلّم خارجا. فخرج الميت ويداه ورجلاه مربوطات بأقمطة ووجهه ملفوف بمنديل. فقال لهم يسوع : حلّوه، ودعوه يذهب.

فكثيرون من اليهود الذين جاءوا إلى مريم(١)، ونظروا مافعل يسوع، آمنوا به، وأما قوم منهم فمضوا إلى الفريسيين، وقالوا لهم عما فعل يسوع، فجمع رؤساء الكهنة والفريسيون مجمعا وقالوا، ماذا نصنع، فإن هذا الانسان يعمل آيات كثيرة. ان تركناه هكذا يؤمن الجميع به، فيأتى الرومانيون، ويأخذون موضعنا وأمّتنا ..... فمن ذلك اليوم تشاوروا ليقتلوه»(٢).

ويقول الدكتور محمد على زهران - معلقا على هذا التناقض بين هذه الأناجيل فى هذا السبب - مانصه :

«ولكن التناقض الذى لايمكن رفعه هو : الخلاف فى سبب القبض عليه، فإنه عند الرابع قصة لعازر، وعند الثلاثة حادث الهيكل!

وإنما قاموا بعملية قبض واحدة، وأسلموا المقبوض عليه فيها للمحاكمة والصلب، فامّا أن يكون السبب هذا أو ذاك، أو يكون هناك مسيحيان، للرابع واحد، وللثلاثة الآخر؛ لاختلاف السببين. أو يكون المقبوض عليه واحدا، قبض عليه مرتين»(٣).

بل ان بولس ينفي وجود سبب لصلب المسيح فيقول : «ان كان بالناموس

---

(١) مريم أخت لعازر.

(٢) ١١ : ٤١-٤٨، ٥٣.

(٣) انجيل يوحنا (تاريخا وموضوعا) ص ٥٢٠ (رسالة دكتوراه).

برّ فالمسيح إذن مات بلا سبب»[1].

فبأي من هذه الروايات نأخذ، وعلى أيها نعتمد ، وأيها نصدّق؟ وكيف يسوغ للأساقفة مع وجود هذه الاختلافات والتناقضات كيف يسوغ لهم اسناد هذه الدعوى الباطلة إلى الوحى والالهام؟!

ثالثا : الصلاة فى الليلة الأخيرة :

وتتناقض الأناجيل الأربعة كذلك أثناء روايتها للصلاة الأخيرة للمسيح ليلة القبض عليه - كما يزعمون - ويعترفون بأن تلك الصلاة جاءت فى الأناجيل بأسلوب موجز يعتريه بعض الغموض[2] - تتناقض الأناجيل فى ذلك على ثلاثة آراء:

الرأى الأول : لـ (متّى ومرقس)، حيث اتفقا فى انجيليهما على أن المسيح أخذ معه بطرس، ويعقوب ويوحنا (ابني زبدي)، وأمر بقية تلاميذه بالمكوث فى مكانهم ، وذهب مع الثلاثة لأداء الصلاة.

وها هو نص انجيل متّى : «حينئذ جاء معهم يسوع إلى ضيعة يقال لها : جشيماني[3] فقال للتلاميذ : اجلسوا ههنا، حتى أمضى وأصلى هناك.

---

(١) غلاطية ٢ : ٢١.

(٢) أنظر : نصرى سلهب/ فى خطى المسيح ص ٣٤٧.

(٣) جشمانى «كلمة آرامية معناها (معصرة الزيت) وكان هذا الموضع بستانا فيه أشجار الزيتون ، ومعصرة لعصره، وهو يقع شرق أورشليم فيما وراء وادى قدرون قرب سفح جبل الزيتون.
كان المسيح يتردد اليه كثيرا طلبا للعزلة، وترويح النفس. وهو الآن مكان مقدس؛ لأنه كان مكان ألمه وتسليمه - كما يزعمون - والقبض عليه».
أنظر قاموس الكتاب المقدس لنخبة من ذوى الاختصاص ص ٢٤٩.

ثم أخذ معه بطرس وابني زبدي، وأبتدأ يحزن ويكتئب، فقال لهم : نفسي حزينة جدا حتى الموت، امكثوا هنا، واسهروا معي، ثم تقدّم قليلا وخرّ على وجهه وكان يصلي قائلا : يا أبتاه، ان أمكن فلتعبر عني هذه الكأس»[1].

أما نص انجيل مرقس فقد جاء فيه مايلي :

«وجاء (أى المسيح) إلى ضيعة اسمها جشيماني، فقال لتلاميذه اجلسوا ههنا حتى أصلي، ثم أخذ معه بطرس ويعقوب ويوحنا وابتدأ يدهش[2]ويكتئب، فقال هلم : نفسي حزينة جدا حتى الموت، امكثوا ههنا، واسهروا، ثم تقدّم قليلا، وخرّ على الأرض، وكان يصلي لكي تعبر عنه الساعة ان أمكن، وقال : إيها الأب، كل شيء مستطاع لك فأجزعني هذه الكأس»[3].

والشاهد في النصين السابقين اتفاق كل من (متّى ومرقس) على أن المسيح - عليه السلام - أمر تلاميذه بالجلوس، ثم أخذ معه بطرس ويعقوب ويوحنا - ابني زبدي - ، ومضى للصلاة لله لكي يصرف عنه كأس الموت والهلاك، وينجيه من كيد اليهود.

الرأي الثاني: لمؤلف انجيل (لوقا) ، حيث جاء فيه مانصه :

«وخرج، ومضى كالعادة، إلى جبل الزيتون، وتبعه أيضا تلاميذه ولما صار إلى المكان، قال لهم : صلوا لكي لاتدخلوا في تجربة، وانفصل عنهم نحو رمية حجر، وجثا على ركبتيه، وصلى قائلا : يا أبتاه، إن شئت أن تجيز عني هذه

---

(١) ٢٦ : ٣٦ - ٣٩.

(٢) دَهِشَ دَهَشاً : تحيَّر، وذهب عقله من وله أو فزع. أنظر المعجم الوسيط جـ ١ ص ٢٩٩.

(٣) ١٤ : ٣٢ - ٣٦.

الكأس، ولكن لتكن لا إرادتي بل ارادتك»[1].

فنحن نرى فى نص لوقا هذا أن المسيح أمر تلاميذه بالصلاة، وابتعد عنهم نحو رمية حجر، وكان منفردا فى صلاته، ولم يأخذ منهم أحدا.

أما الرأى الثالث : فهو لمؤلف انجيل (يوحنا) ، ومؤداه :

أن المسيح - عليه السلام - دخل مع تلاميذه، ولم ينفصل عنهم، لا لصلاة ولا لغيرها ... يقول النص :

«قال يسوع هذا، وخرج مع تلاميذه إلى عبر وادي قدرون، حيث كان بستان دخله هو وتلاميذه، وكان يهوذا مسلّمه يعرف الموضع؛ لأن يسوع اجتمع هناك كثيرا مع تلاميذه. فأخذ يهوذا الجند، وخداما من عند رؤساء الكهنة الفريسيين إلى هناك بمشاعل ومصابيح وسلاح، فخرج يسوع، وهو عالم بكل مايأتى عليه»[2].

فها نحن نرى أن (متّى) قد ذكر فى انجيله أن المسيح قد أخذ معه بطرس وابني زبدي ، وابتدأ يحزن ويكتئب ووافقه (مرقس).

أما لوقا فقد خالفهما، حيث ذكر أنه انفصل عنهم نحو رومية حجر، وصار يصلي. بينما نجد أن (يوحنا) قد أسقط هذه العبارة من انجيله.

ويقول الدكتور محمد على زهران معلقا على هذا التناقض :

«ولا يفوتنا أن نشير هنا إلى أمر ذى بال، وهو أنه على فرض صدق كل

---

(١) ٢٢ : ٣٩ - ٤٢.

(٢) ١٨ : ١ - ٤.

من مؤلفي (متّى)، ومرقس) فى حضور (يوحنا) ابن زبدي هذه الصلاة التى صلى المسيح فيها، لكى يطلب منه أن ينقذه فيها، كان المنتظر من (يوحنا) لو كان هو مؤلف الانجيل الرابع أن يتحدّث عنها. وفى غيابها عن انجيله مايجعل انجيله محل شكّ فى مواجهة هاتين الروايتين، وكذلك فى مواجهة رواية لوقا وهو من غير التلاميذ أيضا»[1].

وأيضا فإننا نلحظ هنا (فى هذه الرويات) أمرا آخر فى تناقض هذه الأناجيل، واختلاف عباراتها فيما بينها ، الأمر الذى يجعلنا نجزم بأن شهادة هذه الأناجيل لاتصلح أن تكون مستندا، يثبت به أمر له من الأهمية مثلما لمسألة الصلب التي يجعلها المسيحيون أساس ايمانهم ومعتقدهم. فقد ذكر (مرقس) أن يسوع جاء مع تلاميذه إلى قرية جشيماني، ووافقه فى ذلك (متّى) كما يتضح من النصين السابقين. لكن نجد (لوقا) قد خالفهما وقال: «الى جبل الزيتون» بينما ذكر يوحنا أن خروجه كان إلى «عبر وادى قدرون» حيث كان بستان.

رابعا : وقت القبض :

وكما اختلفت الأناجيل فى هذه الأحداث، واختلفت أيضا فى وقت القبض على من يزعمون أنه المسيح، وتناقضت فى ذلك تناقضا عظيما.

فذهبت الأناجيل الثلاثة (متّى ومرقس ولوقا) إلى أن اليهود خافوا القبض على المسيح وقت عيد الفصح حتى لايحدث شغب فى الشعب. وقد جاء فى مرقس:

---

(١) انجيل يوحنا تاريخا وموضوعا ص ٥٤٠ (رسالة دكتوراه).

«وكان الفصح[1]، وأيام الفطير[2] بعد يومين، وكان رؤساء الكهنة والكتبة يطلبون كيف يمسكونه بمكر، ويقتلونه. ولكنهم قالوا : ليس فى العيد، لئلا يكون شغب فى الشعب»[3]. وقد وافقه لوقا[4] ومتّى[5]-.

أمّا رواية انجيل (يوحنا) فهي تخالف هذه الأناجيل الثالثة مخالفة واضحة ، حيث تذكر أنّهم قبضوا على المسيح قبل أكل الفصح وليس بعده. تقول الرواية :

«ثم جاءوا بيسوع من عند قيافا، إلى دار الولاية، وكان صبح ولم يدخلوا دار الولاية، لكى لايتنجسوا فيأكلون الفصح»[6].

خامسا : الثمن الذي وضعوه للامساك بالمسيح :

فقد تواطأت الأناجيل الأربعة على ذكر الافتراء على يهوذا الاسخريوطى أحد التلاميذ الأثنى عشر الذين تعهد لهم المسيح بالجنة، بأنه طلب رشوة من

---

(١) ، (٢) «الفصح، والفطير عيدان، منفصلان ، ولايصح الخلط بينهما فالفصح عيد كبير يحفظ سبتا للرب، ويكون فى يوم (١٤ نيسان) تقريبا. وهو أحد الأعياد الثلاثة «الفصح، الخمسين، المظال» التي فيها ينبغى على كل يهودى قد بلغ سنّ الرشد، ويسكن حول أورشليم، أن يعيّدها في أورشليم نفسها...
أما عيد الفطير، فهو عبارة عن سبعة أيام تلحق بعيد الفصح. وهو عيد صغير، قد تعمل فيه الأعمال الهامة، التي قد يسبب توقفها خسارة». أنظر : وليم باركلي / تفسير العهد الجديد (انجيل مرقس) ص ٣٧٤ بتصرف واختصار.

(٣) ١٤ : ١، ٢.

(٤) ٢٢ : ١، ٢.

(٥) ٢٦ : ٣ - ٥.

(٦) ١٨ : ٢٨.

رؤساء الكهنة، مقابل تسليم يسوع المسيح لهم، لكن اضطربت عباراتهم في ذلك اضطرابا شديدا . فرواية (متّى) تقول :

«حينئذ ذهب واحد من الاثنى عشر الذي يدعى يهوذا الاسخريوطي الى رؤساء الكهنة، وقال : ماذا تريدون أن تعطوني، وأنا أسلمه اليكم؟ فجعلوا له ثلاثين من الفضة. ومن ذلك الوقت كان يطلب فرصة ليسلمه»(١).

أما رواية (مرقس) فلفظها:

«ثم أن يهوذا الاسخريوطي واحدا من الأثنى عشر ، مضى إلى رؤساء الكهنة، ليسلمه اليهم، ولما سمعوا فرحوا، ووعدوه أن يعطوه فضة، وكان يطلب كيف يسلمه فى فرصة»(٢).

فها نحن نلاحظ أن (مرقس) قد زاد على (متّى) «فرح الرؤساء»، ولم يعيّن مقدار الفضة، وأسقط عبارة«ماذا تريدون أن تعطوني» الموجودة فى (متّى) وقد خالفهما (لوقا) فى ذلك فقال :

«فدخل الشيطان فى يهوذا الذى يدعى الاسخريوطي، وهو من جملة الاثني عشر، فمضى وتكلم مع رؤساء الكهنة، وقواد الجند، كيف يسلمه اليهم، ففرحوا وعاهدوه أن يعطوه فضة، فواعدهم. وكان يطلب فرصة ليسلمه اليهم خلواً من جمع»(٣).

إن (لوقا) لم يذكر الثلاثين فضة. وكذلك (متّى) و (مرقس) لم يذكرا

---

(١) ٢٦ : ١٤.

(٢) ١٤ : ١٠.

(٣) ٢٢ : ٣.

ماذكره (لوقا) بوجود «قواد الجند» مع رؤساء الكهنة.

وإذا نظرنا إلى انجيل يوحنا فى هذا الباب فنرى فيه العجب العجاب حيث يقول :

«لما قال يسوع هذا اضطراب بالروح، وشهد وقال : الحق الحق أقول لكم : إن واحدا منكم سيسلمنى. فكان التلاميذ ينظرون بعضهم إلى بعض وهم محتارون فى من قال عنه. وكان متكئا فى حضن يسوع، واحد من تلاميذه كان يسوع يحبه، فأومأ إليه سمعان بطرس أن يسأل مَنْ عسى أن يكون الذي قال عنه. فاتكأ ذاك على صدر يسوع، وقال له ياسيد، من هو ؟ أجاب يسوع : هو ذاك الذى أغمس أنا اللقمة وأعطيه . فغمس اللقمة وأعطاها ليهوذا سمعان الاسخريوطي، فبعد اللقمة دخله الشيطان. فقال له يسوع : ما أنت تعمله فاعمله بأكثر سرعة. وأما هذا فلم يفهم أحد من المتكئين لماذا كلمه به؛ لأن قوما إذ كان الصندوق مع يهوذا ظنوا أن يسوع قال له : اشتر مانحتاج اليه للعيد. أو أن يعطى شيئا للفقراء. فذاك لما أخذ اللقمة خرج للوقت»[١].

فـ (يوحنا) هنا صرح بأن إضلال (يهوذا) كان قصداً من المسيح، وحاشاه من ذلك . فهو الذى جاء لهداية الضالة من بني اسرائيل، فكيف يضل المهتدي منهم بعد أن يمنحه الحكمة ويتعهد له بالجنة[٢].

---

(١) ١٣ : ٢١ : ٣٠.

(٢) أنظر (متّى) (١٩ : ٢٨) : قول المسيح لتلاميذه الأثنى عشر : «الحق أقول لكم : أنكم أنتم الذين تبعتموني فى التجديد، متى جلس ابن الانسان على كرسى مجده تجلسون أنتم أيضا على أثنى عشر كرسيا» ويهوذا واحد من هؤلاء الأثنى عشر وقد ارتد على زعم النصارى فلابدّ أن تكون احدى الروايتين صادقة والأخرى كاذبة.

سادسا : حادث القبض :

وكذلك اختلتفت الأناجيل فى قصة القبض على من يزعمون أنه المسيح. وملابساتها على روايات ثلاث :

الرواية الأولى : رواية (متّى ومرقس). وفيها أن يهوذا الاسخريوطى قبّل المسيح.

أما الرواية الثانية : فهى رواية (لوقا) الذى يذكر أن يهوذا كان على وشك أن يقبّل المسيح.

بينما نجد (يوحنا) فى الرواية الثالثة لايعرف شيئا عن هذه القبلة.

ويذكر كل من (متّى ومرقس) أن تحية وكلاما جرى بين يهوذا والمسيح، ويصمت (لوقا) عن تلك التحية بينما لايذكر (يوحنا) عن يهوذا سوى الصمت التام بعد أن قاد القوة التى جاءت للقبض عليه فى البستان.

يقول مؤلف انجيل (مرقس) :

وللوقت فيما هو يتكلم ، أقبل يهوذا واحد من الأثنى عشر، ومعه جمع كثير بسيوف وعصي من عند رؤساء الكهنة، والكتبة والشيوخ. وكان مسلّمه «يهوذا» قد أعطاهم علامة قائلا : الذى أقبّله هو هو أمسكوه ، وامضوا به بحرص. فجاء للوقت وتقدّم اليه قائلا : ياسيّدي، ياسيّدي وقبّله، فألقوا أيديهم عليه وأمسكوه. فاستلّ واحد من الحاضرين السيف، وضرب عبد رئيس الكهنة فقطع أذنه. فأجاب يسوع وقال لهم كأنه على لّص خرجتم بسيوف وعصي لتأخذوني. كل يوم كنت معكم فى الهيكل أعلّم ولم تمسكوني، ولكن لكى تكمل الكتب. فتركه الجميع وهربوا . وتبعه شاب لابساً ازارا على عُرْيِه فأمسكه

الشبان ، فترك الازار، وهرب منهم عريانا»[1].

وقد وافقه (متّى) فى ذلك [2].

ورغم موافقة (متّى) لـ (مرقس) فى هذه الرواية إلاّ أنه كانت هناك تغييرات أساسية أدخلها (متّى) إلى رواية (مرقس) - باعتبار (مرقس) مصدرا لـ (متّى).

يقول (جون فنتون) - عميد كلية اللاهوت بليتشفيلد بانجلترا - فى هذا الصدد:

«أما التغييرات الأساسية التى أدخلها (متّى) إلى رواية (مرقس) فهى إضافته إلى قول يهوذا : «السلام ياسيد». وكذلك قول يسوع إلى أحد تابعيه بعد أن قطع أذن عبد رئيس الكهنة : «ردّ سيفك إلى مكانه ، لأن كل الذين يأخذون السيف بالسيف يهلكون. أتظن أني لا أستطيع الآن أن أطلب إلى أبى فيقدم لى أكثر من أثنى عشر جيشا من الملائكة، فكيف تكمل أنه هكذا ينبغى أن يكون »[3]، كذلك حذف (متّى) قصة (مرقس) عن الشاب الذى هرب عريانا*.»[4].

ويسير (لوقا) فى روايته بمجازاة (متّى)، الاّ أنه لايذكر لنا رواية الاثنى

---

(١) ١٤ : ٤٣ - ٥٢.

(٢) ٢٦ : ٤٧ - ٥٤.

(٣) متّى ٢٦ : ٥٢ - ٥٤.

* أنظر ص ٦٨٠ من هذه الرسالة.

(٤) تفسير انجيل (متّى) ص ٤٢٤، ٤٢٦ نقلا عن المهندس أحمد عبد الوهاب / المسيح فى مصادر العقائد المسيحية ص ١٤٥، ١٤٦.

عشر جيشا من الملائكة كما لم يذكر رواية (مرقس) عن الشاب الذى هرب عريانا، لكن نجد (لوقا) يذكر لنا شيئا مختلفا عن قبلة يهوذا حيث يقول :

«وبينما هو يتكلم إذا جمع ، والذى يدعى يهوذا أحد الاثنى عشر يتقدمهم فدنا من يسوع ليقبله، فقال له يسوع: يايهوذا أبقبلة تسلّم ابن الانسان»(١).

أما رواية (يوحنا) فانها تعطينا صورة مناقضة تماما لما روته الأناجيل الثلاثة عن حادث القبض. يقول يوحنا :

«فأخذ يهوذا الجند، وخداما من عند رؤساء الكهنة والفريسيين، وجاء إلى هناك بمشاعل ومصابيح وسلاح، فخرج يسوع وهو عالم بكل مايأتى عليه. وقال لهم : من تطلبون؟ أجابوه: يسوع الناصرى. قال لهم يسوع: أنا هو. وكان يهوذا مسلّمه أيضا واقفا معهم. فلما قال لهم : إنى أنا هو رجعوا إلى الوراء، وسقطوا على الأرض، فسألهم أيضا : من تطلبون؟ فقالوا : يسوع الناصري. أجاب يسوع : قد قلت لكم : إنى أنا هو ، فإن كنتم تطلبوننى فدعوا هؤلاء يذهبون، ليتم القول الذى قاله : إن الذين أعطيتنى لم أهلك منهم أحدا.

ثم إن سمعان بطرس كان معه سيف فاستلّه، وضرب عبد رئيس الكهنة فقطع أذنه اليمنى، وكان اسم العبد (مَلْخُس). فقال يسوع لبطرس : اجعل سيفك فى الغمد، الكأس التى أعطاني الأب ألاّ أشربها»(٢).

فلا قبلة ، ولا سلام ، وإنما سقوط على الأرض، وأقامة. وهى غير موجودة فى الأناجيل الأخرى.

وهنا أمر ذوبال فى حادث القبض هذا ، حيث قد ذكرت الأناجيل على

---

(١) ٢٢ : ٤٧ - ٤٨.

(٢) ١٨ : ٣ - ١١.

لسان المسيح - عليه السلام - قوله لتلاميذه:

«كلكم تشكّون فيّ فى هذه الليلة»[1] أى ليلة القبض عليه - كما يزعمون - فأين شك التلاميذ هنا؟!

يقول المهندس (أحمد عبد الوهاب) اجابة على هذا السؤال:

«نحن هنا أمام احتمالين :

أحدهما : أن يكون المسيح قد تنبأ لتلاميذه، بأن مؤامرة ستدبر ضده. ورغم أنها ستسبب له ألما ومعاناه إلاّ أنها ستفشل، وينقذه الله من القتل، الذى ينتظره على أيدى مدبريها. «مدبرى المؤامرة».

ثانيهما : أن يكون المسيح قد تنبأ لتلاميذه، بأن مؤامرة ستدبر ضده وتسبب له ألما، ومعاناه ، وتنتهى بقتله.

فإن كانت الحالة الأولى ، ورأى التلاميذ - حسبما ترويه الأناجيل - بكل وضوح، أن المسيح - على مايزعمون - قبض عليه فى تلك الليلة، واستطاعت قوى الظلم أن تنتصر عليه، وتحقق ماتريد، فعندئذ لابّد أن يشك التلاميذ فى معلمهم الذى تنبأ لهم بنجاته، ثم أظهرت الحوادث أمام أعينهم بعد ذلك أنه لم يحدث هنا فقط يحدث الشك والزلل ، والارتداد عن العقيدة.

ولّما كانت الأناجيل قد أظهرت جميعها أن التلاميذ لم يشكّو فى المسيح فى تلك الليلة، فإن هذا لايعني أن الأحداث سارت حسبما جاء فى تلك الحالة التى تنتهي بنجاة المسيح من القبض والقتل.

---

(١) أنظر مثلا انجيل متّى ٢٦ : ٣١، وانجيل مرقس ١٤ : ٢٧.

أمّا إن كانت الحالة الثانية، وهى أن المسيح تنبأ لتلاميذه بالقبض عليه وقتله، فإن ماشهده التلاميذ - حسب رواية الأناجيل أيضا - هو أن ذلك ماحدث ولا محل للشك إذن فى هذه الحالة.

ولاريب فى أن نفي الشك غن التلاميذ فى تلك الليلة يترتب عليه بالضرورة إلحاق تنبؤات خاطئة بالمسيح، وهو الأمر الذى لايمكن أن يصدر عنه.

ان هذه النقطة وحدها تقطع بأحد أمرين:

إما التسليم بأن الأناجيل تنسب للمسيح أقوالا، وتنبؤات خاطئة. وإمّا التصديق بفشل المؤامرة ضد المسيح، وبالتالى نجاته من القبض عليه وقتله»[(١)].

سابعا : فيمن تبع المقبوض عليه من التلاميذ :

ومن أمثلة تناقض الأناجيل الأربعة فيما بينها فى موضوعنا هذا، تناقضها فيمن تبع المقبوض عليه (المسيح فى زعمهم) من تلاميذه، حيث تخلى عنه معظم تلاميذه.

وقد اختلفت الأنجيل الأربعة فى هذا الموضوع على روايات ثلاث :

الرواية الأولى: وهى التى وردت فى انجيلي (متّى ولوقا) ومؤداها: أن بطرس وحده هو الذى تبع المسيح دون سواه.

وقد جاء فى انجيل (متّى) مايلى:« .. حينئذ تركه التلاميذ كلهم، وهربوا والذين أمسكوا يسوع مضوا به إلى قيافا[(٢)] رئيس الكهنة، حيث اجتمع الكتبة

---

(١) المسيح فى مصادر العقائد المسيحية ص ١٤٧، ١٤٨.

(٢) الرئيس الرسمى للكهنة.

والشيوخ، وأمّا بطرس فتبعه من بعيد إلى دار رئيس الكهنة فدخل إلى داخل، وجلس بين الخدام لينظر النهاية»[١].

أمّا نص (لوقا) فهو كما يلى : «فأخذوه وساقوه، وأدخلوه إلى بيت رئيس الكهنة، وأمّا بطرس فتبعه من بعيد ولما أضرموا ناراً فى وسط الدار، وجلسوا معا، جلس بطرس بينهم»[٢].

ففى هذين النصين نجد أن الذي تبع المسيح هو (بطرس)، وإن كان (لوقا) صرّح بالاصطلاء مما يدل على أن الوقت إذ ذاك برد. أمّا (متّى) فلم يوضّح ذلك .

أمّا الرواية الثانية فهى رواية مرقس. حيث ذكر أن بطرس لم يكن وحده هو الذى تبع المسيح، وإنما هناك شاب آخر أيضا تبعه، ولكّن الجند أمسكوا به إلاّ أنه تمكن من الإفلات منهم والفرار. واليك ماجاء فى نص (مرقس):

«... فتركه الجميع ، وهربوا وتبعه شاب لابساً إزاراً على عُرْيِهِ، فأمسكه الشبان ، فترك الأزار وهرب منهم عريانا . فمضوا بيسوع إلى رئيس الكهنة، فاجتمع معه جميع رؤساء الكهنة والشيوخ والكتبة، وكان بطرس قد تبعه من بعيد إلى داخل دار رئيس الكهنة، وكان جالسا بين الخدام يستدفيء عند النار»[٣].

إن التجرد عن الثياب يعنى شدة الحر، والاصطلاء يعني شدة البرد، وكلا الأمرين كانا فى يوم واحد، بل وفى آن واحد، وهو أمر موجب للعجب حقا، لما

---

(١) ٢٦ : ٥٦، - ٥٨.

(٢) ٢٢ : ٥٤، ٥٥.

(٣) ١٤ : ٥٠ - ٥٤.

بين الأمرين من البون الشاسع.

«ومعلوم أن هذه الحادثة كانت فى عيد الفصح - وهو يبتدىء فى نصف شهر نيسان تقريبا - وهذا الشهر فى أورشليم يُعدّ من فصل الصيف.

لكن ماذا نقول لهذه الكتب (الالهامية!) - بزعمهم - إذ حكمت عن بطرس أنه كان يستدفىء على النار من شدة البرد، وعن الشاب الهارب أنه كان عريانا من شدة الحر. كل ذلك فى يوم واحد.

والحق أن فرار هؤلاء الرسل عن عيسى - عليه السلام - فى ساعة العسرة، وتركهم أياه فى أيدي أعدائه يعبثون فيه ، ويحقّرونه، ويعذبونه عذابا أليما ، ثم يصلبونه ، وهم ينظرون اليه فى هذه الحالة ، ولا ينصرونه ، فهو دليل على ردّتهم. إلاّ أنه يبعد عن العقل صحة وقوعه من حوارى عيسى - عليه السلام -؛ لأنهم موعودون بنص الأنجيل بأنهم يجلسون على كراسى فى ملكوت الله»[1].

أما الرواية الثالثة: فهى ماجاء فى انجيل (يوحنا) ، حيث ذكر لنا هذا الانجيل وجود تلميذ آخر مع بطرس تبعا المسيح، لكن هذا التلميذ لم يهرب، كما هرب الشاب - حسب رواية مرقس السابقة - بل كان معروفا لدى رئيس الكهنة بحيث استطاع التوسط لبطرس فى الدخول. والنص كما يلى :

«وكان سمعان بطرس، والتلميذ الآخر يتبعان يسوع، وكان ذلك التلميذ معروفا عند رئيس الكهنة، فدخل مع يسوع إلى دار رئيس الكهنة، وأمّا بطرس، فكان واقفا عند الباب خارجا، فخرج التلميذ الآخر الذى كان معروفا عند رئيس

---

(١) عبد الرحمن بك باجه جى زاده / الفارق بين المخلوق والخالق ص ٢٢٩.

الكهنة، وكلّم البوابة، فأدخل بطرس»[1].

والرويات الثلاث - كما نرى - متباينة، ومتضاربة، بحيث لايمكن الجمع بينها إطلاق.

ثامنا : محاكمة المسيح - فى زعمهم - : ومن الحوادث التاريخية غير الصحيحة أيضا - والتى تدور حول حادثة الصلب والتى اختلفت الأناجيل فيها عند روايتها اختلافا بينا، محاكمة من يزعمون أنه المسيح، وخاصة ماقيل عن مثوله أمام الوالي الروماني، وأمام اليهود حيث نقرأ فى انجيل (متّى) عن ذلك مانصه:

«فوقف يسوع أمام الوالي فسأله قائلا أأنت ملك اليهود؟ فقال له يسوع : أنت تقول . وبينما كان رؤساء الكهنة والشيوخ يشتكون عليه لم يجب عليه بشىء. فقال له بيلاطس : أما تسمع كم يشهدون عليك؟ فلم يجبه ولا عن كلمة واحدة حتى تعجب الوالى جدا»[2].

وفى انجيل (مرقس) نقرأ عن نفس الوقاعة مايلى :

«فسأله بيلاطس : أنت ملك اليهود؟ فأجاب وقال : أنت تقول . وكان رؤساء الكهنة يشتكون عليه كثيراً. فسأله بيلاطس أيضا قائلا : أما تجيب بشىء؟ أنظر ، كم يشهدون عليك، فلم يجب يسوع أيضا بشىء حتى تعجّب بيلاطس»[3].

---

(١) ١٨ : ١٥ - ١٧.

(٢) ٢٧ : ١١ - ١٤.

(٣) ١٥ : ٢ - ٥.

فنحن نقرأ في هذين النصين أن المسيح لم يزد على قوله : «أنت تقول» رداً على سؤال الوالي له، رغم أن الوالي حاول التحدّث معه ، ومناقشته، إلاّ أنه لم ينبث ببنت شفة بعد قوله «أنت تقول». وقد وافقهما (لوقا) فى ذلك أيضا مع بعض الاختلاف(١).

أما انجيل (يوحنا) فيشير إلى نفس الواقعة، لكن باختلاف كبير عن النصين السابقين، يتعذر معه الوصول إلى الحقيقة بين كتبة هذه الأناجيل ، حيث نجد فيه أن المسيح لم يكتفِ فى الجواب على الوالى بما اكتفى به فى الانجيلين السابقين، بل نجده يجادل ، ويناقش الوالي، ويأخذ ويعطي معه فى حديث طويلا لاينتهي إلاّ بخروج الوالي إلى اليهود تاركا المسيح. واليك النص :

«ثم دخل بيلاطس أيضا إلى دار الولاية ودعا يسوع، وقال له : أنت ملك اليهود؟ أجابه يسوع : أمن ذاتك تقول هذا أم آخرون قالوا لك عني؟ أجابه بيلاطس : آلعلّي أنا يهودي. أمتك ورؤساء الكهنة أسلموك إلىّ . ماذا فعلت ؟ أجاب يسوع : مملكتى ليست من هذا العالم. لوكانت مملكتى من هذا العالم لكان خدامي يجاهدون لكي لا أسلم إلى اليهود، ولكن الآن ليست مملكتى من هنا. فقال بيلاطس : أفأنت إذن ملك ؟ أجاب يسوع : أنت تقول إنى ملك لهذا قد ولدت أنا ولهذا قد أتيت الى العالم لأشهد للحق، كل من هو من الحق يسمع صوتي. قال له بيلاطس : ماهو الحق؟ ..»(٢).

ويقول الأستاذ / منصور حسين عبد العزيز القاضي معلقا على ماورد فى هذه النصوص الثلاثة من هذه الأناجيل :

---

(١) ٢٣ : ١ – ٣.

(٢) ١٨ : ٣٣ – ٣٨.

والمرء إذ يطالع كل ذلك فى الأناجيل الثلاثة يأخذه العجب، فها هما ذا إنجيلان (متّى، ولوقا) يؤكدان أن كل ماقاله هذا الذى يحاكم على أنه المسيح لبيلاطس «أنت تقول»، ويحاول بيلاطس بعد ذلك أن يتحدث معه، فلايجيبه، ولا عن كلمة واحدة، ويؤكد الانجيلان سكوته على هذا النحو بأن يضيفا أن الوالي تعجّب لذلك جداً، ولكن الانجيل الأخير (يوحنا) لايقول بذلك ، بل يقول: إنه أخذ يردّ على بيلاطس ويناقشه فى كل مايقول، ويدور بينهما حديث لاينتهى إلاّ بأن يخرج بيلاطس بعد ذلك لليهود تاركا المسيح، فهل يمكن أن يكون كل ذلك صحيحا، هل يمكن أن يكون هذا الذى يحاكم ويحسبونه المسيح قد سكت، ولم يجب الوالي عن كلمة واحدة حتى آثار ذلك السكوت منه عجب الوالي جداً، وأن يكون فى نفس الوقت لم يسكت على الاطلاق، بل أخذ يناقش الوالي فى كل مايقوله، إن هذا هو المستحيل عينه، وان هذا ليقطع على الأقل بأن إحدى الروايتين غير صحيحة على الاطلاق»[1].

تاسعا : إذا كان النصارى يستدلون بنصوص الأناجيل على وقوع الصلب على ذات المسيح – طبقا للروايات السابقة – فإن هذه الأناجيل تجمع بين النقيضين بالنسبة لهذه القضية، فإذا كان فيها مايدل على صلب المسيح، ففيها كذلك مايدل على نجاة الله له من أعدائه، وحفظه من كيدهم ، ورفعه – كما هى عقيدتنا–، كما تنص على ماوهب له من القدرة على التخفي من أعدائه.

يحكي لنا (لوقا) فى ذلك ماحدث للمسيح حين جاء إلى الناصرة، ودخل المجمع يوم السبت ، وأخذ يعظ الناس الموجودين هناك «فقاموا وأخرجوه خارج المدينة، وجاءوا به إلى حافة الجبل الذى كانت مدينتهم مبنية عليه حتى يطرحوه أسفل، أما هو فجاز فى وسطهم، ومضى»[2].

---

(١) دعوة الحق أو الحقيقة بين المسيحية والاسلام ص ٣٢٨ ط ٢.

(٢) ٤ : ٢٩، ٣٠.

وقد صرّحت الأناجيل بأن عيسى - عليه السلام - قال للكهنة : «ستطلبونني ولاتجدونني، وحيث أكون أنا لاتقدرون أنتم أن تأتوا»[١].

وهذا أمر واضح، حيث إن اليهود بعدما قال لهم المسيح : «من نفسى لم آتِ بل الذى أرسلنى هو حق الذى لستم أنتم تعرفونه، أنا أعرفه، لأنى منه، وهو أرسلني»[٢]. -- بعد هذا طلبوا أن يقبضواعليه ويقتلوه، فلم يجدوه.

وإذا أصرّت النصارى على أن اليهود طلبوه وأمسكوه، وصلبوه، فحينئذ يلزم تكذيب عيسى إذا صح مانقلوه عنه مما ذكرناه آنفا.

وورد فى انجيل (يوحنا) مانصه : «فأخذ يهوذا الجند وخداما من عند رؤساء الكهنة، وجاءوا بمشاعل ومصابيح، وسلاح، فخرج يسوع إليهم وهو عالم مايأتى عليه، وقال لهم : من تطلبون ؟ أجابوه : يسوع الناصري . فقال لهم يسوع : أنا هو . وكان يهوذا أيضا واقفاً معهم، فلما قال لهم : إني أنا هو، رجعوا إلى الوراء، وسقطوا على الأرض»[٣].

ويستخلص من هذه القصة مايلي :

(١) أن الله تعالى أمسك أعينهم، ومن ضمنهم يهوذا عن معرفة السيد المسيح.

(٢) أن المسيح لما قال لهم أنه هو، سقطوا على الأرض دون أن يكون هناك سبب لهذا السقوط. مما يفهم منه أن هذا السقوط منهم على الأرض،

---

(١) يوحنا ٧ : ٣٤.

(٢) يوحنا ٧ : ٢٨، ٢٩.

(٣) ١٨ : ٣ - ٨.

ماجرى وماكان إلاّ لأمر قضاه الله فى تلك الساعة، وهو نجاة المسيح من كيدهم تصديقاً لما كتب عنه فى المزامير.

«يوصي ملائكته بك لكى يحفظوك فى كل طرقك على الأيدي يحملونك لئلا تصدم بحجر رجلك»(١).

أليس من حق القائل أن يقول : إن ملائكة الله حملت المسيح على أيديها فى تلك اللحظة التى كادت تزيغ فيها القلوب ... أليس هذا ماتنطق به الأناجيل؟ حيث يصف لنا (لوقا) حالة المسيح في وقت الصلب - كما يزعمون - ويذكر أثناء وصفه هذا أن ملاكا ظهر للمسيح من السماء يعضده ويسنده. فيقول :

«وخرج (أى المسيح)، ومضى كالعادة إلى جبل الزيتون، وتبعه أيضا تلاميذه، ولما صار إلى المكان قال لهم : صلوا لكي لاتدخلوا فى تجربة، وانفصل عنهم نحو رومية حجر، وجثا على ركبتيه ، وصلى قائلا : يا أبتاه، إن شئت أن تجيز عنى هذه الكأس، ولكن لتكن لا إرادتى ، بل إرادتك. وظهر له ملاك من السماء يقويه »(٢).

فلعلّ الملاك الذى جاء ليقويه هو الموكل بحفظه من أعدائه ، كما أراد الله، سيما وأن بولس نفسه قد صرّح فى رسالته إلى العبرانيين أن الله قد استجاب إلى تضرعات المسيح، وسمع له وأنقذه من الموت. ويقول فى ذلك :

«... الذى فى أيام جسده إذ قدم بصراخ شديد، ودموع طلبات تضرعات

---

(١) ٩١ : ١١ وقد أشار (لوقا) الى ذلك فى الاصحاح الرابع من انجيله فقرة ١٠، ١١ حيث قال : «لأنه مكتوب : أنه يوصي ملائكته بك لكى يحفظوك، وأنهم على أياديهم يحملونك لكى لاتصدم بحجر رجلك.

(٢) ٢٢ : ٣٩ - ٤٣.

للقادر أن يخلصه من الموت، وسمع له من أجل تقواه»[١].

فكيف نوفّق بين هذه النصوص التى تدل على نجاة المسيح والروايات المطولة فى صلبه.

لذا يجب ضرورة تأويل الآيات التى فيها أثر من التنويه - على زعمهم بصلب ذات المسيح - عليه السلام - بناء على ذلك.

عاشرا : وبغضّ النظر عن التنقاضات الموجودة بين الأناجيل فى رواية حادثة الصلب - على نحو ما قدمنا - فإن ماذكرته هذه الأناجيل يدل على أن الصلب لم يقع على المسيح نفسه، وإنما وقع على غيره. يقول صاحب الفارق - موجها كلامه للنصارى، وملزماً لهم بهذه الحقيقة - :

«قد جاء فى أناجيلكم قول المصلوب : «الهى، الهى لم تركتنى[٢] وهذا كلام يقتضي عدم الرضا بالقضاء، وعدم التسليم لأمر الله، خالق الأرض والسماء. والمسيح منزّه عن ذلك بالنسبة لمرتبة النبوة فقط، فكيف وأنتم تزعمون أنه الاله وأنه ارتاح إلى الصلب بنفسه، أليس فى هذا دليل على أنه شبّه لهم؟

على أنكم رويتم أن ابراهيم، واسحاق ، ويعقوب ، وموسى ، وهارون عليهم السلام. حينما حضرهم الموت كانوا مستبشرين بلقاء ربهم، فرحين بانقلابهم إلى سعيهم، ولم يجزعوا من الموت، ولم يستثقلوا منه، ولم يهابوا مذاقه، مع أنهم عبيده. والمسيح بزعمكم - ربهم - فكان ينبغي أن يكون الأمر بالعكس. ولمّا لم يكن كذلك، دلّ على أن المصلوب غيره، فلذلك كان يجزع ،

---

(١) رسالة بولس إلى العبرانيين ٥ : ٧.

(٢) مرقس ١٥ : ٣٤.

ويصرخ ألبته، لأنه من آحاد الناس»[١].

وبعد ... فهذه مجرد أمثلة عشرة لتناقضات الأناجيل فى قصة صلب المسيح، وهى كافية فى الدلالة على بطلانها، بل وعلى بطلان الأناجيل التى تضمنتها . وما أصدق قول الناقد الجرىء (فاستس) – من أعظم علماء فرقة ماني كيز فى القرن الرابع الميلادى – : «أن هذا العهد الجديد ماصنفه المسيح ولا الحواريون، بل صنفه رجل مجهول الاسم ، نسبه إلى الحواريين، ورفقاء الحواريين؛ يعترب الناس. وقد آذى بذلك المريدين لعيسى ايذاء بليغا، فقد ألفّ الكتب التى تمتلىء بالأغلاط والمتناقضات»[٢].

ولعل أكبر وثيقة فضحت زيف النصرانية المحرفة ، وأثبتت بطلان معتقدات أتباعها، هى انجيل (برنابا) الذى فصّل القول فى مسألة صلب من يزعم النصارى أنه المسيح، حيث نفى القول بصلب المسيح – عليه السلام – ، وأثبت أن الله ألقى شبهه على غيره. وقد جاء فيه على لسان المسيح مخاطبا برنابا قوله:

«... فاعلم يابرنابا ، أنه لأجل هذا يجب علىّ التحفظ، وسيبيعني أحد تلاميذي بثلاثين قطعة من نقود. وعليه فإنى على يقين من أن مَنْ يبيعني يقتل باسمي، لأن الله سيصعدني من الأرض، وسيغيّر منظر الخائن، حتى يظنه كل أحد إياي، ومع ذلك لما يموت شرّ ميتة، أمكث فى ذلك العار زمنا طويلا فى العالم، ولكن متى جاء محمد رسول الله المقدس تزال عني هذه الوصمة»[٣].

---

(١) ص ٢٨٨.

(٢) نقلا عن الدكتور رؤوف شلبى / يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء ص ١٦٨.

(٣) ترجمة الدكتور خليل سعادة / الفصل الثاني عشر بعد المائة عدد ١٣ : ١٧.

«فقادوه إلى جبل الجمجمة، حيث اعتابوا شنق المجرمين، وهناك صلبوه عريانا مبالغة فى تحقيره، ولم يفعل يهوذا شيئا سوى الصراخ: «يا الله لماذا تركتني؟ فإن المجرم قد نجا أمّا أنا فأموت ظلما.

الحق أقول : إن صوت يهوذا ، ووجهه ، وشخصه بلغت من الشبه بيسوع أن اعتقد تلاميذه ، والمؤمنون به كافة أنه هو يسوع؛ لذلك خرج بعضهم من تعليم يسوع، معتقدين أن يسوع كان نبيا كاذبا ، وأنه إنما فعل الآيات التى فعلها بصناعة السحر»[1].

وما أثبته برنابا فى انجيله هو ماقرره القرآن فى شأن المسيح - عليه السلام - على نحو ماسنشرحه فى الفقرة التالية.

٤ - موقف الإسلام من قضية الصلب والفداء:*

نحن - كمسلمين - لانكتفى بما أوردته أناجيل النصارى عن حادثة صلب - من يزعمون أنه - المسيح، وذلك لما ثبت لدينا بالدليل القاطع، والحجة الساطعة عند الحديث عن الأناجيل من كثرة الشكوك، والاختلافات حول تاريخ تدوينها، وترجمتها ،، ومدى صحة نسبتها إلى مؤلفيها. هذا بالاضافة إلى انقطاع السند فى هذه الأناجيل، وانعدام شرط التواتر فيها، وهما شرطان ضروريان لكل كتاب سماوي يستحق التقديس.، وقد سبق أن فصّلنا القول فى ذلك فى الباب الأول من هذه الرسالة.

نقول : لانكتفى بما أوردته تلك الأناجيل عن عقيدة الصلب والفداء التى

---

(١) انجيل برنابا / ترجمة الدكتور خليل سعادة / الفصل السابع عشر بعد المائتين عدد ٧٨ : ٨١.

* أنظر / يونس تورى / عقيدتا التثليث والصلب وموقف الاسلام منهما.

زج بها مؤلفوا الأناجيل فى كتبهم زجا، بل علينا أن نحتكم إلى القرآن الكريم، ذلك الكتاب المهيمن على ماسبقه من الكتب، والذى لا يأتيه الباطل من بين يديه، ولا من خلفه، والمحفوظ فى الصدور والسطور ، والذى تولّى الله عز وجل حفظه من التغيير والتبديل (إنّا نحن نزلنا الذكر وانّا له لحافظون)[1] - لنحتكم إلى هذا الكتاب الكريم ، ونرى ماذا قال فى شأن مسألة الصلب بالنسبة للمسيح عليه السلام؟

ولكن قبل ذلك لابدّ لنا من تبيان رأى الاسلام فى توارث الخطيئة التى يدعيها النصارى، ويجعلونها الأساس لعقيدتهم فى الصلب والفداء. فنقول :

لقد فصّلنا القول سابقا فى هذه العقيدة، وكيف أن النصارى بنوا اعتقادهم بصلب المسيح فداء للبشرية على أساس قولهم بوراثة البشرية لخطيئة أبيهم آدم وبينّا كيف أن آدم - على زعمهم - بسبب هذه الخطيئة، قد اكتسب لعنة أبدية ورثتها ذريته من بعده ، ولاسبيل إلى رفع عقوبة هذه الخطيئة عنه وعن ذريته إلاّ بسفك دم غير مدنس بخطيئة أبداً.

من أجل ذلك أرسل الله ابنه الوحيد، ليحل فى جسد العذراء مريم، ثم يولد بالجسد إنسانا، لكنه الاله نفسه، ليقدّم نفسه وسيطا بين الله والناس؛ ولهذا تجسّد، وتألم، ومات - صلبا - تخليصا لهم من خطيئة آدم التى ورثوها، وتضحية من أجلهم، حتى تتم المصالحة بين الله والناس فينالون رضوان الله تعالى. ولولا معصية آدم ، وخطيئته وتوارثها فى ذريته ، لما كان هناك موجب لصلب المسيح، وسفك دمه حسبما يعتقدون.

والواقع أن هذا الأساس باطل، فى حكم القرآن الكريم، سواء فيما يتعلق بخطيئة آدم نفسها، أو فيما يتعلق بقضية وراثة الخطيئة.

---

(١) سورة الحجر / آية ٩.

ففيما يتعلق بخطيئة آدم : نرى أن القرآن الكريم قد ذكر لنا هذه الخطيئة وتوبة الله عليه منها. فلنمعن النظر فى آيات القرآن الكريم لنرَ ماذا أخبرنا الله عن هذه الخطيئة فنجد أن : الله قد أخبرنا فى كتابه العزيز عن نهيه لآدم وزوجه عن الأكل من الشجرة، كما أخبرنا عن غواية الشيطان لهما، حتى أكلا منها، وندمهما على مافعلا ، واستغفارهما ربهما ، وتوبته عليهما. يقول تعالى:

(وقلنا ياآدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغداً حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين. فأزلهما الشيطان عنها، فأخرجهما مما كانا فيه وقلنا أهبطوا بعضكم لبعض عدو، ولكم فى الأرض مستقر ومتا ع إلى حين ، فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم)[1].

وقال أصدق القائلين - مبينا إصرار الشيطان على غواية آدم وحواء بتزيين الأكل لهما من الشجرة التى نهاهما الله عن الأكل منها، وذلك بمختلف أساليب القسم والأغراء -:

{وياآدم اسكن أنت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين فوسوس لهما الشيطان ليبدى لهما ماووري عنهما من سوءاتهما وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلاّ أن تكونا ملكيْن أو تكونا من الخالدين. وقاسمهما إنى لكما لمن الناصحين. فدلاهما بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين}[2].

---

(١) سورة البقرة / آية ٣٥ - ٣٧.

(١) سورة الأعراف / آية ١٩ - ٢٣.

وقال تعالى - مبينا لآدم وزوجه أن الشيطان لهما عدو، وعليهما أن يحذرا منه، ومن غوايته لهما . كما يبيّن لنا في هذه الآيات أن الله تاب على آدم من خطيئته، وغفر له وزوجه - قال تعالى:

{ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزما . وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلاّ إبليس أبى فقلنا ياآدم إن هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى إن لك ألاّ تجوع فيها ولاتعرى وأنك لاتظمئوا فيها ولاتضحى فوسوس إليه الشيطان قال يا آدم هل أدلّك على شجرة الخلد وملك لايبلى فأكلا منها فبدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وعصى آدم ربه فغوى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى}[1].

فهذه الآيات جميعها تدل على أن آدم وحواء قد عصيا ربهما وأكلا من الشجرة التى نهاهما الله عن الأكل منها ، ولكنهما ندما على فعلهما، واستغفرا الله {قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين}.

فسمع الله نداءهما ، واستجاب لهما، وقبل توبتهما {فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم} ، {ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى*}.

أما فيما يتعلق لوراثة البشرية لخطيئة آدم هذه، فلو فرض أن آدم وحواء لم يستغفرا الله من ذنبهما، وأنه لم يتب عليهما، فما كان ذلك ليقتضي وراثة أبنائهما اللعنة بخطيئتهما، حيث إن كل امرىء مسئول يوم القيامة عما عمل،

---

(١) سورة طه / آية ١١٥ - ١٢٢.

* وكما طوى الله ذكر النساء فى القرآن والسنة لأنهن تبعا للرجال، كذلك اكتفى هنا بذكر توبة آدم دون توبة حواء لأنها كانت تبعا له.

أنظر : الفخر الرازى / التفسير الكبير المجلد الثانى جـ ٣ ص ٢٧.

ومجزيّ بأعماله { اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم}[1].

{من اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ، ومن ضلّ فإنما يضل عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى}[2].

{من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها}[3].

وتقرير المسئولية الشخصية ليس قاصراً على القرآن الكريم بل كتبهم صريحة بذلك «كل إنسان بخطيئته يقتل»[4].

وجاء على لسان بولس أن الله «سيجازي كل واحد حسب أعماله»[5].

فلن يعاقب الله إنسانا بجريرة آخر، مهما بلغت صلة القرابة بينهما من القوة، فكل إنسان مسئول عما جنت يداه، ومحاسب على عمله إن خيرا فخير، وان شراً فشر. ونزول آدم - عليه السلام - من الجنة ليس لأجل الخطيئة ، فقد تاب الله عليه وغفر له، وإنما نزوله كان مقررا فى قدر الله قبل خلقه. كما قال تعالى : {وإذا قال ربك للملائكة إني جاعل فى الأرض خليفة}[6]. وذلك لعمارتها، وتحقيقا لما قدره الله من استمرار نسل آدم وحواء على هذه الأرض، وتكليفهم بعبادة الله، وأرسال رسله إليهم بما أوحاه إليهم من شريعته.

واذا بطل القول ببقاء خطيئة آدم وحواء دون توبة، وبطل القول بوراثتها

---

(١) سورة غافر / آية ١٧.

(٢) سورة الاسراء / آية ١٥.

(٣) سورة فصلت / آية ٤٦ .

(٤) سفر التثنية ٢٤ : ٦.

(٥) رسالة بولس إلى أهل رومية ٢ : ٦.

(٦) سورة البقرة / آية ٣٠.

فى أبنائه، بطل مايبينه النصارى على ذلك الزعم من فداء المسيح للبشرية عن طريق التضحية بنفسه مرفوعا على الصليب.

فماذا حكى لنا القرآن عن قصة الصلب هذه ؟

إننا بتصفحنا لآيات الكتاب الحكيم نجد الباري تعالى قد ذكر لنا ثلاث آيات فى هذا الشأن :

احداها : ينفي فيها نفيا قاطعا وقوع الصلب على المسيح، ويؤكد أن الصلب والقتل قد وقعا فعلا لكن على آخر شبيه للمسيح وليس هو المسيح.

أمّا الآيتان الأخريان، فيذكر لنا فيهما أنه رفعه إليه ونجّاه من كيد قومه دون أن يمسه سوء منهم.

فأمّا الآية التى ينفي فيها صلب المسيح - عليه السلام - فهى قوله تعالى : {وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله وما قتلوه وماصلبوه ولكن شبه لهم وان الذين اختلفوا فيه لفي شك منه مالهم به من علم إلاّ اتباع الظن وماقتلوه يقينا}[١].

فقوله تعالى : (وماقتلوه) نص فى عدم قتله مصلوبا، أو غير مصلوب. وقوله تعالى : (وماصلبوه) نص فى عدم صلبه حيا أو ميتا.

وأما الآيتان اللتان أخبر القرآن فيهما بنجاة المسيح - عليه السلام - منهم ورفعه اليه. ففي قوله تعالى :

{إذ قال الله ياعيسى إني متوفيك ورافعك إليّ ومطهرك من الذين كفروا

---

(١) سورة النساء / آية ١٥٧.

وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة ثم إلى مرجعكم فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون}[١].

وقوله تعالى : { ... بل رفعه الله اليه وكان الله عزيزا حكيما }[٢].

ولما كان موضوع رفع المسيح والاختلاف حوله ليس موضوعنا.

لذا فسوف نقتصر على الآية الأولى التى تنفي صلب المسيح وقتله ، وتؤكد وقوع القتل والصلب على آخر شبيه له.

ولنر أقوال العلماء والمفسرين حول هذه الآية :

يقول الأمام الرازى فى تفسيره لهذه الآية :

(واعلم أنه تعالى لما حكى عن اليهود أنهم زعموا أنهم قتلوا عيسى - عليه السلام - فالله تعالى كذبهم فى هذه الدعوى، وقال : {وماقتلوه وماصلبوه ولكن شبه لهم}[٣].

ويقول الشيخ محمد رشيد رضا عند تفسيره لنفس الآية مايلى:

(وقولهم (أى اليهود) إنا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله) فإنه قول يؤذن بمنتهى الجرأة على الباطل، والضراوة بارتكاب الجرائم، والاستهزاء بآيات الله ورسله، ووصفهم هنا المسيح بصفة الرسالة للايذان بتهكمهم به - عليه السلام - واستهزائهم بدعوته.

---

(١) سورة آل عمران / آية ٥٥.

(٢) سورة النساء / آية ١٥٨.

(٣) التفسير الكبير / المجلد السادس جـ ١١ ص ١٠١.
وأنظر كذلك تفسير ابن كثير جـ١ ص ٥٧٤.

{وماقتلوه وماصلبوه} أى والحال أنهم ماقتلوه كما زعموا تبجحا بالجريمة، وماصلبوه كما ادعوا وشاع بين الناس.

{ولكن شبه لهم} أى وقع لهم الشبهة أو الشبه ، فظنوا أنهم صلبوا عيسى وإنما صلبوا غيره.

فإذا كانت أناجيلهم لاتزال ناطقة بأنه أخبر أن تلاميذه ، وأعرف الناس به يشكون في ذلك الوقت، وخبره صادق قطعا، فهل يستغرب اشتباه غيرهم، وشك من دونهم فى أمره.

{وماقتلوه يقينا} أى وماقتلوا عيسى بن مريم قتلا يقينا أو متيقن أنه هو بعينه، لأن الجند لم يكونوا يعرفونه حق المعرفة. وهذه الأناجيل المعتمدة عند النصارى تصرح بأن الذى أسلمه إلى الجند هو يهوذا الاسخريوطى، وأنه جعل لهم علامة أن مَنْ قبّله يكون هو يسوع المسيح فلما قبّله قبضوا عليه.

وأما انجيل برنابا فيصرح بأن الجنود أخذوا يهوذا الاسخريوطي نفسه ظنا أنه المسيح، لأنه ألقى عليه شبهه. فالذى لا خلاف فيه هو أن الجنود ماكانوا يعرفون شخص المسيح معرفة يقينية(١).

فآيات الصلب هذه يؤخذ منها الدلالة على انتفاء حدوث الموت نتيجة الصلب، لا انتفاء حدوث الصلب نفسه، فالصلب واقع لانزاع فيه، وإنما النزاع فى وقوع الصلب على ذات المسيح «والمسلمون ينفون الصلب عن المسيح، لا لكونه مستحيلا فى حقه ، بل لأن القرآن ينفي عنه ذلك. والدليل على قابلية المسيح – عليه السلام – كغيره – للموت والهلاك قوله تعالى : {لقد كفر الذين

---

(١) المنار جـ ٦ ص ١٨، ١٩ باختصار. وأنظر كذلك تفسير القرطبى جـ ٦ ص ٩، ١٠ وكذلك تفسير البيضاوى ص ١٤١. وأنظر كذلك ابن كثير جـ ١ ص ٥٧٤.

قالوا أن الله هو المسيح بن مريم قل فمن يملك من الله شيئا إن أراد أن يهلك المسيح بن مريم وأمه ومن فى الأرض جميعا}[1].

هذا عن الصلب، أما عن الفداء والخلاص فيقول دعاة النصرانية – واهمين فى محاولة منهم للتقريب بين الإسلام والمسيحية – يقولون:

«إن الاسلام مبني على أن النجاة فى الآخرة ، والسعادة الأبدية فيها، إنما تكون بمثل مايسمى الفداء فى عقيدة الصلب. وأن الفرق بين الاسلام والمسيحية إنما هو فى الفادى ..»[2] ذلك أنها تكون (أى النجاة) بشفاعة النبي عند ربه تخليصا للناس من عذابه ولعنته.

والواقع «أن مدار نجاة الانسان فى الآخرة من العقاب وفوزه بالنعيم والسعادة الأبدية إنما هو – كما قلنا من قبل – على تزكية نفسه وتطهيرها من العقائد الوثنية الباطلة، والأخلاق الفاسدة ، حتى تكون متخلية عن الأباطيل والشرور، متحلية بالفضائل وعمل البرّ والخير، ومدار الهلاك على ضد ذلك ... قال تعالى : {ونفس وما سواها فألهما فجورها وتقواها قد ألح من زكاها وقد خاب من دساها}[3].

فمن أخلص لله فى تزكية نفسه، واصلاحها بالايمان والعمل الصالح، بقدر استطاعته كان مقبولا مرضيا عند الله تعالى. ومن لم يكن كذلك غضب الله عليه، وكان محروما من رضوانه الأكبر ، فلا يقبل منه فداء لو ملك

---

(١) سورة المائدة / آية ١٧. وأنظر ردّ رسالة أبحاث المجتهدين الموجودة فى ذيل كتاب الفارق ص ٤٧.

(٢) الشيخ محمد رشيد رضا / تفسير المنار جـ ٦ ص ٢٨.

(٣) سورة الشمس / آية ٧ – ١٠.

الفداء»[1].

أما الشفاعة التى يقررها الكتاب والسنة فى الآخرة ، فالفرق بينها وبين عقيدة الخلاص والفداء فى المسيحية ، فرق واضح فى حقيقتهما ، والأساس الذى يقوم عليه كل منهما، فالفداء فى المسيحية إنما يكون بتضحية المسيح بنفسه فداء للبشرية من الخطيئة الموروثة. وقد بيّنا أنه لا خطيئة ولا وراثة للخطيئة، ولا علاقة بين قتل المسيح، وبين هذه الأمور الموهومة، حتى ولو لم تكن أوهاما.

أما الشفاعة فهى مجرد دعاء لله سبحانه وتعالى بالمغفرة لمن يشاء من عباده، وذلك ممن يأذن الله له بالشفاعة من نبي وغيره، ولكن لها حدوداً لاتتجاوزها ، فلا يستطيع أحد من أهل السموات والأرض أن يشفع لأحد لم يرضِ الله تعالى بالإيمان والعمل الصالح {واتقوا يوما لاتجزي نفس عن نفس شيئا، ولايقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة}[2] الآية.

(وكم من ملك فى السموات لاتغنى شفاعتهم شيئا إلاّ من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى)[3].

فالمسلمون والمسيحيون عليهم أن يعملوا ولا يتواكلوا ، وفكرة الشفاعة أو فكرة الخلاص لن يغني عنهم من الله شيئا إن هم اجترحوا السيئات ، وأصروا على مافعلوه وهم يعلمون[4].

---

(١) محمد رشيد رضا / تفسير المنار جـ ٦ ص ٢٩، ٣٠ باختصار.

(٢) سورة البقرة / آية ١٢٣.

(٣) سورة النجم / آية ٢٦.

(٤) أنظر / فتحى عثمان / مع المسيح فى الأناجيل الأربعة ص ٤٣٩.

والواقع أن الخلاص من رِبقة الآثام والذنوب، لا علاقة له بالصلب والفداء اطلاقا ، بل الخلاص الحق هو تقوى الله والعمل الصالح {فمن اتقى وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون}[1]، حيث لايكفي من المؤمن أن يكون مؤمنا بالاعتقاد فقط، بل عليه أن يترجم هذا الإعتقاد إلى سلوك عملي، وواقع ملموس ابتغاء رضوان الله ، وله جزاء الضعف عند ربه. وهذا هو ماتنطق به كتب النصارى فى عبارات واضحة صريحة، وهو مما قد يكون أبقاه الله، وحفظه من التحريف، وذلك لموافقته لما جاء به كتابنا العزيز. ففي محاورة جرت مع عيسى - عليه السلام - وأحد أتباعه الذى طلب من المسيح أن يرشده إلى عمل مايصلح به دنياه وأخراه. قال له المسيح:

«لاتقتل، لاتزن، ولاتسرق، لاتشهد بالزور، أكرم أباك وأمك، وأحب قريبك كنفسك»[2].

و «كما أن الجسد بدون روح ميت، هكذا الايمان أيضا بدون أعمال ميت»[3].

وجاء فى رسالة يعقوب الحوارى قوله : «ما المنفعة يا إخوتي، إن قال أحد إن له إيمانا ، ولكن ليس له أعمال ، هل يقدر الإيمان أن يخلصه»[4].

لقد نطق حقا وقال صدقا ، فلا خلاص للإنسان إلاّ بالإيمان بالله الواحد مقرونا بالعمل الصالح.

---

(١) سورة الأعراف / آية ٣٥.

(٢) متّى ١٩ : ١٨، ١٩.

(٣) رسالة يعقوب ٢ : ٢٦.

(٤) رسالة يعقوب ٢ : ١٤.

والآن ... وبعد هذه الأدلة على بطلان صلب المسيح، لا أجد ما أختم به هذا الفصل خيراً مما هو مثبت فى أناجيلهم من قول المسيح - عليه السلام - لتلاميذه : «فاذهبوا ، وتعلموا ماهو ، إني أريد رحمة لا ذبيحة»[1].

أين هم من هذا؟ والأوْلى بالنصارى أن يتركوا التعصب والاعتساف ويؤمنوا بقوله تعالى فى القرآن الكريم : {ولكن شبه لهم}.

---

(١) متّى ٩ : ١٣.

الباب الثالث
في
العبادات والشرائع النصرانية
وإبطال ابن تيمية لها

الفصل الأول : إنحراف النصارى عن شريعة التوراة.

الفصل الثاني : الصَّــــلاة.

الفصل الثالث : الصَّـــوم.

الفصل الرابع : التعميــــد.

الفصل الخامس : العشاء الرباني.

الفصل السادس : الرهبانية .

الفصل السابع : تحليل النصارى لأكل لحم الخنزير.

الفصل الثامن : عدم إيجاب النصارى للختان.

الفصل التاسع : تقديس النصارى للصور والتماثيل.

الفصل العاشر : إبطال ابن تيمية للعبادات والشرائع النصرانية.

الفصل الأول

إنحراف النصارى عن شريعة التوراة

الفصل الأول

« انحراف النصارى عن شريعة التوراة »

يدعى النصارى أن العهد القديم خال من الشرائع والعبادات إلا ما ندر، وأن أغلب التعاليم التي يحتويها العهد القديم ما هي إلا مبادئ عامة يستنير بها الإنسان، ويسترشد بها في حياته. فيقولون :

« في العهد القديم نجد قليلا من الشرائع والنظم المحددة، وأغلب التعاليم التي تضمنها كانت مبادئ عامة يأخذها الإنسان، ويسترشد بها، ويطبقها في حياته الشخصية، تحت ارشاد الله في الظروف المختلفة.

والوصايا العشر[1] ليست شرائع محددة، ولكن كل وصية من هذه الوصايا تشير الى مبدأ هام يتخذه الإنسان، ويستنبط منه القوانين التي ينظم بها حياته[2]».

ويقولون أيضا : « كانت بعض النظم والمسائل تتغير أحيانا على أيدي رجال الله لتتناسب مع ظروفهم الجديدة، وكان هذا - كما يدّعون - بارشاد من الله أيضا ...»[3].

---

(١) أنظر سفر الخروج ٣٤ : ١١ - ٢٨ وكذلك ٢٠ : ٣ - ١٧، وانظر كذلك سفر التثنية ٥ : ٦-٢٢.

(٢) وليم باركلي ./ تفسير انجيل متّى ج ١ ص ١٢٥.

(٣) الارشيد ياكون / نجيب جرجس / تفسير الكتاب المقدس (سفر الخروج) ص ٤٢٠.

والحقيقة أن شريعة موسى - عليه السلام - جاءت مفصلة تفصيلا تاما لكل شئ، كما قال تعالى : { ثم آتينا موسى الكتاب تماما على الذي أحسن وتفصيلا لكل شئ وهدى ورحمة لعلهم بلقاء ربهم يؤمنون}(١).

يقول صاحب المنار في تفسيره لهذه الآية :

« المعنى : أي آتينا موسى الكتاب تماما للنعمة والكرامة على من أحسن في اتباعه واهتدى به. كما قال في أواخر ما نزل من القرآن : {اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا}(٢).

وقيل : إن المعنى : آتيناه الكتاب تماما كاملا جامعا لما يحتاج اليه من الشريعة، كقوله تعالى : {وكتبنا له في الألواح من كل شئ ...}الآية (٣).

(وتفصيلا لكل شئ) أي مفصلا لكل شئ من أحكام الشريعة كالعبادات والمعاملات المدنية والعقوبات والحرب.

{ وهدى ورحمة } أي علما من أعلام الهداية، وسببا من أسباب الرحمة لمن اهتدى به ... »(٤).

وقال تعالى : { وكتبنا له في الألواح من كل شئ موعظة وتفصيلا لكل شئ فخذها بقوة وأمر قومك يأخذوا بأحسنها }(٥).

---

(١) سورة الأنعام آية ١٥٤.

(٢) سورة المائدة آية ٣.

(٣) سورة الأعراف آية ١٤٥.

(٤) تفسير المنار ج٨ ص٢٠٣ / ٢٠٤.

(٥) سورة الأعراف آية ١٤٥.

وجاء في تفسير هذه الآية ما نصه :

« أي أننا أعطيناه ألواحا كتبنا له فيها من كل نوع من أنواع الهداية، وموعظة من شأنها أن تؤثر في القلوب ترغيبا وترهيبا. وتفصيلا لكل نوع من أصول التشريع، وهي أصول العقائد والآداب وأحكام الحلال والحرام. وتفصيلها : ذكرها معدودة مفصولا بعضها من بعض»[1].

وقد انحرف اليهود عن شريعة موسى – عليه السلام – المنزلة من عند الله انحرافا ظاهرا، فأفرطوا في الماديّات، وفرّطوا في الروحانيات، وتمادوا في ذلك. فاقتضت ارادة الله ارسال رسول اليهم ليردّهم عن غيهم وضلالهم ويصلح مافسد من أحوالهم، كما هو الحال مع من سبقهم من الأمم، فأرسل في هذا الوسط رسوله، وكلمته : عيسى بن مريم اليهم، يدعوهم الى عبادة الله الواحد، وأن عليهم ان يسمعوا في طلب رضوان الله بدل التكالب على الماديات والافراط فيها.

فهل ياترى جاءهم بشريعة جديدة أم كان متبعا للتوراة الصحيحة المنزلة من عند الله؟

الواقع أن الشرائع السماوية لا تختلف في مجملها. واذا كانت تتعدد وتختلف في بعض تفاصيلها بين نبى ونبى. فما ذلك إلاّ رعاية من الله – تعالى – لمقتضيات العصور والأمم.{شرع لكم من الدين ماوصى به نوحا، والذى أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه}[2].

---

(١) محمد رشيد رضا / تفسير المنار ج٩ ص ١٨٩.

(٢) سورة الشورى آية ١٣.

وعيسى - عليه السلام - كان مصدقا للتوراة التى تقدمته، جاريا على سنن من كان قبله من أنبياء بني اسرائيل. وقد جاء في أناجيلهم : أنه خاطب اليهود وتلاميذه قائلا : (على كرسي موسى جلس الكتبة والفرّيسيون، فكل ما قالوا لكم أن تحفظوه، فاحفظوه وافعلوه)[١].

فشريعة موسى - عليه السلام - التى وجدها المسيح بين يديه هى التى سار على هداها، ودعا قومه اليها. قال تعالى : {ومصدقا لما بين يديّ من التوراة ولأحلّ لكم بعض الذى حرّم عليكم}[٢].

ومعنى ذلك : أن المسيح سيحلّ لهم بعض ماكان محرما على اليهود بسبب ذنوبهم.

فأثبت القرآن تصديق عيسى - عليه السلام - للتوراة ومافيها.

والتصديق معناه عند المفسرين :

الاقرار بأنه كتاب منزل من عند الله، وأنه كان حقا واجب العمل به الاّ ماورد النسخ له من أحكام[٣]. ويقول صاحب المنار في ذلك :

«إن عيسى - عليه السلام - لم يأتِ ناسخا للتوراة، بل مصدقا لها، عاملا بها، ولكنه نسخ بعض أحكامها، كما قال تعالى : {ولأحلّ لكم بعض الذى حرّم عليكم}. فقد كان حرّم على بني اسرائيل بعض الطيبات بظلمهم وكثرة سؤالهم، فأحلها عيسى»[٤].

---

(١) انجيل متّى ٢٣ : ١.

(٢) سورة آل عمران / آية ٥٠.

(٣) أنظر الفخر الرازى / التفسير الكبير المجلد ٦ ج١٢ ص ١٠.

(٤) تفسير المنار ج٣ ص ٣١٢.

ويقول (ابن كثير) عند تفسيره لقوله تعالى : {ولأحل لكم بعض الذى حرم عليكم} : «فيه دلالة على أن عيسى - عليه السلام - نسخ بعض شريعة التوراة، وهو الصحيح»[1].

والحقيقة أن عيسى - عليه السلام - وأن كام قد أحل لهم أشياء مما حرّمت عليهم عقوبة لهم كأكل الشحوم... ونحوها، فانه لم يحل لهم الخبائث ولا الموبقات التى يعملونها اليوم.

وقد يقال : كيف يكون عيسى مصدقا للتوراة في الوقت الذى يحلّ لهم بعض الذى حرم عليهم، أليس في ذلك تناقض؟

الواقع أن «كونه مصدقا لا يناقض ولا يخالف كونه أحل لهم بعض الذى حرّم عليهم؛ لأن التصديق بالتوراة لا معنى له الاّ الاعتقاد أن كل ما فيها فهو حق وصواب.

أمّا قوله تعالى بعد ذلك : {ولأحل لكم بعض الذى حرّم عليكم} فقد فسّروه بأمرين :

أحدهما : أن الأحبار كانوا قد وضعوا من عند أنفسهم شرائع باطلة، ونسبوها الى موسى، فجاء عيسى - عليه السلام - ورفعها وأبطلها، وأعاد الأمر الى ماكان في زمن موسى - عليه السلام -.

والثانى : أن الله تعالى كان قد حرّم بعض الأشياء على اليهود عقوبة لهم على بعض ما صدر عنهم من الجنايات. كما قال تعالى : { فبظلم من الذين هادوا حرّمنا عليهم طيبات أحلت لهم}[2]، ثم بقي بعد ذلك التحريم مستمرا على

---

(١) تفسير القرآن العظيم ج١ ص ٣٦٥.

(٢) سورة النساء / آية ١٦٠.

اليهود، فجاء عيسى – عليه السلام – ورفع تلك التشديدات عنهم.

وقيل : إن عيسى – عليه السلام – رفع كثير من أحكام التوراة.، ولم يكن ذلك قادحا في كونه مصدقا بالتوراة، لأن الناسخ والمنسوخ كلاهما حق وصدق»(١).

أيّا كان الأمر فإن عيسى – عليه السلام – جاء متبعا للتوراة، كما جاء مكملا لبعض أحكامها، وقدأثبتت ذلك أناجيلهم، حيث ذكرت على لسانه قوله: « لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء، ما جئت لأنقض، بل لأكمل»(٢).

وقد جاء في تفسير هذا النص:« أن عيس جاء ليوضّح المعنى الحقيقي للناموس، فإن وراء النواميس الكثيرة المتواترة كانت هناك حقيقة هامة، لم يفهمها الكتبة والفريسيون فهماً صحيحاً، وأساءوا ادراكها. هذه الحقيقة هي :

ان واجب الإنسان أن يبحث عن ارادة الله، ومتى عرفها ينبغي عليه أن يكرس حياته لطاعتها ... »(٣).

ويقول مفسر آخر لانجيل (متّى) : « لاتظنوا أني جئت لأنقض وأبطل والغي الناموس الأدبي، والناموس الذي نجده مكتوبا ومنحوتا على الحجارة، « بل لأكمل » أي ليثبته، ويوضّحه، ويفسّره بأعلى معنى بحياته وتعليمه» ...

إلى أن تزول السماء والأرض « إلى نهاية وجودهذا العالم لايزول أصغر حرف من الحروف العبرية من الناموس الى أن يتم كل الغرض من الناموس؛

---

(١) الفخر الرازى / التفسير الكبير المجلد ٤ ج ٨ ص ٦٥ / ٦٦ بتصرف قليل.

(٢) انجيل متّى ٥ : ١٧.

(٣) وليم باكلى / تفسير انجيل متّى ص ١٢٨.

لأن الناموس له قوته طالما يرافقه القصاص لعصيانه، والمكافأة لطاعته ... »[1].

ويقسم النصارى الناموس الموسوي الى قسمين هما :

(١) الناموس الأدبي : وهو ما تحتويه الوصايا العشر، التي تشتمل على المبادئ الروحية والأخلاقية النافعة للمؤمنين في كل الأجيال في العهدين. وقد اعتبرها الرب يسوع وكملها واعتمدها رسله. هذا بالإضافة الى الوصايا الروحية والأخلاقية الأخرى التي تعتبر منبثقة من الوصايا العشر.

(٢) الناموس الطقسي : وهو مجموعة الشعائر التي دعا موسى الى اتباعها في التقرب الى الله ... وقصد منها تنظيم العبادات والذبائح والتقدمات والمواسم والأعياد والصلوات والصيام والتطهير. وهو (أي الناموس الطقسي) بجملته رمز واشارة الى عمل المسيح الكفاري. وعندما يأتي المرموز اليه، ويتم عمله، يسقط الرمز، ولايبقى له معنى، ولهذا انتهى، وانتفى عمل هذا الناموس، ولايمكن ممارسته واستمراره. ولهذا فالذبائح والاغتسال، وتناول أطعمة معينة، أو أي طقوس أو فرائض جاءت في العهد القديم لم يعد لها محل، وأصبحت غير ذات موضوع»[2].

وبناء عليه، فإن العهد القديم بممارساته - كما يرون - كان ظلاًورمزا للعهد الجديد، وقد عبّر الوحي عنه - كما يزعمون - بأنه كان «ظلا للأمور

---

(١) مجموعة من أشهر مفسري الكتاب المقدس / تفسير انجيل متّى ص ٤٣ / ٤٤.

(٢) الأرشيد ياكون نجيب جرجس / تفسير سفر الخروج ص ٤٢٠.

وانظر ايضا : القس الياس مقار / إيماني أو قضايا المسيحية الكبرى ص ٤٠٩.

وانظر كذلك : نخبة من ذوى الاختصاص ومن اللاهوتيين / قاموس الكتاب المقدس ص ٩٧٩.

العتيدة، لانفس صورة الأشياء»[1].

فالفرائض والرسوم التي قام عليها الناموس الأول، كانت موضوعة بسبب تعديّات البشر على شريعة الله الأدبية.

أمّا الفرائض في العهد الجديد، (عهد النعمة) فليست أشباها وظلالا، وانما هي حقائق، تستمد فاعليتها من ذبيحة الرّب يسوع[2].

فالختان في العهد القديم لم يعد له مكان في العهد الجديد، بل حلت المعمودية والميرون[3] محله، وجميع ذبائح العهد القديم كانت تشير الى ذبيحة المسيح الواحد على عود الصليب، وهي نفس ذبيحة العشاء الرباني التى يتناول فيها المؤمنون جسد الربّ ودمه مدى الاجيال.

ويقولون : وبناء عليه، فقد جاء الناموس لليهود فقط، وكان التبرير في عهد الناموس مبنياً على أعمال الناموس، أما في العهد الجديد، حيث انتهى

---

(١) انظر رسالة بولس الى أهل كولوسي ٢ : ١٧. وكذلك : الرسالة الى العبرانيين ١٠ : ١

(٢) انظر رسالة بولس الى أهل كولوسي ٢ : ١٣ - ١٧

(٣) الميرون هو مزيج من العقاقير، عليه بقايا تحدّرت - كما يدّعى رجال الكهنوت - من الدهن الذى صنعه الرسل. ولا يمسح بالميرون إلاّ الكهنة، حيث يرى المسيحيون أنّ روح القدس تحلّ على المسيحي الذى نال نعمة المعمودية المقدسة - عندهم - هذه النعمة غير المنظورة، تمنحها الكنيسة على يد كهنتها، بمسح المؤمن بدهن الميرون المقدّس، تشبّها بالحنوط والطيب الذى دهن به جسد المسيح عند دفنه - بزعمهم -، وقد اقتبسها الرسل بعد قيامة المسيح - كما يقولون - وتوارثها آباء الكنيسة عن الرسل. انظر المستشار محمد عزت اسماعيل الطهطاوى / النصرانية والاسلام ص ٦٦.

وانظر كذلك الدكتور القس أندراوس واطسون، والدكتور القس ابراهيم سعيد في / شرح أصول الايمان ج٢ ص ٤٧٩ وما بعدها.

عمل الناموس، فإن التبرير بدم المسيح[1] وأساسه الايمان بالمسيح، وهذا التبرير لا يعتمد على أعمال الناموس»[2].

وفي كلامهم هذا دلالة على ما اتجه اليه النصارى فيما بعد، من أنحراف عن الناموس الطقسى على ما سنرى.

ولقائل أن تقول : إن القول بأن شريعة عيسى - عليه السلام - هى امتداد لشريعة موسى - عليه السلام - يتعارض مع قوله تعالى - في شأن الملل الثلاث (اليهودية والمسيحية والاسلام) : - {لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا}[3].

ويردّ عليه بأن لا تعارض ألبته؛ لأن معنى الآية، وان كان يقتضي التغاير بين الشرائع الثلاث الاّ أن الله جلّ جلاله قد أخبرنا عن المسيح أنه علمه التوراة والانجيل بقوله : {ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل}[4].

ومن المعلوم أنه لولا أن عيسى متبع لبعض مافى التوراة، لم يكن تعلمها له منّه[5].

---

(١) أنظر رسالة بولس الى أهل رومية ٣ : ٢٨.

(٢) أنظر في ذلك الكتب الآتية :

١ - الدكتور القس اندراوس واطسون، والدكتور القس ابراهيم سعيد/ شرح أصول الايمان ص ٢٨٥، ٢٨٦، ٢٨٩، ٢٩٣، ٤١٩.

٢ - الأب بولس الياس اليسوعى / يسوع المسيح (شخصيته وتعاليمه) ص ٣٣٢، ٣٣٥.

٣ - الأرشيد ياكون نجيب جرجس / تفسير سفر الخروج ص ٤٢١، ٤٢٢، ٤٢٥.

(٣) سورة المائدة آية ٤٨.

(٤) سورة آل عمران آية ٤٨.

(٥) ابن تيمية / مجموع الفتاوى الجزء الثالث من التفسير المجلد ١٦ ص ٤٣ / ٤٤.

أضف إلى ذلك أن تحليل المسيح لبعض ما حرّم على اليهود كافٍ في وجود الاختلاف بين الشرعتين والمنهجين، وان كان هذا لا يمنع من الوحدة بينهما في مجمل الشريعة، ومن اتباع المسيح لما سلف في الشريعة اليهودية باعتباره مصدقًا لها ومبعوثًا بين أهلها (التوراة) شأنه في شأن بقيّة أنبياء اليهود.

وفي مقام العلاقة بين الشرائع السماوية بعضها مع بعض، يقول الدكتور (محمد عبد الله دراز) -رحمه الله :-

«يعلمنا القرآن الكريم أن كل رسول يرسل، وكل كتاب ينزل، قد جاء مصدقًا ومؤكدا لما قبله، فالانجيل مصدّق ومؤيّد للتوراة، والقرآن مصدّق ومؤيّد للانجيل والتوراة ولكل ما بين يديه من الكتب، وقد أخذ الله الميثاق على كل نبي إذا جاءه رسول مصدق لما معه أن يؤمن به وينصره... غير أن هاهنا سؤالاً يحق للسائل أن يسأله :

أليست قضية هذا التصادق الكلى بين الكتب السماوية أن تكون الكتب المتأخرة انما هي تجديد للمتقدمة وتذكير بها، فلا تبدّل فيها معنى، ولا تغير حكما، والاّ كيف يقال : إنها تصدّق... الخ بينما هي تبدّل وتعدّل، واذا كان من قضية التصادق الكلي بين الكتب الاّ يغيّر المتأخر منها شيئا من المتقدم، فهل الواقع هو ذلك؟

الجواب : ليس الواقع ذلك، فقد جاء الانجيل بتعديل بعض أحكام التوراة، اذ أعلن عيسى أنه جاء ليحلّ لبني اسرائيل بعض الذى حرم عليهم، وكذلك جاء القرآن بتعديل بعض أحكام الانجيل والتوراة إذ أعلن أن محمدا جاء ليحلّ للناس كل الطيبات ويحرم عليهم كل الخبائث، ويضع عنهم إصرهم والاغلال

التى كانت عليهم[1].

ولكن يجب أن يفهم أن هذا وذاك لم يكن من المتأخر نقضا للمتقدم ولا انكارا لحكمة أحكامه في أبّانها، وانما كان وقوفا بها عند وقتها المناسب، وأجلها المقّدر... مثل ذلك مثل : ثلاثة من الأطباء جاء أحدهم الى الطفل في الطور الأول من حياته فقرر قصر غذائه على اللبن، وجاء الثانى الى الطفل في مرحلته التالية فقرر له طعاما ليناً وطعاما نشويًا خفيفا، وجاء الثالث في المرحلة التى بعدها فأذن له بغذاء قوىّ كامل.

ولا ريب أن هاهنا اعترافا ضمنيا من كل واحد منهم بأن صاحبه كان موفقا كل التوفيق في علاج الحال التى عرضت عليه... نعم إن هناك قواعد صحيحة في النظافة والتهوية والتدفئة، ونحوها لا تختلف باختلاف الانسان، فهذه لا تعديل فيها ولا تبديل، ولا يختلف فيها طب الأطفال والناشئين عن طب الكهول الناضجين.

هكذا الشرائع السماوية كلها صدق وعدل في جملتها وتفصيلها وكلها يصدق بعضها بعضا من ألفها إلى يائها...»[2].

ومهما يكن من أمر طبيعة الاختلاف بين الشرائع الثلاث، فقد قلنا سابقا إن الشريعة اليهودية تعتبر شريعة لعيسى - عليه السلام - فيما لم ينسخ من الأحكام.

وهكذا «كان المسيحيون الأوائل يوجبون على أنفسهم جميع ما أوجبته

---

(١) أنظر سورة الأعراف آية ١٥٧.

(٢) أنظر كتاب الدين ص ١٧٧ / ١٧٨.

أسفار العهدالقديم، ويحرمون على أنفسهم جميع ماحرمته. أى يعتبرون شريعة موسى - عليه السلام - شريعة لهم، ويعتبرون أسفارهم أسفاراً مقدسة، ولا يستثنون من ذلك الاّ ما صرح المسيح نفسه بنسخه أو تعديله. واستمروا على ذلك حتى رفع المسيح.

لكن بعد رفع المسيح - عليه السلام - بفترة قصيرة أخذ دعاة المسيحية يغيّرون ويبدّلون في التشريع حسب أهوائهم وكانت حجتهم في ذلك - كما يذكر مؤرخو الأديان - جذب أكبر عدد ممكن من الأمميين الى الدخول في المسيحية، الذين لم يكونوا يعرفون شيئا عن الكتب المقدسة، أو الطقوس اليهودية، وكان يشقّ عليهم تطبيق بعض أحكام الشريعة المسيحية، فيرغبون عنها بسبب ذلك، وان على دعاة المسيحية لقاء ذلك أن يواجهوا الظروف بنهج ملائم لها، ولو كان ذلك على حساب إلغاء الشريعة»(١).

من أبرز هؤلاء الدعاة يعقوب بن حلفي الحواري، أكبر الدعاة الى المسيحية في حياة المسيح، وبطرس الرسول خليفة المسيح الذى أعطاه المسيح مفاتيح السماء والأرض - كما يقولون - وبولس اليهودى الرسول الملهم - حسب زعمهم - وعدد كبير من الحواريين والتلاميذ، وكثير من السابقين الأولين الى المسيحية فعقدوا مجمعا في أورشليم، - وهو أو مجمع يعقد بعد رفع المسيح بنحو اثنتين وعشرين سنة، للنظر في أمر الشريعة . وانتهت قراراته بعدم وجوب الختان الذى أوجبته التوراة على كل ذكر، لأن الختان يشقّ على

---

(١) الدكتور على عبد الواحد وافى / الأسفار المقدسة ص ٥٨.
وأنظر كذلك فتحي عثمان / مع المسيح في الأناجيل الأربعة ص ١٩٤.
وأنظر كذلك المستشار محمد عزت اسماعيل الطهطاوى / النصرانية والاسلام ص ٢٨٢ / ٢٨٣.
وأنظر كذلك سفر أعمال الرسل ١٥ : ١٩، ٢٠.

بعض من يدعونهم إلى المسيحية فيرغبون عنها بسببه، وزعم بطرس في هذا الاجتماع أنه كان نائما «فرأى السماء مفتوحة، وإناء نازلا عليه مثل ملاءة عظيمة مربوطة بأربعة أطراف، ومدلاة على الأرض، وكان فيها كل دواب الأرض والوحوش والزحافات، وطيور السماء، وصار اليه صوت : قم يا بطرس. اذبح وكل. فقال بطرس : كلا يارب، لأني لم آكل شيئا دنسا أو نجسا، فصار اليه أيضا صوت ثانية : ماطهره الله لا تدنسه أنت»(1).

يعني ما كان من الأطعمة محرما في شريعة موسى - عليه السلام - أصبح حلالا فأصدروا قرارا يقضي بامتناع المسيحيين والراغبين في المسيحية «عما ذبح للأصنام وعن الدم والمخنوق والزنا»(2).

ومعني ذلك : أن كل ما حرمته التوراة مثل : شرب الخمر، وأكل لحم الخنزير والربا ... الخ كل ذلك أصبح مباحا ماعدا هذه الأربعة التى حددها المؤتمرفهى التى تدخل في دائرة التحريم، وماعداها حلال تعاطيه وتناوله واستعماله.

وصادق على هذه القرارات كل الأطراف، وضمنوه رسالة موجهة الى جميع الكنائس، حصرت فيها المحرم على الأمم في أربعة وهذا هو نصها :

«الرسل والمشايخ والأخوة يهدون سلاما الى الأخوة الذين من الأمم في أنطاكية وسورية وكيليكية، اذ قد سمعنا أن أناسا خارجين من عندنا أزعجوكم بأقوال مقلّبين أنفسكم وقائلين : إن تختتنوا وتحفظوا الناموس من الذين نحن لم نأمرهم، رأينا وقد صرنا بنفس واحدة أن نختار رجلين ونرسلهما اليكم مع

---

(1) أعمال الرسل ١٠ : ١١ - ١٥.

(2) أعمال الرسل ١٥ : ٢٩.

حبيبنا برنابا وبولس : رجلين قد بذلا أنفسهما لأجل اسم ربنا يسوع المسيح، فقد أرسلنا يهوذا وسيلا وهمايخبرانكم بنفس الأمور شفاها، لأنهما قد رأيا الروح القدس، ونحن أن لا نضع عليكم ثقلا أكثر غير هذه الأشياء الواجبة : أن تمتنعوا عما ذبح للأصنام وعن الدم والمخنوق والزنا، التى إن حفظتم أنفسكم منهافنعما تفعلون، كونوا معافين»[1] ويدعون أن ذلك كان بإلهام من روح القدس وتجليه ونزوله عليهم تماما كما ينزل على الانبياء والرسل من غير فرق بينهم، حيث افتتح بطرس هذا المؤتمر بقوله : «أيها الرجال الأخوة أنتم تعلمون أنه منذ أيام قديمة اختار الله بيننا أنه بفمي يسمع الأمم كلمة الانجيل ويؤمنون، والله العارف القلوب شهد لهم معطيا لهم روح القدس، كما لنا أيضا ولم يميز بيننا وبينهم بشيء اذ طهر بالايمان قلوبهم...»[2].

ونقول فيما يتعلق بهذا المؤتمر :-امّا أن تصح الروايات السابقة عنهم أوْلا تصح. فإن كانت غير صحيحة فمعنى ذلك أن هؤلاء الأوائل بريئون من هذا الانحراف في الشريعة.

أمّا إن صح ماذكر عنهم، فلا غرابة في أن يصدر عنهم هذا التحريف، فلم يكونوا ممن يشهد لهم بالصلاح والتقى، وذلك لأن أحدهم هو بولس، - اليهودى المتمسيح - الذى سنّ نظما وشرائع من تلقاء نفسه، مدّعيا أن الله أرسله من بعد المسيح الى الأمم، ومبتدعا في المسيحية ماتمليه عليه أهواءه ونفسيته الحاقدة على المسيح وعلى المسيحيين.

أما الثانى، فهو بطرس الذى وصفه المسيح بأنه شيطان، وأنه عثرة

---

(١) أعمال الرسل ١٥ : ٢٣ - ٢٩.

(٢) أعمال الرسل ١٥ : ٦ - ٩.

للرب. أما الثالث، فهو يعقوب، وقد أثبت صاحب قاموس الكتاب المقدس أنه ليس من الحواريين، ولم يؤمن بالمسيح أثناء حياته على الأرض[1].

واذا جئنا الى تلك القصة الملفقة (قصة الملاءة النازلة من السماء)، التى رآها بطرس في منامه، وفيها كل دواب الأرض وطيور السماء، وأمره الله - حسب زعمهم - بالأكل منها، ومنها استخلصوا إباحة لحم الخنزير، وسائر ماحرمته التوراة - هذه الرؤيا كما يقول صاحب الفارق : «لا يصح الاستدلال بها على تحليل لحم الخنزير وغيره من الحيوانات الخبيثة المحرمة بالتوراة، لعدم التصريح بشيء منها، مع أن بطرس جعل ذلك إشارة الى طهارة الانسان، كما قال في مجلس (كرنيليوس) : «وأما أنا فقد أراني الله ألاّ أقول عن انسان ما أنه دنس أو نجس»[2].

يضاف الى ذلك : أن الرؤيا من غير الأنبياء لا تكون شريعة ناسخة لناموس منزل من عند الله»[3].

وتأكيداً لدور بولس في تحريف التشريع نقول : إنه منذ أن دخل المسيحية مافتىء يعمل على تقويضها وهدمها بما أوتي من أساليب في المكر والدهاء، حيث قام بدور فّعال وكبير في تحريف الديانة المسيحية المنزلة، عقيدة - كما رأينا - وشريعة - كما سنرى - وسنّ نظما وشرائع ما أنزل الله بها من سلطان، والمسيح - عليه السلام - برىء منها. وكثيرا ماصرّح بولس أنه يشرع من عندياته، وذلك واضح من رسائله وفي كلامه، كما جاء في أكثر من مناسبة.

---

(١) لنخبة من نوى الاختصاص ومن اللاهوتيين ص ١٠٧٦.

(٢) سفر أعمال الرسل ١٠ : ٢٨.

(٣) عبد الرحمن بك باجه جي زاده ص ٣٦.

من ذلك قوله : «وأما المتزوجون فأوصيهم لا أنا بل الرب... وأما الباقون، فأقول لهم أنا لا الرب... وأما العذارى، فليس عندي أمر من الرب فيهنّ، ولكنني أعطي رأيا...»[١].

والأدهى من ذلك أنه أنكر تحريم الأشياء الأربعة التى حرّمها المسيحيون، وقال : لاشيء محرم على الاطلاق، ويذكر أن المسيح بموته على الصليب أمات الناموس، لكي يحرر الانسان من رباطاته، ومن حكمه، فيقول عنه إنه «محا الصك الذى علينا في الفرائض الذى كان ضدا لنا»[٢].

ويكاد يتخصص بولس في تكرار القول بأن رسالة المسيح قد ألغت الناموس، وأن الناموس قد استنفد أغراضه، وصار غير ذي موضوع. يقول في رسالته الى أهل غلاطيه : «الانسان لا يتبرر بأعمال الناموس؛ بل بايمان يسوع المسيح، آمنا نحن أيضا بيسوع المسيح لنتبرر بايمان يسوع لا بأعمال الناموس، لانه بأعمال الناموس لا يتبرر جسد ما»[٣]. أى لا طاعة لأحكام التوراة بعد الايمان بعيسى. وكثيرا ماكان يصرّح بأن ناموس موسى كان وضعا مؤقتا وضع حتى مجيء المسيح؛ لأن «غاية الناموس هي المسيح»[٤]، وأنه (أى ناموس موسى) وضع بسبب تعديات البشر حتى يأتي النسل الذى وعد الله به ابراهيم – لتتبارك أمم الأرض :– الذى هو المسيح[٥].

وطالما صرّح بأن من يتمسك بالتوراة، وشريعة موسى هو ملعون. فيقول

---

(١) رسالة بولس الأولى الى أهل كورنثوس ٧ : ١٠، ١٢، ٢٥.

(٢) رسالة بولس الى أهل كولوسي ٢ : ١٤.

(٣) ٢ : ١٦.

(٤) أنظر رسالة بولس الى أهل رومية ١٠ : ٤.

(٥) أنظر رسالة بولس الى أهل غلاّطية ٣ : ١٦.

«... لأن جميع الذين هم من أعمال الناموس هم تحت لعنة»[1].

وطالما صرخ : مانفع الناموس وجدواه؟ ولماذا الناموس؟[2].

ويعتبر بولس أن إعادة بناء الناموس بالنسبة للمسيحي إنما هو انت روحي فهو يقول : «انه بالناموس مات عن الناموس ليحيا لله»[3].

ويمكن القول دون تردد ان رسائل بولس هي وحدها مصدر التشريع المسيحية المحرفة، وان التشريعات التى وردت في الرسائل الأخرى ك تكراراً وصدى لآراء بولس وتشريعاته[4].

ولم يكتفِ بولس بأن يضع مبادئ المسيحية وشعائرها، بل شرّع قو للمسيحيين يتبعونها في حياتهم العامة. فهو الذي أوصى بما نراه اليو الكنائس من التسابيح والأغاني الروحية والمزامير والتراتيل[5]. « امتلئوا با مكلمين بعضكم بعضا بمزاميروتسابيح، وأغاني روحية، مترنمين في ق للرب»[6].

ثم جاء دور المجامع في التشريع، وأصبح هذا الانحراف منهجا ه

---

(١) رسالة بولس الى أهل غلاطية ٣ : ١٠.

(٢) أنظر رسالته الى أهل غلاطية ٣ : ١٩.

(٣) الرسالة الى أهل غلاطية ٢ : ١٩.

(٤) أنظر الدكتور أحمد شلبى / المسيحية ص ١٢٢.

(٥) أنظر الدكتور أحمد شلبى / المسيحية ص ١٢٢.

(٦) رسالة بولس الى أهل افسس ٥ : ١٩ : ٢٠.

فلم تكتفِ هذه المجامع بصنع الآلهة في قراراتها، وفساد العقائد، بل أخذت تشرّع حسبما تمليه عليها أهواءها ورغباتها، فقررت عصمة البابا في مجمع روما سنة (١٨٦٩م)، كما قررت حق غفران الذنوب، وبذا انتقل حقّ التشريع الى البابا كرأس للكنيسة، وبذلك بدأت مرحلة جديدة في التشريع[١].

وعندما أثبت المسيحيون عصمة البابا، انتقلت كل السلطة في اصدار القرارات وتعيين المعتقدات والأحكام، الى حبر رومة الأعظم الجالس على كرسي الخلافة، وأصبح حكمه قطعيا، واجب الطاعة، لايقبل المناقشة، لأنه قد وهب من عند الله تعالى صفة العصمة على زعمهم[٢].

واذا تركنا دور الأحبار ورجال الكنيسة - قدامى ومحدثين - في تحريف الشريعة المسيحية، والانحراف بها عن خط التوراة. فإنّا نجد للوثنيات القديمة التي انتشرت المسيحية في بلادها دورا كبيرا أيضا في هذا التحريف والانحراف، حيث كان لهذه الوثنيات تأثيرها الواضح في الطقوس والعبادات، والشرائع المسيحية، بحيث لا يخطئ الدارس للوثنية والمسيحية - دراسة مقارنة - مظاهر تأثير الأولى في الثانية. فقد « كان الموقف المتهاون الذي وقفه المبشرون المسيحيون إزاء الوثنيين وعاداتهم هو السبب في تغلّب الوثنية على المسيحية وتطويعها لمشيئتها ورغبتها.

فحين حاول المبشرون المسيحيون نقل الدعوة المسيحية من أرض اليهود لعدم قبولهم لها إلى الشعوب المحيطة بهم كالرومان واليونان وغيرهم، لعلهم

---

(١) انظر الدكتور أحمد شلبى / المسيحية ص ٢٣٢ /٢٣٣.
وأنظر كذلك : الدكتور أحمد حجازى السقا / أقانيم النصارى ص ١٣٧ / ١٣٨.

(٢) عبد الاحد داود / الانجيل والصليب ص ٢٣.

يجدون لديهم قبلوا للدعوة المسيحية - حين حاولوا ذلك اضطروا الى تطعيم المسيحية ببعض الطقوس والعادات والشعائر التي وجدوها في تلك الشعوب الوثنية، وأغلب الظن أن هؤلاء المبشرين كانوا حسني النية، فقد رأوا أن هذه هي الطريقة الوحيدة لتقريب الديانة المسيحية إلى أذهان الوثنيين، وظنوا أنهم مع مرور الوقت فإن المسيحية ستتطهّر من تلك العادات والطقوس وستعود إلى صفائها، ولقد تحول فعلا كثير من الوثنيين الى المسيحية، لكنهم نقلوا إليها أيضا مزيدا من العادات والشعائر الوثنية ... وتغلبت تلك الطقوس والشعائر الوثنية وطمست جوهر الرسالة السماوية العظيمة التي أتي بها السيد المسيح عليه السلام»[1].

ويكفينا في هذا المقام شهادة اثنين من كبار مؤرخي الحضارة المسيحيين هما : (ول ديورانت) و (شارل جنيبير)، حيث يسجّل كل منهما رؤيته لتأثّر المسيحية بالوثنية في عقائدها وعباداتها وشرائعها وانحرافها بذلك عن خط المسيحية الأولى. يقول (ول ديورانت) :

« إن المسيحية لم تقضِ على الوثنية بل تبنتها . ذلك أن العقل اليوناني المحتضر، عاد الى الحياة في صورة جديدة في لاهوت الكنيسة وطقوسها، وأصبحت اللغة اليونانية التي ظلت قرونا عدة صاحبة السلطان على السياسة - أداة الأدب والطقوس المسيحية، وانتقلت الطقوس اليونانية الخفية الى طقوس القداس الخفية الرهيبة، وساعدت عدة مظاهر أخرى من الثقافة اليونانية على إحداث هذه النتيجة المتناقضة الأطراف ... »[2].

---

(١) المستشار محمد عزت اسماعيل الطهطاوى / النصرانية والاسلام ص ٢٨٢ / ٢٨٣، ٢٨٦.

(٢) قصة الحضارة الجزء الثالث من المجلد الثالث ص ٢٧٥ / ٢٧٦.

ويقول شارل جينبير :

« ... وهناك عامل آخر يجب البحث عنه في تأثير البيئة اليونانية الرومانية على المسيحية الأولى؛ وهو تأثير نزع الى ادخال الطقوس الوثنية، بعضها أو جميعها، في عبادة كلها « روح وحق» بعد أن هجر أصحابها المعابد اليهودية ونمت الشعائر في المسيحية بالتوازي مع العقيدة وبنفس الأساليب؛ فبدأت بتلك العادات الأولى المبسطة الوافدة من اليهودية : التعميد، كسرة الخبز، وضع الأيدي على الرأس، الصلاة، الصيام؛ وحملت هذه العادات معاني لم تنفك تزداد عمقا و« سرية »، ونميت وأضيفت إليها حركات شائعة لدى الوثنيين، ثم قرنت بالمفاهيم المتسعة الأبعاد التي كانت تدخل مثلا في طقوس « الأسرار » اليونانية والشرقية، ونفخ فيها - إذا سمح لنا باستخدام هذا التعبير - بتلك القوة الرهيبة التي كانت للسحر قديما. وبدأ هذا التفاعل منذ انتقال ايمان الحواريين من فلسطين الى العالم اليوناني، وقد لاقيناه وهو في طور متقدم لدى بولس وأتباعه؛ ثم واصل تأثيره طوال تلك الفترة التي كان الدين الجديد يكافح فيها ضد منافسيه من الأديان.

ولعله من العسير أحيانا أن نرجع في كل تأكيد لونا من ألوان الطقوس المسيحية إلى الأصل الوثني الذي نبع منه. إلا أنه لا مجال للشك في أن الروح الوثنية، فيما يختص بمظاهر العبادة العملية، قد فرضت على المسيحية شيئا فشيئا، حتى أصبحنا نجدها كاملة في احتفالاتها. وزاد التقارب بشكل ملحوظ منذ القرن الرابع، عندما دعت الضرورة الى القضاء على بعض التقاليد القديمة الصلبة. وكانت سلطة رجال الكنيسة، من ناحية أخرى، تعمل على دعم ذلك الحق الذي اكتسبته منذ فترة طويلة والذي انتهت الى التفرّد به برغم بعض

التردد ألا وهو : التصرف في القوة السحرية للطقوس التي سميت بـ « الأسرار القدسية* »[1].

---

* تكلمنا فيما يأتي عن سرى التعميد والعشاء الربانى وهما اللذان تعرض ابن تيمية لذكرهما ونقدهما سواء على سبيل الاجمال أو التفصيل وهناك أسرار أخرى لدى المسيحيين ابتدعتها الكنيسة لهم على مرّ العصور وتسمى الأسرار القدسية. وهذه الأسرار هى :

١ - سر تثبيت العماد. ويعني : الخدمة المرافقة لا دخال المعتمدين في طفولتهم الى شركة الكنيسة... وان الذين يعمدّون في طفولتهم يحسبون من الكنيسة بناء على تصريح والديهم بايمانهم وتكلفهم بواجباتهم، ومتى بلغوا سنّ التمييز، كان الفحص يجري على معرفتهم وسلوكهم، واذ وجدوا متعلمين جيدا وخالين من اللوم يتخذون على أنفسهم واجبات تعهدهم في المعمودية، وحينئذ تثبت عضويتهم في الكنيسة ويتم التثبيت على يد أحد الأساقفة، حيث يتلو دعاءه مبتهلا أن يحلّ الروح القدس في جسم من يراد تثبيت تعميده، ثم تمسح جبهته بزيت الميرون المقدس - في زعمهم - ويلطم لطمة خفيفة على خده.

٢ - سر التوبة والتكفير ويسمى سر الاعتراف. وما ترتب عليه من بدعة غفران الذنوب - على يد البابوات - بموجب صكوك سميت بصكوك الغفران.

٣ - سر الرسامة. ويسمى رتبة الكهنوت أو سر الكهنوت. وهو السر الذى يختار به رجال الدين ويُعينّون في مناصبهم الكهنوتية.

٤ - سر الزواج (الزيجة) : ويسمى بالرباط المقدس الدائم الذى لا ينفصم ولا يتم الزواج الاّ بمعرفة الكنيسة أى بحضور القسيس الذى يضفي الشرعية على الزواج ليقيم وحدة بين الرجل والمرأة. أما الزواج الذى يتم خارج الكنيسة فهو علاقة آثمة ولا تعترف به الكنيسة.

٥ - سر المسح بالزيت قبيل الوفاة (المسحة المقدسة) :

حيث يدهن الكائن المريض حواسه بالزيت الذى يسمى الميرون. وهذا السر يمدّ المحتضر بالشجاعة لا حتمال الآلآم فيمحو ما تبقى عليه من خطايا، ويمسح على جراحه بالتعزيات المسيحية. فيثق المريض برحمة ربه، ويطمئن إلى حسن المصير.

وهناك سر ثامن تنفرد به الكنيسة الكاثوليكية وهو عصمة البابا واستحالة ارتكابه الاثم أو الخطيئة.

ولا يخفى ماجره هذا السر من ويلات أصابت الديانة النصرانية في صميمها.

راجع هذه الأسرار في الكتب الآتية : =

وسوف نرى في الفصول التالية التي نعرض فيها للعبادات والشرائع النصرانية بالدراسة - سوف نرى مدى تأثير هذه العوامل في انحراف النصرانية عن خط التشريع الديني الصحيح وتحريف أهلها لها وذلك قبل أن نعرض في نهاية هذا الباب لابطال ابن تيمية لتلك العبادات والشرائع النصرانية وما يقدمه لهذا الابطال من مبررات موضوعية وتاريخية.

ومما يجدر ذكره هنا أن العبادات والشعائر والطقوس والأسرار المسيحية كثيرة، وكذلك الفروع التشريعية، ولكننا سوف نقتصر في الفصول التالية على ما تناوله شيخ الاسلام ابن تيمية من كل ذلك بالإبطال سواء ما تناوله من ذلك على سبيل الاجمال أو على سبيل التفصيل. هذا أولاً.

وثانيا : فإننا سوف نضم الى عرضنا الآتي للعبادات والشعائر والشرائع النصرانية ما نراه لازما من تعليقات تدل على بطلان هذه الأمور تاريخياً وموضوعيا تأكيدا وتعزيزا لما سنذكره عن شيخ الإسلام من ذلك في الفصل الأخير.

= ١ - قصة الحضارة (ول ديورانت) الجزء الخامس من المجلد الرابع من ص ١٣ وما بعدها.

٢ - علم اللاهوت النظامى ج٢ ص ١١٣٩ وما بعدها.

٣ - شرح أصول الايمان للدكتور القس اندراوس واطسون. والدكتور القس ابراهيم سعيد ج٢ ص ٤٧٧ ومابعدها.

٤ - المسيحية للدكتور أحمد شلبى.

٥ - الديانات والعقائد في مختلف العصور / للأستاذ احمد عبد الغفور عطار ج٣ ص ٢١٧ وما بعدها

(١) المسيحية نشأتها وتطورها ص ١٢٥ / ١٢٦.

الفصل الثاني

الصلاة

الفصل الثاني

الصـــــلاة

الصلاة صلة بين العبد وربه، ولا تخلو كافة الأديان من الأمر بها، والحث عليها، بغض النظر عن الكيفية التي تتم عليها. وجاءت الديانة المسيحية - كغيرها - آمرة بالصلاة، حاثة على أدائها.

والصلاة عند النصارى تقربهم الى الله عن طريق المسيح - كما يزعمون - ولقد جاء في كتاب الأصول والفروع*: « انّ الدين قلب مقتنع بوجود الله الخالق، والحافظ، والفادي. فتكون الصلاة ترجمان ذلك القلب، يعبّر بها عمّا يخالجه من الأشواق، والعواطف. فبالنظر لاقتناعه بقداسته تكون الصلاة كلمات التعظيم والتسبيح له، وبالنسبة لاقتناعه بجوده واحسانه، تكون الصلاة كلمات التذلل، والتواضع والاستغفار، وبالنسبة للاحتياج اليه تعالى تكون الصلاة طلبا ودعاء»(١).

والصلاة عندهم لها شرطان أساسيان(٢) هما منها بمنزلة الدعامة:

---

* لم يذكر الشيخ (محمد أبو زهرة) اسم مؤلف هذا الكتاب، ولعله القّس (بوطر) كما أشار الى ذلك الدكتور أحمد شلبي في كتابه المسيحية ص ١٣٧ ط٥

(١) نقلا عن الشيخ محمد أبو زهرة / محاضرات في النصرانية ص ١١١ ط٣

(٢) انظر هذان الشرطان لدى الشيخ محمد أبوا زهرة / محاضرات في النصرانية ص ١١١ / ١١٢

الشرط الأول :

أن تقدم باسم المسيح. ومستندهم في ذلك ما جاء في انجيل (يوحنا) من قول المسيح - كما يزعمون - لتلاميذه :

« الحق أقول لكم : إنّ كلّ ما طلبتم من الأب باسمي يعطيكم، الى الآن لم تطلبوا شيئا باسمي. أطلبوا تأخذوا، ليكون فرحكم كاملا»[1]. ويعللون ذلك بأن الإنسان بسبب خطاياه أبعد عن رضا الله، ولكن بدم المسيح زال هذا البعد، وأصبح قريبا اليه[2]. وقد جاء في رسالة بولس الى أهل أفسس مايشير إلى ذلك، حيث يقول : « لكن الآن في المسيح يسوع أنتم الذين كنتم قبلا بعيدين، صرتم قريبين بدم المسيح؛ لأنه سلامنا الذي جعل الإثنين واحداً، ونقض حائط السياج المتوسط»[3].

ويقول صاحب كتاب الأصول والفروع : « للصلاة باسم المسيح معنى أدق من ذلك، وهو أن الاسم يمثّل دائما المسمى، فتكون صلاتنا باسم المسيح تمثّل وحدته معنا، بحيث تكون طلباتنا طلباته، وصلاحنا صالحه، وحياتنا حياته.

وبالجملة كأنّه يحيا فينا، ولأجلنا»[4].

الشرط الثاني :

أن يسبق الصلاة الإيمان الكامل عندهم، فقد جاء في الاصحاح الحادي

---

(١) ١٦ : ٢٣ - ٢٤.

(٢) أنظر هلال أمين موسى / تفسير انجيل يوحنا ص ٢٣٧.

وانظر كذلك لنخبة من نوى الاختصاص ومن اللاهوتيين / قاموس الكتاب المقدس ص ٥٤٨.

(٣) ٢ : ١٣، ١٤.

(٤) نقلا عن الشخ محمد أبو زهرة / محاضرات في النصرانية ص ١١٢ ط٣.

عشر من انجيل (مرقس) ما نصه : « لذلك أقول لكم : كل ما تطلبونه حينما تصلون فآمنوا أن تنالوه ، فيكون لكم »[1]. ، وجاء فى رسالة يعقوب : «وليكن الطلب بإيمان غير مرتاب ألبته ؛ لأن المرتاب يشبه موجا من البحر تخبطه الريح ، وتدفعه ، فلا يظن ذلك الإنسان أنه ينال شيئا من الرب »[2].

وهناك شرط ثالث للصلاة لدى النصارى وهو : « أن توجّه لله كثالوث قدوس، كما توجّه أصلاً للأب باسم الابن، وبواسطة الروح القدس، كما ترسل لكل من الأقانيم الثلاثة، لمساواة الابن والروح في الجوهر، والأزلية مع الأب»[3].

والصلاة - عند النصاري - ارتجالية فليس لها عبارات خاصة معلومة يجب أن يتلوها، بل ترك لهم ان يتلو العبارات التي يختارونها ...

وأشهر الأسفار المشتملة على نماذج للأدعية والصلوات « سفر المزامير» الذي يعتبر كما يقول القس بوطر - : «خزانة ذهبية لصلوات داود النبي، وغيره من الأنبياء في أحوالهم الخاصة، مسوقين من الروح القدس...»[4].

وتستعمل بعض الكنائس المسيحية كتبها للصلاة، تجمع فيها الطلبات والابتهالات والاعترافات التي نطق بها القديسون في كثير من أجيال الكنيسة ...[5].

---

(١) فقرة / ٢٤.

(٢) ١ : ٦، ٧.

(٣) لنخبة من نوى الاختصاص ومن اللاهوتيين / قاموس الكتاب المقدس ص ٥٤٨.

(٤) كتاب الأصول والفروع / نقلا عن الشيخ محمد أبو زهرة / محاضرات في النصرانية ص ١١٢ / ١١٣.

(٥) انظر نخبة من نوى الاختصاص ومن اللاهوتيين / قاموس الكتاب المقدس ص ٥٤٨.

كما أنه ليس عليهم عدد معين من الصلوات كل يوم، وليس لها مواقيت معلومة، بل كل ذلك قد وكل الى نشاط المصلين ورغبتهم في العبادة[1]. ومع ذلك يرى النصارى أنه يليق حفظ أوقات معينة في الصلاة، وحيث إن اليهود الذين يعبدون الله في هياكلهم - كانوا يصلون في صباح كل يوم ومسائه، استنبط النصارى أنه تلزم الصلاة مرتين : إحداهما في الصباح، والأخرى في المساء. ويقولون في حكمة ذلك :

في الصباح « نطلب بركة الرب علينا سحابة اليوم، وأن يهدينا الى عمل مافيه رضائه، وأن يحفظنا من السوء».

وفي المساء « نشكره على احسانه علينا، كما أننا نعترف بما فرط منّا في اليوم من الزلات، ونطلب منه المغفرة، ودوام نعمته علينا، وفوق ذلك لا نفتأ نذكر فضله، ونشعر بجميله دائما».

وهم مع ذلك يخالفون اليهود في زعمهم أن الإكثار من الصلاة يجعل الله يملّ، بل المستحسن عند النصارى الاكثار منها. جاء في انجيل (لوقا) ما نصه: « قال لهم مثلا في أنه ينبغي أن يصلي في كل حين ولا يملّ ...»[2] وجاء في رسالة بولس الأولى الى أهل تسالونيكي : « صلوا بلا انقطاع»[3].

ومعنى هذا - كما يقول صاحب كتاب الأصول والفروع - : « ان نستحضر في أذهاننا روح الصلاة على الدوام، وكلما خطر على البال ذكر الله

---

(١) أنظر الشيخ محمد أبو زهرة / محاضرات في النصرانية ص ١١٤ ط ٣.

(٢) ١٨ : ١.

(٣) ٥ : ١٧.

ومحبته، نرفع قلوبنا اليه، سواء أكان بالقول أو بالتوجيهات القلبية بدون كلام. والله يعلم مافي القلوب»[1].

والصلاة عند النصارى - كما يذكر الدكتور أحمد شلبى - «سبع صلوات في اليوم والليلة، وهي :

صلاة البكور، وصلاة الساعة الثالثة، والسادسة، والتاسعة، والحادية عشر، والثانية عشر، ومنتصف الليل...

وليس للصلاة عندهم ترتيب خاص - كما ذكرنا آنفا - وانما هي أدعية تختلف من مكان إلى مكان. وغاية ما يلزم أن تحويه أن تكون على نسق الصلاة الربانية* التى قدمها المسيح لهم»[2]. وهى كما وردت في انجيل متّى :-

«أبانا الذى في السموات ليتقدّس اسمك، ليأت ملكوتك، لتكن مشيئتك، كما في السماء كذلك على الأرض، خبزنا كفافنا أعطنا اليوم، واغفر لنا ذنوبنا، كما نغفر نحن أيضا للمذنبين الينا، ولا تدخلنا في تجربة، لكن نجنا من الشرير، لأن لك الملك والقوة والمجد الى الأبد آمين»[3].

أما انجيل لوقا فقد وردت فيه صيغة الصلاة على النحو الآتي :

---

(١) نقلا عن الشيخ محمد أبو زهرة / محاضرات في النصرانية ص ١١٤ ط ٣.

* يقولون في تعريفها : «هى الصلاة التى علمها الرب (أى المسيح) لتلاميذه، ولذلك سميت بالربانية. وهى صلاة الصلوات، كما أن الكتاب المقدس كتاب الكتب... انها ملخص الديانة المسيحية». أنظر قاموس الكتاب المقدس ص ٥٥١.

(٢) المسيحية ص ٢٣٤ / ٢٣٥ ط ٥.

(٣) ٦ : ٩ - ١٣.

«واذا كان (أى المسيح) يصلى في موضع لما فرغ قال واحد من تلاميذه : يارب، علمنا أن نصلى، كما علّم يوحنا أيضا تلاميذه.

فقال لهم : متى صليتم فقولوا : أبانا الذى في السموات، لتقدس اسمك ، ليأتِ ملكوتك ، لتكن مشيئتك ، كما في السماء كذلك على الأرض ، خبزنا كفافنا أعطنا كل يوم، واغفر لنا خطايانا، لأننا نحن أيضا نغفر لكل من يذنب الينا، ولا تدخلنا في تجربة، لكن نجنا من الشرير»[1].

ويعلّق (صاحب الفارق) على هذين النصين، ذاكرا التناقضات الحاصلة بينهما فيقول :

«انجيل (متّى) أثبت تعليمهم للصلاة أثناء الخطبة، ولوقا ذكرها بعد ذلك بزمن بعيد، وأفاد : أنه لم يعلمهم المسيح ذلك إلاّ بعد سؤال التلميذ له، ومنه يفهم أن التلاميذ في هذا الزمن الطويل لم يعلموا الصلاة، وهو من أبعد البعيد.

و (متى) قال : «اعطنا كفافنا اليوم»، و (لوقا) يقول : كل يوم.

و (متىّ) قال : «لأن لك الملك والقوة والمجد الى الأبد آمين»، و (لوقا)، لم يذكر ذلك أبدا»[2].

ثم يتساءل موجها كلامه للمسيحيين :

«فهل تتوهمون أيها المسيحيون أن الوحي يصح فيه هذا الاختلاف؟! حاشا. وليس لنا أن نقول : الاّ أن الوحي الذي نزل على مترجم انجيل (متّى) هو خلاف الوحي النازل على لوقا»[3].

---

(١) انجيل لوقا ١١ : ١ - ٤.

(٢) عبد الرحمن بك باجه جى زاده / الفارق بين المخلوق والخالق ص ٤٩.

(٣) المرجع السابق ص ٥٠.

وقـد ذكـر لنا القـرافي أن للنصـارى ثمـان صلوات فـي اليـوم والليلة – وليست سـبعا كمـا ذكر الدكتور (أحمـد شلبى) – حسبـما أخذه عن كتبـهم الفقـهية – كما يقول –، وذكر لنا كذلك صيغ هـذه الصلوات معلقاً عليها، ناقداً لها.

وقد ذكرنا من قبل أن النصارى لا يلتزمون في صلواتهم بصيغ معينة، ومن ثَم فإنه يبدو ان الصيغ التى يذكرها (القرافي) هنا من الصيغ التى اطلع عليـها، والتى كانوا يصلون بهـا، وان كانت ليـست هـى الصـيغ الوحـيدة لهـذه الصلوات كما ذكرنا من قبل.

والصلوات التى ذكرها الامام القرافي هـي :

«الصلاة الأولى : صلاة السَّحر، وصلاة الفجر. ويقولون فيها :

تعالوا نسجد ونتضرع للمسيح الهنا أيها الرب خروف الله، ارحمنا أنت وحدك القدوس المتعالى.

الصلاة الثانية : صلاة الساعة الأولى، ويقرءون فيها :

المسـيح الاله الصـالح، الطويل الروح، الكثيـر الرحـمـة، الداعى الكل الى الخلاص.

الصلاة الثالثة : صلاة الساعة الثانية، ويقرءون فيها :

يا والدة الاله السماوى، أنت هي الكرامة الحقانية، الحاملة ثمرة الحياة، اليك نتـضـرع؛ لتـرحـمي نفـوسنـا، ياوالدة الاله السـمـاوى، افـتـحي لنا أبواب رحمتك.

الصلاة الرابعة : صلاة الساعة السادسة، ويقرءون فيها :

يامن سمّرت يداه على الصليب من أجل الخطيئة التى تجزأ عليها آدم، خرق العهد المكتوب فيها خطايانا، وخلّصنا يامن سمّر على الصليب، وبقى حتى لصق على الخشبة بدمه، قدأحببنا الممات لموتك. أسألك بالمسامير التى سمّرت بها، نجني يا الله.

الصلاة الخامسة : صلاة الساعة التاسعة، ويقرعون فيها :

يا من ذاق الموت من أجلنا، في الساعة التاسعة اليك ابتهالنا، يامن سلّم نفسه الى الأب لما علّق على الصليب. لا تغفل عنّا، يامَنْ مِنْ أجلنا ولد من العذراء، واحتمل الموت، لا تخيّب من خلقت بيدك، واقبل من والدتك الشفاعة فينا، ولا تنقض عهدك الذى عاهدت عليه ابراهيم واسحاق ويعقوب. ويقرعون في هذه الصلاة أيضا :

لما رأت الوالدة الحمل والداعي، ومخلص العالم على الصليب، قالت وهي باكية أما العالم ففرح بقبوله الخلاص، وأما أحشائي فتلتهب عندما انظر الى صلبوتك بعيني.

الصلاة السادسة : صلاة المغرب، ويقرعون فيها :

يا والدة الاله العذراء، اسعي في خلاصنا، وافرحي ياوالدة الاله، مباركة أنت في السماء، ومباركة ثمرة بطنك، لأنك ولدت لنا مخلصنا، ياوالدة الاله، مباركة، لا تغفلي عن وسائلنا، ونحن من المعاطيب. وفي هذ الصلاة يقرعون أيضا :

يا صانع المسيح يوحنا، اذكر جماعتنا ونجنا من المعاطيب.

الصلاة السابعة : صلاة النوم. ويقرعون فيها : الملائكة يمدحونك بتهليلات مثلثة، لأنك قبل الكل لم تزل أيها الأب، وابنك نظيرك في الابتداء،وروح القدس

مساويك في الكرامة، ثالوث واحد.

الصلاة الثامنة : صلاة نصف الليل. ويقرءون فيها تبارك الرب الاله آبائنا، وفوق المتعالى الى الدهر، تبارك مجدك القدوس فوق المسيح، وفوق المتعالي الى الدهر، مبارك أنت فوق المسيح، وفوق المتعالى الى الدهر. ويكررون هذه الفوقية في هذه الصلاة دفعات»[1].

هذه هي صلاتهم، وهذه هي قراءاتهم فيها، وهي صلاة وقراءات فيها من الافتراء المحض على المسيح ومن التدليس ما فيها. وهي صلوات «مشتملة على البهت والكفر، وسوء الأدب على الله تعالى، وعلى المسيح - عليه السلام -، وهم فيها متضمخون بالعذرات، ملابسون للقاذورات، ولو أن فيهم رجلا رشيدا ناصحا لأشار عليهم بترك هذه الصلوات، والإعراض عن باب القربات، لكن ليس للقوم أهلية للعبادات ، ولا آداب تصلح للمناجاة بين يدّى رب الأرض والسموات»[2].

ففى صلاة الفجر مثلا : سموا المسيح في تضرعهم : الها أولا، ثم ربا ثانيا، ثم خروفا ثالثا.

ويتساءل القرافي مستنكرا :

«ليت شعرى، ما مناسبة الخروف للربوبية؟ حتى يسمى اله العالم خروفا»[3].

---

(١) الأجوبة الفاخرة في الرد على الأسئلة الفاجرة بهامش كتاب عبد الرحمن بك باجه جى زاده / الفارق بين المخلوق والخالق ص ١٩٧ / ٢٠٢.

(٢) المرجع السابق ص ٢٠٢ / ٢٠٣.

(٣) الاجوبة الفاخرة في الرد على الأسئلة الفاجرة. بهامش كتاب عبد الرحمن بك باجه جى زارده / الفارق بين المخلوق والخالق صفحة ١٩٧

«أما داعؤهم في صلاة الساعة الاولى، فقد جمعوا فيه بين كون المسيح الهـا، وبين كونه طويل الروح. وطول الروح : الصبر على المؤلمات، وهو مناف للوصف بالالهية؛ لأن الالآم والصبر عليها من خواصّ البشرية.

وفي صلاة الساعة الثانية التي يتضرعون فيها الى مريم العذراء باعتبارها والدة الاله بزعمهم، طالبين منها الرحمة لأنفسهم...

هذه الصلاة تقتضي عبادة مريم - رضي الله عنها - لتصريحهم بالتضرع لها؛ لترحم نفوسهم؛ وتفتح أبواب الرحمة. ولا معنى للعبادة والربوبية الاّ هذا، مع اعترافهم بأنّ جسد مريم - رضي الله عنها - لم يتحد به (أى المسيح) كله، ولا غيرها، بل هي كسائر بنات آدم صلوات الله عليه...

أما صلاة الساعة السادسة - عندهم - فانهم يجمعون في مناجاتهم فيها بين وصف الربوبية، وبين ما يناقضها من القهر لها أقبح القهر، من أقبح وهم اليهود. ولو اعترفوا لليهود بالربوبية، وأدانوا لهم بالعبودية لكان أولى بهم في هذه الحالة.

أما قراءتهم في صلاة الساعة التاسعة، فهي - مع سخافتها - متناقضة، فاذا كانوا قد تخلصوا بصلبه من الخطايا، فايّ شيء يحوجهم الى شفاعة أمّه فيهم؟ وأىّ حاجة بهم الى هذا التضرع والسؤال...

ولو أمعنا النظر في قراءتهم في صلاة المغرب لوجدنا أن آلهتهم قد أصبحت ستة من حيث لا يشعرون : الأب، والابن، وروح القدس، ومريم، والمسيح - عليهما السلام -، ويوحنا. ولو طال بهم الزمان لصارت آلهتهم لا تعد ولا تحصى...

ونفس الأمر ينطبق في صلاة النوم - لديهم -، حيث لم يكتفوا ماكفروا

به من التثليث والاشراك مع الله غيره، حتى أشركوا معه الملائكة. وان التوراة، والانجيل، والمزامير، لتكذبهم في دعواهم هذه على الملائكة ، وتشهد بتوحيد الله تعالى.

ثم إن وصفهم «الأب» في هذه الصلاة بأنه «قبل الكل» يقتضي حدوث المسيح – عليه السلام –؛ لأنه لو كان في زمان أبيه، لم يكن الله تعالى «قبل الكل»، واذا تأخّر عنه الزمان، ثبت عدمه في زمان أبيه، والمسبوق بالعدم محدث، فالمسيح – عليه السلام – محدث. واذا كان المسيح – عليه السلام – محدثًا بطلت ربوبيته، وتعيّنت عبوديته...

أما صلاة نصف الليل، وهى الثامنة من صلاتهم لا تاسع لها، فهم يكررون فوقية الله فيها على المسيح، ونسوا أنهم قرأوا في صلاة النوم أن المسيح نظير الاله في الابتداء، وروح القدس مساويه في الكرامة. فإن صدقوا في الأولى كذبوا في الثانية، وان صدقوا في الثانية كذبوا في الأولى[1].

وهكذا يتبيّن لنا التناقضات الموجودة في صلواتهم بغض النظر عن مدى صحة عددها، ومواقيتها.

وجلّي أنها مجموعة من الأدعية بلا رسوم معينة، ولا حركات خاصة. وشأن المؤمن كثرة الدعاء الى الله دون التزام بوقت معيّن، وانما عليه أن يلتزم فقط بألاّ يتناقض دعاؤه مع العقيدة الصحيحة في الله، لا كما يفعل النصارى في هذه الدعوات.

---

(١) الامام القرفى / الأجوبة الفاخرة في الرد على الأسئلة الفاجرة. بهامش كتاب الفارق بين المخلوق والخالق ص ١٩٧ – ٢٠٢.

الفصل الثالث

الصـــوم

الفصل الثالث

« الصوم »

الصوم عبادة قديمة أصيلة، ليس عند أرباب الأديان فقط، بل حتى في الأمم الوثنية. فهو معروف عند قدماء المصريين في أيام وثنيّتهم، وانتقل منهم الي اليونان، فكانوا يفرضونه لاسيما على النساء، وكذلك الرومانيون كانوا يعتنون بالصيام، ولايزال وثنيو الهند وغيرهم يصومون الى الآن ... ويقول الإمام محمد عبده :

«إن الوثنيين كانوا يصومون لتسكين غضب آلهتهم إذا عملوا ما يغضبهم، أولا رضائها واستمالتها الى مساعدتهم في بعض الشؤون والأغراض، وكانوا يعتقدون أن ارضاء الآلهة والتزلّف إليها، يكون بتعذيب النفس واماتة حظوظ الجسد، وانتشر هذا الاعتقاد في أهل الكتاب، حتى جاء الاسلام يعلمنا أن الصوم ونحوه إنما فرض، لأنه يعدّنا للسعادة بالتقوى، وأن الله غنيّ عنا وعن عملنا، وما كتب علينا الصيام إلاّ لمنفعتنا»[١].

فلم يخلِ الله أمة من افتراضه عليها، وان لم يقتضي ذلك اتحاد طريقة الصيام بين مختلف الأمم. قال تعالى : {ياأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون}[٢].

وبالرجوع إلى كتب التفاسير حول آية الصيام المذكورة، نجد أن ابن كثير

---

(١) أنظر تفسير المنار ج ٢ ، ص ١٤٥.

(٢) سورة البقرة / آية ١٨٣.

في تفسيره يروي لنا عن معاذ، وابن مسعود، وابن عباس، وعطاء، وقتادة، والضحاك بن مزاحم :

إن الصيام كان أولاً كما كان عليه الأمم قبلنا من كل شهر ثلاثة أيام. لم يزل هذا مشروعا من زمان نوح إلى أن نسخ الله ذلك بصيام شهر رمضان.

وروي عن الحسن البصري قوله : «لقد كتب الصيام على كل أمة قد خلت، كما كتبه علينا شهرا كاملا، وأياما معدودات : عددا معلوما.

وروى ابن كثير عن ابن أبي حاتم من حديث أبي عبد الرحمن المقري عن سعيد بن أبي أيوب عن عبد الله بن الوليد عن أبي الربيع، عن عبد الله بن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(صيام رمضان كتبه الله على الأمم قبلكم)

قال عطاء الخرساني عن ابن عباس : {كما كتب على الذين من قبلكم}

يعنى بذلك : أهل الكتاب، وروُي ذلك أيضا عن الشعبي والسدي وغيرهما»[1].

ويقول الزمخشرى عند تفسيره لنفس الآية :

{كما كتب على الذين من قبلكم} أى على الأنبياء والأمم من لدن آدم الى عهد أمة محمد صلى الله عليه وسلم.

وقيل : {كما كتب على الذين من قبلكم} أى كصومهم في عدد الأيام، وهو شهر رمضان، كتب على أهل الإنجيل، فأصابهم موتان : فزادوا عشرًا قبله،

---

(١) تفسير القرآن العظيم / ج ١ ص ٢١٣ ، ٢١٤.

وعشرًا بعده، فجعلوه خمسين يوما. وقيل :

كان وقوعه في البرد الشديد، والحر الشديد، فشقّ عليهم في اسفارهم، ومعايشهم، فجعلوه بين الشتاء والربيع، وزادوا عشرين يوما كفارة لتحويله عن وقته(١).

ويقول القرطبي - رواية عن الشعبي وقتادة وغيرهما :-

«إن الله تعالى كتب على موسى وعيسى - عليهما السلام - صوم رمضان، فغيروا، وزاد أحبارهم عليهم عشرة أيام، ثم مرض بعض أحبارهم، فنذر إن شفاه الله أن يزيد في صومهم عشرة أيام، ففعل، فصار صوم النصارى خمسين يوما، فصعب عليهم في الحرّ، فنقلوه الى الربيع، واختار هذا القول النحّاس، وقال : وهو الأشبه بما في الآية، وفيه حديث يدلّ على صحته، أسنده دَغْفَل بن حنظلة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (كان على النصارى صوم شهر، فمرض واحد منهم، فقالوا : لئن شفاه الله لنزيدنّ عشرة، ثم كان آخر فأكل لحما، فأوجع فاه، فقالوا : لئن شفاه الله لنزيدنّ سبعة، ثم كان ملك، فقال : لنتِمنّ هذه السبعة، ونجعل صومنا في الربيع. قال : فصار خمسين)(٢).

---

(١) الكشاف / ج١ ص ٣٣٤.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ج ٢ ص ٢٧٤. والقول بأن شهر رمضان كان مفروضا على أهل الكتاب كما فرض علينا، هو ما استظهره الطبري في تفسيره ج ٢ ص ٧٦، وعلل ذلك بقوله : « لأن مَنْ بعد ابراهيم - عليه السلام - كان مأموراً باتباع ابراهيم، وذلك أن الله جلّ ثناؤه كان جعله للناس إماما. وقد أخبرنا الله - عزّ وجلّ - أنّ دينه كان الحنيفية المسلمة، فأمر نبينا صلى الله عليه وسلم بمثل الذي أمر به مَنْ قبله من الأنبياء. وأما التشبيه، فإنما وقع على الوقت، وذلك أن مَنْ كان قبلنا إنما كان فرض عليهم شهر رمضان مثل الذي فرض علينا سواء ... » هذا إلى جانب ما ورد في ذلك من الأحاديث.

وليس من قصدنا هنا أن نحققّ القول في زمان وكيفية الصيام الصحيح في اليهودية والنصرانية الأولى، ولكننا نعرض لصيام النصارى كما هو اليوم. فالصوم عندهم يعني : «الامتناع عن الطعام من الصباح حتى بعد منتصف النهار، ثم تناول طعام خالٍ من الدسم».

ويلاحظ صاحب المنار «أن الأناجيل تخلو من فريضة الصوم، وكل الذى تحويه عن الصوم إنما هو ذكره ومدحه، واعتباره عبادة.

وتأمر الأناجيل الصائم بدهن الرأس، وغسل الوجه، حتى لا تظهر عليه أمارة الصيام فيكون مرائيا كالفريسيين.

وأشهر صومهم وأقدمه : الصوم الكبير الذى قبل عيد الفصح، وهو الذى صامه موسى، وكان يصومه عيسى - عليهما السلام -، والحواريون - رضى الله عنهم -. ثم وضع رؤساء الكنيسة ضروبا أخرى من الصيام منها : صوم عن اللحم، وصوم عن البيض، واللبن.

وكان الصوم المشروع عند الأولين منهم كصوم اليهود، يأكلون في اليوم والليلة مرة واحدة، فغيروه، وصاروا يصومون من نصف الليل الى نصف النهار...[1].

إن مفهوم الصوم عند النصارى بهذا المعنى، ابتدعه لهم رؤساؤهم في مجامعهم التى كانوا يقررون فيها كل ما يناسب ظروفهم وأحوالهم، ويتمشى مع أهوائهم دون الالتفات إلى ماأراده الله، وأنزله على رسله، فقد «اخترع رؤساء النصارى في مجامعهم «البهريز» وهو عبارة عن ترك أكل اللحوم الآ

---

(١) تفسير المنار ج ٢ ص ١٤٤.

السمك بسائر أنواعه، وأكل الزيت مع كافة المأكولات، وشرب الماء والدخان والقهوة والخمرة»[1].

ولا نعلم أهمية التعبد بالبهريز، وغيره من العبادات بعد أن صلب المسيح نفسه وصار لعنة لأجل غفران خطايا العالم كما يزعمون.

ويقول (صاحب الفارق) عند تعليقه على مفهوم الصوم هذا عند النصارى موجهاً كلامه لهم، نافياً أن يكون مفهوم الصوم بهذا المعنى لديهم قد جاء ذكره فى التوراة والأناجيل لا تلميحا ولا تصريحا - يقول :

«والبهريز محض تلاعب وعبث بالدين، وخروج عن امتثال أوامر ربّ العالمين الصريحة بالتوراة. ولم نر فى الأناجيل الأربعة لاصراحة، ولا إشارة أن الصوم بهذا المعنى الذى تعتاودنه أيها المسيحيون»[2].

ثم يقول - مدللا على أنهم متبعون فى شرائعهم لأهوائهم، وظروفهم، ومايتمشى مع مصالحهم الشخصية دون مراعاة لشرع أنزل كما هو ديدنهم فى العقائد - يقول :

«قد جعل النصارى هذا البهريز فى زمن غلاء اللحم، فكانوا أضحوكة العالم»[3].

ويشمل الصوم عند النصارى مايأتي :

صوم يوم الأربعاء : وهو يوم المؤامرة التى انتهت بالقبض على عيسى.

---

(١) انظر / عبد الرحمن بك باجه جي زاده / الفارق بين المخلوق والخالق ص ٤٦.
(٢) عبد الرحمن بك باجه جي زاده / الفارق بين المخلوق والخالق ص ٤٦.
(٣) المرجع السابق ص ٤٦.

صوم يوم الجمعة : لأن المسيح صلب - في زعمهم - يوم الجمعة.

صوم الميلاد : وعدد أيامه ثلاثة وأربعون يوما تنتهي بعيد الميلاد

الصوم المقدس : وعدد أيامه خمسة وخمسون يوما هى عبارة عن الأربعين يوما التى صامها المسيح، مضافا اليه اسبوعان : الأسبوع الأول منهما قبل الأربعين، ويسمى أسبوع الاستعداد والتهيئة للصوم الأربعيني المقدس.

الأسبوع الثانى : أسبوع الآلآم، ويأتى بعد الأربعين، وينتهى بأحد القيامة.

صيام الرسل : وعدد أيامه يزيد وينقص حسب الطوائف، وتتراوح مدته بين خمسة عشر، وتسعة وأربعين يوما.

صوم العذراء : ومدته خمسة عشر يوما تبدأ من أول شهر «مسرى»*[1].

إن الصيام - كما ذكرنا - هو فرض عين على كل فرد، وقد تعبّدت به كافة بنو اسرائيل وأنبياؤها، وتعبّد به المسيح - عليه السلام -، وسائر تلاميذه، كما صرحت بذلك الأناجيل[2].

والمسيح - عليه السلام - يعلم أن نفوس تلاميذه - كأى نفس بشرية - تأنف من صعوبة الصوم، تلك الرياضة النورانية، وأن أخلاقهم - بفعل الحرمان من الأكل والشرب واتيان النساء - تتحوّل من البشاشة الى العبوسة؛ لذا قال

---

* من الشهور القبطية القديمة وهو أول شهور فيضان النيل.

(١) الدكتور أحمد شلبي / المسيحية ص٢٣٥.

(٢) انظر انجيل متّى الإصحاح الرابع، وانجيل لوقا: الاصحاح الرابع أيضا.

لهم : «متى صمتم فلا تكونوا عابسين»[1].

ويفهم من قول المسيح هذا، أن الصيام كان على طبق ما هو محرر فى التوراة، وهو الإمساك عن الأكل والشرب والجماع في مدة محدودة، كما هو عند المسلمين[2].

ويقول (صاحب الفارق) :

«ولو كان الصوم عبارة عن ترك أكل اللحوم إلاّ السمك بسائر أنواعه، وأكل الزيت مع كافة المأكولات، وشرب الماء، والدخان، والقهوة والخمرة، لم يكن هناك لزوم لأن يقول لهم : «لا تكونوا عابسين»، لأن تلك الحالة لا تسمى صوما، وليس فيها صعوبة تقضي عليهم بتغيير أخلاقهم»[3].

ومـاذكره (صاحب الفارق) آنفا من أن صوم اليهود كان امتناعا عن الأكل والشرب طوال الليل والنهار، وماذكرناه سابقا عن (صاحب المنار) من أن اليهود كانوا لا يتناولون إلاّ وجبة واحدة في اليوم والليلة، مطابق لما يذكره قاموس الكتاب المقدس عن صوم اليهود وأوائل المسيحيين قبل أن ينحرف النصارى عن ذلك الى تقرير أنواع من الصيام، ليس فيها حرمان ولا انقطاع إلا عن بعضِ أنواع الطعام والشراب.

يقول قاموس الكتاب المقدس - مقارنا بين صوم اليهود، ومبيّنا مبتدعات النصارى وتحريفاتهم في هذا المقام :

---

(١) انجيل متّى ٦ : ١٦.

(٢) انظر عبد الرحمن بك باجه جي زاده / الفارق بين المخلوق والخالق ص ٤٦.

(٣) المرجع السابق ص ٤٦.

« لم يَرِدْ الصوم لفظاً في أسفار موسى الخمسة، ولكن كان يوم واحد معيّن للصوم، وهو يوم الكفارة[1] والى جانب هذا الصوم المفروض كان الصوم التطوعي ... وكان ينادي أحيانا بالصوم في أيام الشدة. وكان الغرض منه : إذلال النفس، والابتهال إلى الله. وأما صوم الجماعة فكان يعني أن وزر الخطيئة ملقى على كاهل الشعب كله، وأنه يجب أن يذلل نفسه أمام الله.

وأما الصوم الحقيقي فلم يكن صوما خارجياً فحسب، بل الإعراض عن الإثم، واللذات المحرمة، والاقبال على عمل الرحمة[2] ...

وكان اليهود يحفظون أصوامهم بتقشف، فكانوا ينقطعون عن الطعام غالبا من غروب الشمس الى الغروب التالي، وكانوا يلبسون المسح على أجسادهم، وينثرون الرماد على رؤوسهم، ويتركون أيديهم غير مغسولة، ورؤوسهم غير مدهونة. وكانوا يصرخون ويتضرعون ويبكون، وكانت (حنّة) النبيّة تخدم الله في الصوم[3].

وكان الصوم في أيام ربنا (أي المسيح عليه السلام) مجاهدة روحية معتبرة. وكان الفريسيون يصومون يومي الاثنين والخميس من كل أسبوع[4] وكان في صومهم كبرياء ورياء، فوبخهم يسوع على ذلك[5].

وما كان اليهود يصومون السبت، ولا الأهلّة، ولا الأعياد الرئيسية. ولاشك

---

(١) انظر سفر اللاويين ١٦ : ٢٩ و ٢٣ : ٢٧. وكذلك سفرالعدد ٢٩ : ٧.
حيث قصد بتذليل النفس في هذه الفقرات : الصوم، كما ذهب الى ذلك الكثيرون.

(٢) أنظر سفر اشعياء الاصحاح ٥٨.

(٣) انظر انجيل لوقا ٢ : ٣٧.

(٤) انظر انجيل لوقا ١٨ : ١٢.

(٥) انظر انجيل متّى ٦ : ١٦ – ١٨.

أن ربنا (أي المسيح) حفظ الصوم بحسب الشريعة.

ولم يأتِ الكتاب (أي العهد الجديد) على ذكر تقيده (أي المسيح) بالأصوام التي سار عليها اليهود بعد السبي، وأخبر عنها (زكريا)[1] ولم يقل إنه أهملها، ولكن تلاميذه لم يصوموا مادام العريس معهم[2] وان كانوا أخذوا يصومون فيما بعد في مناسبات خاصة[3].

وفي أعمال الرسل في الاصحاح الثالث عشر نرى البارزين في كنيسة أنطاكية من أنبياء ومعلمين، يقررون لأنفسهم صوماً مشتركاً، ويضعون بذلك أساس الصوم الجماعي ... »[4].

ويقول مؤلفو قاموس الكتاب المقدس في موضع آخر - ذاكرين الصوم الكبير عند النصارى ، ومعلّلين له - :

« صام موسى أربعين نهارا وأربعين ليلة على جبل سيناء، كان خلالها يفاوض الله، ويستعدّ لاقتبال الكلمات العشر. وبأمر الملاك سار ايليا الى جبل حوريب، لا يأكل ولا يشرب أربعين نهارا وأربعين ليلة، حتى تراءى الله له. ولما أصعد ربنا (أي عيسى عليه السلام) إلى البرية من الروح ليجرّب من ابليس، واجه تجربته بعد صوم أربعين نهارا، وأربعين ليلة، وبعده بدء اعلان بشارة الانجيل.

وقد أخذت بعض الكنائس من حياة السيد ورفيقيه في التجلي هذه الفترة

---

(١) سفر زكريا ٨ : ١٩.
(٢) انظر انجيل متّى ٩ : ١٤ ، ١٥ ، وانجيل مرقس ٢ : ١٨ - ٢٠، وانجيل لوقا ٥ : ٣٣ - ٣٥.
(٣) انظر اعمال الرسل ١٣ : ١ ، ١٤ : ٢٣.
(٤) لنخبة من ذوي الاختصاص ومن اللاهوتيين ص ٥٦٣.

الأربعينية، وجعلت الصوم الأربعيني السابق لعيد الفصح قانونا، وذلك في المجمع الخامس ثم في السادس المنعقد سنة (٦٨٢م)»[١].

وسوف نرى إبطال ابن تيمية فيما بعد لمبتدعات النصارى في صيامهم

---

(١) لنخبة من نوي الاختصاص ومن اللاهوتيين ص ٥٦٢ ، ٥٦٣.

الفصل الرابع

التعميــــد

الفصل الرابع

التعميـــــــــد

التعميد هو شعيرة من شعائر الديانة المسيحية، وطقس من طقوسها، وسرٌ من أسرارها، لايقبل ايمان مسيحي مالم يأتِ بهذه الشعيرة.

وهو « لدى اليهود لا يعني أكثر من مجرد كونه غسل للجسد، وكان النبي يحيى - عليه السلام - يعمّد الناس في نهر الأردن، أي يغسّل أجسادهم، ولذلك سمي يحيى المعمدان. أي يحيى المغسّل»[1].

أما عند النصارى، فإن مفهوم التعميد يختلف بعد أن أحلّوه محل الختان، حيث أصبح مفهوم التعميد لديهم هو أنه ختم عهد النعمة، وأنه يمحو الخطيئة الأصلية في النفس[2] ويمنحها الولادة الروحية الثانية الجديدة[3]. بمعنى أن الشخص قد مات عن الخطيئة، وقام بحياة جديدة في المسيح يسوع.

---

(١) المستشار محمد عزت اسماعيل الطهطاوي / النصرانية والإسلام ص ٦١ بتصرف.

(٢) انظر اعمال الرسل (٢:٣٨) قول بطرس : «توبوا وليعتمد كل واحد منكم على اسم يسوع المسيح لغفران الخطايا ... ».

(٣) سأل (نيقوديموس) - أحد علماء الناموس في اسرائيل - المسيح قائلا له : « كيف يمكن للإنسان أن يولد وهو شيخ. ألعله يقدر أن يدخل بطن أمه ثانية ويولد ؟ فأجاب يسوع المسيح : الحق الحق أقول لك : إن كان أحد لايولد من الماء والروح لايقدر أن يدخل ملكوت الله».
أنظر : انجيل يوحنا ٣ : ٤ - ٥.

ويقول (لويس برخوف) : « كان الختان يمارس بين الشعوب الأخرى كاجراء صحي، لكنه أضحى بين الاسرائيليين فريضة عهد النعمة التي ترمز إلى نزع الخطيئة ...»[1] أي خطيئة آدم الأصلية.

فـ « المعمودية في العهد الجديدة تشبه الختان في العهد القديم، وكلاهما علامة على العهد»[2]. حيث إن « الختان الحقيقي (في رأي بولس) ليس بنزع جزء من جسد الإنسان، ولكن بانتزاع طبيعته الخاطئة كلها، وبالامتلاء بجدة الحياة وبقداسة الله»[3].

وللماء دوره الجوهري في المعمودية، حيث إنه يرمز الى حقيقة الغسل أو التطهير من الخطيئة[4]. وهو (أي الماء) مثل القبر، ما يدفن فيه يجب أن يموت، ولكن ما يطفو ويظهر يجب أن يكون حيا في القيامة.

وعليه فالمعمودية هي غمر من جانب، وخروج من جانب آخر[5].

يؤكد ذلك (وليم باركلي) مفسرالعهد الجديد حيث يقول :

« كان المعتمد يدفن في الماء دفناً كاملاً ، إعلاناً عن أنه قد قبر ومات مع المسيح ، ثم يخرج من الماء وقد قام مع المسيح، وأصبح فيه خليقة جديدة، وميلاداً جديدا »[6].

---

(١) قانون العقيدة المسيحية ص ٣١٥ / ٣٢٣ نقلا عن د. دونالد ديماري / عقائد أساسية (مدخل في علم اللاهوت) / ترجمة شاكر سعيد ص ١٤١.

(٢) نخبة من ذوي الاختصاص ومن اللاهوتيين / قاموس الكتاب المقدس ص ٦٣٧.

(٣) وليم باركلي / تفسير العهد الجديد (الرسائل الى فيلبي وكولوسي وتسالونيكي) ص ١٦٨.

(٤) د. رونالد ديماري / عقائد أساسية (مدخل في علم اللاهوت) / ترجمة شاكر سعيد ص ١٤٣.

(٥) واتشمان ني / الذبيحة الحية / ترجمة وليم جندي ج ١ ص ٢٣/٣٢٣-٢٥.

(٦) تفسير العهد الجديد (رسائل يوحنا ويهوذا) ص ١٧٦.

ويمارس التعميد باسم الثالوث كما جاء فى وصية المسيح لتلاميذه :

« فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الأب والابن وروح القدس»(١).

وللعماد من الناحية التاريخية ثلاث طرق هي : السكب والرش، والتغطيس(٢).

ورغم أن المسيحيين متفقون على أن المعنى الحقيقي للتعميد ليس في الطريقة التي يمارس بها، بل في قبولهم في شركة الكنيسة، واتحادهم بالمسيح (بالايمان والتوبة) مع مغفرة الخطايا والقيامة الروحية(٣). إلا أن الأغلبية من المسيحيين يرون أن التغطيس هو الطريقة الوحيدة الموائمة للمعمودية، ويستدلون على ذلك بما ورد في رسالة (بولس) إلى أهل رومية من الكلام عن الموت والقيامة بواسطة المعمودية :

« أم تجهلون أننا كل من اعتمد ليسوع المسيح اعتمدنا لموته، فدفنا معه بالمعمودية للموت، حتى كما أقيم المسيح من الأموات بمجد الأب، هكذا نسلك نحن أيضا في جدة الحياة؛ لأنه إن كنا قد صرنا متحدين معه بشبه موته نصير أيضا بقيامته»(٤).

وهذا القول - كما يذكرون - لا يكون له معنى حقيقي واضح إلا إذا مورست المعودية بالتغطيس.

---

(١) انجي متّى ٢٨ : ١٩.

(٢) د. رونالد ديماري / عقائد أساسية (مدخل في علم اللاهوت) / ترجمة شاكر سعيد ص ١٤٥.

(٣) علم اللهوت النظامي / ج٣ ص ١٠٧٤.

(٤) ٦ : ٣ - ٥.

ومما يدل على أن التغطيس هو الطريقة الملائمة للمعمودية ما تعنيه كلمة التعميد (BAPTIZO) فمعناها حرفيا : أن تنزل الى أسفل (أن تغوص) ، وعلى هذا الأساس فالتعميد بالتغطيس هو المستحسن(١).

ويؤكد ذلك (حبيب جرجس) حيث يرى أن التعميد لايكون إلا بالتغطيس أخذاً من أصل معنى الكلمة. فيقول :

« يتم (أي التعميد) بواسطة التغطيس في الماء ولايمكن أن يتمّ بالرش، بل بانغمار الجسم كله في الماء، اذ أن كلمة معمودية معناها في الأصل «صبغةٌ» ، وصبغ الشئ لايتم إلابوضعه في السائل وغمره به»(٢).

ويجري سرّ المعمودية على النحو الآتي :

« إن الذي يريد أن يدخل في دينهم، أو يتوب منهم تمنعه الأقسة من اللحم والخمر أياما، ثم يعلمونه ايمانهم، ثم يغطسونه في ماء يغمره - مع الاختلاف في عدد الغطسات، هل يغمس مرة واحدة أو اثنين أو ثلاثا - ثم يدعو له الأسقف بالبركة بعد خروجه من الماء، ويضع يده على رأسه قائلا : أنا أعمدك يا فلان باسم الأب والابن والروح القدس. ومن لم يقبل هذه القاعدة يكون كافرا عندهم»(٣).

---

(١) د. رونالد ديماري / عقائد أساسية (مدخل في علم اللاهوت) ترجمة شاكر سعيد ص ١٤٦ بتصرف.

(٢) المبادئ المسيحية ج٢ ص ١٠٦/١٠٧ نقلا عن / عبد الله الترجمان الأندلسي / تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب. تقديم وتحقيق وتعليق د. محمود على حماية ص ٧٤.

(٣) الامام القرافي / الأجوبة الفاخرة في الرد على الأسئلة الفاجرة ص ٢٢٣ بهامش كتاب الفارق بين المخلوق والخالق.

=

« وحين خروج المعمَّد من الماء يكون كما لو كان قد قام إلى حياة جديدة، وأصبحت حياته القديمة ميتة، وامتدت أمامه الحياة الجديدة. فطبيعته القديمة مضت وولّت، وصار انسانا جديدا يحيا حياة جديدة.

وعلى الإنسان المعمَّد حينئذ أن يعتقد اعتقادا قويا بحياة وموت وقيامة يسوع المسيح، حيث إن المعمودية للمسيحي بمثابة موت وقيامة؛ لأنه آمن أن المسيح مات وقام، ويجب أن يشترك هذا المسيحي المعمّد مع سيده وربه في هذا الاختبار»(١).

وتأويل الغطسات – لمن قال بأنها يجب أن تكون ثلاث – اشارة إلى مدة مكث المسيح – عليه السلام – في قبره ثلاثة أيام، والخروج من الماء هو الخروج من القبر.

ومنهم من يقول : بل الغطسات الثلاث، إشارة الى التثليث الذي يعتقدون(٢).

ورغم أن التعميد ليس له أصل في التوراة إلاّ أن النصارى يعتقدون بأنه

= وانظر كذلك الامام القرطبي / الاعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام/ تقديم وتحقيق وتعليق الدكتور أحمد حجازي السقا ج ٤ ص ٤٠٣.

وانظر كذلك عبدالله الترجمان الأندلسي / تحفة الأريب فلي الرد على أهل الصليب. تقديم وتحقيق وتعليق د. محمود علي حماية ص ٧٤ – ٧٦.

(١) وليم باركلي / تفسير العهد الجديد (الرسائل الى فيلبي وكولوسي وتسالونيكي) ص ١٦٨ بتصرف.

(٢) الإمام القرافي / الأجوبة الفاخرة في الرد على الأسئلة الفاجرة ص ٢٢٣.

وانظر كذلك :' الإمام القرطبي : الاعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام تقديم وتحقيق وتعليق الدكتور أحمد حجازي السقا ج ٤ ص ٤٠٣.

لا يمكن دخول الجنة إلاّ بالتعميد في الماء، بل ويبالغون في ذلك فيقولون :

« إن كل من يموت بغير تعميد - حتى الرضّع من الأطفال - مصيره جهم حيث يصلى عذاباً لا ينتهي»[١].

ومستندهم في هذه الشعيرة ما كتب في الانجيل، وكافة أسفار العهد الجديد من أن (يوحنا) عمد المسيح - عليه السلام - بوادي الأردن فخرج منه روح القدس كالحمامة على الماء[٢].

ورؤساء الكنائس جعلوا التعميد من أهم وظائفهم الملية تقليداً لتعميد المسيح - عليه السلام - ويقولون إن المسيح - عليه السلام - قال لحواريين :

« إذا مررتم بالأجناس فعمدوهم اسم الأب والابن وروح القدس»[٣] وزعموا أن بطرس عمّد ثلاثة آلاف رجل، وقال لهم :« توبوا وليعتمد كل واحد منكم على اسم يسوع المسيح لغفران الخطايا»[٤] وقول (مرقس) : « من آمن واعتمد خلص»[٥].

فالتعميد لايقصد منه لدى ا لمسيحيين سوى التطهير، ونوال عهد النعمة، لكن بولس قصد به معنى آخر ألاَ وهو الاتحاد بالمسيح، حث يقول : « أمّا أنتم

(١) أنظر الأستاذ/ أحمد عبد الغفور عطار / الديانات والعقائد ج ٣ ص ١٩٠

(٢) أنظر انجيل متّى ٣ : ١٣-١٧ ، وانجيل مرقس ١ : ٩-١١، وانجيل لوقا ٣ : ٢١-٢٢ ، وانجيل يوحنا ١ : ٣٣.

(٣) انجيل متّى ٢٨ : ١٩.

(٤) سفر أعمال الرسل ٢ : ٣٨.

(٥) ١٦ : ١٦.

الذين عمدتم في المسح فقد أرتديتم المسيح»[1].

« فبالتعميد يرتدي المسيحي المسيح، كا يرتدي اللباس المقدس المنجي، وهو ينزل رمزيا الى عالم الأموات بغطوسه في النهر، أو في اناء التعميد، فإذا ما خرج بعد غطسات ثلاث - تماما كما يخرج المسيح من القبر بعد أيام ثلاثة - أيقن بأنه سوف يمجد يوماً، إن أراد الله له ذلك، كما مجد المسيح»[2].

« والمسيحي الذي قَبِل سر المعمودية عليه أن يكون أمينا على نعمة الله التي اقتبلها، وأن يقوم بموجبات المعمودية، ومقتضياتها، وأن يكون رسولا في المجتمع الانساني، يقيه الفساد، ويبّثص فيه ذوق وطعم الحياة الأبدية»[3].

و « إذا تصفحنا التاريخ نرى طقس العمادة قديم العهد جداً، فقد كان شائعا في أسيا وأمريكا، وكان سكان البرازيل يعمدون أولادهم الذكور والأناث في الهيكل المدعو « هيكل الصليب » بصب الماء من إبريق، وكانوا يدعون ماء العمادة : ماء الولادة الثانية»[4].

والواقع أن التعميد المسيحي - في جوهره - بكل حقائقه وطقوسه، مأخوذ عن الديانات الوثنية، وليس منه شئ إلا وهو في هذه الديانات[5].

ولو تتبعا شعيرة العمادة في الديانات الوثنية القديمة، لوجدناها هي بعينها العمادة في الديانة المسيحية الحالية من حيث المفهوم. فهي لدى الرومان

---

(١) رسالة بولس الى أهل غلاطية ٣ : ٢٧.

(٢) شارل جنيبير / المسيحية (نشأتها وتطورها) ص ١١٠.

(٣) الأب بولس الياس اليسوعي / يسوع المسيح (شخصيته وتعاليمه) ص ٣٠٦.

(٤) الأستاذ محمد طاهر التنير / العقائد الوثنية في الديانة النصرانية ص ١٢٨.

(٥) الأستاذ احمد عبد الغفور عطار / الديانات والعقائد ج ٣ ص ١٩٥.

تعني إزالة الخطايا كما تعنيه عند المسيحيين الآن[1] «حيث كان الرومان الوثنيون يعمدون أولادهم بالماء، ويعتقدون أن العمادة واسطة لإزالة الخطايا»[2].

وهي كذلك عند المكسيكيين تعني : غفران الذنوب، كما تعني الولادة الثانية، وهي نفس ما تعنيه لدى النصارى اليوم. قال (بريسكويت) :

« كان المكسيكيون يعمدون أولادهم بدهن أفواههم، وصدورهم، بماء، ويتوسلون بآلهتهم كي تسمح وتأذن لنقط الماء أن تزيل الخطيئة التي لحقت بالطفل قبل تكوين العالم لكي يولد الولادة الثانية بالعمادة، وعند العمادة يدعون أهل الطفل، وأقاربه، وأصدقائهم لحضورها»[3].

كما « كان المصريون يعمدون أولادهم المراهقين ويسلمونهم الأسرار الدينية الابتدائية، ويرسمون على جبين المعمّد علامة الصليب المقدس»[4].

وقد عقد مؤلف كتاب (العقائد الوثنية في الديانة النصرانية) مقارنة بين تعميد (بوذا) حسبما جاء في كتب اتباعه، وبين تعميد المسيح حسبما صرحت به الأناجيل، فكان التشابه واضحا بينهما حتى إنهما يتطابقان تمام

---

(١) يقول حنانيا لبولس : « قم واعتمد، وأغسل خطاياك داعيا باسم الرب» انظر أعمال الرسل ٢٢ : ١٦.

(٢) دوان / خرافات التوراة وما يماثلها في الديانات الأخرى ص ٣٢٠ نقلاً عن الأستاذ محمد طاهر التنير العقائد الوثنية في الديانة النصرانية ص ١٢٧.

(٣) تاريخ فتح المكسيك . نقلا عن الأستاذ محمد طاهر التنير / العقائد الوثنية في الديانة النصرانية ص ١٢٨ دون أن يشير الى الصفحة التي أخذ منها النص.

(٤) المرجع السابق ص ١٢٦ – ١٢٧.

التطابق[1].

ليس هذا فحسب بل نجد « عند البرهميين، عادة دينية قديمة، تشابه ما يعمله الفرس والمصريون واليونانيون والرومانيون القدماء، وهذه هي العمادة بعينها، وحين إجرائها يصلّون، ويتوسلون للشمس، ومن بعد قَسَم الأيمان المغلظة والنظافة على جسده، يرشونه بالماء ثلاث مرات، ويخاطبونه بما يوافق المقام، ويعدون الرش بالماء (الخلق الجديد) ويلبسونه ثوبا خصوصيا واكليلا، ويرسمون على جبينه صليبا، ويضعون على صدره صليبا من شكل صلبان (تَوْ)، ويسلمونه السرّ وهو كلمة (أوم).

وأما إذا كان المعمّد طفلا فيأخذه الكاهن البرهمي ويدعونه : (كورو) أي راعي، ويلطّخه بالوحل، ثم يغمسه بالماء ثلاث مرات وعند تغطيسه يقول : « يا أيها الرب العظيم، إن هذا الطفل خاطئ تلطّخ بالخطيئة، كتلطّخه من وحل هذه القناة، فكما أن الماء ينظفه من الوحل، طهره وخلصه من الخطيئة. ويعتقدون أن العمادة بالماء تزيل الخطايا مهما تكن، ويسمون الكهنة الذين يقومون على حافتي الأنهار لأجل عمادة الطالبين: أبناء الشمس»[2].

وكان « الفرس القدماء يأخذون أولادهم الى الهياكل بعد الولادة ببضع أيام، ويسلمونهم للكاهن عند صنم الشمس، والنار هي الرمز عن الشمس. فيغمسه باناء مملوء ماء، ثم يسمونه بما يودون من الأسماء»[3].

---

(١) الأستاذ محمد طاهر التنير / العقائد الوثنية في الديانة النصرانية ص ١٥٣.

وقد ذكرت هذه المقارنة في فصل روح القدس ص ٤٧٥ من هذه الرسالة مما لا حاجة لاعادتها هنا.

(٢) انظر المرجع السابق ص ١٢٥ / ١٢٦.

(٣) المرجع السابق ص ١٢٦.

ويظهر أن المعمودية بمفهوم المسيحية جاءت إليها من أهل فارس الذين قَبِل الرومانيون تعاليمهم قبل المسيح بمقدار (٦٨ سنة) بواسطة بعض لصوص البحر ... فنشروا أفكارهم في سائر أنحاء الامبراطورية[١].

وكانت أول معمودية مسيحية في يوم الخمسين بعد أن قبل التلاميذ معمودية الروح القدس والنار* [٢].

هذه هي أصول شعيرة التعميد لدى النصارى. وقد سبق منا القول :إن المعمودية – عند النصارى – ظاهرة المستند ، حيث أسندوها للنبيين، بتعميد (يوحنا) المعمدان – وهو نبي – لعيسى عليه السلام –، كما أسندوها للحواريين، حيث كلّف المسيح الحواريين – على زعمهم أن يعمدوا الناس باسم الأب والابن والروح القدس.

نقلنا أدلتهم ونحن نعلم ما نعلمه من عدم صحة الاستشهاد بكتبهم، لما ثبت من تحريفها، وتبديلها حسبما تمليه عليهم أهواؤهم، ورغباتهم، لكن مع ذلك نقول لهم :

إن تعميد (يوحنا) للمسيح – حسب روايات الأناجيل – هو من أقوى الأدلة على « إقرار المسيح بالعبودية لمولاه، فلو كان إلهاً – كما يزعمون – لما تعمّد من يوحنا، وهو الخالق ليوحنا وفعله، فهل يعقل أن يستكمل البر الذي هو التعميد من رسوله ومخلوقه(يوحنا)؟! فالقول بهذا من سفه الرأي»[٣].

---

(١) المستشار محمد عزت اسماعيل الطهطاوي / النصرانية والإسلام ص ٦٣.

* انظر انجيل متى ٣ : ١١ ، وانجيل مرقس ١ ' ٧ – ٨ ، وانجيل لوقا ٣ : ١٦، وانجيل يوحنا ١ : ٣٢.

(٢) لنخبة من ذوي الاختصاص ومن اللاهوتيين / قاموس الكتاب المقدس ص ٦٣٧.

(٣) عبد الرحن بك باجه جيزاده / الفارق بين المخلوق والخالق ص ٣٤.

ونسأل النصارى :

هل كان عيسى – عليه السلام – قبل التعميد مقدسا أم لا ؟

فإن قلتم : كان مقدسا، فلا أثر لتعميده، ولأي شئ لم ينزل عليه روح القدس قبل التعميد ؟ وانتم تقولون :لما عمده يوحنا نزل عليه روح القدس مثل حمامة بيضاء.

وان قلتم : إنه كان غير مقدس ، فكيف تعتقدون أن من ليس بمقدس إلها، أو ابن إله؟ وانتم تزعمون بجهلكم وعلى اختلاف فرقكم أن لاهوته اتحد بناسوته وهو في بطن أمه. فكيف يتحد اللاهوت بمن ليس بمقدس؟ وهل هذا كله إلاهذيان وضرب من الخذلان؟[١].

وحول الوصية التي بلغها عيسى لتلاميذه – على زعمهم – « عمدوا الناس باسم الأب والابن والروح القدس » – هذه الوصية جاءت في حقّ عيسى – عليه السلام – بعد قتله وصلبه – كما يزعمون – أي أنها رؤيا عنه، ولم ترد عنه وقت حياته إلى تلاميذه، فهي من قبيل الرؤي والأحلام، مما يدعو الى الشك وعدم الاطمئنان إليها فضلاً عن عدم الثقة بصحة كتبهم[٢]. كما ذكرنا من قبل

أما النصوص التى استشهدوا بها من رسائل بولس على فريضة

---

(١) الإمام القرافي / الأجوبة الفاخرة في الرد على الأسئلة الفاجرة ص ٢٢٣ / ٢٢٤.
انظر كذلك الإمام القرطبي / الاعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام تقديم وتحقيق وتعليق الدكتور أحمد حجاز السقا ج ٤ ص ٤٠٤/٤٠٥.

(٢) المستشار محمد عزت اسماعيل الطهطاوي / النصرانية والإسلام ص ٦٢.

المعمودية، فنقول لهم : وهل غير بولس أبدل المسيحية الصحيحة المنزلة من عند الله بالمسيحية البولسية الهلينستية. ورغم ذلك فقد قال بولس مرة : «أشكر الله اني لم أعمد أحدا منكم إلاّ كريسبس وغايس»[1]. وقال ايضا : إن «المسيح لم يرسلنى لأعمد بل لأبشر»[2].

« فلو كان التعميد فريضة وشعيرة دينية صحيحة لما شكر الله على عدم اجرائه العماد فيما بين الكورنثيين، ولما فضّل المسيح التبشير على العماد»[3].

ونرى الامام القرطبي في إعلامه يلزم النصارى في اعتقادهم بفريضة التعميد بإلزامات لا يجد النصارى لأنفسهم منها مخرجا إلا الإقرار بالتحريف، واستبدالهم الذى هو أدنى بالذى هو خير. فيقول:

«لو سلمنا - جدلا - صحة مانقلتموه من نصوص بشأن المعمودية، وسلمنا لكم بالتالى عموم مشروعيتها - كما تزعمون - فلِمَ زدتم العدد، ووضع اليد على الرأس، والنفخ فى الوجه، ولم ينقل ذلك عن من تقدّم، ولِمَ تكفّرون مخالفينها من غير دليل على تكفيره.

ثم إن هذا الماء الذى تعمدون فيه، هل هو مقدس أم لا؟ فإن قلتم : مقدس فمن قدسه؟ وان ادعيتم أن الله قدسه، فما الدليل على ذلك؟ فلعله نجّسه.

أما إن قلتم : نحن قدسناه، قلنا لكم : من أنتم حتى تقدسون المياه؟ .

---

(١) رسالة بولس الأولى الى أهل كورنثوس ١ : ١٤.

(٢) رسالة بولس الأولى الى أهل كورنثوس ١ : ١٧.

(٣) علم اللاهوت النظامي ج ٣ ص ١٠٨٤.

وما الدليل على أهليتكم لذلك، «فليت الفجل يهضم نفسه»*

ثم نقول لكم : لِمَ خصصتم المعمودية بالماء، ولم تجعلوها بالبول، فإنه ليس بنجس عندكم، وهو والماء سواء؟[1].

ولِمَ يكتفِ المرجفون والذين في قلوبهم مرض مما ادعوه من أدلة على وجود التعميد كفريضة مقدسة في العهد الجديد، مستبدلة بالختان المقرر في العهد القديم، وأنه - أى التعميد - وسيلة للخلاص - لم يكتفوا بذلك، بل قرروه في مجامعهم أيضا، حيث جاء في عقيدة إيمانهم مانصه :

«... ونؤمن بمعمودية واحدة لغفران الخطايا...»

وهذا معناه : أن أساس التعميد عندهم هو : غفران الذنوب. وهو مناقضة عظيمة لأصولهم. وذلك لأن اعتقاد النصارى أنه لا تغفر خطاياهم بدون قتل المسيح؛ ولذلك سموه «حَمَل الله «الذى يحمل الخطايا، ودعوه مخلص العالم من الخطيئة.

---

* كان أحد الظرفاء يشكو عسر هضم مستديم، فوصف له أحد الأطباء الفجل يأكله بعد كل وجبة، فأكل كمية كبيرة منه فأصيب بتلبك في المعدة، وانتفاخ في الأمعاء، فذهب الى الطبيب وهو يتلوى من الألم، فقال له الطبيب : ألم أنصحك بتناول الفجل بعد كل وجبة. فقال له : ليت الفجل يهضم نفسه. انظر ابراهيم سليمان الجبهان / معاول الهدم والتدمير في النصرانية وفي التبشير ص ٦٦.

(١) الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام / تقديم وتحقيق وتعليق الدكتور أحمد حجازي السقا ج ٤ ص ٤٠٤.
وانظر كذلك الإمام القرافي / الأجوبة الفاخرة في الرد على الأسئلة الفاجرة ص ٢٢٣ / ٢٢٤ . بهامش كتاب الفارق بين المخلوق والخالق.

فإذا آمنوا بأن المعمودية (الواحدة) هى التى تغفر خطاياهم، وتخلصهم من ذنوبهم، فقد صرّحوا بأنه لا حاجة الى قتل المسيح، لاستقلال المعمودية بالخلاص والمغفرة.

وان كان التعميد كافيًا فقد اعترفوا أن وقوع القتل عبث. وان كانت لاتحصل إلاّ بقتله فقد تناقضت الأمانة، وكذبت دعوى المغفرة بالتعميد إذ كان لابدّ من القتل[1].

أمّا من ناحية ادعاؤهم أن التعميد هو وسيلة للخلاص والتجديد. فليس هذا محل اتفاق بينهم، بل أنّا رأينا من المسيحيين أنفسهم من يقرّ بأن المعمودية لا تتجاوز الرسوم الخارجية لها من غسل الجسد وتطهيره فقط. وينكرون أن تكون هي سبيل للخلاص، أو أنها واسطة في الميلاد الثانى والتجديد.

فـ «الانجيليون ينكرون أن تكون المعمودية واسطة فعّالة في إيصال النعمة الإلهية الى قلب المعمود، ويقولون : ان المعمودية علامة خارجية مستقلة ، وانها مطلوبة أبداً عند دخول المعمود البالغ جهارًا في كنيسة المسيح. على أنه لابدّ من الأدلة الكافية على دخوله روحيا بالتجديد والايمان الى شركة تلك الكنيسة»[2].

ونحن نقول : لم تخلُ كافة الأديان من هذه الطقوس، بل إن الاسلام الذى جاء بعد المسيحية بقرون عدة تضمنت أحكامه الكثير عن الطهارة من وضوء وغسل... الى آخره، ولكنها لا تغنى بمجرد ذاتها في مغفرة الخطايا، وخروج

---

(١) الامام المسعودي / المنتخب الجليل من تخجيل من حرف الانجيل ص ٩٣ (مخطوطة).

(٢) علم اللاهوت النظامي / ج٢ ص ١٠٧٨.

الانسان من الكفر إلى الايمان، بل لابدّ فيها من النيّة والاعتقاد والعمل.

وقد قام مؤلف كتاب (علم اللاهوت النظامى) - وهو مؤلفٌ مسيحى - بسرد عدة أدلة على بطلان القول بأن التجديد والخلاص يتم بالمعمودية. من هذه الأدلة :

«(١) إن الكتاب يعلّم في كل موضع أن الشرط الوحيد الضرورى للخلاص هو الايمان بالمسيح. وهذا برهان واضح على نقض التعليم بلزوم المعمودية لأجل التجديد والخلاص. قال المسيح : «وكما رفع موسى الحيّة في البرية، هكذا ينبغى أن يرفع ابن الانسان لكي لا يهلك كل من يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية؛ لأنه هكذا أحبّ الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد، لكى لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية»[1].

وقال : «هذه هى مشيئة الذى أرسلنى أن كل من يرى الابن ويؤمن به تكون له حياة أبدية، وأنا أقيمه في اليوم الأخير»[2].

وقال : «مَنْ آمن بي ولو مات فسيحيا، وكل من كان حيا وآمن بي فلن يموت الى الأبد»[3]. وغيرها كثير.

فهذه هى أقوال المسيح، وأقوال الانجيل الذى بشر به الرسل حيثما ذهبوا بقولهم لكل خاطىء صادفوه : «آمن بالرب يسوع المسيح

---

(١) انجيل يوحنا ٣ : ١٤ - ١٦.

(٢) انجيل يوحنا ٦ : ٤٠.

(٣) انجيل يوحنا ١١ : ٢٥ ، ٢٦.

فتخلص»[١].

«كل من يؤمن أن يسوع هو المسيح فقد ولد من الله... من هو الذى يغلب العالم إلاّ الذى يؤمن أن يسوع هو ابن الله»[٢].

(٢) إن يشترط في عماد البالغين : الايمان والتوبة. وعلى ذلك لا يمكن أن تكون المعمودية واسطة للخلاص أو لايصال فوائد الفداء الروحية الى نفوس البشر، لأن الايمان والتوبة هما الكتال : أثمار التجديد

فمن تاب الى الله مؤمنا بالرب يسوع فهو فى حالة الخلاص وإن لم يعتمد فى الحال، ولذلك هو فى حالة التجديد. ويلزم من ذلك أن التجديد يجب أن يسبق المعمودية ولايصح بموجب ترتيب الله أن ينشأ عنها.

(٣) إن البابويين ومن جاراهم قد ضلّوا حين علموا أنه لايمكن أن يخلص أحد بدون معمودية طفلاً كان أو بالغا ولايخفى أن تعليم التجديد بالمعمودية الذي يعلمه البابويون وغيرهم يغيّر كل صورة الديانة؛ لأنه يجعل الطقوس الخارجية شروطا للخلاص ومجاري تجري فيها فوائد الفداء الى نفوس البشر ويقطع رجاء السماء عن الذين هم خارج الكنيسة البابوية – وان كانوا من أهل الايمان الانجيلي والعيشة المقدسة – وعن الأطفال غير المعتمدين مطلقا.

(٤) إذا صحب المعمودية في كل الأحوال تجديد النفس ينتج أن جميع المعتمدين يخلصون، لكن ليس في المعتمدين جميعا علامات الخلاص. فإذن العماد والخلاص ليسا بمعنى واحد، ولذلك التجديد ليس بالمعمودية.

---

(١) سفر أعمال الرسل ١٦ : ٣١.

(٢) رسالة يوحنا الأولى ١ ، ٥.

(٥) إن جمهوراً من المعتمدين لايظهر فرق بينهم وبين غير المعتمدين، فسكان أوربا وأصحاب الديانة النصرانية بالاجمال معتمدون، ولكنهم ليسوا جميعا متجددين ...

فتعليق التجديد بالمعمودية يناقضه الواقع؛ لأن المعتمدين اعتمادا جسديا فقط يبقون بدون تغيير في قلوبهم وحياتهم.

(٦) وان صح أن الولادة الروحية تتوقف على المعمودية عجبنا من قلة ايضاح هذا الأمر المهم الجوهري في الأسفار المقدسة؛ لأن الاشارات الى المعمودية نادرة في رسائل العهد الجديد حتى إنه لم تذكر المعمودية قط في ثلاث عشرة من الرسائل ...

والحق - كما يقول مؤلف الكتاب - أن المعمودية رسم خارجي والتجديد ولادة روحية لا يتم إلابروح الله الذي يعمل حيث يشاء ولم يربط عمله الشريف في الميلاد الثاني بعمل عرضي خارجي مثل وضع الماء في العماد الذي إنما يتم بيد بشرية أو لم يتم قط لحدوث مانع من الموانع»[١].

وسوف نرى في الفصل الأخير من هذا الباب موقف ابن تيمية من شعيرة المعمودية.

---

(١) المؤلفُ مجهول الاسم / ج ٣ ص ١٠٧٨ / ١٠٨٤ بتصرف.

الفصل الخامس

العشاء الربانـــي

الفصل الخامس

العشـــاء الربانـــي

كان لدى اليهود عيد يسمى عيد الفصح[1]، وذلك بسبب خروجهم من مصر، وخلاصهم من نير العبودية لفرعون. وقد أمرهم الرب بذلك كفريضة أبدية بنص التوراة، فجاء في سفر التثنية - خطاباً من الله لموسى - :

« احفظ شهر أبيب[2]، واعمل فصحا للرب الهك؛ لأنه في شهر أبيب أخرجك الرب الهك من مصر ليلا، فتذبح الفصح للرب إلهك غنما وبقرا في المكان الذي يختاره الرب ليحل اسمه فيه ... تذبح الفصح مساء نحو غروب الشمس في ميعاد خروجك من مصر»[3]. و« تحفظون هذا اليوم في أجيالكم فريضة أبدية »[4].

وكانت أمنية كل يهودي أن يأكل الفصح ولو مرة واحدة في أورشليم قبل أن يموت.

وكان اليهود يهتمون كثيرا بعيد الفصح « حيث يرتفع فيه الاحساس بالقومية وبالنجاة في آن واحد، إذ يذكر اليهود كيف أن الرب خلّص آباءهم من

---

(١) معنى الفصح : الاجتياز والعبور . أنظر ص ٦٧٢من هذه الرسالة.

(٢) هو شهر نيسان (أبريل).

(٣) الاصحاح السادس عشر / الفقرات ١ ، ٢ ، ٦.

(٤) سفر الخروج ١٢ : ١٧.

يد فرعون، وكانوا يودون أن يتخلصوا من ظلم الرومان، لكن الحاكم الروماني يأتي من قيصرية عاصمة حكمه الى أورشليم، ومعه بضعة كتائب من الجيش الروماني، ويعسكرون في قلعة انطونيو المشرفة على الهيكل، وبذلك يستطيع أن يحفظ صمام الأمن من الافلات»[1].

ولم يكن يتجاوز الفصح تقديم خروف أو جدي ذبيحة للرب، لكن وكعادة اليهود في التحريف والتبديل لشرائع الله تطور الأمر لديهم في ذلك، فـ «أضافوا الى فريضة الفصح أربعة من كؤوس الخمر، يديرها رأس العائلة بالتتابع ممزوجة بالماء ...»[2].

ثم صار الفصح – كما جاء في الرسالة الأولى لأهل كورنثوس – هو «الذبيحة عيسى بن مريم » عليه السلام . يقول بولس :

« إذاً نقّوا منكم الخميرة العتيقة ، لكي تكونوا عجينا جديدا، كما أنتم فطير؛ لأن فصحنا أيضا المسيح، قد ذبح لأجلنا»[3] فلا غنم ولا بقر بل المسيح هو الذبيحة وهو القربان المقدس.

وكنتيجة طبيعية لصلب المسيح – كما يزعمون – وتقديمه نفسه ذبيحة كفارة عن البشر وأوزارهم استعاضوا عن عشاء الفصح بما يسمونه (العشاء الرباني) وهو عبارة عن الخبز والخمر، حيث يستحيل كل منهما الى دم المسيح ولحمه – كما يزعمون – فيتحد المسيحي بالمسيح، ولعل ذلك لغلاء الأنعام وارتفاع أثمانها ولاشك أنهم ضموا الى جرأتهم على الله، وافترائهم على رسله

---

(١) وليم باركلي / تفسير العهد الجديد (انجيل مرقس) ص ٣٧٦.

(٢) لنخبة من نوي الاختصاص ومن اللاهوتيين / قاموس الكتاب المقدس ص ٦٧٩.

(٣) رسالة بولس الأولى لأهل كورنثوس ٥ : ٧.

صفة البخل.

ويرمز العشاء الرباني لدى النصارى الى عشاء عيسى الأخير مع تلاميذه، حيث اقتسم معهم الخبز والخمر، وهو أهم عمل في الطقوس المسيحية، ويسمى القربان المقدس. « وقد أجمعت الكنائس على أن هذا السر فريضة الهية واجبة على الدوام ... كما أجمعت على أن المؤمنين يتحدون في العشاء الرباني بالمسيح ...»[١].

ويزعم النصارى أن المسيح قد فرض لهم هذه الفريضة في ليلة صلبه – كما يدعون – ، وهو يشير الى موته كما يشير الى مجيئه وعودته.

وفي ذلك يقول صاحب كتاب (الأصول والفروع) :

« هو (أي العشاء الرباني) فريضة رسمها المسيح في الليلة التي أسلم فيها، ويستعمل في هذه الفريضة قليل من الخبز والخمر، فيأخذ كل من المؤمنين لقمة من الخبز، وقليلا من الخمر على المثال الذي رسمه المسيح تذكارا لموته»[٢].

ويقول أيضا : « وكما يشير العشاء الرباني الى موت المسيح يشير الى مجيئه الثاني أيضا، فيكون تذكارا للماضي والمستقبل»[٣] وذلك استنادا الى ماجاء في رسالة بولس الأولى لأهل كورنثوس من قوله :

« إن الرب يسوع في الليلة التي أسلم فيها أخذ خبزا وشكر، فكسّر وقال : خذوا وكلوا، هذا هو جسدي المكسور لأجلكم. اصنعوا هذا لذكرى. وكذلك

---

(١) علم اللاهوت النظامي ج ٣ ص ١٠٩٠ ، ص ١٠٩٦.

(٢) نقلا عن الشيخ محمد أبو زهرة / محاضرات في النصرانية ص ١١٥ ط ٣.

(٣) المرجع السابق .

أعطاهم قليلا من الخمر، وقال : خذوا واشربوا هذا هو دمي المسفوك لأجلكم، وانكم كلما أكلتم هذا الخبز، وشربتم هذا الكأس، تخبرون بموت الرّب حتى يعود»(١).

وقد جاء في قاموس الكتاب المقدس عن هذه الشعيرة ما يأتي :

« عشاء الرب : ويقصد به الفريضة التي أسسها الرب يسوع ليلة آلامه قبيل ذهابه الى بستان جشيماني، حيث أسلم ليصلب، وتسمى هذه الفريضة بالافخارستيا، وهي كلمة يونانية معناها : شكر، أو الشكر، أو الشركة، أو شركة جسد الرب ودمه أو العشاء الرباني أو مائدة الرب أو وليمة ... »(٢).

ويستند المسيحيون في شعيرة العشاء الرباني الى روايات شت وردت في العهد القديم والجديد والى فعل الحواريين.

أمّا أدلتهم من العهد القديم فهي ما فعله (ملكي صادق)*، حيث إنه أول من قرب القربان من الخبز والخمر، كما جاء في سفرالتكوين :

« وملكي صادق ، ملك شاليم أخرج خبزا وخمرا، وكان كاهنا لله العليّ»(٣).

وحكى (داود) في مزاميره من خبر (ملكي صادق)، إذ بشر بالمسيح، وأنزله منزلته، وأحله محله، وجعله قسا الى الأبد. فقال :

---

(١) ٢٣ : ٢٦.

(٢) لنخبة من ذوي الاختصاص ومن اللاهوتيين ص ٣٩٦.

* ملكي صادق : اسم سامي ، معناه : ملك البر ، وهو ملك شاليم أي أورشليم.
أنظر : قاموس الكتاب المقدس ص ٩٢٢.

(٣) ١٤ : ١٨.

« أقسم الرب ولن يندم ، أنت كاهن الى الأبد على رتبة ملكي صادق»[١].

وإذا جئنا الى العهد الجديد، نجدهم يستدلون على فرضية العشاء الرباني بما جاء في انجيل (متّى، ومرقس، ولوقا)، مما يدل على اقرار المسيح لهذه الشعيرة، وتقريره لها كما يزعمون.

ومماّ جاء في انجيل (متّى) حول هذه الشعيرة قوله :

« وفيما هـم يأكلون أخذ يسوع الخبز وبارك وكسّر وأعطى التلاميذ، وقال : خذوا، كلوا، هذا هو جسدي. وأخذ الكأس، وشكر، وأعطاهم قائلا : اشربوا منها كلكم؛ لأن هذا هو دمي الذي للعهد الجديد، الذي يسفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا ... »[٢].

ولمفسري انجيل (متّى) تعليق على هذا النص، حيث يقولون :

« ... هكذا المسيح هنا أبدل شركة خروف الفصح في العهد القديم برمزها بالشركة المقدسة كما رسمها هو مستعملا نفس العبارات التي كان اليهود يستعملونها عند أكلهم خروف الفصح.

إن سيدنا لم يأخذ لحم خروف الفصح ويستعمله كأنه بديل عنه، أو رمز له. هذا كان يؤكل أولاً حسب الناموس، إذ قد جاء « ليكمل كل بر »، بل كان مدققاً في الأمر، وإلاّ كان يلزم استخدام ذبائح الفصح حرفيا تحت نظام العهد

---

(١) مزمور ١١٠ : ٤ . وجاء في الرسالة الى العبرانيين : « حيث دخل يسوع كسابق لأجلنا ، صائرا على رتبة ملكي صادق رئيس كهنة الى الأبد ». ٦ : ٢٠

وجاء فيها أيضا : « ... لأنه يشهد أنك كاهن الى الأبد على رتبة ملكي صادق » ٧ : ١٧.

(٢) ٢٦ : ٢٦ – ٢٨.

الجديد، لكن ذبيحة شخصه أبطلت هذا إلى الأبد.

ولذا هو أخذ خبزا دعاه جسده، أي إشارة الى جسده المقدم من أجلنا، معطيالنا بصراحة الفكرة الأساسية عن طبيعة الذبيحة التي قدمها بموته، كأنه لحم حمل الفصح، الرمز الذي أتمّه بشخصه في موته مرة واحدة»[1].

أمّا رواية انجيل (مرقس) عن العشاء الرباني فهي كما يلي :

« وفيما هم يأكلون أخذ يسوع خبزا وبارك، وكسّر وأعطاهم، وقال: خذوا، كلوا، هذا هو جسدي. ثم أخذ الكأس، وشكر، وأعطاهم فشربوا منها كلهم، وقال لهم : هذا هو دمي الذي للعهد الجديد الذي يسفك من أجل كثيرين.. »[2].

ويتساءل مفسر انجيل (مرقس) – عند تفسيره لهذه الآيات – فيقول :

« ماذا كان يقصد عيسى عندما ذكر أن الكأس هو للعهد الجديد بدمه؟».

ويجيب : إن العهد عنصر مهم من عناصر الديانة اليهودية. فأساس هذه الديانة هو أن الله دخل في عهد مع هذا الشعب عند جبل سيناء، أي دخل في صلة وعلاقة معهم[3]، ولقد كان جوهر هذا العهد مبنيا على الشريعة وحفظها، فإن حفظ الاسرائيليون الشريعة، فانهم يبقون في عهدهم مع الرب، أما إذا كسروها، فهم قد نقضوا العهود، ولم يأتِ يوم فيه أتم اليهود شريعة الههم فأدانهم الرب ... أنهم شعب صلب الرقبة. وهنا يأتي يسوع، ويقول لتلاميذه :

---

(١) لمجموعة من أشهر مفسري الكتاب المقدس ص ٢٧٢ / ٢٧٣.

(٢) ١٤ : ٢٢ – ٢٤.

(٣) سفر الخروج ٢٤ : ٣ – ٨.

« اني أدخل معكم في عهد آخر... عهد جديد، صلة جديدة، لا تبنى على الشريعة، ولكن على دمي . ولأندمي يعبّر عن المحبة فهذا العهد هو عهد الحب».

فهذه الصلة الجديدة هي صلة الحب لا الناموس، وأضحى الناس أحرارا من الناموس، وصاروا في حماية محبة الله العميقة. هذاهو الجوهر الذي لا يخطئه العقل في عمل يسوع»[1].

أما (لوقا) فقد روى في انجيله عن العشاء الرباني ما نصه:

« ثم تناول كأسا، وشكر، وقال :خذوا هذه واقتسموها بينكم، لأني أقول لكم :اني لا أشرب من نتاج الكرمة حتى يأتي ملكوت الله، وأخذ خبزا، وشكر، وكسّر، وأعطاهم قائلا :هذا هو جسدي الذي يبذل عنكم، اصنعوا هذا لذكري. وكذلك الكأس أيضا بعد العشاء، قائلا: هذه الكأس هي العهد الجديد بدمي الذي يسفك عنكم ... »[2].

ويقول مفسّر انجيل (لوقا) تعليقاعلى هذا النص :

« إن الفصح لم يكن إلامجرد رمز يشير إلى حقيقة موته على الصليب»[3]. ثم يقول :

« والتعبير – بعد العشاء – يرينا أن الرب رسم شيئا جديدا يختلف عما كان في عشاء الفصح، وليس له علاقة بكأس الفصح. وهذا التحديد الذي نراه في انجيل (لوقا)، لا نراه في الأناجيل الأخرى، إذ يوضح البشير هنا أن هذا

---

(١) وليم باركلي / ص ٣٩٤.

(٢) ٢٢ : ١٧ – ٢١.

(٣) هلال أمين موسى ص ٣٢٤.

الشئ الجديد ينبغي عمله لذكرى الرب»[1].

والعجيب أن يوحنا قد أهمل ذكر بدعة « العشاء الرباني » وهو الحواري الحبيب،وكان حاضرا ليلة العشاء الأخير مع عيسى - عليه السلام - كما تذكر ذلك كتبهم. ويعلل ذلك مفسر (تحفة الجيل) الدكتور/ يوسف الدبس الخوري : بأن يوحنا قد فعل ذلك « اكتفاء بذكر باقي الانجيليين له »[2].

أما المعلقون على الترجمة السكونية للعهد الجديد، فإنهم يقدمون تبريراً آخر لعدم سرد (يوحنا) لتأسيس القربان المقدس، فيقولون :

« إن (يوحنا) عموما، لا يكنّ أي اهتمام ازاء تقاليد ومؤسسات اسرائيل القديمة، وربما كان هذا هو الذى جعله يحيد عن الإشارة إلى تأصّل القربان المقدس في طقوس عيد الفصح»[3].

ويقول (موريس بوكاي) تعليقا على هذا التبرير :

« كيف يريدون أن نصدق أن عدم الاهتمام بالطقوس الفصيحة اليهودية هو الذي قاد (يوحنا) إلى أن لايتحدث عن تأسيس المنسك الرئيسي في طقوس الدين الجديد ؟!»[4].

وهي مشكلة تحرج المفسرين اللاهوتيين ... وستظل[5].

---

(١) المرجع السابق ص ٣٢٥.

(٢) نقلا عن عبد الرحمن بك باجه جي زاده / الفارق بين المخلوق والخالق ص ٢٠٩.

(٣) نقلا عن / موريس بوكاي / دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة ص ١٢٠.

(٤) موريس بوكاي / دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة ص ١٢٠.

(٥) المرجع السابق .

والواقع أننا أمام فرضين :

إمّا أن تكون قصة العشاء الرباني صحيحة، كما ترويها الأناجيل الأخرى فيكون كاتب انجيل (يوحنا) ليس هو (يوحنا) الحواري. واما أن يكون كاتب الانجيل هو (يوحنا) الحواري فيكون عدم كتابته لقصة العشاء الرباني دليلا على أنها قصة غير حقيقية،بل أمراً ابتدعه الانجيليون الآخرون، والا فكيف لايذكر حواري عيسى أمرا خطيرا كهذا شهده مع بقية الحواريين كما يقولون.

وهذا يتأكد لنا عند الحديث عن الجذور الحقيقية لهذه الشعيرة وبيان فسادها ومناقضاتها - كما سيأتي - :

أمّا ما يستدل به النصارى من فعل الحواريين لفريضة العشاء الرباني فهو - زعمهم - أن الحواريين فرضوا هذا القربان، لأجل فعل ملكي صادق، ولأن عيسى قال : « من يأكل جسدي ويشرب دمي، يثبت فيّ وأنا فيه »[١].

وقد كان هناك اختلاف بين الفرق المسيحية حول هذه الشعيرة، وهل يجب أن تكون بالخبز دون ما سواه أو أن يستبدل الخبز بالفطائر فنرى أن «الكنيسة الشرقية توجب استخدام الخبز في العشاء الرباني تقيداً بحرفية النص[٢] الوارد في انجيل (متّى)، والتي أقرها مجمعي (ترنت) المنعقدين سنة ١٥٤٥، ١٥٦٣م، أما الكنيسة الغربية فتبيح استبدال الفطائر بالخبز»[٣].

---

(١) انجيل يوحنا ٦ : ٥٦.

(٢) المراد ما ورد في انجيل (متّى) ٢٦ : ٢٦ - ٢٨، وانجيل مرقس ١٤ : ٢٢ - ٢٤ وانجيل لوقا ٢٢ : ١٧-٢١. انظر ص ٧٦٥ - ٧٦٧ من هذه الرسالة، حيث أتينا بها كأدلة لهم.

(٣) الدكتور علي عبد الواحد وافي الأسفار المقدسة ص ١١٦.
وانظر كذلك : الشيخ محمد أبو زهرة / محاضرات في النصرانية ص ١٦٠ ط٣.

وينص قرار مجمعي (ترنت) المذكورين على ما يأتي :

« قد اعتقدت كنيسة الله دائما بأنه بعد التقديس يوجد ربنا الحقيقي مع نفسه ولاهوته تحت أعراض الخبز والخمر .. ، لأن يسوع المسيح هو بكامله تحت شكل الخبز، وتحت أصغر أجزاء هذا الشكل، كما أنه هو أيضا تحت شكل الخمر، وجميع أجزائه.

وقد اعتقدت الكنيسة أيضا اعتقادا جازما بأنه بتقديس الخبز والخمر يستحيل كامل جوهر الخبز إلى جوهر جسد ربنا، وكامل جوهر الخمر الى جوهر دمه ...»[1].

والواقع أن « العشاء الرباني هو عادة أخذت عن الأديان السابقة للمسيحية، ويطلق عليه : التناول»[2].

« وقد عرفها الوثنيون من قبل فقد كانوا في عيد الحصاد يأكلون الكعك المصنوع من البرّ، صائحين : هذا هو لم الاله. ويحتسون الخمر، هاتفين : هذا هو دم الاله ...»[3].

وفي مقارنة يعقدها الدكتور (أحمد شلبي) للديانة المسيحية الحالية مع ما سبقها من ديانات في عقائدها وشرائعها يذكر لنا أن ديانة (متراس) تتطابق تمام التطابق مع الديانة المسيحية الحالية في شتي المناحي والاتجاهات، ومن بينها فريضة «العشاء الرباني» حيث يبيّن لنا أن أتباع

---

(١) المرجع السابق وارجع الى أول مذكور.

(٢) عمر عنايت / العقائد ص ١٠٥ نقلاً عن الدكتور أحمد شلبي / المسيحية، ص ١٦٩ ط٥.

(٣) عصام الدين حفني ناصف / المسيح في مفهوم معاصر ص ١٢٧.

متراس «يقيمون في ذكراه كل عام عشاء مقدسا»(١) وهو نفس ما يحصل من أتباع المسيح فى الديانة المسيحية المحرفة، ويؤكد ذلك Justin Matyr فيقول :

«أمّا حادثة العشاء الرباني فهى بتفاصيلها الدقيقة واردة فى ديانة (متراس) حذ والنَعْل بالنَعل - كما يقولون»(٢).

ويرى (غوستاف لوبون) - كغيره من النقاد العقليين: «أن شعائر النصرانية، ومنها العشاء المقدس بدعة منقولة عن الوثنية المثرائية»(٣).

ويؤيد هذا الرأى «أن بولس كان مثرئيا، أو على الأقل متأثرا بالمثرائية التى كان من شعائرها التضحية بالعجل المقدس»(٤).

ولقد بلغ التشابه بين الطقوس المثرائية فى القربان المقدس، وبين الطقوس المسيحية مبلغا كبيرا، لدرجة أن آباء الكنيسة اعتبروا هذه المشابهة مكيدة شيطانية لإضلال المؤمنين. وفى ذلك القول (ول يورانت) :

«لقد بلغ التشابه بين الطقوس المثرائية، والقربان المقدس حداً جعل الآباء المسيحيين يتهمون ابليس بأنه هو الذى ابتدعه؛ ليضل به ضعاف العقول»(٥).

وهذا يدلنا دلالة واضحة على أن شعيرة العشاء الربانى، ليست من

---

(١) المسيحية ص ١٧٨.

(٢) نقلا عن المسيحية ص ١٨٤.

(٣) حياة الحقائق ص ٦٥ نقلا عن سفر عبد الرحمن الحوالي / العلمانية ص ٩٨.

(٤) هـ . ج . ولز / معالم تاريخ الإنسانية / ج٣ ص ٧٠٦ / ٧٠٩ فصل مبادئ أضيفت الى تعاليم يسوع.

(٥) قصة الحضارة الجزء الثالث من المجلد الثالث رقم ١١ ص ٢٧٦.

ضمن شعائر المسيحية الصحيحة المنّزلة من عند الله، وانما هى تحريف لها. ويدلنا أيضا على مدى تأثر الديانة المسيحية الحالية بمعتقدات وشرائع الأديان الوثنية السابقة عليها.

على أن علماء الاجتماع يرجعون فكرة العشاء الربانى الى أصل قديم، هو النظام الذى يعرف فى اصطلاحهم باسم «الطوطمية»[1].

«هو نظام معقد غامض يحوي فيما يحوي قيام علاقة قرابة وصلة، بين القبيلة والطوطم، الذى يكون حيوانا أو نباتا، يحرم بموجبها صيده وتناوله إلاّ في مناسبات شعائرية معينة؛ لكي يكتسب الآكلون صفات مرغوبة يتوهمونها في الطوطم، ويعتقدون أنه يجرى دمه في عروقهم بتناوله في هذه المناسبات»[2].

ويشير (ول ديورانت) الى ذلك بقوله :

«وبهذه الطريقة تعظّم الحضارة الأوربية، والأمريكية اليوم، شعيرة من أقدم الشعائر في الأديان البدائية وهى : أكل الاله»[3].

وكمادة المسيحيين في التحريف والتبديل، فكما استبدلوا الختان في العهد القديم بالمعمودية في العهد الجديد، كذلك حلّ العشاء الرباني في العهد الجديد محل الفصح في العهد القديم، حيث إن عيد الفصح كان مفروضا على

---

(١) الطومية : مشتقّة من كلمة : طوطم ، وهو شعار لطائفة من الناس يلتفون حوله، ويحتمون به ، ويعتقدون بأن رابطة قدسية تربطهم به. والطوطم إما أن يكون حيوانا أو نباتا أو – في النادر – جمادا. أنظر العميد ركن طه الهاشمي : تاريخ الأديان وفلسفتها ص ٨١.

(٢) جيمس فريزر / الغصن الذهبي ترجمة أحمد أبوزيد ص ٢٣ ، ١٣٦.
نقلا عن / سفر عبد الرحمن الحوالي / العلمانية ص ٩٨.

(٣) قصة الحضارة الجزء الخامس من المجلد الرابع رقم ١٦ ص ١٨.

المسيحيين طبق أحكام التوراة[1]، وكان اليهود يحتفلون به في ذلك اليوم بنجاتهم من فرعون، ودخولهم الى الارض المقدسة. كما نكرنا[2].

ومما يروى في ذلك اليوم : أنه «في اليوم الرابع عشر من شهر نيسان العبرى (وهو اليوم الثالث من شهر ابريل) من العام الثلاثين - في أرجح الاقوال - أكل عيسى ورسله عشاء عيد الفصح، في دار صديق له في أورشليم... وقد جرى يسوع على السنن اليهودية، فبارك الخمر الذى قدّمه للرسل ليشربوه، ثم غنّوا جميعا أغنية هاليل اليهودية»[3]. ويقول يوحنا :

انه (أى المسيح) قال لهم : «ياأولادى، أنا معكم زمانا قليلا بعد... وصية جديدة أنا أعطيكم : أن تحبوا بعضكم بعضا، لاتضطرب قلوبكم، أنتم تؤمنون بالله، فآمنوا بي، في بيت أبي منازل كثيرة... أنا أمضي لأعدّ لكم مكانا»[4].

ويخمّن (ول ديورانت) أن يكون المسيح قد طلب من تلاميذه أن يكرروا هذا العشاء كل عام، احياء لذكراه. وهو في نفس الوقت لا يستبعد أن يكون عيسى قد طلب منهم أن يتصوروا أنّ الخبز الذى يأكلونه هو جسمه، وأنّ الخمر التى يشربونها هي دمه. يقول (ول ديورانت) في ذلك :

«ويبدوا أنه من المعقول جدا أن يطلب المسيح اليهم في هذه الساعة الرهيبةأن يكرروا هذا العشاء في مواسم خاصة - كما تتطلّب ذلك عادة اليهود - احياء لذكراه، وليس ببعيد أنه وهو ذو الاحساس الشرقي المرهف، والخيال

---

(١) إشارة الي النص الوارد في سفر الخروج من قول الله لبني اسرائيل على لسان موسى - عليه السلام - « فتحفظون هذا اليوم في أجيالكم فريضة أبدية» ١٢ : ١٧.

(٢) انظر صفحة ٧٦٢ من هذه الرسالة.

(٣) ول ديورانت / قصة الحضارة الجزء الثالث من المجلد الثالث ص ٢٣٥.

(٤) انجيل يوحنا ١٣ : ٣٣ ، ٣٤ وكذلك ١٤ : ١ ، ٢.

الشرقي الوثاب، قد سألهم أن يتصوروا أن العيش الذى يأكلونه هو جسمه وأن الخمر الذى يشربونها هى دمه»[1].

ويقول (شارل جنيبير) :

«وكان الاثنا عشر، وهم اليهود الاتقياء عندما يلتقون في دار أحدهم يطعمون الخبز جماعة، وكان عيسى يفعل هذا معهم، وكان هذا الأكل مجرد رمز للوحدة بين الحواريين، وبين عيسى عندما كان موجودا بينهم، وكانوا بعد موته يقيمون وليمة تذكارية في عيد الفصح، قوامها الخبز والخمر اللذان يرمزان الى جسد المسيح ودمه احياء لذكراه، كما أوصى بذلك»[2].حسب زعمهم.

وقد كان كافيا أن تقف بدعة العشاء الرباني عند هذا الحدّ لولا أن المسيحيين - جريا على عادتهم في التحريف، وسوء الفهم والخلط بين الحقيقة والمجاز - أضافوا الى ذلك الفريضة المعروفة باستحالة الخبز والخمر إلى جسد المسيح ودمه ، وضرورة الأعتقاد بأن ما يقدم من الخبز في ذلك اليوم هو لحم المسيح ذاته، وأن مايقدم من الخمر هو دم المسيح ذاته أيضا، وأن ذلك يستحيل في جسد من يتناوله، حيث يتحد به المسيح[3].

«وكانت البطولة في ذلك تنسب الى بطرس - صانع المسيحية البولونية - الذى شعر بضرورة وضع مغزى لتقليد تناول الخبز جماعة فربطه بالتضحية من أجل التكفير، ومن أجل التقرب، ومن أجل المشاركة في الذات الالهية (أى ذات المسيح)، فجعل تناول الطعام الذى لايشكل شعيرة مقدسة، جعله غاية لسرّ رفيع، وتذكرة ورمزًا حيا أرادهما عيسى نفسه - على زعم بولس - لما لقيه من

---

(١) قصة الحضارة الجزء الثالث من المجلد الثالث رقم ١١ ص ٢٣٥ / ٢٣٦.

(٢) المسيحية (نشأتها وتطورها) ص ١٠٩.

(٣) أنظر / سفر عبد الرحمن الحوالي / العلمانية ص ٩٨.

عذاب الصليب.

ونرى بولس يكثر في رسائله من الحديث عن جسد المسيح، وحلوله في أتباعه، ويورد في الاصحاح الحادى عشر من رسالته الأولى الى أهل كورنثوس مايفيد ذلك، حيث يقول :

في الليلة التى أسلم فيها (الى الرومان)، أخذ السيد عيسى خبزا، وبعد أن شكر الله كسر هذا الخبز، وقال : هذا جسدي وهولكم، فلتفعلوا ذلك دائما تذكرة لى. وبعد أن تناول الكأس بعد العشاء، قال : هذه الكأس هى العهد الجديد في دمي، فلتفعلوا ذلك كلما شربتم تذكرة لي. ذلك أنكم كلما أكلتم من هذا الخبز، وشربتم من الكأس، كأنما تعلنون موت السيد حتى يأتي اليكم»[1].

فغاية بولس بهذه الأسرارالوثنية، انها أسرار نابعة من الطقوس الهيلينستية الوثنية، ولا علاقة لها بالطقوس اليهودية»[2].

يقول بولس : «كأس البركة التى نباركها، أليست هى شركة دم المسيح، الخبز الذى نكسره أليس هو شركة جسد المسيح»[3].

هكذا يقرر بولس منذ البداية حقيقة الاستحالة، أعنى استحالة الخبز والخمر في العشاء الربانى الى جسد المسيح ودمه استحالة حقيقية مختلطا بجسد من يأكله ودمه.

ولكن مؤلف (علم اللاهوت النظامى) يقرر أن تعليم الاستحالة لم تعترف

---

(١) الفقرات من ٢٣ - ٢٦.

(٢) شارل جنيبير / المسيحية (نشأتها وتطورها ٩ ص ١٠٩ / ١١٠.

(٣) رسالة بولس الأولى الى أهل كورنثوس ١٠ : ١٦.

به الكنيسة الاّ بعد ذلك بوقت طويل، فيقول :

«واذا نظرنا الى القرون الأولى من تاريخ الكنيسة نرى في مؤلفات الآباء القدماء مايحققّ لنا عدم تصديق الكنيسة لتعليم الاستحالة، فإنه في القرون الثلاثة الأولى بعد رفع المسيح لم نر له ذكرا»(١).

وقال (دنس سكوتس) - اللاهوتي الشهير سنة ٣٠٠م :-

«إن تعليم الاستحالة لم يكن من الايمان قبل المجمع اللاتراني الرابع (١٢١٥م) تحت رئاسة البابا (انوسينتوس الثالث)، ومن ثَم حسب من تعاليم الكنيسة البابوية المقررة»(٢).

وأيّا كان الاختلاف في بدء ظهور الاعتقاد بتعليم الاستحالة، فإن شعيرة العشاء الرباني كانت تمارس منذ السنوات الأولى في المسيحية، وأصبح المسيحيون بعد ذلك يعتقدون بأن متناولي العشاء الربانى يأكلون جسد المسيح بعينه على الحقيقة، ويشربون دمه نفسه على الحقيقة كذلك. «أمّا كيف يتحوّل الخبز والخمر الى جسد المسيح ودمه، فإن ذلك «سرّ»، لا يجوز لأحد أن يسأل أو يشكك فيه، والاّ عوقب بالحرمان والطرد من الملكوت»(٣).

وهذا السر الذى قصرت الأفهام عن إدراكه هو عندهم من قبيل ماوقع الاجماع عليه، فلا يكمل ايمان النصرانى مالم يأكل جسد المسيح، ويشرب دمه.

ويقول صاحب الفارق :

---

(١) ج ٢ ص ١١٠٩.

(٢) علم اللاهوت النظامي ج ٣ ص ١١٠٨ / ١١١١.

(٣) سفر عبد الرحمن الحوالي / الطمانية ص ٩٩.

«لقد مكثت زمنا أتأمل في هذا السر «الأفخارستيا»، والتمس له معنى أو نظيرا في الأديان المتقدمة، والملل المنتحلة، فلم أجد نظيرا له، ولا أصلا يرجع اليه على اختلاف مذاهب العالم من آدم الى عيسى... حتى فيما انتحله المشركون»[1].

ولنا على أدلتهم التى استدلوا بها، في وجوب أداء هذه الفريضة ردود نلخّصها فيما يلى :

أولا : إن استدلالهم بفعل (ملكى صادق)، وأنه أول من قرّب القربان من الخبز والخمر كما جاء في التوراة، وتأسي المسيح به في ذلك، لأنه كاهن الى الأبد على رتبة (ملكى صادق) فهذا باطل. وذلك لأن (ملكى صادق) «لم يكن نبيا يجب اتباعه، ولو ادعوا نبوته احتاجوا الى دليل عليها، وأن شرعه شرع لهم، ولن يقدروا على ذلك أبدا»[2].

ولو سلّم أن شرعه شرع لهم لكان ينبغي أن يعلموا أن التوراة قد نسخت ذلك الشرع. إذ قد استقرّ أن موسى عمل بخلافه، وكذلك الأنبياء بعده. ولو كان ذلك الحكم باقيًا صحيحًا لما كان ينبغي لموسى أن يعدل عنه، ولما جاء بغيره. فتركهم التوراة التى هم مخاطبون بأحكامها وشرعها إلى مالم يخاطبوا به، ولا شرع لهم، استهانة بشرع التوارة وأحكامها، بل استخفاف بالذى أنزلها، وبالذى أنزلت عليه، فقد بطل استدلالهم بفعل (ملكى صادق)[3].

ثانيا : أمّا روايات الأناجيل الثلاثة التى ذكرناها في (متّى ومرقس ولوقا)

---

(١) عبد الرحمن بك باجه جي زاده / الفارق بين المخلوق والخالق ص ٢١٢.

(٢) الامام القرافي / الأجوبة الفاخرة في الرد على الأسئلة الفاجرة ص ٢٣٠.

(٣) الإمام القرطبي / الاعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام / تقديم وتحقيق وتعليق الدكتور/ أحمد حجازي السقا ج ٤ ص ٤٢٨.

والتى يتخذها المسيحيون أساسا لشعيرة العشاء الرباني أو الاستحالة، فقد علمنا في الباب الأول من هذه الرسالة عدم استيفاء هذه الأناجيل للشروط الواجب توافرها في الكتاب الديني ليكون حجة يجب الأخذ به، مما لا داعى لاعادته هنا. هذا من ناحية، ومن ناحية أخري، فإن في هذه الروايات الثلاث من التناقض البيّن مايجعلنا نقطع بعدم اقرار المسيح لهذه الشعيرة، وانما هى أُقرّت عن طريق قسيسهم المغيّرين للدين، والمحّرفين لكتاب ربّ العالمين، وعلى رأسهم (بولس اليهودى)، وان في انتسابها للمسيح من الزور والبهتان عليه ماينتصف الله له به منهم يوم القيامة. من هذه التناقضات :

ماجاء في إنجيل (لوقا) حيث ذكر أنها كأسين، بينما اقتصر (متّى) على كأس واحدة فقط.

«ثم إن رواية مترجم انجيل (متّى) تفيد أن جسد عيسى غير مبذول عن أحد، وانما المبذول هو العهد الجديد الذى يراق عن كثيرين لمغفرة الخطايا، وهل العهد الجديد إلاّ دين النصرانية، وهو لا يراق ولا يريق.

ورواية (مرقس) تذكر أن الدم هو الذى يراق عن كثيرين، وعبارة (لوقا تفيد أن جسد المسيح يبذل عن التلاميذ فقط.

و (يوحنا) في انجيله لم يذكر شيئا ولا حرفا من هذه الخرافات، وهو الحق[1].

فكيف وهو الحوارى المقرّب يغفل ذكر حادثة مشهودة كهذه حضرها هو وزملاؤه كما يقال.

---

(١) عبد الرحمن بك باجه جي زاده / الفارق بين المخلوق والخالق ص ٢١٤.

ثالثا : أمّا استدلالهم بفعل الحواريين، فهو من الكذب البيّن عليهم، ولم يصح للنصارى النقل عنهم، ولو صح لما كان في فعلهم حجة... وليس لغير الأنبياء – عليهم السلام – أن ينسخوا، بل لابدّ للنسخ من شرط معلوم عند أهل العلم بالله تعالى وبرسله وأحكامه، ولم يحصل ههنا....

رابعا : وأمّا قول المسيح : «من يأكل جسدي ويشرب دمي، يثبت فيّ وأنا فيه، وأنا الخبز النازل من السماء فمن أكلني يحيا حياتي»، فقد «حمله النصارى على ظاهره، وكانوا على المسيح أشد من اليهود، فإن اليهود قتلوه وتركوه، والنصارى يأكلون لحمه ويشربون دمه.

ومعلوم أن هذا في العدواة أشد نكاية، وانما ينبغي لهم أن يسعوا في صحة النقل أولاً ، فإذا صحّ، حمل على ما يليق بمنصبه وهو إنه – عليه السلام – عبّر عن المعنى المعقول بمثال محسوس، وشبه غذاء الأرواح بغذاء الأجساد، وهذه استعارة حسنة مستعملة، وكثيرا ما يقال في الكلام : «العلم والمعاني الشريفة : خبز الأرواح، كما أن الطعام المعروف خبز الأشباح».

وهو – عليه السلام – أتى بأنواع الهدايات، وتفاصيل الحكم، وأحيا ما أماته بنو اسرائيل من ذلك فمن اتبعه اغتذت روحه، وتوفرت قواها، وحصلت لها مسراتها ونعماها، وأشبعها من المعارف وربّاها... وليس المراد الخبز المحسوس، ولا الدم المشاهد؛ لأن ذلك كفر اتفاقا...»[1].

ومن العجيب أن في الانجيل أن عيسى – عيه السلام – قال للمبروص الذى شفاه : امضِ واعرض نفسك على القسيسين، وقدم قربانك الذى أمر به

(١) الإمام القرافي / الأجوبة الاخرة في الرد على الأسئلة الفاجرة ص ٢٣٠ / ٢٣١.
وانظر كذلك الامام القرطبي / الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام ج ٤ ص ٤٢٩.

موسى - عليه السلام - في عهده[1].

فأين مايزعمونه من ذبيحة المسيح؟!

وقد أدلى (صاحب الفارق) بدلوه في هذا المجال، فكان مما قاله - بشأن ما جاء في الأناجيل - عن الاستحالة، مايلى :-

«... أمّا ماورد من ذلك في الأناجيل - إن صح - فله محامل وتأويلات حسنة لا تأباها العقول كما تأبى الاستحالة، من ذلك : ماذكره (يوحنا) في انجيله في الاصحاح السادس حكاية عن المسيح، عندما تذمرت عليه اليهود بقوله : «أنا هو الخبز النازل من السماء»[2]، وهذا كناية عن كونه سببا لحياة الأرواح التى تحيا بالايمان، وتتغذى بالتقوى، وتهلك وتموت بالكفر، وتمرض بالعصيان. كما أن الخبز الحقيقي يغذي الأجسام، ويكون لها وقاية من الهلاك، وهو تقرير لقوله السابق في فقرة (٣٥) : «أنا هو خبز الحياة» وقوله في فقرة (٥٤) : «من يأكل جسدى، ويشرب دمى، فله حياة أبدية»، وقوله في فقرة (٦٠) : «فقال كثيرون من تلاميذه ، إذ سمعوا أن هذا الكلام صعب من يقدر أن يسمعه، فعلم يسوع فى نفسه أن تلاميذه يتذمرون على هذا فقال لهم : أهذا يعثركم، فإن رأيتم أن ابن الانسان صاعدا الى حيث كان أولاً الروح هو الذى يحيى، أما الجسد فلا يفيد شيئا، الكلام الذى أكلمكم به هو روح وحياة، ولكن منكم قوم لا يؤمنون»[3].

يعلم من هذا أنه لم يرد الجسد المركب من لحم ودم، بل يريد الروح التى هى الكلمة، أى الايمان بأنه كلمة الله وروح منه، ومنه نتج أن ماذهبوا اليه في

---

(١) إشارة الى النص الوارد في انجيل متّى ٨ : ٤.

(٢) فقرة / ٤١.

(٣) انجيل يوحنا ٦ : ٦٠ - ٦٤.

المعنى الظاهر باطل لا يصح القول به، إذ لا يدخل تحت قاعدة عقلية ولا يندرج ضمن قانون الهي. وما أراد المسيح بذلك إلاّ الذى حكيناه من تفسيره بأن يؤمنوا به وبالذى أرسل به، ويتبعوا أوامره ووصاياه فهو تفسير لكلامه الأول، وليس المراد جسده ودمه الحقيقي كما تزعم الأساقفة الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين»[1].

ومما يؤيّد ماذكره صاحب الفارق، قول صاحب كتاب (مرشد الطالبين الى الكتاب المقدس الثمين)[2]. في الفصل الثالث عشر من الجزء الثانى من كتابه المذكور، الذى عقده لوجوب تأويل ماورد من الكلام في العهدين على سبيل المجاز والاستعارة، فقال : بعد أن ذكر الأسباب الموجبة لاستعمال المجاز - مانصه : «... واصطلاح العهد الجديد أيضا هو استعاري جدا، وخاصة مسامرات مخلصنا، وقد اشتهرت آراء كثيرة فاسدة؛ لكون بعض معلمي النصارى شرحوها شرحا حرفيا...

ثم ذكر لذلك أمثلة من جملتها بحثنا الذى نحن بصدده، وهذا النص عبارة (يوحنا) بالاصحاح السادس قال : «أنا هو الخبز الحي الذى نزل من السماء، إن أكل أحد من هذا الخبز يحيا الى الأبد، والخبز الذى أنا أعطى هو جسدي الذى أبذله من أجل حياة العالم»[3].

ثم قال : «فمنذ الدهر الثانى عشر جعلت الرومانيون الكاثوليكيون لهذا القول معنى آخر معكوسا ومغايرا لشواهد أخرى في الكتب المقدسة، وللدليل

---

(١) عبد الرحمن بك باجه جي زاده الفارق بين المخلوق والخالق ص ٢١٥/٢١٦.

(٢) هو محمد بن محمد الغزالي المتوفي سنة (٥٠٥ هـ).

(٣) فقرة / ٥١.

الصحيح، وحتّموا أن ينتجوا من ذلك تعليمهم عن الاستحالة، أى تحويل الخبز والخمر الى جسد المسيح ودمه الجوهريين عندما يلفظ الكاهن بكلمات التقديس الموهوم، مع أنه يظهر لكل الحواس الخمسة أن الخبز والخمر باقيان على جوهرهما ولم يتغيرا»[(١)].

ويؤكد مؤلف علم اللاهوت النظامى بأن التفسير الحرفي لقول المسيح «هذا هو جسدى» باطل عقلا وطبعا ولابدّ من المجاز - كما هو موجود في الكتاب المقدس - مبينًا أن الاستحالة لم تكن تدور بخلد المسيحيين الأوائل، فيقول : «إن تفسير البابويين قول المسيح: «هذا هو جسدى» بمعنى حرفى غير صحيح، وإنما هو بمعنى مجازى؛ لأن قصد المسيح فى هذا الكلام البسيط إنما هو أن الخبز إشارة أو رمز إلى جسده. وقد ورد المجاز كثيرا فى الكتاب على هذا الأسلوب، وهو يبيّن لنا أن المسيح قصد أن الخبز إنما يمثّل جسده. وهذا الإصطلاح المجاز جار فى جميع لغات البشر ...

ومن أمثلته فى الكتاب المقدس ما جاء فى العهد القديم من أن «يوسف غصن شجرة مثمرة[(٢)]»، «والرب صخرتى[(٣)]»، «وكلامك سراج[(٤)]».

فجميع هذه الأمثلة وأشباهها تبرهن أن هذه العبارات فى الكتاب المقدس تدل على الإشارة والتمثيل على سبيل الإستعارة، وتوجب هذا المعنى، وهذا التفسير فى قول المسيح «هذا هو جسدى» واصطلاح الروح القدس فى كل

---

(١) نقلاً عن عبد الرحمن بك باجه جي زاده/ الفارق بين المخلوق والخالق ص ٢١٦.

(٢) سفر التكوين ٤٩ : ٢٢.

(٣) مزامير داود مزمور ١٨ : ٢.

(٤) مزامير داود مزمور ١١٩ : ١٠٥.

عبارة تشبه هذه العبارة يؤكد أن هذا هو معناها، ولذلك بقى تلاميذ المسيح قرونا يقرأون هذا القول ويمارسون هذا السر، والاستحالة لم تخطر لهم فى بال.

ثم إذا فسرنا كلام المسيح على الخبز حرفيا، فلماذا لانفسر كلامه على الكأس كذلك، وهذا يفضى إلى استحالة الكأس نفسها إلى دم المسيح بل إلى العهد الجديد، لأنه قال: «هذه الكأس هى العهد الجديد بدمى(١)»(٢)

وقال (أوغسطينوس سنة ٤٢٠م) :

«إن قول المسيح إنه يعطينا جسده لنأكله، لايجوز فهمه جسديا؛ لأن نعمته لاتقبل بالأسنان(٣)».

وهناك أستاذ كبير حصل على إجازة الدكتوراة في اللاهوت وراعي كنيسة «لوترورث» هو الدكتور (وكلف سنة ١٣٢٠م - ١٣٨٤م)، هذا الراعي يهاجم السلطة الكهنوتية فى مسألة الخبز والخمر، وينكر تحولّهما إلى لحم المسيح ودمه، حتى قال عن هذا التحولّ: «إنه خداع وحماقة كافرة(٤)»

وقال (اثناسيوس ٣٧٠م) - فى شرحه إنجيل (يوحنا) الإصحاح السادس - مامعناه:

«إن مناولة جسد المسيح ودمه حقيقة، أمر لايقبل، وأن معنى المسيح فى

---

(١) رسالة بولس الأولى الى أهل كورنثوس ١١ : ٢٥.

(٢) جـ ٣ ص ١١١٧ / ١١١٨ بتصرف قليل . (المؤلف مجهول الاسم).

(٣) نقلا عن كتاب علم اللاهوت النظامي ج ٣ ص ١١١٠.

(٤) نقلا عن الأستاذ / أحمد عبد الغفور عطار / العقائد والديانات في مختلف العصور ج٣ ص ٢٠٢.

هذه الآيات لايفهم إلاّ روحيا[1]».

ومفسّر عصرى آخر لإنجيل (يوحنا) يقول - عند تعليقه على نص (يوحنا)[2]-:

«والذى يعنيه الرب بأكل جسده وشرب دمه هو قبوله بالإيمان ...،

وعندما نتغذى بالإيمان على جسده ودمه، فإننا نفطم عن كل ماهو غير مقدس[3]».

«وفرقة البروتستانت تخالف الكاثوليك وغيرهم من المسيحيين الذين يرون رأيهم، وترى فى العشاء الربانى أو فى الخبز والخمر باعثا على الذكرى الصالحة، ذكرى ماقام به المسيح الذى وهب نفسه راضيا للفداء، وقَبِل العذاب والصلب تخليصا للإنسانية من الخطيئة الأزلية، وتكفيرا عن خطايا البشر، وتنكر أشد الإنكار تحوّل الخبز والخمر إلى جسد المسيح ودمه[4]».

خامسا:

يقول مؤلف علم اللاهوت النظامى:

«إن تعليم الاستحالة هذا من القضايا الخاصة الجوهرية، فى النظام البابوى على أنه مخالف لشهادة الحواس وللعقل وللوحى، وقد جعلته الكنيسة البابوية أساس أضاليل أخرى مضرة جداً، ومصدر عوائد خرافية يغش بها

---

(١) انظر كتاب / علم اللهوت النظامي ج ٣ ص ١١١٠.

(٢) ٦ : ٥٤ – ٥٦.

(٣) هو هلال أمين موس ص ٩٨.

(٤) الأستاذ أحمد عبد الغفور عطار / الديانات والعقائد في مختلف العصور ج ٣ ص ٢٠٢.

شعبها ... وتأسيس آمال الشعب على تعليم واهن وتوجيه أفكارهم من الذبيحة الحقيقية إلى ذبيحة صناعية اخترعها البشرألاً وهو تحويل عشاء الرب البسيط إلى سوق تجارة لنوال فوائد ذبيحة المسيح بالبيع والشراء وهى أعظم خداع دينى جرىء فى تاريخ بنى جنسنا[1]».

وجاء فى قرار الإيمان لمجمع (ويستنمستر) مانصه:

«إن التعليم بتغير جوهر الخبز والخمر إلى جوهر المسيح ودمه المعروف بالاستحالة بواسطة تقديسهما على يد مَنْ دعى كاهانا، أو على طريقة أخرى مناقض للكتاب المقدس، وليس للكتاب المقدس فقط، بل للعقل السليم، وللطبيعة وهو يفسد حقيقة هذا السر، وقد صار فيما مضى ولايزال الآن سببا لأنواع كثيرة من الخرافات، بل لعبادات وثنية شنيعة[2]».

ويقول صاحب كتاب الفارق موجها كلامه للنصارى، ومبينا لهم فساد شعيرة الاستحالة هذه، وتناقضها مع العقل، بل إن التناقض نابع منها - يقول:

«دعواكم هذه يناقض بعضها بعضا، ولاسند عندكم لترجيح شىء منها مع عدم إمكان تطبيق أصل الدعوى على القانون العقلى. فظهر فساد أساس دعواكم كما لايخفى ذلك على من له أدنى إدراك. والعرف والعادة محكمة بين الخليقة كافة على اختلاف مذاهبهم وهو: أن من يدّعى بأمر خلاف العقل والظاهر والمحسوس لاتسمع دعواه، لأنها تكون فاسدة فى كل شريعة[3]».

---

(١) علم اللاهوت النظامي ج ٣ ص ١١٠٧ / ١١٠٨ باختصار وتصرف قليل.
وانظر كذلك ، عبد الرحمن بك باجه جي زاده ، الفارق بين المخلوق والخالق ص ٢١١.

(٢) فصل ٢٩ رقم ٦ نقلا عن كتاب علم اللاهوت النظامي ج ٣ ص ١١١٢.

(٣) عبد الرحمن بك باجه جي زاده / الفارق بين المخلوق والخالق ص ٢١٣.

ويقول أيضا:

«ولو تعقلت النصارى – وأنّى لهم – لوجدوا دعواهم هذه شبيهة بما يروى عن مشركى العرب، فإنهم كانوا يتخذون آلهة من ثمر، وعندما يحسّون بألم الجوع يلجأون إلى تلك الآلهة فيأكلونها إلى أن أتى الإسلام، وهداهم الله تعالى فكانوا يتذكرون ذلك العهد ويضحكون منه على أنفسهم[1]».

وحيث إن النصارى مقرّون بأن الله حرم عليهم أكل الدم أو شربه فى العهد القديم[2] وكان ذلك بمثابة وصية تعمّ بمعنى خاص شرب دم البشر. فهل أجاز الله أكل لحم البشر في زمن المحرفين، وأعلن جواز شرب دم بشرى حقيقة؟ وهل يعقل أن يؤكل لحم الإنسان، ويشرب دمه؟!

ويجيبنا على ذلك مؤلف كتاب الفارق فيقول:

«نعم لو تأمّلنا فى حالة بعض الأمم المتوحشة ومنهم «النمنم» وهم قوم من الزنوج، توغلوا فى التوحش حتى أخرجهم عن الطور الإنسانى، فهم يأكلون لحم الآدمى ويستلذونه حيا وميتا[3]».

لكن أن يتحول الخبز والخمر إلى ذات الجسد والدم، فهذا من المحال، واعتقاده باطل وضلال.

والنصارى يعتقدون أن كل جزء من أجزاء فطيرة كل قسيس هو – عيسى عليه السلام – بجميع جسده فى طوله وعرضه وعمقه هو هو، ولو بلغت أجزاء

---

(١) المرجع السابق ص ٢١٥.

(٢) انظر سفر اللاويين ٣ : ١٧ ، ٧ : ٢٧ ، ١٧: ١٠ ، ١٤.

(٣) عبد الرحمن بك باجه جي زاده / الفارق بين المخلوق والخالق ص ٢١٥.

الفطيرة مائة ألف جزء لكان كل جزء منها عيسى[1].

فيقال لهم: «إن جسد عيسى كان طوله عشرة أشبار مثلا، وعرضه شبرين، وعمقه شبرا، والفطيرة التى يقرأ عليها القسيس لايمكن أن تكون ثلاثة أشبار، فكيف يكون جسد طوله عشرة أشبار، وعرضه شبران، وعمقه شبر، فى شيء طوله ثلث شبر؟ هذا محال فى كل عقل سليم.

وهم يجيبون عن هذا بأن المرآة تكون قدر الدرهم والإنسان يرى فيها أكبر الأبراج والمبانى العالية إذا قابلها بذلك، وهو أكبر منها بأزيد من ألف مرة.

فيقال لهم: إن الذى يرى فى المرآة عرض لاجوهر. وأنتم تعتقدون أن جوهر عيسى وعرضه جميعا فى تلك الفطيرة، وهذا محال فى العقل.

ثم أنكم أجمعتم على أن عيسى - عليه السلام - صعد إلى السماء، وهو جالس فيها عن يمين الله -تعالى الله عن قولكم - فمن الذى أنزل لكم جسده إلى تلك الفطيرة؟!

ثم ان عيسى رجل واحد، وأنتم تعتقدون أن فى كل جزء من أجزاء الفطيرة جميع جسد عيسى، ولو انقسمت على مائة ألف جزء فلزمكم ان يكون فى كل فطيرة مائة ألف عيسى، ثم يتضاعف ذلك بمضاعفة عدد الفطائر، وبعدد الكنائس عندكم، فيصير عيسى أعدادا لاتكاد تتناهى. وكل من قال هذا، أو اعتقده، فقد جعل الله أضحوكة للعالمين، ومسخرة للشياطين، وحسبنا الله ونعم

---

(١) انظر عبد الله الترجمان الأندلسي / تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب.
تقديم وتحقيق وتعليق د. محمود علي حماية ص ٨٨.

الوكيل[١]».

وإذا أكلنا جسد المسيح، وشربنا دمه بموجب تعليم الاستحالة، فماذا ياترى يحدث بعد ذلك. لأنّا إذا أخذنا المسيح فى أجسادنا حقيقة (أى العظام والأعضاء والعروق والمفاصل وما شاكلها) فهل تتصرف الطبيعة بحسب عادتها؟ أو يتخلص المسيح من هذا النصيب بعجيبة خاصة؟ وهذا مشكل صحيح، غير أن العقل البشرى ينفر من التأمل فيه[٢]».

وكان (وكلف) و (حناهس) ينكرون التحوّل المادى فى قداس العشاء الربانى. ويؤكدان بأنه تحول روحى[٣]. وجاء فى عقائد الدين التسع والثلاثين لكنيسة انكلترا مانصه:

«فأما استحالة جوهرى الخبز والخمر فى عشاء الرب فلا يمكن اثباتها من الكتب المقدسة، بل هى مغايرة لكلماتها الصريحة، وسالبة لماهية السرّ وسببّت وساوس كثيرة، وانما يتناول جسد المسيح ويؤخذ ويؤكل فى العشاء بنوع روحى سماوى فقط. والوسيلة التى يؤخذ بها جسد المسيح، ويؤكل فى العشاء إنما هى الإيمان ...[٤]»

ونتساءل: لماذا ادّخر المسيح سر الاستحالة إلى ليلة صلبه، ولم يدعُ إليه قبل ذلك؟

---

(١) عبد الله الترجمان الأندلسي / تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب.
تقديم وتحقيق وتعليق د. محمود علي حماية ص ٨٨/٨٩.

(٢) أنظر علم اللاهوت النظامي ج ٣ ص ١١١٥.
وانظر كذلك عبد الرحمن بك باجه جي زاده / الفارق بين المخلوق والخالق ص ٢١٤/ ٢١٥.

(٣) أنظر الدكتور / رؤوف شلبي / المسيحية الرابعة ص ١٤٨.

(٤) عقيدة ٢٨ نقلا عن علم اللاهوت النظامي ج ٣ ص ١١١٢.

ويجيبنا على هذا التساؤل الأب (بولس إلياس اليسوعى) قائلا:

«لقد ادّخر المسيح تأسيس هذا السر إلى ليلة صلبه لسببين:

(١) لكى يربطه بسر الفداء، ويجعله يتخذ نفاذه وفعاليته من آلامه وموته، فيكون فيما بعد تجديدا رمزيا لذبيحته على الصليب.

(٢) ثم لكى يمنح صلبه طابع الذبيحة الاختيارية المقدسة، بدلا من طابع الجريمة اللاحقة به من قبل اليهود[١]».

وقد حاول بعض علماء المسيحية أن يدللوا على أن المسيحيين يقولون:

بأن فاعلية سر الافخارستيا لاتتوقف علي حضور المسيح حضورا حقيقيا، تحت أعراض الخبز والخمر، بهدف أن يفلتوا من النقد الموجّه لهذه الشعيرة، ولكن هيهات لهم ذلك، وما عساهم أن يقولوا حين يسمعوا رأى أحد المسيحيين فى هذه الشعيرة، وتأكيده بأن سر العشاء المقدس لايعني الا حضور المسيح حضورا حقيقيا بلحمه وشحمه. إذن فليصغوا السمع معنا فيما يورده الأب (بولس الياس اليسوعي) بهذا الشأن حيث يقول :

« سر القربان المقدس (الافخارستيا) هو سر حضور ربنا يسوع المسيح حضورا حقيقيا بجسده ودمه ونفسه ولاهوته تحت أعراض الخبز والخمر، أنشأه السيد المسيح ليلة موته على الصليب لما أخذ خبزا وباركه، وأعطاه للرسل قائلا:

« خذوا وكلوا هذا هو جسدي الذي يبذل لأجلكم، ثم أخذ كأسا فيها

---

(١) يسوع المسيح (شخصيته وتعاليمه) ص ٣٠٧.

خمرا وأعطاهم قائلا: خذوا واشربوا من هذا كلكم. هذا هو دمي، العهد الجديد الذي يهراق عنكم، وعن كثيرين لمغفرة الخطايا. اصنعوا هذا لذكري[١]».

ثم يتابع قوله فيقول : « وقد أحال الخبز بهذه الكلمات الى جسده والخمر الى دمه، وبكلمته هذه « اصنعوا ذلك لذكرى » أعطى الرسل والأساقفة والكهنة من بعدهم سلطانا ليحوّلوا مثله الخبز الى جسده والخمر الى دمه»[٢].

وبنفس المعنى يدلي الكاتب المسيحي (نصري سلهب) في كتابه (في خطى المسيح) :

« بهذه الكلمات أنشأ يسوع سر القربان المقدس وهي كلمات واقعية حسّية لا أثر فيها للبس أو غموض، ولا يراد بها التعبير عن رمز أو فكرة مجردة، بل تدل دلالة صريحة على حدث يلمس ويرى . « هذا هو جسدي» ... و « هذا هو دمي».

إن الخبز الذي تناوله يسوع بيده، وشكره، هو عينا وفعلا جسده، وكذلك الخمر هو عينا وفعلا دمه ... ولم يكتفِ بتقديم جسده ودمه للرسل ليأكلوه في ذلك العشاء السري، بل أضاف قائلا : « افعلوا هذا لذكري»[٣].

ويقول (حبيب جرجس) :

« إن الخبز والخمر بعد التقديس يستحيلان استحالة سرية - لا تدرك

---

(١) انجيل متّى ٢٦ : ٢٦، ولوقا ٢٢ : ١٩ ، ورسالة بولس الأولى الى أهل كورنثوس ١١ : ٢٣ وما يليه.

(٢) يسوع المسيح (شخصيته وتعاليمه) ص ٣٠٦ - ٣٠٧.

(٣) ص ٣٣٤ / ٣٣٥.

بالحواس. الى جسد ودم المسيح، فإن كنّا نأكل خبزا ونشرب خمراً، إلا أننا نأكل ونشرب تحت هذين الشكلين، جسد المسيح ودمه الأقدسين»[1].

ونقول : إن تعليم الاستحالة - باقرار المسيحيين اللاهوتيين - على صورته هذه لديهم ، هو تعليم ينفر العقل منه، ولا يمكنه تصديقه. ليس هذا فحسب، بل يستبعدون أن يكون المسيح قد عمل هذا العمل الغريب العجيب، وفي ذلك يقولون :

« إذا نظرنا إلى كلام الانجيل في وضع العشاء الرباني ، رأينا أن المسيح أخذ خبزاً، وبارك، وكسّر، وأعطى تلاميذه، وقال : خذوا كلوا هذا هو جسدي».

فماذا صار يا ترى حينئذ ؟ أأخذ المسيح جسده في يده ووزعه على التلاميذ، وهل كان جالساً في كمال جسده، ومع ذلك مسك جسده الحقيقي في ذلك الوقت عينه. وهل فهم التلاميذ كلامه على هذا المعنى، وحسبوا الخبز جسده الحقيقي الجالس قدام عيونهم؟ فإذا تأملنا في هذا التعليم نفر العقل منه، ولم يقدر أن يصدقه. ولو فرضنا أن المسيح عمل هذا العمل الغريب، فمن أين لنا الدليل على أن جميع الكهنة في كل القرون في أوقات عديدة، قدروا على عمل معجزات لا تحصى عددا، بتحويل دقائق مادة بسيطة إلى جسد المسيح، بل الى أجساد لا تعدّ؛ لأن المسحاء في خبز ذلك السرّ، وخمره على قدر الدقائق المادية فيهما. وكل ذلك حمل ثقيل على العقل السليم، بل هو مخالف لكل أحكامه»[2].

---

(١) المبادئ المسيحية ج ٢ ص ١١٧ / ١١٨.

(٢) علم اللهوت النظامي ج ٣ ص ١١١٥ - ١١١٦.

ولهذا فقد كان الفهم المادي لكلمات المسيح، سببا في ردّة بعض تلاميذه عنه. حيث إنه قبل العشاء الأخير، تروى الأناجيل أن المسيح عندما أطعم بخمسة أرغفة خمسة آلاف غير نفسه وتلاميذه، وطلب إليه اليهود أن يعطيهم هذا الخبز دائما، « فقال لهم يسوع :

الحق ، الحق أقول لكم : ليس موسى أعطاكم الخبز من السماء، بل أبي يعطيكم الخبز الحقيقي من السماء؛ لأن خبز الله هو النازل من السماء الواهب حياة للعالم ... الحق الحق أقول لكم : أنا هو خبز الحياة آباؤكم أكلوا المنّ في البرية، وماتوا،. هذا هو الخبز النازل من السماء لكي يأكل منه الإنسان ولايموت، أنا هو الخبزالحي الذي نزل من السماء ان أكل أحد من هذا الخبز يحيا إلى الأبد، والخبز الذي أنا أعطي هو جسدي الذي أبذله من أجل حياة العالم.

فخاصم اليهود بعضهم بعضا قائلين : كيف يقدر هذا أن يعطينا جسده لنأكل؟ فقال لهم يسوع : الحق ، الحق أقول لكم : ن لم تأكلوا جسد ابن الإنسان، وتشربوا دمه ، فليس لكم حياة فيكم. من يأكل جسدي ويشرب دمي، فله حياة أبدية، وأنا أقيمه في اليوم الأخير لأن جسدي مأكل حق، ودمي مشرب حق. من يأكل جسدي، ويشرب دمي، يثبت فيّ وأنا فيه ... من يأكل هذا الخبز فانه يحيا الى الأبد. قال هذا في المجمع وهو يعلّم في كفر ناحوم.

ومن هذا الوقت رجع كثيرون من تلاميذه الى الوراء، ولم يعودوا يمشون معه ...»[1].

---

(١) انظر انجيل يوحنا ٦ : ٣٢ - ٣٤ ثم من ٤٨ - ٥٦ ثم من فقرة ٥٨ - ٥٩ ثم فقرة ٦٦.

وأظن رجوع الكثيرين من تلاميذه وانفضاضهم عنه بعدما سمعوا منه ما سمعوا لا يخلو من الحق والعذر*؛ لأنه فهموا من كلامه المعنى الحسي المادي، ولم يفهموه على حقيقته التي تنبثق من كلامه المبني على الاستعارة والمجاز، فلم تسغ عقولهم أكل جسده، وشرب دمه، بل أنكروا ذلك منه انكارا يبرزه تخاصم اليهود وسؤالهم : كيف يقدر هذا أن يعطينا جسده لنأكله ؟!

فجاءت كنيسة روما لتفهم فهم هؤلاء التلاميذ الكثيرين المنفضين عن المسيح، بل تذهب الى أبعد من هذ، وتدعي أن جوهر الخبز يستحيل الى جوهر جسد ربهم، وكامل جوهر الخمر الى جوهر دمه.

وبذلك انتهوا بهذا الرمز الى أعمال مُخصوصة بمفاهيم خاصة لا تتفق مع منطق العقل والشعور، فصار الخبز رمزا على جسد المسيح، وما في الكأس رمزاً على دمه، وجعلوا ذلك الرمز فريضة يجب اتيانها(١).

وسوف نرى في نهاية هذا الباب موقف ابن تيمية من شعيرة العشاء الرباني وابطاله لمزاعم النصارى حول تصديق القرآن لهذه الشعيرة بما حكاه من طلب الحواريين للمائدة، وابطاله لزعمهم أن هذه المائدة هي العشاء الرباني.

---

* طبقا لرواية يوحنا السابقة لحادثة العشاء الرباني.

(١) انظر / الأستاذ أحمد عبد الغفور عطار / الديانات والعقائد في مختلف العصور ج ٣ ص ١٩٦/٢٠٠.

الفصل السادس

الرهبانيـــة

الفصل السادس

الرهبانية

لقد تصدت النصرانية المحرفة للفطرة البشرية، التي بعث الله الأنبياء بتكميلها وتقريرها[1]. وذلك بتغييرها وازالتها، فجاءت بنظام تأباه الفطرة البشرية ولا تستسيغه، وحمّلت النفوس مالا طاقة لها به، حيث حرمت الزواج على الرهبان والراهبات، وألزمتهم بضروب من التقشف والحرمان من طيبات الحياة، وتعذيب الجسد بمختلف ألوان التعذيب، لكنها لم تفلح في محاولتها تلك؛ لأن ما فرضته على الرهبان من الغلو في الزهد ترفضه الفطرة الإنسانية وتمجّه، فكان الفساد الأخلاقي من الرهبان، وأصبحت الأديرة تعج بالمجون والخلاعة والدعارة.

وكانت « الرهبنة في أصلها فرارا من الاضطهاد الروماني، حيث عانى المسيحيون في عهد الاضطهاد صنوفا من التعسف والقسوة - كما ذكرنا* - وكان ذلك - كما يقول الكتّاب المسيحيون - تدريبا للمسيحيين على التضحية وحب الفداء. ثم بعد أن توقف الاضطهاد أصبحت الرهبنة طريقا لتحقيق الرغبة في التضحية والفداء، فقرر الذين فاتهم أن يضحوا بدمائهم، التضحية بمتعهم، فلجأوا إلى التفرد بالجبال، والابتعاد عن ضجيج الحياة والحرمان من

---

(١) ابن تيمية / النبوات ص ٤٣٠

* انظر ص ١٤٧ من هذه الرسالة.

متعها، وتعذيب الجسم بالجوع والعطش وخشن الثياب، والتبتل، وعدم الزواج، والعكوف على العبادة (المتواصلة) تقديراً للسيد المسيح الذي بذل نفسه من أجل البشر. ثم ما لبثت أن صارت جزءا من الدين وأصلا من أصوله، وركن ركين في الديانة المسيحية»[1] حيث أخذوا ينسبون إلى المسيح أقوالا تدل – كما يزعمون – على ان المسيح هو الواضع الحقيقي لأسس الرهبنة وأصولها. من هذه النصوص قوله :

« إذا أردت أن تكون كاملا فاذهب وبع أملاكك، واعط الفقراء، فيكون لك كنز في السماء، وتعال اتبعني ...

... ومن أضاع حياته من أجلي سوف يجدها ...

من ترك بيوتا أو حقولا من أجل اسمي يأخذ مائة ضعف، ويرث الحياة الأبدية»[2].

وورد في الاصحاح التاسع عشر من انجيل متّى قول المسيح :

« لأنه يوجد خصيان ولدوا هكذا من بطون أمهاتهم، ويوجد خصيان خصوا أنفسهم لأجل ملكوت السموات. من استطاع أن يقبل فليقبل»[3].

ولقد « وجّه كثير من المسيحيين همهم كله الى العمل على أن يستقبلوا

---

(١) الدكتور أحمد شلبي / المسيحية ص ٢٤٤ / ٢٤٥ طه.

وانظر كذلك الشيخ ابراهيم الجبهان / معاول الهدم والتدمير في النصرانية في التبشير ص ٧٢.

(٢) انجيل متّى ١٩ : ١٦ – ٢١.

(٣) فقرة ١٢.

يوم الحساب الرهيب طاهرين من الدنس، فكانوا لذلك يرون في كل لذة من ملذات الحواس غواية من غوايات الشيطان، ولهذا أخذوا ينددون بعالم الجسم ويعملون لكبت الشهوات بكثير من أنواع التعذيب البدني ... »[1] كما سيأتي.

هذه هي أسسهم التي يستندون اليها في شريعة الرهبانية. وقبل مناقشتها نقول :

إن هذه الروايات المروية عن المسيح، والتي فيها حث على الزهد في الدنيا وذمّها، ليس المقصود منها - على فرض صحة نسبتها إليه - ذما عاما مطلقا للدنيا وخيراتها - كما فعل الصوفية في الآيات والأحاديث الواردة في ذم الدنيا - وانما هي واردة في ذمّ الدنيا حين تصد عن الإيمان بالله، أو تصد عن الجهاد في سبيله. وذلك بسبب قسوة قلوب بني اسرائيل، وخلو نفوسهم من طراوة الحب ونداوته، وعلو أرواحهم الجفاف، وغلبة الطبيعة المادية عليهم، وحب الحياة الدنيا، فكانت دعوة عيسى هي الزهد والترفع عن الشهوات والدنايا، والقرب من الله.

أما اعتزال الحياة الواقعية بكل مافيها، واللجوء الى الأديرة، والانقطاع عن تيار الحياة، والتخلي عن عمارتها بالنسل والانتاج، فذلك أمّر مضاد لدفعة الحياة السوية كما خلقها الله[2].

ولا يمكن أن تأتي بها رسالة من رسالات الله على لسان المسيح أو غيره من الأنبياء.

والآن لنمضي في مناقشة أسسهم الدينية التي يستندون اليها في

---

(١) ول ديورانت / قصة الحضارة - الجزء الثالث من المجلد الثالث ص ٢٨٢.

(٢) الأستاذ محمد قطب / مذاهب فكرية معاصرة ص ٦٠ / ٦٢ بتصرف قليل.

الرهبانية ونصحب معنا في هذه المناقشة علما من أعلامهم هو (الأنبا باسيليوس) - مطران أبي تيج - ، حيث يبيّن لنا أن الرهبنة بمعناها الحالي إنما هي من مخترعات البشر وتدليساتهم، وان معناها الحقيقي هو التبشير بالمسيحية قولا وعملا، لا الانفراد والعزلة في الصوامع. فيقول :

« إن الرهبنة ليس لها سند، أي أن الكتاب لم يوصِ بها. وأمامنا سيرة المخلص وتعاليمه المقدسة، وهي الدستور الوحيد الذي يجب أن تسير عليه الكنيسة في سائر الأجيال، فإنه - له المجد - لم يذكر مسألة التبتل إلامرة واحدة[1] وكان كلامه عن الخصيان الذين ولدوا من بطون أمهاتهم، والذين خصوا أنفسهم لأجل ملكوت السموات، إذ قال :« إن هذا الأمر ليس لكل الناس، بل للذين أعطى لهم».

والفرق بعيد بين الوصية أو الأمر ، وبين المواهب الخاصة التي تعطى من السماء لأشخاص معينين، كما في أمر الأنبياء والرسل.

ثم إن السيد - له المجد - لما تلمذ رسله وزودهم بوصاياه وعلمهم ما يجب عليهم أن يعملوه لم يقل لهم من كان منكم متبتلا فليسكن الجبال، بل أمرهم جميعا قائلا : اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم.

إذن فالرهبنة وسكني الجبال إنما هما من اختراعات البشر، وهي اختراعات أهلكت ولاتزال تهلك أنفس كثيرين، لأنه قلّ من الرهبان من وصلت سفينته الى المينا سالمة، بل إن أكثرهم سقطوا سقوطا مريعا حتى في وسط الجبال والبراري التي تحصنوا فيها.

---

(١) انجيل متّى ١٩ : ١٢.

ثم إن هؤلاء الذين هربوا الى الجبال خوفا على حياتهم من الاضطهاد الذى حصل فى حكم الرومان فى أواخر القرن الثالث وأوائل القرن الرابع قد عارضهم آباء كثيرون فى ذلك، كما قال (ترتليانوس) : «إن الله لم يخلقنا لنعيش فى الجبال»، و(يوحنا فم الذهب) قال : «إن التوبة ليست فى لبسنا المسوح وحبس أنفسنا والمعيشة فى الخفاء بل علينا أن نشعر شعورا عميقا بالخطية ونقيس مسافة الطريق الذى يفصلنا من السماء»....

ثم يقول : من أهم ما نوجّه اليه الأنظار فى هذا الباب أمران : الأول : إننا لم نسمع قط إن الله سرّ بالذين اكتفوا بخلاص نفوسهم دون غيرهم، بل إن سروره كان ولايزال بالذين يسعون إلى خلاص النفوس. أما الذين انتهت حياتهم بعيدين عن العالم ولم يتجندوا ليسوع فسوف يسألهم عن تهاونهم.

الثانى : إن الظن بأن المعيشة فى الجبال والبرارى ترفع الانسان الى مستوى القداسة الكاملة التى تنحط دونها درجة الموجودين فى وسط العالم ، انما هو ظن باطل، ولا محل له فى تعليم الرب (!) ؛ لأنه لم يطلب من أبيه (!) تقديس مستوطنى الجبال فقط، بل طلب تقديس الموجودين فى العالم بقوله لأبيه فى صلاته «الذين أعطيتنى اياهم، قدسهم فى حقك ليكونوا هو أيضا مقدسين فى الحق، ولست بعد أنا فى العالم، أما هؤلاء فهم فى العالم احفظهم فى اسمك ليكونوا واحدا كما نحن»[1]. وماجرى فى حادثة التجلي على الجبل[2] أكبر دليل على أن السيد المسيح لا يريد أن يكون رسله، وخدام كلمته، وحملة بشارته من سكان الجبال، فإنه لما قال بطرس انه خير لنا أن نبقى هنا، كان الجواب على ذلك سقوطه هو وزميله، فأغمى عليهما من الخوف ويصفهما

---

(١) انجيل يوحنا ١٧ : ٦ – ١١.

(٢) انجيل مرقس ١٤ : ٣٢ – ٤٢، وكذلك انجيل متى ٢٦ : ٣٦ – ٤٥.

الوحي هنا بأنهما ماكانا يعلمان ما يقولان»[1].

ويغض النظر عمّا فى هذا الكلام من أمور باطلة تتضمنها ألفاظ الربوبية بالنسبة للمسيح - عليه السلام -، وألفاظ الأبوة بالنسبة لله - عز وجل - بغض النظر عن ذلك فإننا نأخذ من هذه المناقشة إبطال الأنبا (باسيليوس) للرهبنة كأساس من أسس المسيحية، وإبطال القول باتخاذ المسيح لها، وكذلك إبطال كونها طريقا للخلاص.

وقد وجدنا من الرهبان من يدعّي أن ترهّبهم إنما هو تشبه ببولس الذى عاش بتولا، وحثه للمتبتلين على عدم الزواج[2] . فما هو قولهم عندما أردف بولس وقال : «التزوّج أصلح من التحرّق»[3]؟

وما قولهم حين يوجب « أن يكون الأسقف بلا لوم بعل امرأة واحدة»[4]؟

ليس بعل امـرأة فـحـسب، بل و« له أولاد مـؤمنون ليـسـوا في شكاية الخلاعة، ولا متمردين ... »[5].

هذا هو كلام بولس. فأين منه تلك الرهبانية المدعاة ؟!

---

(١) صوت الحق في البتولية في العهدين القديم والجديد والأساقفة الشبان ج١ ص ١٠ - ١٤ بتلخيص.

(٢) اشارة الى ما جاء في الرسالة الأولى الى أهل كورنثوس (٧ : ١ - ٨).

«وأما من جهة الأمور التى كتبتم لي عنها فحسن للرجل أن لا يمسّ امرأة، ولكن لسبب الزنا ليكن لكل واحدا امرأته وليكن لكل واحدة رجلها...

ولكن أقول هذا على سبيل الأذن لا على سبيل الأمر، لأني أريد أن يكون جميع الناس كما أنا. لكن كل واحد له موهبته الخاصّة من الله، الواحد هكذا والآخر هكذا. ولكن أقول لغير المتزوجين وللأرامل أنه حسن لهم اذا لبثوا كما أنا»

(٣) الرسالة الأولى الى أهل كورنثوس ١ : ٩.

(٤) الرسالة الأولى الى تيموثاوس ٣ : ٢.

(٥) الرسالة الى تيطس ١ : ٦.

ثم نتساءل : هل اختيار رجال الدين من فئة الرهبان مطابق لما جاء في الأسفار المقدسة لديهم؟

الواقع ليس كذلك، فقد أعلن بولس في الاصحاح الأول من رسالته الى أهل رومية بوقوع الفحشاء، وصدورها عن الأمة النصرانية وما ذلك إلا لأسباب عدة منها :

منع الزواج على الرؤساء ، حيث يقول :

« ... لذلك أسلمهم الله الى أهواء الهوان؛ لأن إناثهم استبدلن الاستعمال الطبيعي بالذي على خلاف الطبيعة، وكذلك الذكور أيضا، تاركين استعمال الأنثى الطبيعي اشتغلوا بشهوتهم بعضهم لبعض، فاعلين الفحشاء ذكورا بذكور، ونائلين في أنفسهم جزاء ضلالهم المحق»(١).

كما وان من مبادئ النصرانية - حسبما جاء في أسفارهم - أن رجال الدين عليهم أن ينشغلوا في الوعظ والارشاد، ولا ينشغلوا بالمال واقتنائه وتكديسه. وفي ذلك يقولون :

« لا يحسن أن نترك كلمة الله، ونخدم الموائد، فاختاروا أيها الأخوة سبعة رجال منكم يشهد لهم بالفضل، قد ملأهم الروح والحكمة، فنقيمهم على هذه الحاجة، ونحن نواظب على الصلاة، وخدمة الكلمة»(٢).

وما نراه اليوم عكس ذلك تماما، حيث أصبح همّ الرهبانية الوحيد هو جمع المال من الشعب لافقاره دائما حتى يكونوا مسيطرين عليه، كما أصبح

---

(١) فقرة / ٢٦.

(٢) سفر أعمال الرسل ٦ : ١ - ٦.

همهم أن تكون لهم الرئاسة، وأصبحت فئة الرهبان هي الفئة التي حرمت المسكين والفقير من حقوقه[1].

وانه لتتضح لنا مجافاة الرهبانية للفطرة الإنسانية، وتعطيلها للملكات البشرية أن تنطلق في الدعوة الى الحق، وعمل الخير. وبشاعتها كسلوك غير كريم في الحياة - إنه ليتضح لنا ذلك كله، إذا عرفنا ما هو واجب على الرهبان أن يفعلوه وعرفنا نماذج من سلوك بعض هؤلاء الرهبان.

فعلى الرهبان أن يلتزموا في رهبانيتهم بما يأتي :

(١) الغلو في الزهد في الدنيا : وفي ذلك يقول صاحب كتاب « المشكلة الأخلاقية - والفلاسفة ».

« لنقرأ هذا السفر الطريف » محاكاة المسيح » للراهب (أوغسطين) انه سفر من أكبر أسفار التبتل المسيحي، ولنطلب بين صحائفه مظاهر الحياة بمعناها الصحيح، وان ما نجده لمعبّر عن الحال أبلغ عبارة :

احتقار أساسي لكل علم حتى ليشمل ذلك علم الالهيات، واحتقار أصيل لكل ما نسميه خيرات هذا العالم : الثراء، والشرف الاجتماعي، حتي المركز الوسط. وانه لحتم علينا أن نستشعر دائما التواضع والندم، وأن نمارس عمليا على الدوام التضحية وكل مظهر تمليه الرحمة، وأن نجمع حواسنا في صمت وذهول تام، وتأمل ديني ينس المرء فيه كيانه. يجب أن نقتل فينا كل ميل دنيوي، يجب أن يموت عالم الرغبة، يجب أن نبدأ من هذا العالم الزائل، ما سوف يكون لنا الوجود الأبدي»[2].

---

(١) انظر مجلة رسالة الحياة المسيحية / السنة الأولى العدد الحادى عشر ص ١٩٤ / ١٩٥.

(٢) ص ١١٥ نقلا عن سفر عبد الرحمن الحوالى / العلمانية ص ٩١.

ثم يعلّق على هذه التعاليم قائلا :

« عظمة وعلاء ، ولكنه قضاء قاس على الانسانية، وان التطبيق الكامل لمثل تلك المبادئ ليمكن أن يملأ الأرض بأديرة فيها الرجال من جهة، والنساء من جهة أخرى ينتظرون في طهارة وتأمل الزوال النهائي للنوع الإنساني»(١).

(٢) الابتعاد عن النساء وعدم التزّوج : يقول (ول ديورانت) في ذلك :

« كانت الكنيسة منذ زمن بعيد تعارض زواج رجال الدين بحجة أن القس المتزوج يضع ولاءه لزوجه وأبنائه في منزلة أعلى من إخلاصه للكنيسة ... وأنه سيحاول أن ينقل كرسيه أو مرتبته لأحد أبنائه ... يضاف الى هذا أن القس يجب أن يكرس حياته لله، والكنيسة، وبني الإنسان، وأن مستواه الأخلاقي يجب أن يعلو على مستوى أخلاق الشعب، وأن يضفي عليه مستواه هذا المكانة التي لابدّ منها لاكتساب ثقة الناس واجلالهم اياه»(٢). « بوجوب التبتل على رجال الدين، وتطليق زوجات المتزوجين منهم، وكان لهذا آثار امتدت الى القرن السادس عشر، وانتهت بانتصار الكنيسة»(٣).

وأساس ذلك أن المسيح لم يتزوج، وقد جاء على لسانه – حسب زعمهم – :

« يوجد خصيان خصوا أنفسهم لأجل ملكوت السموات، من استطاع أن

---

(١) أنظر : كرسون / المشكلة الأخلاقية والفلاسفة / ترجمة عبد الحليم محمود ص ١١٥ نقلاً عن سفر عبد الرحمن الحوالى / العلمانية ص ٩١.

(٢) قصة الحضارة الجزء الثالث من المجلد الرابع رقم ١٤ ص ٣٨٣ / ٣٨٤.

(٣) تاريخ أوربا في العصور الوسطى / أ. هـ. فشر / ترجمة مصطفى زيادة ج٢ ص ١٥٢ نقلا عن العلمانية / سفر عبد الرحمن الحوالى ص ٩٠.

يقبل، فليقبل »[1].

(٣) ضرورة الافراط في العبادة وعقوبات الاخلال بها :

« يفرض نظام الحياة الرهبانية على الراهب أن يكون في حالة عبادة مستمرة، وعليه أن يجهد نفسه ويرهقها، ويكلفها مالا تطيقه من الصلوات والصيام والتراتيل والترانيم وسائر الطقوس»[2].

ومن أمثلة ذلك : تعاليم التقديس (كولمبان) الذي أسس الأديرة في جبال الفوج بفرنسا، حيث كان من تعاليمه :

« يجب أن تصوم كل يوم ، وتصلي كل يوم، وتعمل كل يوم، وتقرأ كل يوم. وعلى الراهب أن يعيش تحت حكم أب واحد، ويجب أن يأوي الى الفراش وهو متعب يكاد يغلبه النوم وهو سائر في الطريق»[3].

وأقام (كولمبان) – كما يذكر (ول ديورانت) – « نظام الحمد الذي لاينقطع، فقد كانت الأوراد يتلوها بلا انقطاع ليلا ونهارا طائفة بعد طائفة من الرهبان يوجهونها الى عيسى ومريم والقديسين»[4].

« وكانت العقوبات صارمة أكثر ما تكون بالجلد :

ستة سياط إذا سعل وهو يبدأ ترنيمة أو نسي أن يدرم أظافره قبل تلاوة

---

(١) انجيل متّى ١٩ : ١٢.

(٢) سفر عبد الرحمن الحوالى / العلمانية ص ٩٢.

(٣) ول ديورانت / قصة الحضارة الجزء الثالث من المجلد الرابع رقم ١٤ ص ٣٦٥.

(٤) المرجع السابق.

القداس، أو تبسم أثناء الصلاة، أو قرع القدح بأسنانه أثناء العشاء الرباني.

وكانت اثنا عشر سوطا عقاب الراهب إذا نسي أن يدعو الله قبل الطعام، وخمسون سوطا عقاب المتأخر عن الصلاة، ومائة سوط لمن يشترك في نزاع،ومائتا سوط لمن يتحدث من غير احتشام مع امرأة»[1].

والطاعة التامة هذه التي يدين بها الرهبان لرؤسائهم إنما يرجعونها الى ماجاء في الانجيل عن المسيح : « مع كونه ابنا تعلم الطاعة»[2].

هذا وان صور التعذيب الذي يمارسه الرهبان إنما يعبرون به عن قوة ايمانهم فـ « هناك راهب منعزل، اخترع درجة جديدة من الورع يربط بها نفسه بسلسلة الى صخرة في غار ضيق»[3].

أما القديس (كولمبان) فقد « كانت السناجب تجثم - في اطمئنان - على كتفيه، وتدخل في قلنسوته، وتخرج منها[4] وهو ساكن لا يبدي حراكا.

وروى المؤرخون من ذلك عجائب : فحدثوا عن الراهب (مكاريوس) « أنه نام ستة أشهر في مستنقع ليقرض جسمه العاري ذباب سام، وكان يحمل نحو قنطار من حديد. وكان صاحبه الراهب (يوسيبس) يحمل نحو قنطارين من حديد، وقد أقام ثلاثة أعوام في بئر نزح.

وقد عَبد الراهب (يوحنا) ثلاث سنين قائما على رجل واحدة، ولم ينم ولم

---

(١) المرجع السابق.

(٢) الرسالة الى العبرانيين ٥ :٨.

(٣) هـ. ج. ولز / معالم تاريخ الانسانية ج٣ ص ٧٣٢.

(٤) ول ديورانت / قصة الحضارة الجزء الثالث من المجلد الرابع رقم ١٤ ص ٣٦٦.

يقعد طول هذه المدة، فإذا تعب جداً أسند ظهره الى صخرة.

وكان بعض الرهبان لايكتسون دائما، وإنما يتسترون بشعرهم الطويل، ويمشون على أيديهم وأرجلهم كالأنعام، وكان أكثرهم يسكنون في مغارات السباع والآبار النازحة والمقابر، ويأكل كثيراً من الكلأ والحشيش، وكانوا يعدون طهارة الجسم منافية لنقاء الروح، ويتأثمون عن غسل الأعضاء.

وأزهد الناس عندهم، وأتقاهم، أبعدهم عن الطهارة، وأوغلهم في النجاسات والدنس. يقول الراهب (اتهيمنس) :

إن الراهب (أنتونى) لم يقترف اثم غسل الرجلين طول عمره.

وكان الراهب (ابراهام) لم يمسّ وجهه ولا رجله الماء خمسين سنة. وقد قال الراهب الاسكندرى بعد زمن متلهفاً :

وا أسفاه! لقد كنا في زمن نعدّ غسل الوجه حراما، فإذا بنا الآن ندخل الحمامات»[١].

وقد أرجع المسيحيون هذا التعذيب البدني (الجنوني) الى الاقتداء بالسيد المسيح في زهده واحتماله الآلآم، وبما جاء في أعمال الرسل : «إنه بمضايقات كثيرة ينبغي أن تدخل ملكوت الله»[٢].

ولعل الباحث في تاريخ مقارنة الأديان يجد أن المسيحيين يتبعون في ترهبهم هذا الاتجاه الهندي القائم على «الزهادة المفرطة بالصوم، وأرق الليل،

---

(١) أنظر أبو الحسن الندوى / ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ص ١٨٧ ط ٤ دار الانصار.

(٢) ١٤ : ٢٣.

وتعذيب النفس»[١] والحافل بالبؤس ومحاربة الملاذ، حيث إن من ضمن تعاليم الهندوس في هذا الشأن قولهم :

عوّد نفسك على تقلبات الموسم، فاجلس تحت الشمس المحرقة، وعش أيام المطر تحت السماء، وارتد الرداء المبلل في الشتاء، لا تفكر في الراحة البدنية، اجتنب سائر الملذات... ماقيمة الجسد والأفراح والثروة والجاه والملك ان كان محتميا علينا أن نموت...»[٢].

هذا المنحي هو عينه منحي المسيحيين في ترهبهم وانقطاعهم للعبادة، ولعلهم أخذوه عنهم. والكاتب المسيحى (هـ.ج. ولز) يؤكد لنا تأثر المسيحيين بمن سبقهم من البوذيين واليهود والمصريين في الترهب والانعزال. ويذكر أن الأديرة كانت منتشرة في العلم قبل مجيىء المسيحية فيقول :

«كانت الأديرة موجودة في العلم قبل ظهور المسيحية، وفي الفترة التى ألمّ فيها الشقاء الاجتماعي باليهود قبل زمان يسوع الناصرى، كانت طائفة من النساك الاسّينيين* تعيش منعزلة في مجتمعات، وقد وهبت نفسها لحياة تقشفية من الوحدة والطهر، وانكار الذات. كذلك أنشأت البوذية لنفسها مجتمعات من رجال اعتزلوا الجهود العامة والتجارة في العالم؛ ليعيشوا عيشة

---

(١) الدكتور أحمد شلبى / الهندوسية ص ٦٩ ط ٣.

(٢) المرجع السابق ص ٧١، ٧٢.

* الأسينيون : طائفة إخاء يهودية دينية كانت تعيش عيشة شظف وتقشف وانعزالية وقد نشأت – على الأغلب – في القرن الثانى قبل الميلاد واقتبست من مدارس الاسكندرية كثيرا من أنظمة العبادات السرية وبعض المذاهب الفلسفية كمذهب فيثاغورث الذى يحرم ذبح الحيوان ويدعو الى التقشف والقناعة بالقليل. أنظر عباس محمود العقاد في موسوعته توحيد وأنبياء المجلد الأول ص ٥٧٨ – ٥٨٠.

التقشف والتأمل... ونشأت في زمن مبكرا جدا من تاريخ المسيحية حركة متشابهة لهذه تتنكب مايغمر حياة الناس اليومية من منافسة وحمية وشدائد. وفي مصر على وجه الخصوص، خرجت حشود كبيرة من الرجال والنساء الى الصحراء، وهناك عاشوا عيشة عزلة تامة، قوامها الصلوات والتأملات، وظلوا يعيشون في فقر مدقع في الكهوف أو تحت الصخور على الصدقات التى تقذفها اليهم الصدفة من أولئك الذين يتأثرون بقداستهم»(١).

وتأكيدا لما قاله (ولز)، يقول الانبا (باسيليوس) – مثبتا أنّ الرهبنة ليست من المسيحية، وانما هي وثنية :–

«انّ الذين أسسوا الرهبنة في بلادنا المصرية، وهم الآباء (أنطونيوس، ومكاريوس، وباخوميوس) وغيرهم، لم يقتبسوا هذه الطريقة من الكتب المقدسة، بل اقتبسوها ممن كانوا متمسكين بها منذ أجيال طويلة قبل ظهور الديانة المسيحية؛ لأنّها كانت شائعة بين اليهود والوثنيين، حيث يرجع تاريخها عند اليهود الى عصر (أيليا واليشع) اللذين عاشا في الجيل العاشر قبل الميلاد. وقد يكون تاريخها قبل ذلك. أمّا عند الوثنيين فتبتدىء من عصر بوذا معبود الصينيين، الذى ولد في أوائل القرن الخامس قبل الميلاد.

فمما عرف عن هذا الرجل، أنّه بعد أن تزوّج مال فجأة لترك العالم، وممارسة عيشة النسك، فهجر زوجته، وذهب الى احدى الغابات، فسكنها سبع سنوات. وهكذا بعض طوائف اليهود تأمر كهنتها بالبتولية، ورياضة النفس على التقشّف، والزهد.»(٢).

---

(١) معالم تاريخ الانسانية / ج٣ ص ٧٣٠ /٧٣١
وانظر كذلك عباس محمود العقاد في موسوعته (توحيد وأنبياء) المجلد الأول ص ٥٧٨ / ٥٨١

(٢) صوت الحقّ في البتولية في العهدين القديم والجديد والأساقفة الشبان ج١ ص ٩، ١٠

ويرى آخرون : أنّ الرهبنة جاءت للمسيحية من ديانة الرومان (فستا)، التى كانت قبل المسيح بألف عام؛ لأنّ (رملس) اله الرومان كان ابن (ريا سلفيا)، ابنة أحد الأمراء التى نذرت العفة، وانخرطت في سلك العذارى، المقيمات في هيكل الاله (فستا) للعبادة»[1].

«بدأت الرهبانية المسيحية إذن - كما قلنا آنفا - في مصر وفلسطين، فعاش الرهبان المتوحدون في الصحراء، وأشهرهم : القديس (انطونيوس) (في القرن الرابع الميلادى)، ومعاصره القديس (باخوميوس) الذى أدخل نظام الرهبنة الجماعية في مصر.

وعرفت الرهبنة في (ايرلندا) في القرن السادس الميلادى. وظهر (البندكتيون) في الوقت نفسه بايطاليا، وامتدوا منها الى بلاد أوربية أخرى، أصبح نظامهم شائعا في القرن العاشر، وامتد الى جميع أنحاء أوربا.

وفي القرن الثالث عشر ظهر (الدومينيكان والفرنسيسكان) الذين كان لهم أثر واضح في الحياة العقلية بمدن أوربا الكبرى، ونهضوا بالمدارس والجامعات، وعنوا خاصة بالفلسفة الأرسطية.

ومن مميزاتهم : أن أصبحت الرهبنة عالمية، فلا يرتبط الراهب بدير معين، بل هو عضو في الجماعة بأسرها.

وضعفت الرهبنة في القرن الخامس عشر على أثر الاصلاح الديني، وحاربتها البروتستانتية في البلاد التى سادت فيها.

---

(١) المستشار محمد عزت اسماعيل الطهطاوي / النصرانية والاسلام صفحة ٧٣.

ومنذ القرن السابع عشر ظهرت رهبنات أخرى جديدة للرجال والنساء في شتى أنحاء العالم»(١).

ورغم أن المسيحيين قد ابتدعوا الرهبانية طلبا للتضحية والفداء، فإنهم لم يرعوها حق رعايتها. قال تعالى : {ورهبانية ابتدعوها ماكتبناها عليهم إلاّ ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها...}الآية (٢)؛ وذلك لتحميلهم النفوس مالا طاقة لها به، وكبتها، وتعذيبها من غير ضرورة ولا نص من كتاب. فكان أن اصطدمت مع الفطرة السوية التى خلق الله عليها الخلق، وكان بالتالي أن تحولت الأديرة الى حانات للخمور ومواخير للفساد، ومباءة للقذارة الحسية والمعنوية، يتعفّف عنها الرجل العادي أو الفتاة العادية، وتبعث على التقزز والنفور. بالاضافة إلى أنه قد أصبح حرص الرهبان على المراتب – التى تجعل الرهبانية سلما لارتقاء ذروتها – أكثر من حرصهم على الرهبانية ذاتها التى تحثّ على التفرغ للعبادة، وعدم الانشغال بالدنيا(٣).

«وقد وصل الحال بنصارى الشرق – وربما كانوا أكثر حياء وأشد تمسّكا – إلى حدّ أن المستهترين من الخلفاء والشعراء المجّان كانوا يرتادون الأديرة، كما يرتاد رواد الدعارة اليوم بيوت العهر، وألّفوا في ذلك كتبا، منها كتاب (الديارات) لأبى الحسن الشابشتي المعروف لدى دارسي الأدب العربى»(٤).

«لقد استخفّ الرهبان – وهم يقسمون بأن يبقوا عزابا – بقوة الغريزة الجنسية، وكثيرا ما يعبرون عن رؤاهم القدسية الروحية بعبارات مستعارة من

---

(١) محمد شفيق غربال / الموسوعة العربية الميسرة ص ٨٨٢.

(٢) سورة الحديد / آية ٢٧.

(٣) الأستاذ محمد قطب / مذاهب فكرية معاصرة ص ٦٢.

(٤) سفر عبد الرحمن الحوالى / العلمانية ص ٩٤ / ٩٥.

العشق الآدمى»[1].

«وقد علمنا عن طريق كتابهم (المقدس!) أن الشيطان قد جاء إلى إلههم واراد غوايته وتضليله بطلبه السجود له. فإذا كان هذا هوحال الههم مع الشيطان، فكيف هو حال الأساقفة والرهبان حين يختلون في مخادع الكنائس بالغانيات والغلمان المرد، يجريونهم بوسيلة الغفران»[2].

لقد تدهورت الأديرة، وانحطت أخلاقيات رجال الدين والرهبان انحطاطا أوصلها الى الدرك الأسفل من الدعرة والمجون والفسق. «فالراهبات يجتمعن في خلوات المعابد مع فحول الرهبان الممنوعين من الزواج ليلا ونهارا بدون رقيب»[3]. «ويبحن لهم أعراضهن رحمة بهم، ومن تفعل هذا منهن تكون عندهم مشكورة محمودة ، ويدعى لها بالخير، ويقال للفاعلة : لا ينسى لك المسيح هذه الرأفة والرحمة»[4].

ويشرح (سانت أدور) رئيس دير (كلونى) حال الأديرة التى كان المفروض فيها أن تكون مكانا للعفة والطهارة بدلا من أن تصبح مأوى وملاذاً للدعارة والعهر والخلاعة، مبينا أن هذه الحال التى وصلت اليها الأديرة رأس الفتنة فيها هم الذين يتسترون تحت شعار الدين ويتسمون باسمه، إنهم رجال الدين، والدين منهم برىء، وابن العذراء برىء منهم أيضا. يقول في ذلك :

---

(١) ول ديورانت / قصة الحضارة الجزء الثالث من المجلد الرابع رقم ١٦ ص ١٠٩.

(٢) الشيخ عبد الرحمن بك باجه جى زاده / الفارق بين المخلوق والخالق ص ٣٣٥.

(٣) المرجع السابق ص ٣٣٤.

(٤) انظر القاضى عبد الجبار الهمدانى / تثبيت دلائل النبوة ص ١٦٩ / ١٧١ نقلا عن الشيخ ابراهيم الجبهان معاول الهدم والتدمير في النصرانية وفي التبشير ص ٧١.

«إن بعض رجال الدين في الأديرة وفي خارجها يستهترون بابن العذراء استهتارا يستبيحون معه ارتكاب الفحشاء في ساحاته نفسها، بل في تلك البيوت التى أنشأها المؤمنون الخاشعون؛ لكي تكون ملاذا للعفة والطهارة في حرمها المسور.

لقد فاضت هذه البيوت بالدعارة حتى أصبحت مريم العذراء لا تجد مكانا تضع فيه الطفل عيسى...»(١).

فلم تكن هذه الأديرة حصنا من الفساد، أو عاصما من السقوط في مخالب ابليس، بل إن أوائل الرهبان سقطوا سقوطا مريعا نتيجة الكبت للجسد الانساني. والتاريخ الأوربي ملىء بالأخبار عن البابوات الذين ارتكبوا الفواحش والفجور، وماذلك الاّ بسبب حجر أنفسهم عن الزواج، ومغالبة الطبع السوى والفطرة السليمة. ومما جاء في ذلك :

«أن راهبا متوحدا وصل الى سنّ الشيخوخة تمثل له الشيطان (!) بزي امرأة تائهة، وقد أرخى الليل عليها سدوله، وخوفا على حياتها لجأت اليه لتبيت عنده تلك الليلة حتى مطلع النهار، ثم تنصرف الى حال سبيلها. فقبلها عنده، وبوجودهما معا دار الحديث بينهما على عدم لزوم الرهبنة والوحدة، الى أن مالت نفسه لفعل الخطيئة مع تلك المرأة، وبذلك صرعه الشيطان، فمات كما مات غيره في الفساد»(٢).

وفي أحد الأخبار أيضا : أن البابا (اكلينمضوس الخامس عشر) كان

---

(١) نقلا عن ول ديوارنت / قصة الحضارة الجزء الثالث من المجلد الرابع رقم ١٤ ص ٣٧٢ / ٣٧٣.

(٢) الأنبا باسيليوس / صوت الحق في البتولية في العهدين القديم والجديد والأساقفة الشبان ج ١ ص١٦.

يتجول في فينّا وليون لجمع المال، ومعه عشيقته.

وان البابا (يوحنا الثانى عشر) قتل وهو معانق لامرأة، وكان القاتل له زوجها.

وان البابا (يوحنا الثالث عشر) ذكر بأنه سمّ سلفه، وباع الوظائف الكنائسية، وأنه كافراً ولوطيا معا»(١).

واذا كان هذا هو حال أوائلهم الذين ترهبوا حبًا في العبادة والطهر فقط، وهذا هو حال باباواتهم. وهم رؤساء الرؤساء الدينية - الذين جعلوا أنفسهم عنوان العفة والفضيلة، فما هو ياترى حال رهبان هذا الزمن الذى تفشت فيه الرذائل، وتعددت فيه العثرات، بل ما هو حال من هم أدنى منهم مرتبة.

جاء في مجلة (رسالة الحياة) المسيحية مايدلنا على النتائج الوخيمة التى ترتبت على الرهبنة. تقول المجلة :

«تحتوي الأديرة على فساد عميق، وهيهات أن يوجد بها من يصلح للبقاء، إذ أنها تضمّ بين جدرانها أفّاقين أولى بهم غيابات السجون»(٢).

ويقول الشيخ (ابراهيم الجبهان) - معلقا على ممارسة الرذيلة في الأديرة، وساخرا من ذلك :-

«لعلّ سماحهم بممارسة الرذيلة في الأديرة هو أحد أسرارهم المقدسة التى لا يبحون بها إلاّ لمن ارتقى الدرجات العليا في سلّم الكهانة»(٣).

---

(١) أنظر / عبد الرحمن بك باجه جى زاده / الفارق بين المخلوق والخالق ص ١٤١ / ١٤٢.

(٢) السنة الأولى العدد الخامس ص ٧٤.

(٣) معاول الهدم والتدمير في النصرانية وفي التبشير ص ٧١.

وعلماء المسيحية المصلحون يئنون الآن ويصرخون في هلع من هذه البدع والمستنكرات والمفاسد، ويطالبون باجتثاث هذه البدعة فيقولون :

«قد ثبت لدينا بالدليل القاطع أن الرهبنة أصل كل الشرور وأصبحت الأديرة أوكار للفساد، فيجب علينا استئصالها من جذورها ومحوها من الوجود، والرجوع الى الحالة الأولى في انتخاب الرعاة[١] من خيار الشعب»[٢].

ويقول الدكتور (رمزى جرجس) في التدليل على فساد الأديرة :

«إن منشىء الرهبنة الأنبا (انطونيوس) قال لزميله (مكاريوس) : «قم يامقارة، اقفل الديارة، لأن الرهبنة فسدت».

فإذا كان هذا حكم منشىء الرهبنة على زملائه الذين ربّاهم وعلّمهم، فكم يكون حكمه على رهبان هذا الزمن المنكود»[٣].

وبين يدىّ الآن كتاب (الديارات / لأبى الحسن الشابشتى) فلنقلب صفحاته، لنر ماذا يحدثنا عن الأديرة ومفاسدها كنماذج فقط .

النموذج الأول: دير الجاثليق:

وهو لا يخلو من المتنزهين فيه، والقاصدين له، ومن يألفه من أهل الخلاعة والبطالة. قال فيه أحد الشعراء :

---

(١) أى رعاة الكنيسة.

(٢) مجلة رسالة الحياة المسيحية السنة الأولى العدد الثانى ص ١٩.

(٣) المرجع السابق السنة الأولى العدد الخامس ص ٧٤.

تذكرت دير الجاثليق وفتية بهم تم لى فـيـه السـرور وأسـعـفـا
بهم طابت الدنيا وتم سرورها وسـالمني صـرف الزمـان وأنصـفـا
ألا ربّ يوم قد نعمت بظله أبادر من لذات عـيـشـى مـاصـفـا
أغـازل فـيـه أدعج الطرف أهيـفـا وأسـقى به مـسكيـة الريح قرقـفـا [1]

النموذج الثانى : دير قوطا :

يجمع هذا الدير أحوالا كثيرة منها :

إن الشراب هناك مبذول، والحانات كثيرة. ومنها :

إن في هذا الموضع مايطلبه أهل البطالة والخلاعة من الوجوه الحسان.

ولعبد الله بن العباس بن الفضل بن الربيع[2] فيه :

يا دير قـوطا لقـد هيـجت لى طربا أزاح عن قـلبي الأحـزان والكربا
كم ليلة فـيك واصلت السـرور بهـا لما وصلت لهـا الأدوار والنخـبـا
في فتـية بذلوا فـي القصف مـا ملكوا وأنفـقـوا في التـصـابي المال والنشـبا
أقـمت بالدير حـتى صـار لى وطنا من أجله لبـست المسح والصلبـا
وصـار شـمـاسه لى صـاحـبـا وأخـا وصـار قـسـيـسـه لى والداً وأبا

(١) القرقف اسم من أسماء الخمر. انظر الكتاب المذكور ص ٢٨.
(٢) شاعر أديب عاش في أيام المعتصم.

وكان عبد الله هذا صاحب غزل ومجون كثير التطرح في الديارات والحانات والاتباع لأهل اللهو والخلاعة[1].

النموذج الثالث: دير الكَلْب:

ويجتمع اليه أهل الرفث والمجّان، وتسمع به الأغاني وأنواع الملاهى، وتذبح به الذبائح وتشرب الخمور[2].

ومن أراد الاستزادة، فليرجع الى الكتاب المذكور فهو ملىء بالأخبار عن الديارات ومافيها من رذائل تقشعر لها الأبدان، ويندى لها الجبين.

واذا كان لنا، من كلمة نعقّب بها على الرهبانية، وما فيها من الفساد، فلنثبت هنا ما قاله الأستاذ محمد قطب في ذلك، حيث يقول: صحيح إن الله أحب لعباده أن يتخففوا من متاع الأرض، ليفرغوا الى القيم العليا الجديرة بالانسان، ووعدهم على ذلك بالجنة، وجعل ذلك هو الابتلاء الذى يخوضه الانسان في الأرض .

{انا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا}[3]. ولكن الله لم يحرّم متاع الأرض.

وهناك أفراد - أفذاذ - يستطيعون أن يتخففوا من متاع الأرض الى أقصى حدّ دون أن يشغلهم الشعور بالحرمان عن الحركة والنشاط، والعمل بايجابية كاملة، أولئك هم الزهاد على بصيرة. وقد كان محمد صلى الله عليه وسلم إمام الزاهدين، وهو أكبر طاقة ايجابية حركية عرفتها البشرية.

---

(١) ص ٦٢ / ٦٣.

(٢) ص ٤١٥.

(٣) سورة الكهف / آية ٧.

ولكن الرهبانية ليست كذلك... انها اعتزال للحياة الواقعية، ولياذ بالأديرة، وكبت للغرائز الجسدية.

لذا كانت مضادة للفطرية السوية التى خلق الله عليها الخلق. وصدق الله العظيم إذ يقول :

{ورهبانية ابتدعوها ماكتبناها عليهم الا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم وكثير منهم فاسقون}(١).

وسوف نذكر في الفصل الأخير من هذا الباب ما يوجهه ابن تيمية من نقد وابطال للرهبانية، مبينا أنها ليست من المسيحية الصحيحة في شئ.

---

(١) سورة الحديد / آية ٢٧. إنظر مذاهب فكرية معاصرة ص ٦٠ / ٦٢.

الفصل السابع

تحليل النصارى لأكل لحم الخنزير

الفصل السابع
تحليل النصارى لأكل لحم الخنزير

الخنزير هو من الحيوانات النجسة والقذرة، ولم يكن مألوفًا أكله في الأمم المتقدمة لقذارته ونجاسته، ولأن لحمه يولّد بعض الأمراض وهو من الحيوانات المحرم أكل لحومها في اليهودية.

ففى التوراة ما جاء من قول الرب – محذرًا بني اسرائيل، وناهيا اياهم عن أكل لحوم بعض الحيوانات ومن بينها لحم الخنزير – من ذلك ما جاء في سفر اللاويين : «وكلّم الرب موسى وهارون قائلا لهما : كلّما بني اسرائيل قائلين : هذه هى الحيوانات التى تأكلونها من جميع البهائم التى على الأرض، كل ماشق ظلفا وقسمه ظلفين، ويجتّر، من البهائم، فإياه تأكلون»[1].

ثم بعد ذلك سرد عليهما الأشياء المحرم أكلها على بني اسرائيل مبينا علة التحريم فيها فقال :

«الجمل، لأنه يجترّ، لكنه لا يشقّ ظلفا، فهو نجس لكم. والوبر، لأنه يجترّ، لكنه لا يشق ظلفا، فهو نجس لكم.

والأرنب، لأنه يجترّ، لكنه لا يشق ظلفا، فهو نجس لكم.

---

(١) ١١ : ١ – ٣.

والخنزير، لأنه يشق ظلفا ويقسمه ظلفين، لكنه لا يجترّ، فهو نجس لكم، من لحمها لا تأكلوا وجثتها لا تلمسوا، إنها نجسة لكم[1].

ونفس التحريم والنهي جاء في سفر التثنية حيث قال :

«... والخنزير، لأنه يشق الظلف، لكنه لا يجترّ، فهو نجس لكم، فمن لحمها لا تأكلوا وجثتها لا تلمسوا»[2].

وقد بقي اليهود ملتزمين بتحريم لحم الخنزير طاعة لهذه النصوص، بل ظلوا ملتزمين بذلك حتى في عصور الاضطهاد مضحّين بأنفسهم في الالتزام بما تفرضه الشريعة الموسوية من واجبات.

ففي محاولة من أحد ملوك سوريا للقضاء على الديانة اليهودية في عصر ماقبل الميلاد، يذكر لنا مؤلفو قاموس الكتاب المقدس أنه «في عصر (انتيخوس ابيفانيس)* كانوا يأمرون اليهود بأكل لحم الخنزير للتأكد من عدم بقائهم على دينهم القديم، والولاء لدين غزاتهم وحكامهم»[3].

ويسجل (وليم بركلى) ثبات اليهود على تحريم لحم الخنزير رغم مالاقوه من اضطهاد قائلا :

«... ولكنهم (أى اليهود) بذلوا أنفسهم بالمئات للموت، ولم يخضعوا لهذا

---

(١) سفر اللاويين ١١ : ٨٤.

(٢) ١٤ : ٨. وانظر كذلك سفر الأمثال ١١ : ٢٢.

* هو انطيخوس الرابع أو (ابيفانيس) ملك سوريا من ١٧٥ – ١٦٣ ق.م. وقد أراد أن يمحق الديانة اليهودية فثار المكابيون ضده. انظر قاموس الكتاب المقدس ص ١٢٦.

(٣) نخبة من ذوي الاختصاص ومن اللاهوتيين ص ٣٥٠.

الأمر»[١].

واستشهد بما جاء في سفر مكابيين الأول* مانصه :

«ولكن كثيرين من اليهود تمسكوا بوصية الههم، ولم يأكلوا نجسا،

إنهم فضلوا أن يموتوا على أن يأكلوا لحما نجسا فينقضواالعهد المقدس، ولذلك ماتو»[٢].

وأورد قصة مروعة عن سيدة يهودية عجوز كان لها سبعة أبناء (يهود) رفضوا جميعا أن يأكلوا لحم الخنزير رغم ما تعرضوا له من تعذيب على يد مضطهديهم، ومات الواحد منهم تلو الآخر تحت عيني أمهم، لكنها لم تحرك ساكنًا، ولما امتنعت هى الأخرى عن الأكل قتلوها آخر الكل[٣].

وهذا يعني أنهم متمسكون بنصوص التوراة القاطعة بتحريم أكل لحم الخنزير حتى فضلوا الموت على مخالفة أحكامها.

وربما نجحت الاضطهادات في صرف بعض اليهود عن الالتزام بتحريم لحم الخنزير، أو تهاون بعضهم في الالتزام بذلك، وهو ما يسجله سفر أشعياء على لسان الرب في شأن اليهود قائلا :

«شعب يغيظني بوجهي دائما، يذبح في الجنات، ويبخر على الآجر،

---

(١) تفسير انجيل مرقس ص ٢١٤.

* هو من الأسفار غير القانونية.

(٢) ١١ : ٦١، ٦٢.

(٣) وردت هذه القصة في سفرالمكابيين الرابع وهو من الأسفار غير القانونية.

يجلس في القبور، ويبيت في المدافن يأكل لحم الخنزير...»[1] وأيضا : «الذين يقدسون ويطهرون أنفسهم في الجنات وراء واحد في الوسط آكلين لحم الخنزير والرجس والجرذ يفنون معا يقول الرب»[2].

غير أن ماورد في سفر اشعياء لا يعني تحليل اليهود للحم الخنزير بصفة عامة، ولا أنهم وضعوا في ذلك نصوصا معينة، بل الواقع أن استمرار تحريم لحم الخنزير قد ظل بين اليهود حتى عهد المسيح فلا يأكله الناس، حتى ولو كانوا يربونه للتجارة.

فـ «في عصر المسيح كان بعضهم يرعي قطعانا من الخنازير[3] في مستعمرة أغلب سكانها من اليونان، وما كانوا يربونها ليأكلوا لحومها، بل ليبيعوها الى اليونان أو للجيوش الرومانية»[4].

لم يكن يسمح لرعاة الخنازير بدخول الهيكل. وذلك لمجرد رعيهم لقطعان الخنازير وان كانوا لا يأكلون منها، الأمر الذى يدل على استمرار تحريم الخنزير بين اليهود حتى عهد المسيح.

وقد كان المسيح ملتزما بذلك هو وأتباعه الأولون.

ومن كلامه مايدل على حكمه على الخنازير بالنجاسة، شأنها في ذلك شأن الكلاب، فقال : «لا تعطوا القدس للكلاب ولا تطرحوا درركم قدام

---

(١) سفر أشعياء ٦٥ : ٣ ، ٤ .

(٢) سفرأشعياء ٦٦ : ١٧.

(٣) انجيل مرقس ٥ : ١١ - ١٣.

(٤) لنخبة من ذو الاختصاص ومن اللاهوتيين / قاموس الكتاب المقدس ص ٣٥٠.

الخنازير[1]» فقرنها بالكلاب.

ولكن النصارى انحرفوا، فأحلّوا لحم الخنزير بعد أن كان محرماً في التوراة. فما هو مستندهم في ذلك؟

يدعي النصارى أن المسيح كان قد أباح لهم لحم الخنزير، لذلك صارت مملوكة ولها رعاة، ويستدلون على صحة ادعائهم بما ورد في الأناجيل. من ذلك

١ - ماجاء في انجيل (متّى) :

«ولما جاء الى العبر الى كوره الجرجسيين استقبله مجنونان خارجان من القبور هائجان جدا حتى لم يكن أحد يقدر أن يجتاز من تلك الطريق، واذا هما قد صرخا قائلين : مالنا ولك يايسوع ابن الله. أجئت الى هنا قبل الوقت لتعذبنا، وكان بعيدا منهم قطيع خنازير كثيرة ترعى. فالشياطين طلبوا اليه قائلين إن تخرجنا فأذن لنا أن نذهب الى قطيع الخنازير. فقال لهم : امضوا، فخرجوا، ومضوا الى قطيع الخنازير، واذا قطيع الخنازير كله قد اندفع من على الجرف الى البحر ومات في المياه، أما الرعاة، فهربوا، ومضوا الى المدينة، وأخبروا عن كل شيء، وعن أمر المجنونين، فإذا كل المدينة قد خرجت لملاقاة يسوع، ولما أبصروه طلبوا أن ينصرف عن تخومهم»[2].

وليس في هذه القصة مايدل على اباحة لحم الخنزير لا صراحة ولا ضمنا، بل إن فيها أن المسيح قد حرّض على اتلاف الخنازير وأغرق منه في البحر قطيعًا كبيرا.

---

(١) انجيل متّى ٧ : ٦.

(٢) انجيل متّى ٨ : ٢٨ - ٣٤. وانظر كذلك انجيل مرقس ٥ : ١ - ١٧، ولوقا ٨ : ٢٦-٣٧. أما يوحنا فقد أهمل هذه الرواية ولم يذكرها.

٢ - ومن خلال محاورة جرت مع يسوع وبعض الفريسيين وتلاميذ المسيح يستنتج المسيحيون منها اباحة لحم الخنزير.. وأمثاله. وشتان بين مايقصده المسيح في هذه المحاورة وبين مايستنتجه منها أتباع المسيح. من ذلك مارواه (مرقس) في انجيله على لسان المسيح من قوله : «... ثم دعا كل الجمع وقال لهم : اسمعوا مني كللكم، وافهموا، ليس شيء من خارج الانسان إذا دخل فيه يقدر أن ينجسه، لكن الأشياء التى تخرج منه هي تنجس الانسان إن كان لأحد أذنان لسمع فليسمع، ولما دخل من عند الجمع إلى البيت سأله تلاميذه عن المثل، فقال لهم : أفأنتم أيضا هكذا غير فاهمين. أما تفهمون أن كل مايدخل الانسان من خارج لا يقدر أن ينجسه، لأنه لا يدخل إلى قلبه، بل إلى الجوف، ثم يخرج إلى الخلاء، وذلك يطهر كل الأطعمة. ثم قال : إن الذى يخرج من الانسان ذلك ينجس الانسان؛ لأنه من الداخل من قلوب الناس، تخرج الأفكار الشريرة : زنا، فسق، قتل، سرقة، طمع، خبث، مكر، عهارة، عين شريرة، تجديف، كبرياء، جهل، جميع هذه الشرور تخرج من الداخل وتنجس الانسان»[١]. والمسيحيون قاطبة، قد اتخذوا هذا الهذيان دستورا للعمل وجزموا بطهارة البول والغائط، وكل مايخرج من الانسان من القاذورات...[٢].

ويعلّق شارح انجيل (مرقس) على هذه النصوص فيقول :

«وعلى هذا الأساس أعلن يسوع أن الأشياء لايمكن أن تكون نجسة أو طاهرة بالمعنى الطقسي، ولكن النجاسة الحقيقية والطهارة الحقيقية، تكون في الانسان. ونجاسة الانسان وطهارته لاتأتي لأسباب طقسية كأكل لحوم الخنزير مثلا، ولكنها تتولد من أعماله.. من قلبه.. من تفكيره.. فالانسان لا الشيء هو

---

(١) ٧ : ١٤ - ٢٣ ونفس المحاورة وردت فيانجيل متّي ١٥ : ١٠-٢٠.

(٢) انظر عبد الرحمن بك باجه جي زاده / الفارق بين المخلوق والخالق ص ١٠٧

المعرض للنجاسة والطهارة، ولقد كان هذا التعليم جديدا ومزعجا لكل يهودي»[1].

وواضح أنه ليس في كلام المسيح مايبيح لهذا الشارح ولا للمسحيين أكل لحم الخنزير، فلم يذكره المسيح - لوصحّ نقل هذا الكلام عنه - لاصراحة ولاضمنا، ولا يمكن أن يدل كلام المسيح هذا على اباحة كل الأشياء التى يمكن تناولها بالفم، وأنها غير نجسة، ولا تنجس من يأكلها - لايمكن أن يكون هذا هو مدلول كلام المسيح، والاّ لكان ذلك متناقضا مع ماتقرر من تحريم الأربعة المعروفة (الدم، والمخنوق، وماذبح للأصنام والزنا) المذكورة في مؤتمر أورشليم.

فكلام المسيح إذن لايفهم الاّ على أنه من الوصايا الأخلاقية التى ينبّه أتباعه فيها الى خبث مايخرج من الانسان من كذب وسفه... الخ وليس حلّ أكل الخبائث المحرمة، ومنها لحم الخنزير.

والنصارى يستندون أيضا في اباحة لحم الخنزيرالى الرؤى والأحلام حيث يروون عن بطرس - ماسبق أن ذكرناه - من أنه رأى في المنام أن صحيفة تشبه الملاءة نزلت من السماء مملوءة بكل دواب الأرض وطيور السماء، وأن صوتا من السماء قال له : قم يابطرس، اذبح، وكل، ولا تدنس ماطهره الله[2].

وهم يريدون بذلك أن يحللوا ماحرمه الله في التوراة، وأن ماكان من الأطعمة دنسا ونجسا في شريعة موسى قد أصبح طاهرا ومباحا أكله. ومن

---

(١) وليم باركلي / تفسير انجيل مرقس ص ٢١٥.

(٢) انظر سفر أعمال الرسل ١٠ : ٩ - ١٦.

ذلك لحم الخنزير.

ومن أدلتهم كذلك ماجاء على لسان بولس : «الانسان الذى يحرم طعاما على نفسه فله وحده هذا الطعام حرام، لكن ليس للناس جميعا»(١).

ويعنون بذلك دلالة هذا الكلام على عدم تحريم أى طعام حتى ولو كان لحم الخنزير. وعلى كل حال فلا يخفى تحريف بولس وانحرافه. فمع أن مجمع أورشليم الأول قد اقتصر على تحريم الدم والمخنوق وماذبح للأصنام والزنا خارجا بذلك على نصوص العهد القديم، فان بولس لم يكفه هذا بل صاح قائلا: «لاشىء محرم على الاطلاق»(٢).

وقد سبق أن ذكرنا هذا المجمع وما اتخذ فيه من قرارات يستند إليها النصارى في تحليل لحم الخنزير والخمر والاقتصار في التحريم على الأربعة المذكورة. وبيّنا حقيقة رؤسائه وماكانوا عليه من فساد وافساد للعقيدة والشريعة النصرانية، بحيث لايكون غريبا منهم أن يتخذوا هذه القرارات الباطلة.

ولا يكتفي النصارى بهذا التمحّل في تصيدّ الأسانيد لتحليل لحم الخنزير، بل يعمدون الى النصوص الصريحة التى جاءت بها التوراة في تحريم لحم الخنزير - يعمدون الى هذه النصوص فيؤولونها تأويلا يخرجها عن دلالتها الظاهرة. من ذلك تأويلهم لما جاء في التوراة من النهي عن أكل بعض أنواع الحيوانات ومن بينها الخنزير -كما ذكرنا -، حيث ذكروا أن مراد الله بلفظ خنزير في نصوص التوراة السابقة، إنما هو : الزنا، والكفر بالله. وعللوا السبب في ذلك التأويل فقالوا : لأن المعروف عن الخنزير الالتطاخ في

(١) رسالة بولس الى أهل غلاطية ٢: ١٦.

(٢) انظر الرسالة الى العبرانيين ٩ : ٢٢.

المطائق*. فنهاناعن فعله.

ثم قالوا : وأمّا أكله، فما فيه منفعة ولا مضرة، فمن شاء أكله، ومن شاء تركه(1).

وقد ردّ الامام القرطبي على تأويلهم هذا، وفهمهم السقيم للنصوص فقال :

«لم صرتم الى التأويل، ولم تضمكم اليه ضرورة عقل، ولا معارضة قول رسول. فياللعجب ما أثقب أذهانكم، وأصح أفهامكم، إذ قد فهمتم من كتاب ربّ العالمين مالم يفهمه أحد من النبيين، بل قد زاد فهمكم على فهم موسى ابن عمران، وعيسى - عليهما السلام -، إذ كانا قد عملا على تحريم مافهمتم أنتم تحليله من الأحكام...

فلم يرو قط عن واحد منهم أنه أكل خنزيرا، ولا ميتة ولا دما، ولا شيئا مما ذكر تحريمه، وأنتم تقولون هذا وتساعدون عليه، فكيف يمتنعون من أكل ما يحلّ لهم، ثم يصرحون بتحريمه؟ فعلى هذا يلزمكم أنهم كذبوا على الله ولبّسوا في أحكام الله، إذ كانوا علموا تحليل تلك الأشياء، ثم صرحوا بتحريمها والنهي

---

* المَطَقُ : محركة، داء يصيب النخل، مطقه :ذاقه متمطّق له اذا ضم شفتيه اليه، وألصق لسانه بنطع فيه مع صوت. قال الأعشى :

تريك القذى من دونها وهي دونه ... اذا ذاقها من ذاقها يتمطق انظر الفيروز أبادي / القاموس المحيط فصل الميم باب القاف ج ٣ص ٢٨٣. وكذلك جار الله الزمخشري / أساس البلاغة ص ٥٩٨.

والالتطاخ في المطائق معناها هنا : الملازمة للقانورات.

(1) انظر الامام القرطبي / الاعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام. تقديم وتحقيق وتعليق/ الدكتور أحمد حجازي السقا ص ٣٩٧.

عنها. وان لم يعلموا شيئا مما علمتموه أنتم، فمن أين علمتموه أنتم، أشافهتكم بذلك الملائكة؟ أم أرسل اليكم بذلك رسل أخر؟ أم خلق لكم بذلك علم ضروري؟ وكل ذلك لاتقدرون على ادعائه. فلم يبق الاّ أنكم جاهلون بشرع الله، محرفون كتاب الله، متواقحون على الله، كاذبون عليه، ومتهاونون برسله...»[1].

واذا جئنا الى قصة قطيع الخنازير - المذكورة في استدلالاتهم واستخلاصهم منها أن أكل لحم الخنازير مباح، لأن لها رعاة، ومملوكة كما في القصة - إذا جئنا الى هذه القصة فنجد أن صاحب كتاب الفارق قد أبطل استدلالهم بها على اباحة أكل لحم الخنزير، وبيّن أن هذه الرواية ليست الاّ كذبا وتدليسا ممن أحلوا لحم الخنزير بعد رفع المسيح، وأدخلوا في النصرانية ماليس منها. حيث يقول في ذلك :

«إن بداهة العقل تكذب تلك الرواية، إذ من المعلوم الثابت عند العموم، أن تلك الأصقاع كانت مسكونة ببني اسرائيل، فيستحيل وجود قطائع خنازير في بلادهم، ولها رعاة ...

وعلى فرض وجود أحد في تلك الأصقاع ممن يقول بإباحة أكلها، فيكون أمر المسيح باتلافها على سبيل الزجر لأهلها، لاستعمالهم المحرم بنص التوراة، فهو من النهي عن المنكر؛ لأن ذلك من وظائفه عليه السلام »[2]. ثم يقول :

« وإذا أصر المسيحيون (عنادا) أن المسيح كان قد أباح لهم لحم الخنزير من خلال هذه الرواية، فلذلك صارت مملوكة ولها رعاة. فحينئذ يكون قوله - المجرد عن الدليل - مجروحاً من ثلاثة أوجه :

---

(١) المرجع السابق ص ٣٩٨ / ٣٩٩ باختصار.

(٢) عبد الرحمن بك باجه جي زاده / الفارق بين المخلوق والخالق ص ٥٥.

الأول :

ان المسيح - عليه السلام - والتلاميذ إلى أن انقرضواما أحلوا لحم الخنزير ولا أكلوا دنسا من سائر ما حرمته التوراة؛ لأن الأناجيل الأربعة ناطقة بالصراحة بوجوب تأييد أحكام التوراة، وكان المسيح ومن اتبعه يعملون بأحكامها.

الثاني :

لو سلمنا أن المسيح أباح لهم لحم الخنزير، فكيف أمر الشياطين بإغراقها في البحر واتلافها، مع كونه يعلم أنها مملوكة، ومباحة الأكل. أتخرجونه من العدالة الى الجور بتلفه أموال الناس بدون حكم شرعي ولاسبب مرعي، حال كونه كان قادرا أن يخرج الشياطين من المجانين بدون أن يضر الناس بأموالهم وحقوقهم، فلا يصدر من المسيح - سلام الله عليه - مثل هذا وهو المرسل من عند الله تعالى لإرجاع الناس عن الظلم وهدايتهم بارشادهم الى الحق.

الثالث :

إن قلنا بصحة هذا الاصحاح، وجب أن نحكم على أهل تلك المدينة أنهم ليسوا من بني اسرائيل، لكون التوراة صرّحت بتحريم الخنزير، فلم يبق إلاّ هذاالاحتمال الثالث، وذلك بأن يكون أهل المدينة غير بني اسرائيل، وغير المسيحيين. وهذا مفهوم عبارة المترجم (مترجم انجيل متّى) لتجاسرهم على طرد المسيح وابعاده عن تخومهم. ولو كانوا مسيحيين لامتنع طردهم له، وهو نبي لهم، أو - على زعمكم - اله ، فإذا صح ذلك فلا وجه للاستدلال بوجود الخنازير عندهم؛ لأنهم قوم غيركم، وغير بني اسرائيل.

ومع هذا كله، فان التاريخ لم ينقل لنا أن تلك الأصقاع في عهد المسيح – عليه السلام – كانت وطنا لغير بني اسرائيل. فلم يبق إلاّ القول : بأن مثل هذه الرواية تدليس من المترجم، وأمثاله، الذين أحلوا لحم الخنزير بعد رفع المسيح، وانقراض الحواريين، ودسوا في النصرانية ماليس فيها»[١].

وكما كان لحم الخنزير محرما في اليهودية والمسيحية، فهو كذلك محرم في الإسلام. قال تعالى :{ قل لاأجد فيما أوحي إليّ محرما على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة أو دما مسفوحا أو لحم خنزير فانه رجس أو فسقاأهل لغير الله به، فمن اضطر غير با غ ولاعاد فإن ربك غفور رحيم }[٢]. الى غير ذلك من الآيات[٣]. بل هو كذلك محرم في جميع الأديان كما ذكر المفسرون[٤].

وحول بيان الحكمة من تحريم لحم الخنزير في الأديان، يقول (صاحب المنار).

« وحكمة تحريمه مافيه من الضرر، وكونه مما يستقذر أيضا، وان كان استقذاره ليس لذاته كالميتة والدم، بل هو خاص بمن يتنكر ملازمته للقانورات، ورغبته فيها ... »[٥].

---

(١) عبد الرحمن بك باجه جي زاده / الفارق بين المخلوق والخالق ص ٥٥ / ٥٦.

(٢) سورة الأنعام / آية ١٤٥.

(٣) راجع سورة البقرة / آية ١٧٣، وكذلك سورة المائدة / آية ٣ وكذلك سورة النحل / آية ١١٥.

(٤) راجع التفاسير الآتية : تفسير الرازي (التفسير الكبير) المجلد الثالث ج ٥ ص ٢٢.
وتفسير ابن كثير (تفسير القرآن العظيم) ج٢ ص ٦ – ٨.
وتفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن) ج٢ ص ٢٢٢.

(٥) الشيخ محمد رشيد رضا / تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار ج ٦ ص ١٣٥.

ونجد آية (الأنعام) – التي ذكرناها آنفا – ، قد عللت تحريم أكل لحم الخنزير بكونه (رجسا). ولسائل أن يسأل : هل معنى ذلك : تحريم أكله لما فيه من القذر، أو لما فيه من الضرر؟

وعن هذا التساؤل يجيبنا صاحب المنار بقوله :

« اعلم أن لفظ (الرجس) يطلق على كل ضار مستقبح حسّا أو معنى، فيسمى النجس رجسا، ويسم الضار رجسا. ومن الأخير قوله تعالى : {انما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان ...}[1] الآية.

فتعليل آية (الأنعام) يشمل الأمرين اللذين ذكرناهما معا. فهي من إيجاز القرآن الذي لايصل الناس الى شرحه وتفصيله إلاباتساع دائرة علومهم وتجاوبهم»[2].

وقد جاء في صحيح مسلم عن بريده بن الخصيب الأسلمي – رضى الله عنه – قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من لعب بالنردشير* فكأنما صبغ يده في لحم الخنزير ودمه)[3].

وفي الصحيحن : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (ان الله

---

(١) سورة المائدة / آية ٩٠.

(٢) الشيخ محمد رشيد رضا / تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار ج ٦ ص ١٣٦.

* النردشير هو النرد ، فالنرد عجميٌ معرب، وشير معناه : حلو.

(٣) صحيح مسلم / كتاب الشعر / باب تحريم اللعب بالنردشير ج ٤ص ١٧٧٠ الحديث رقم ٢٢٦٠ تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي.

حرّم بيع الخمر والميتة، والخنزير والأصنام) ... الحديث [1].

فاذا كان هذا التنفير لمجرد اللمس - كما في الحديث الأول - وكان هذا التحريم لمجرد البيع - كما في الحديث الثاني - ، فكيف بأكل لحمه والتغذي به ؟

وأمّا كون أكل لحم الخنزير ضارا، فهو مما يثبته الطب الحديث، وجلّ ضرره ناشئ من أكله للقانورات، وهو مصاب بدودة الخنزير الشريطية، وغيرها من الديدان، كما وان لحمه من أعسر اللحوم هضما.

وبين يديّ الآن كتاب في الطب اسمه « الطب الوقائي في الإسلام»، استعرض فيه مؤلفه من بين ما استعرضه، الأسباب الموجبة لتحريم أكل لحم الخنزير، نوجزها فيما يلي :

السبب الأول :

يرجع الى كثرة اصابة الخنزير بأنواع خطيرة من الديدان. أهمها : دودة الخنزير الشريطية Pig Tape - Warm .

السبب الثاني :

إن لحم الخنزير أكثر قابلية لنقل جميع الأمراض الميكروبية المعدية، من كل اللحوم الأخرى ... وقد جاء في نشرة هيئة الصحة العالمية سنة ١٩٥٣م أن مختبراتها في الدانمارك التي تقوم بفحص أنواع اللحوم الحيوانية، قد وجدت

---

(١) صحيح البخاري ج ٣ص ١١٠ كتاب البيوع.
وانظر كذلك صحيح مسلم ج ٣ ص ١٢٠٧ كتاب المساق باب تحريم بيع الخمر والميتة والخنزير والأصنام الحديث رقم (١٥٨١) تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي.

أن لحم الخنزير هو أكثر قابلية للتلوّث، ونقل الميكروبات.

كما جاء في النشرة : أن الميكروبات الشديدة العدوى في لحوم الغنم لا تزيد عن ٣٪، في حين أن هذه النسبة في لحم الخنزير ١٤٪ أي أكثر من أربعة أضعاف. وجاء في تعليل ذلك : أن نسبة التعادل القلوي في لحم الخنزير تكون عالية، مما يساعد على سرعة نمو الميكروبات في عضلاته، وسهولة معيشتها فيها، سواء كان حيا، أم بعد ذبحه.

فإذا كانت هذه النسب في خنازير الدانمارك أنظف بلدان العالم، فما بالك بغيرها من البلدان ؟

السبب الثالث :

لأن الخنزير من الحيوانات آكلات اللحوم، وهي تصيب آكلها بالضراوة، والميل الى العنف. ورغم أن الخنزير الذي يباع في الأسواق حاليا هو فصيلة من الخنازير الوحشية تم للإنسان استئناسها منذ آلاف السنين، الا أن هذا الخنزير المستأنس لاتزال فيه ضراوة أجداده.

ولعل لحم الخنزير هو أحد أسباب ظاهرة العنف المنتشرة في المجتمع الأوربي والأمريكي والتي مازالوا في حيرة من تعليل أسبابها.

السبب الرابع :

إن لحم الخنزير قد يكون له تأثير سيئ على العفة والغيرة الجنسية وهذه ظاهرة جديرة بالاهتمام والتحليل العلمي.

السبب الخامس :

دهن الخنزير عَسِر الهضم، ويزيد من احتمال الاصابة بالذبحة القلبية، وتصلب الشرايين. ويحتوي لحم الخنزير على أكبر كمية من الدهن بين جميع اللحوم.

وقد جاء في الموسوعة العلمية الأمريكية : أن كل مائة رطل من لحم الخنزير تحتوي على خمسين رطلا من الدهن، أي بنسبة ٥٠٪.

وليست هذه هي المشكلة الوحيدة، ولكن نوع الدهن أيضا يختلف إذ ثبت بالتحليل : أن دهن الخنزير يحتوي على نسبة كبيرة من الأحماض الدهنية المعقدة ... وتبلغ نسبة الكوليسترول في دهن الخنزير خمسة عشر ضعفا، لما في البقر ... ولهذه الحقيقة أهمية خطيرة؛ لأن هذه الدهنيات تزيد مادة الكوليسترول في دم الإنسان، وهذه المادة عندما تزيد عن المعدّل الطبيعي تترسب في الشرايين، وخصوصا شرايين القلب. وهي السبب الرئيسي في معظم حالات الذبحة القلبية، والتي تسمى : القاتل رقم واحد في أوربا(١).

ويقول الدكتور (محمود أحمد نجيب) :

« إن دراسة علم الطفيليات، تبيّن أن هناك نوعا من الديدان يدعى دودة «التيناسوليم»، وتسم دودة الخنزير الشريطية، وهي تعيش في الأمعاد الدقيقة للإنسان، ووجودها قد نتج عنه مرض غاية في الخطورة، اسمه مرض «السيستوسريكوزس»، وخطورة هذا المرض هي أنه قد ينتج عنه تلف في عضلة القلب أو العين أو المخ أو العضلات.

---

(١) د. أحمد شوقي الفنجري ص ٢١٤ / ٢٢٦ بايجاز وتلخيص.

ومـرض آخـر يمكن أن يصـيب الإنسـان من أكل لحم الخنزير يدعى «تركينوزس»، وأعراضه هي : القيئ ، والاسهال، وتقلصات الأمعاء. وتحدث الوفـاة في الحـالات الشـديدة، بسـبب حـدوث التـهـاب رئوي، وهبـوط حـاد بالقلب»[1].

وللمعترض أن يقول : بأن لحم الخنزير قد أصبح اليوم مستأنسا في أوربا، وفي حظائر، ومزارع نظيفة يعيش فيها على أكل البقول والنباتات. فلم تعد تنطبق عليه اليوم صفات آكلات اللحوم، لذا فلا بأس من أكله.

ونرد عليه بما يأتي :

(١) « ان العبرة هنا ليست بنوعية الأكل وحدها، ولكن بنوعية الحيوان وطبيعته التي يتوارثها في دمه عن أجداده الأولين ... ومهما استؤنس الحيوان، وحاولنا تغيير طعامه، وطباعه، فستظل فيه بعض صفاته الأولى المتوارثة ، وسيظل الثعلب ثعلبا، والخنزير خنزيرا، ولو تربيا في البيوت أو الأقفاص آلاف السنين.

(٢) وبرغم أن معيشة الخنزير الآن في الحظائر النظيفة في أوربا، فما أن يخرج الى الغابة أو الحقل مع الرعاة، حتى يقبل على التهام الفئران الميتة والرمم. واذا دهست سيارة عابرة أحد الخنازير، فإن القطيع يتجمع حول جثته ليلتهمها، ويجد في ذلك لذة أكثر من البقول التي تقدم اليه.

(٣) وتذكـر المراجع العلمـيـة أن مـحـاولة اطعـام الخنزير للنبـاتات والخضـروات وحدها قد فشلت في أوربا وأمريكا، إذ وجد أنه لا ينمو النمو

---

(١) انظر كتاب الطب الإسلامي شفاء بالهدي القرآني ص ١٨، ١٩ بتلخيص.

الكافي كغيره من الخنازير الطليقة، وذلك لأن امعاءه ليست طويلة الطول الكافي للحياة النباتية مثل الغنم. وقد وجد أن الطعام المثالي له هو الذي يشمل وجبات من اللحم الى جانب النبات وغالبا يطعمونه لحم خنزير ....»»[1].

ولعل فيما قدمناه من الأضرار التي تلحق آكلي لحم الخنزير ما يكشف عن بعض الحكم في تحريمه، وهو الأمر الذي حاد عنه النصارى فأحلوه مخالفين بذلك شريعة الله.

---

(١) الدكتور أحمد شوقي الفنجري / الطب الوقائي في الإسلام ص ٢٢٤/٢٢٥.

الفصل الثامن

عـــدم

ايجاب النصارى للختان

الفصل الثامن

عدم ايجاب النصارى للختان*

« كان الختان معروفا قبل زمن ابراهيم، فإن المصريين كانوا يختتنون منذ عهد قديم جدا وكذلك التروجلوس دتيس في أفريقية.

ويقول برتيشرد : إن الختان معروف عند «الاماكوسا» وهم عدد كبير من سكان جنوبي افريقية، وإنه كان(أي الختان) مستعملا بين الكفرة، وشائعا بين سكان كنعان الأصليين، حتى حين جاء الفلسطينيون البلاد من بعدهم سموهم غلفاً، لأنهم كانوا لا يختتنون ...»[١].

ويقول مؤلفو قاموس الكتاب المقدس :

« إن الختان كان شائعاً ومعروفابين المصريين القدماء وغيرهم من الشعوب، إلا أنه لم يكن معروفا لدى الفلسطينيين[٢]، لكنه فى اليهودية كان فرضا دينيا للتمييز بين نسل ابراهيم وباقى الناس»[٣].

---

* الختان لغة : مصدر ختن أى قطع، وشرعا : الختن بفتح ثم سكون : قطع بعض مخصوص من عضو مخصوص . فتح البارى ج١٠ ص٣٤٠.

(١) نقلا عن مجلة رسالة الحياة/العدد الرابع/السنة الثانية ص٩٣.

(٢) «حيث كانت بعض المدن الفلسطينية تغلب عليها الصبغة اليونانية ، وكان الوثنيون هم الكثرة الغالبة فى المدن الساحلية» ج٣ ص١٧٠. قصة الحضارة تأليف/ ول ديوارنت.

(٣) لنخبة من ذوى الاختصاص ومن اللاهوتيين ص٣٣٧.

وجاء في إنجيل برنابا ما يدل على أن أصل فرضية الختان منذ ابتداء الخليقة.

يقول برنابا في ذلك :

«قال يسوع (لتلاميذه) وكانوا كلهم منصتين اليه: «إنه لما أكل آدم - الأنسان الأول - الطعام الذى نهاه الله عنه في الفردوس - مخدوعا من الشيطان - عصى جسده الروح، فأقسم قائلا :

تالله لأقطعنك ، فكسر شظية من صخر وأمسك جسده ليقطعه بحد الشظية، فوبخه الملاك جبريل على ذلك. فأجاب لقد أقسمت بالله أن أقطعه فلا أكون حانثا. حينئذ أراه الملاك زائدة جسده فقطعها. فكما أن جسد كل انسان من جسد آدم ، وجب عليه أن يراعي كل عهد أقسم آدم ليقومّن به، وحافظ آدم على فعل ذلك فى أولاده. فتسلسلت سنة الختان من جيل إلى جيل ، إلاّ أنه لم يكن فى زمن ابراهيم سوى النزر القليل من المختونين على الأرض ، لأن عبادة الأوثان تكاثرت على الأرض. وعليه فقد أخبر الله بحقيقة الختان. وأثبت هذا العهد قائلا : «النفس التى لا تختن جسدها إياها أبدد من بين شعبى إلى الأبد»[1].

فارتجف التلاميذ خوفا من كلمات يسوع ، لأنه تكلم باحترام الروح. ثم قال يسوع : دعوا الخوف للذى لم يقطع غرلته ، لأنه محروم من الفردوس ...»[2].

---

(١) سفر التكوين ١٧ : ١٤.

(٢) انجيل برنابا الفصل ٢٣ عدد ٣ : ١٧.

وقد كان الختان من الشعائر المعروفة فى الديانة اليهودية وهو قطع لحم غرلة كل ذكر ابن ثمانية أيام ...

وقد نصت التوراة على أن الله أمر ابراهيم الخليل – عليه السلام – بالختان هو ونسله من بعده وجعله علامة عهد بينه وبين ابراهيم ، وحذّر من لم يختتن بالهلاك والاستئصال ، لأنه قد نكث العهد ، وقد أختتن ابراهيم – عليه السلام – وهو فى التاسعة والتسعين من عمره [1]، واسماعيل ختن وهو فى الثالثة عشرة. أما اسحاق فختن وهو ابن ثمانية أيام ، كما ختن ابراهيم سائر أهل بيته وعبيده من الذكور. واليك ما جاء فى التوراة مما يؤكد ذلك :

«وقال الله لابراهيم : وأما أنت فتحفظ عهدى أنت ونسلك من بعدى فى أجيالهم ، هذا هو عهدي الذى تحفظونه بينى وبينكم وبين نسلك من بعدك. يختن منكم كل ذكر فتختتنون فى لحم غرلتكم فيكون علامة عهد بينى وبينكم. ابن ثمانية أيام يختن منكم كل ذكرفى أجيالكم. وليد البيت والمبتاع بفضة من كل ابن غريب ليس من نسلك يختن ختانا وليد بيتك والمبتاع بفضتك ، فيكون عهدى في لحمكم عهداً أبدياً.

وأما الذكر الأغلف الذى لايختن فى لحم غرلته فتقطع تلك النفس من شعبها إنه قد نكث عهدى ...

فأخذ ابراهيمُ اسماعيلَ ابنه وجميع ولدان بيته وجميع المبتاعين بفضته وكل ذكر من أهل بيت ابراهيم وختن لحم غرلتهم فى ذلك اليوم عينه كما كلمه الله. وكان ابراهيم ابن تسع وتسعين سنة حين ختن فى لحم غرلته. وكان

---

(١) جاء في صحيح البخاري ج٤ ص ١٧٠ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اختتن إبراهيم عليه السلام هو ابن ثمانين سنة بالقَدُّوم » وهو يخالف ما جاء في التوراة من أن عمره عليه السلام كان حين ختن تسع وتسعون عاماً .

اسماعيل ابنه ثلاث عشرة سنة حين ختن فى لحم غرلته. فى ذلك اليوم عينه ختن ابراهيم اسماعيل ابنه ، وكل رجال بيته ولدان البيت والمبتاعين بالفضة من ابن الغريب ختنوا معه»[1].

«وختن ابراهيمُ اسحاقَ ابنه وهو ابن ثمانية أيام كما أمره الله»[2].

وهكذا جعل الختان عند الأمة اليهودية فرضا من فروضها الدينية، كرمز وعلامة على أنهم شعب دخلوا مع الله فى عهد مقدس وفى علاقة خاصة.

وبسبب انتشار الوثنية وبُعد الناس منذ عهد ابراهيم الى عهد موسى عن الشرائع السماوية تجددت سنة الختان لموسى - عليه السلام - كما جاء فى سفر اللاويين على لسان الرب :

«وكلم الرب موسى قائلا : كلم بنى اسرائيل قائلا : إذا حبلت امرأة ، وولدت ذكراً ، تكون نجسة سبعة أيام كما فى أيام طمث علتها تكون نجسة وفى اليوم الثامن يختن لحم غرلته ...»[3].

فحرص موسى على أداء هذه السُنة وأمر ألاّ يأكل الفصح رجل أغرل ، «وكان اليهود يحافظون كل المحافظة على هذه السُنّة ، وكانوا يدعون أنفسهم أهل الختان ، ويدعون من عداهم أهل الغرلة . وكان مفروضا على كل الغرباء الذين يقبلون الدخول فى اليهودية أن يخضعوا لهذا الفرض مهما تكن أعمارهم. ولايزال اليهود المعاصرون يمارسون هذه السنّة بكامل طقوسها ..»[4].

---

(١) سفر التكوين ١٧ : ٩ : ١٤ ثم ٢٣ : ٢٦ من نفس الاصحاح.

(٢) سفر التكوين ٢١ : ٤.

(٣) سفر اللاويين ١٢ : ١، ٣.

(٤) قاموس الكتاب المقدس ص٣٣٧، ٣٣٨ بتصرف واختصار.

فالختان شريعة ابراهيم وموسى - عليهما السلام - وحيث إن عيسى - عليه السلام - جاء مكملا لأحكام التوراة ، وحافظا لها ، فهو مختون ، كموسى وغيره ممن سبقه. ولاخلاف بين المسيحيين أن عيسى - عليه السلام - لما تم ثمانية أيام ختن ، وختانه مذكور فى انجيل لوقا فى فقرة ٢١ من الاصحاح الثانى ونصها كما يلى :

«ولما تمت ثمانية أيام ليختنوا الصبى سمي «يسوع» كما تسمى من الملاك قبل أن حبل به فى البطن».

وفى انجيل برنابا فى الفصل الخامس : «فلما تمت الأيام الثمانية حسب شريعة الرب كما هو مكتوب فى كتاب موسى أخذا الطفل ، واحتملاه، الى الهيكل ليختناه ، فختنا الطفل وسمياه «يسوع» كما قال الملاك قبل أن حبل به فى يوم الرحم»[1].

«وفى المسيحيين إلى هذا الحين صلاة معينة يؤدونها فى يوم ختان عيسى عليه السلام ، تذكرة لهذا اليوم»[2].

وإذا جئنا الى الاسلام فنجده قد صرّح باستحباب[3] ، اتيان الختان ، وعدّه من السنن المأمور بها . من ذلك ماورد فى صحيح البخارى من حديث أبى هريره رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

(الفطرة خمس : الختان ، والاستحداد ، ونتف الابط ، وقص الشارب

---

(١) الفقرات ١، ٢.

(٢) د. شعبان محمد اسماعيل / نظرية النسخ فى الشرائع السماوية ص٥٠.

(٣) أحمد بن حجر العسقلانى / فتح البارى بشرح صحيح البخارى ج١٠ ص٣٤٠.

وتقليم الأظافر)(١).

ويقول الامام العسقلانى حين شرحه لهذا الحديث :

مذهب أكثر العلماء الى أن المراد بالفطرة (هنا) السنة ، قالوا : والمعنى : أنها من سنن الأنبياء ، حيث وقع التعبير بالسنة موضع الفطرة . فان فى صحيح البخارى عن ابن عمران عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (من السنة قص الشارب ، ونتف الابط .... الخ)(٢).

هذه هى الأدلة على استحباب الختان ، وكونه من سنن الفطرة ، وهذا هو مادعت اليه الكتب السماوية جميعها فى الأديان الثلاثة. واذا كان الأمر كذلك فمن الذى ألغى هذه الفريضة لدى المسيحيين ، وكيف تمّ له ذلك؟

يجيبنا عن هذا التساؤل مؤلف كتاب (لمحة عامة الى مصر) «كلوت بك»تحت عنوان «الختان والطهارة وقدم هذه العادة والاحتفال بها» فيقول مفتخرا :

«كان الختان عند قدماء المصريين إحدى الوسائل الصحية التى تقضي بها القوانين المدنية ، وأول من استن هذه السنة ابراهيم عليه السلام ، فصارت عند الأمة اليهودية فرضا من فروضها الدينية . وأعفى المسيحيين منها القديس بولس ....»(٣).

واستطاع بولس بما أوتى من دهاء وذكاء أن يصرف المسيحيين شيئا

---

(١) صحيح البخارى ج٨ ص٨١ (كتاب الاستئذان).

(٢) أحمد بن حجر العسقلانى / فتح البارى بشرح صحيح البخارى ج١٠ ص٣٣٩.

(٣) تعريب وطبع الأمير يوسف كمال ج٢ ص٥٥ نقلاً عن مجلة رسالة الحياة عدد ٤ سنة ٢ ص٩٣.

فشيئا عن دين المسيح الصحيح المنّزل من عند الله الى شرع أخذ يصرح أحيانا أنه يدلى فيه برأيه الشخصى»[١]. وأحيانا أخرى ينسبه - زورا وبهتانا - إلى المسيح - عليه السلام - وكان الختان من أهم ماعنى بولس بايقافه وطالما قال صارخا : مانفع الختان؟[٢].

وقد اتخذ قرار ترك الختان فى مجمع أورشليم الأول - الذى سبق الكلام عنه - والمنعقد بعد رفع المسيح - عليه السلام - باثنين وعشرين عاماً.

وحجتهم فى ذلك - كما ذكرنا من قبل - : أن الختان يشق على بعض من يدعونهم الى المسيحية من الأمميين فيرغبون عنها بسببه فهو «لايتمشى مع مشاعر اليونانيين ، كما وان جانباً كبيراً من تعاليم الشرع اليهودى لايتفق مع متطلبات الحياة اليونانية وعاداتها وتقاليدها»[٣].

فلضمان دخول عدد كبير من الوثنيين وغيرهم الذين لا يستطيعون الاتيان بهذه الشعيرة من أجل ذلك أجازوا ترك الختان.

ويشرح برنتن كيف أن بولس أزال هذه العقبة فأفتى بأن «الاغريق والمصريين والرومان الذين يدخلون المسيحية فى حلّ من الختان وفى حلّ من التقيد بحرفية الناموس»[٤] ، وأخذ يدعو اليه أينما حلّ ، فشرع للداخلين فى المسيحية من أهل اليونان وغيرهم مسيحية جديدة لا ختان فيها ، وأعفاهم من

---

(١) رسالة الأولى إلى أهل كورنثوس ٧ : ١٠، ١٢، ٢٥.

(٢) رسالة بولس إلى أهل رومية ٣ : ١.

(٣) د. رؤوف شلبى / المسيحية الرابعة ص٨١.

(٤) سفر عبد الرحمن الحوالى / العلمانية ص٣٥.

كثير من الأحكام التى جاء بها موسى ، والتى لاتتمشى مع مبادئه الهدامة.

وهذا ما يدلى به ويؤكـده لنا الكاتب المسيحى شارل جنيبيير ، حيث يقـول :

«كان بولس على علم بأن عملية الختان لايرضى عنها أهل اليونان ، وبأن أغلب أحكام الشريعـة اليـهودية للحيـاة العملية لاتتـفق مع عـاداتهم وأسـاليب تفكيرهم ، فلم يلبث أن آمن بأن تعاليم هذه الشريعة قد نسختها تعاليم المسيح ، بل إن المسيح أتى خصيصـا ليبدل عهداً قـديماً بعـهد جـديد ، وأذعن الاثنا عشر لبولس مـرة أخرى ، فتقبلوا فكرة اعفاء الأتبـاع الجدد فى ديار الوثنية من أحكام شـريعـة اليـهـود ، وكـان المعنى الضـمني لهـذا الاجـراء : التـفـرقـة بين المسيحية واليهودية ، ودفع الأولى إلى أن تصبح دينا متميزا»(١).

ليس هذا فـحسب ، بل إنه فى عام ١٣١م « أصدر الامبراطور الرومـانى هدريان مرسـوما يقضـي بتـحريم الختـان ، و (تحـريم) تعليم الشـريعة اليـهودية علنا ، وأنـذر من يخـالف ذلك بالاعـدام ، وأعـدم بـالفعل عدد من الأحـبـار الذين خالفوا ...»(٢).

وحتى تتمشى آيات التوراة الموجبة للختان ، مع ما ذهب اليه هؤلاء المرجفون - والذين فى قلوبهم مرض - من جواز ترك الختان ، أخذوا يتعسفون فى تأويلهم لهذه الآيات تأويلات أتوا فيه على التوراة بالباطل والبهتان . حيث فسروا معنى الختان فى التوراة تفسيرا يبعد كل البعد عما هو صريح وواضح من نصـوصـهـا ، فذكـروا أن المراد بالخـتـان المأمـور به فى الكتـاب المقـدس هو

---

(١) د . شارل جنيبيير / المسحية (نشأتها وتطورها) ص١٠٤.

(٢) ول ديورانت / قصة الحضارة الجزء الثالث من المجلد الثالث رقم ١١ ص١٩٤/ ١٩٥ بتصرف.

«نقاوة القلوب ، وصفاء النية وذهاب الغلوفة* ... وأن الله استقذر غلوفة القلب لا غلوفة اللحم عندما وصف اليهود بأن لهم «قلوب غلف» ، فما على الانسان أن يختتن لحمه ، اذ لا منفعة له فى ذلك ، فمن شاء اختتن ومن شاء ترك ، والأحسن أن تترك الأجساد تامة غير ناقصة كما بها خلقنا الله عز وجل»(١).

ويكاد ينحصر الأمر بترك الختان فى رسائل بولس وحدها دون كافة الأناجيل ، ففى الاصحاح الخامس من رسالة بولس الى أهل غلاطية نجده يحث أهل غلاطية على ترك الختان محذراً إياهم بأن لايصغوا للذين يريدون تحويلهم عن الحق فقال : «فاثبتوا إذا فى الحرية التى قد حررنا المسيح بها ، ولاترتبكوا أيضا بنير عبودية. ها أنا بولس أقول لكم : «إنه إن ختنتم لاينفعكم المسيح شيئا»(٢).

وقال : «لأنه فى المسيح يسوع لا الختان ينفع شيئا ولا الغرلة ، بل الايمان العامل بالمحبة»(٣).

أما فى الاصحاح الثانى من الرسالة لأهل رومية فقد ذكر بولس فيها أن الختان فى شريعة المسيح هو ختان القلب بالروح ، لا ختان الجسد. يقول فى ذلك :

---

* الغلف كل شئ فى غلاف، يقال : سيف أغلف ، وقوس غلفاء ، ورجل أغلف اذا لم يكن مختونا. أنظر / أحمد بن حجر العسقلانى / فتح البارى ج٢ ص٣٤٣.

(١) الأمام القرطبى / الإعلام بما فى دين النصارى من الفساد والاوهام ص٤٢٠ تقديم وتحقيق وتعليق الدكتور أحمد حجازى السقا.

(٢) فقرة ١ ، ٢.

(٣) رسالة بولس الى أهل غلاطية ٥ : ٦.

«إن كنت متعديا الناموس فقد صار ختانك غرلة ، إذاً إن كان الأغرل يحفظ أحكام الناموس ، أفما تحسب غرلته ختانا وتكون الغرلة التى من الطبيعة وهى تكمل الناموس تدينك أنت الذى فى الكتاب والختان تتعدى الناموس ، لأن اليهود فى الظاهر ليس هو يهوديا ، ولا الختان الذى فى الظاهر فى اللحم ختانا ، بل اليهودى فى الخفاء هو اليهودى وختان القلب بالروح لا بالكتاب هو الختان الذى مدحه ليس من الناس بل من الله»[1].

ويقول أبو اسحاق ابراهيم[2] ، عند تفسيره لهذه الفقرات من الاصحاح الثانى من رسالة بولس الى أهل رومية مايأتى :

«الختان أول من أُمر به أبونا ابراهيم ؛ للفرق بين بنى اسرائيل والأمم ؛ ليعرف شعب الله من غيره ، واليهود كانوا يفتخرون باليهودية والختانة ، فأراد (بولس) أن يعرفهم أن الافتخار بذلك من دون العمل باطل ، وهؤلاء (اليهود) توهموا أن فى الختان علامة حفظ التوراة والاختصاص بالله ، (ونسو أن) التمسك بالعلامة من دون حفظ فرائض الله والطاعة له غير مفيد.

فأما طاعة الله ، فإذا كانت موجودة فهى المقصود ، ولا ضرورة حينئذ للعلامة. ولهذا يكون ذو والغرلة البار بأعماله أفضل من المختون غير البار بأعماله ...

الى أن قال :

«لأن التوراة وصايا جسدية كانت رمزا على الوصايا الروحانية الواردة

---

(١) ٢٥ : ٢٩.

(٢) كاتب ومفسر مسيحى.

فى المسيحية ، والختانة كانت رمزا على المعمودية التى هى الطهر الروحانى واليها أشار بالختانة القلبية ...

ثم قال :

«وظاهر كلام الرسول بولس يؤذن بعدم جواز الختان ...»[1].

ويؤكد بولس هذا القول مدللا على قوله بعدم جواز الختان قائلا :

«دعى أحد وهو مختون فلا يصير أغلف ، ودعى أحد فى الغرلة فلا يختتن ، ليس الختان شيئا وليست الغرلة شيئا ، بل حفظ وصايا الله»[2].

وقال أيضا :

«لأنه فى المسيح يسوع ليس الختان ينفع شيئا ولا الغرلة ، بل الخليقة الجديدة»[3].

لقد كان بولس الرسول يعتبر أن طريق النعمة ، وطريق الناموس ، متعارضان تماما ، والخطأ الأساسى الذى يقع فيه من يختار طريق طاعة الناموس هو أن يظن أن ما يفعله سيكسبه الثواب أمام الله ، أما من يختار سبيل النعمة فإنه يلقى بنفسه وخطيئته على رحمة محبة الله . ولذلك يقول بولس :

«إن اختتن انسان فإنه يصبح ملتزما بالناموس كله ، الذى يعتبر الختان

---

(١) نقلا عن مجلة رسالة الحياة المسيحية / العدد الرابع السنة الثانية ص٩٢.

(٢) رسالة بولس الأولى الى أهل كورنثوس ٧ : ١٨ ، ١٩.

(٣) رسالة بولس الى أهل غلاطية ٦ : ١٥.

مدخلا له [١] . فإن سلك هذا السبيل فإنه بذلك يكون قد رفض تلقائيا سبيل النعمة ، ويكون المسيح بالنسبة له وكأنه لم يمت أبدا . وكل مايهم بولس هو ذلك الايمان العامل عن طريق المحبة . وهذا يعنى بصورة أخرى : أن جوهر الدين ليس هو الناموس ، ولكن العلاقة الشخصية مع المسيح يسوع ...

ومايقوله بولس هو : إن هذه الحركة (أى الختان) الداعية للتمسك بالشرائع ربما لم تصل إلى مداها البعيد بعد ، ولكنها يجب أن تقتلع من جذورها قبل أن تفسد وتحطم ديانتكم كلها»[٢].

ولو ذهبنا نستقصي كل الأدلة التى توجب ترك الختان لوجدنا رسائل بولس كلها تغصّ بها وتكاد لا تخلو رسالة من رسائله من القول بترك الختان ، وعدم تقليد اليهود فى ذلك .

ونكتفي بما أوردناه من أدلة خشية الاطالة ، ونحيل القارئ الى كافة رسائل بولس ففيها الكثير من ذلك الهراء والهرطقة[٣].

وانا ليأخذنا العجب فى تأويل النصارى لنصوص التوراة ، وجرأتهم على الله ، حيث يزعمون أن المراد بالختان ازالة غلوفة القلب فقط . ونقول لهم :

«إذا كان المراد بالختان إزالة غلوفة القلب ، فلماذا جاء به موسى؟ ولماذا فعله سائر النبيين الذين حكموا بشريعة التوراة الى زمان المسيح؟ ولماذا فعله المسيح نفسه؟

---

(١) رسالة بولس الى أهل غلاطية ٥ : ٢، ٣.

(٢) أنظر وليم باركلى / تفسير العهد الجديد (الرسالة الى أهل غلاطية وأفسس) ص٧٢، ٧٤.

(٣) أنظر مثلا : رسالة بولس الى أهل غلاطية ٦ : ١٢، ١٣.

ثم إن قولهم : «والأحسن أن تترك الأجساد تامة غير ناقصة» فيه مبالغة فى تسفيه موسى والنبيين وفى تسفيه المسيح ، فإنهم قد تركوا الأحسن وفعلوا الأسوأ والأفسد وهم منزهون عن ذلك صلوات الله عليهم.

إنهم بتأويلهم الفاسد هذا قد افتروا على الله وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل»[١].

إن بولس يكرّز ويعلّم أن للمعمودية فى العهد الجديد نفس المكانة التى كانت للختان فى العهد القديم فيقول :

«وبه أيضا ختنتم ختانا غير مصنوع بيد ، بخلع جسم خطايا البشرية بختان المسيح ، مدفونين معه فى المعمودية التى فيها أقمتم أيضا معه بايمان عمل الله الذى أقامه من الأموات»[٢].

ويعنى بولس بذلك أن الختان «ليس إجراء عملية فى جسد الإنسان ، وانما حدوث تغيير فى قلبه وفى حياته كلها . فيقول :

إن أى كاهن يستطيع أن يقوم بعملية الختان ، لكن المسيح وحده هو القادر أن ينتزع من حياة الانسان أى شئ يعطله عن أن يكون ابنا مطيعا لله.

ويمضى بولس الى أبعد من ذلك فيقول : إن هذا العمل ليس نظريا فحسب ، بل واقعيا ، إذ تم لكم فى المعمودية ...»[٣].

---

(١) الامام القرطبى / الاعلام بما فى دين النصارى من الفساد والإوهام ص٤٢٠، ٤٢٢ بتصرف.

(٢) رسالة بولس الى أهل كولوسى ٢ : ١١، ١٢.

(٣) وليم باركلى / تفسير العهد الجديد (الرسائل الى فيلبى وكولوسى وتسالونيكى) ترجمة القس جرجس هابيل ص١٦٧ بتصرف.

ويقول وليم باركلى - عند تعليقه على كلام بولس هذا - : «كأنى ببولس يقول لهؤلاء المعلمين " «أنتم تتحدثون عن الختان ، ولكن الختان الحقيقى الوحيد هو عندما يموت الانسان ويقوم ثانية مع المسيح فى المعمودية ، ليس بنزع جزء من جسده ، ولكن بانتزاع طبيعته الخاطئة كلها ، وبالا متلاء بجدة الحياة وبقداسة الله»[1].

ولى كلمة :

إن الختان كان معروفا قبل زمن ابراهيم - عليه السلام - كما ذكرنا ذلك فى بداية الفصل عن علمائهم ومؤرخيهم .

فالزعم بأنه «مادامت طاعة الله موجودة - كما جاء على لسان ابى اسحاق ابراهيم - فهى المقصود ، ولا ضرورة حينئذ للعلامة ، ولهذا يكون ذو الغرلة البار بأعماله أفضل من المختون غير البار بأعماله» زعم باطل.

فإذا كان لاضرورة لتنفيذ شرائع الله مادمنا نعمل الطاعات ، فلنترك إذن كل الفرائض والشرائع ونكتفى بالأعمال .

وما هى ياترى هذه الأعمال التى توصلنا إلى رضوان الله دون أن نحافظ على شرائعه؟

أليست الأعمال التى تقرب العبد من الله تكون فى أداء شعائره وشرائعه؟

أم أن هناك أعمالا أخرى لا نعلمها؟

وانا لنعجب من بولس الذى أوجب - كما نقلنا عنه سابقا - حتمية العمل

---

(١) المرجع السابق ص١٦٨.

بالناموس والالتزام به .

ترى ما هو ردّ النصارى على قول بولس فى رسالته الى أهل رومية «الإنسان يتبرر بالايمان بدون أعمال الناموس»(١).

فبأى القولين يأخذ النصارى وعلى أيهما يعتمدون.

وحول ختان المسيح ، يدعى النصارى أن ختانه «انما كان ليعتقهم من ثقل هذه الوصية ومن نير كل الوصايا الموسوية الطقسية»(٢).

ماهذا الهراء؟!!! من قبل قالوا : إن المسيح صلب محتملاً عنهم الخطايا والأوزار ، والأن يدعون أنه ختن ليحمل عنهم ثقل هذه الفريضة.

ونسألهم : عندما عُمّد لِمَ لمْ يعتقهم بمعموديته منها؟ ولِمَ لا تكون المعمودية بالقلب أيضا كالختان - عندهم - ولِمَ لا تعتمدون بمعموديته كما ختنتم بختانه؟ ولِمَ لا تكون معموديته كافية عنهم كما كان ختانه كافيا عن ختانهم ، أم أن المعمودية شئ آخر يختلف عن الختان ، ويتمشى مع أهوائهم ويحقق لهم مأربا آخر لهدم المسيحية ألاَ وهو : الاعتقاد بقيامة المسيح من القبر(٣). فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون.

وما رأيهم فى قول المسيح لتلاميذه : «الحق أقول لكم : إن الكلب أفضل من رجل غير مختون»(٤).

---

(١) ٣ : ٢٨.

(٢) مجلة رسالة الحياة المسيحية العدد الرابع السنة الثانية ص٩٢.

(٣) رسالة بولس الى أهل كولوسى ٢ : ١١، ١٢.

(٤) انجيل برنابا ٢٢ : ٢.

وقوله عندما سأله التلاميذ عن سبب وجوب الختان على الانسان أجاب:

«يكفيكم أن الله أمربه ابراهيم قائلا : ياابراهيم ، اقطع غرلتك ، وغرلة كل بيتك ، لأن هذا عهد بينى وبينك الى الأبد»[1].

وان قلتم إن هذا فى انجيل برنابا ونحن النصارى لا نعترف به ، فما رأيكم فى قول المسيح المثبت فى أناجيلكم :

«ما جئت لأنقض الناموس ، بل لأكمل الى أن تزول السماء والأرض لايزول حرف واحد من الناموس حتى يكون الكل»[2].

ويزعم المسيحيون أن اليهود يدّعون أن الختان الجسدى فى حد ذاته كاف ليصلح أمور الانسان مع الله ، وهو كل المطلوب . وانه لا يهم أن يكون الانسان صالحا أو شريرا طالما كان اسرائيليا مختونا .

يقولون : لهذا الفهم الخاطئ لمعنى الختان لدى اليهود أبطل بولس الختان الجسدى - تلك الفريضة الالهية وألغاها - واكتفى على حد تعبيره بالختان الحقيقى وهو الصلة بالله التى مظاهرها : محبة الله ، والاقرار بالذنب ، وخدمة الناس[3].

نقول لكم : لا أنتم على حق ولا هم على حق ، فكلاكما على باطل.

---

(١) انجيل برنابا ٢٢ : ١٥، ١٦.

(٢) انجيل متّى الاصحاح الخامس / فقرة ١٧.

(٣) أنظر وليم باركلى / تفسير العهد الجديد (الرسائل الى فيلبى وكولوسى وتسالونيكى) ص٧٥، ٧٦، ١٦٧.

واذا كان أداء سنن الله وشرائعه مع ارتكاب المعاصي والفواحش - كما يفعل اليهود - يؤدى إلى غضب الله ، فإن إبطال شرائع الله ، وتعطيل سننه - كما يفعل النصارى- يؤدى بهم إلى جهنم وبئس القرار.

واذا كان هذا هو سعي بولس لابطال الختان ، فلماذا هو مختون[1] وممارس لكل الطقوس والشرائع اليهودية ، ومحافظ على الناموس ، لكن حتى يثبت قيامة المسيح من القبر ، تلك القيامة الكاذبة استبدل الذى هو أدنى بالذى هو خير ، وزعم أن المعمودية لا تبقى نافذة المفعول فى المعتمد مالم يعتقد اعتقادا جازما بقيامة المسيح التى قد أثبتنا مافيها من التناقض والافتراء والتدليس.

وقد لجأت الآن كثير من الدول الى الختان ، حتى المسيحيين بدأوا يختتنون ، وفى جامعة هيوستن فى تكساس بأمريكا يمرن الأطباء على عملية الختان ، وتجرى الآن بأعداد وفيرة[2].

---

(١) الرسالة الى أهل فيلبى / ٣ : ٣ - ٥.

(٢) هذه المعلومة أخذتْ شفهيا من أحد أطباء المسالك البولية بمكة المكرمة.

الفصل التاسع

تقديس النصارى للصور والتماثيل

الفصل التاسع

تقديس النصارى للصور والتماثيل*

من بين الشعائر الوثنية التى اقتبسها النصارى : شعيرة عبادة الصور والتماثيل ، فلا نكاد نجد ديراً أو كنيسة الاّ وهما ممتلئان بشتى الصور والتماثيل ، للمسيح ، ولمريم ، والقديسين منهم . وهى موضع تقديسهم ، وعبادتهم.

ونتساءل : هل كان لتقديس الصور ، والتماثيل مكان فى العهد القديم؟

الواقع اننا لانجد فى العهد القديم مايبرر للنصارى فعلتهم هذه بل على العكس من هذا ، لقد نهى العهد القديم فى صراحة تامة المؤمنين عن اتخاذ الصور ، ونحت التماثيل ، وتوّعد بالهلاك ، والابادة من يخالف ذلك . من ذلك ماجاء فى سفر التثنية :

« لاتصنع لك تمثالا منحوتا ، ولاصورة ما مما فى السماء من فوق ، ومافى الأرض من أسفل ، ومافى الماء من تحت الأرض . لاتسجد لهن ، ولا تعبدهنّ لأنّى أنا الربّ الهك غيور ...»[1].

---

* انظر : سفر بن عبد الرحمن الحوالي / العلمانية ص ١٠٠ - ١٠٣

(١) ٥ : ٨ - ١٠.

وجاء فيه أيضا :

«فاحتفظوا جدا لأنفسكم ، فانّكم لم تروا صورة ما يوم كلمكم الربّ فى حوريب من وسط النار ، لئلا تفسدوا وتعملوا لأنفسكم تمثالا منحوتا، صورة مثال ما شبه ذكر أو أنثى ، وشبه بهيمة ما مما على الأرض ، شبه طير ما ذى جناح مما يطير فى السماء ، شبه دبيب ما على الأرض ، شبه سمك ما مما فى الماء من تحت الأرض ، ولئلا ترفع عينيك الى السماء ، وتنظر الشمس والقمر والنجوم وكل جند السماء التى قسمها الربّ الهك لجميع الشعوب التى تحت كل السماء ، فتغتر ، وتسجد لها ، وتعبدها [1]».

هذه هي نصوص التوراة التي وردت في النهي عن عمل الصور والتماثيل وعن عبادتها، والسجود لها. ولاشك أن التوراة تعتبر كتاباً مقدساً لدى المسيحيين، بالإضافة الى أن العهد الجديد خالٍ من هذه البدعة، وبالتالي لم يبطل ما جاء في تحريمها، لكن يأبى النصارى إلامخالفة شريعة الله والجري وراء أهوائهم ورغباتهم، فيدخلون شعيرة عبادة الصور والتماثيل - وهي شعيرة وثنية - ضمن شعائرهم، شأنها في ذلك شأن كافة الشعائر والبدع التي اقتبسوها عن الوثنيين.

وبالتتبع التاريخي لهذه الشعيرة نجد أنها لم تكن في أول أمرها كما هي عليه الآن، بل قد كانت نشأتها في البداية محدودة النطاق، ثم ما لبثت أن نمت تدريجيا، وانتشرت انتشارا واسعا، ثم أصبحت من ضمن شعائر النصرانية، وذلك عن طريق مجامعهم كما سيأتي.

وايضاحاً لذلك يقول المؤرخ المسيحي (ول ديورانت) :

---

(١) ٤ : ١٥ - ١٩ . وانظر كذلك السفر نفسه ٤ : ٢٥.

« كانت الكنيسة أوّل أمرها تكره الصور والتماثيل، وتعدها بقايا من الوثنية، وتنظر بعين المقت الى فن النحت الوثني الذي يهدف الى تمثيل الآلهة. ولكن انتصار المسيحية في عهد قسطنطين، وما كان للبيئة والتقاليد والتماثيل اليونانية من أثر ... كل هذا قد خفف من حدة مقاومة هذه الأفكار الوثنية. ولما أن تضاعف عدد القديسين المعبودين، نشأت الحاجة إلى معرفتهم وتذكرهم؛ فظهرت لهم ولمريم العذراء كثير من الصور. ولم يعظم الناس الصور التي يزعمون أنها تمثل المسيح فحسب، بل عظموا معها خشبة الصليب، حتى لقد أصبح الصليب في نظر ذوي العقول الساذجة طلسما ذا قوة سحرية عجيبة.

وأطلق الشعب العنان لفطرته، فحوّل الآثار، والصور، والتماثيل المقدسة الى معبودات، يسجد الناس لها، ويقبّلونها، ويوقدون الشموع ويحرقون البخور أمامها، ويتوجونها بالأزهار، ويطلبون المعجزات بتأثيرها الخفي.

وفي البلاد التي تتبع مذهب الكنيسة اليونانية بنوع خاص، كنت ترى الصور المقدسة، في كل مكان - في الكنائس، والأديرة، والمنازل، والحوانيت - وحتى أثاث المنزل، والحلي، والملابس نفسها لم تخلُ منها.

وأخذت المدن التي تتهددها أخطار الوباء، أو المجاعة، أو الحرب، تعتمد على قوة مالديها من الآثار الدينية أو على مافيها من الأولياء والقديسين للنجاة من هذه الكوارث»(١).

وما إن انتشر الإسلام، وعمّ أرجاء المعمورة، وخاصة في القرن الثامن الميلادي، وعرفت تعاليمه لغير أهله - ومافيه من النهي عن اتخاذ الصور والتماثيل فضلا عن تقديسها - حتى بدأ بعض المنصفين من المسيحيين،

---

(١) قصة الحضارة الجزء الثالث من المجلد الرابع رقم ١٤ (عصر الايمان) ص ١٥٤/١٥٥.

وأرباب السلطان في نبـذ هذه البـدعـة والعـمل على إزالتـهـا. من هؤلاء : الامـبراطور (ليوالثـالث)، الذي تشـبعت نفسه بفكرة سرت إليه من المسلمين وغيرهم، تذم عكوف جمهرة المسيحيين على عبادة الصور والتماثيل. فعقد مجلسا من الأساقفة وأصدر مرسوما عام (٧٢٦م) يطلب فيه ازالة جميع الصور والتماثيل الدينية من الكنائس، وحرّم تصوير المسيح والعذراء، وأمر بأن يغطى بالجصّ ما على جدران الكنائس من صور، لكن لم يقابل هذا المرسوم بالموافقة الجماعية فكان أن عارضته الكنيسة، وثار عليه الشعب. واتفقوا على عزل (ليو) وطرده من الحكم.

واجتمع مجلس من أساقفة الغرب دعا إليه البابا (جريجوري الثاني)، وصبّ اللعنة فيه على محطمي الصور والتماثيل. إلا أن أولاد (ليو الثالث) ساروا على نهجه، منهم ابنه (قسطنطين الخامس ٧٤١ - ٧٧٥م) حيث جمع هذا الامبراطور مجلسا من أساقفة الشرق في القسطنطينية سنة (٧٥٤م) قرر فيه بصفة قاطعة : تحريم اتخاذ الصور والتماثيل في العبادة، ووصفها بأنها عمل ممقوت. وحرّم طلب الشفاعة من العذراء، وأمر بأن يمحى أو يدمّر كل مافي الكنائس من صور وتماثيل. وكذلك أحفاده من بعده ساروا على نفس نهجه حتى كان عام (٧٨٧م) حيث دعت الامبراطورة (إيريني) - التى كانت معاصرة لهارون الرشيد - رجال الدين فى العالم المسيحي إلى عقد مجمع عام للبحث فى مسألة (الصور والتماثيل)، واتخاذ قرار حاسم بشأنها. فأجتمع فى مدينة نيقية عام (٧٨٧م) حوالي (٣٧٧) أسقفاً، وأصدروا قرارا بتعظيم صور المسيح وأمه والقديسين، لا بعبادتها(١).

---

(١) انظر ول ديورانت قصة الحضارة الجزء الثالث من المجلد الرابع رقم ١٤ ص ١٥٤-١٥٧. وانظر كذلك السيرجون ١٠. هاملتون / تاريخ العالم المجلد الرابع ص ٤٥٩ - ٤٦٢.

وجاء في قرار هذا المجمع ما يلي :

« انّا نحكم بأن توضع الصور ليس في الكنائس والأبنية المقدسة والملابس الكهنوتية فقط، بل في البيوت، وعلى الجدران في الطرقات؛ لأننا إن أطلنا مشاهدة ربنا يسوع المسيح ووالدته القديسة والرسل، وسائر القديسين في صورهم، شعرنا بالميل الشديد الى التفكير فيهم، والتكريم لهم. فيجب أن تؤدى التحية والاكرام لهذه الصور، لا العبادة التي لا تليق إلاّ بالطبيعة الالهية»(١).

واستمر الحال هكذا، حتى قامت حركة الاصلاح الكنسي في القرن الخامس عشر الميلادي. وكان من مبادئها أن منع البروتستانت اتخاذ الصور والتماثيل في الكنائس والسجود لها. متأثرين في ذلك بما رأوه عن المسلمين عن طريق الحروب الصليبية.

ورغم ذلك نجد غالبية المسيحيين لاتزال تقدس الصور حتى الآن وتلعن محطميها. يقول الامام القرافي في ذلك :

« أكثر النصارى يسجد للتصاوير في الكنائس. وهو من كفرهم. وأيّ فرق بين عبادة الأصنام والسجود للتصاوير.

ولو أن السجود للصور عقيدة، لسجد التلاميذ للمسيح - عليه السلام - في حال حياته، فإن صورته أفضل مما يصورونه في الكنائس، وليس في كتبهم حرف من شرع التصوير، ولا من السجود للتصاوير، بل مملوءة بالتوحيد والتمجيد، وكفّرت من يفعل مثل هذا ... »(٢).

---

(١) نقلا عن الشيخ محمد أبو زهرة / محاضرات في النصرانية ص ١٤٣/١٤٤ ط٣.

(٢) الأجوبة الفاخرة في الرد على الأسئلة الفاجرة مطبوع بهامش كتاب الفارق بين المخلوق والخالق ص١٨٨.

وسوف نرى في الفصل التالي بيان ابن تيمية لكون تقديس الصور والتماثيل أمراً مبتدعاً في المسيحية، ليس منها ولامن فعل المسيح وتلاميذه في شئ، والزامه للنصارى ببطلان ما هم عليه، حيث يفقد الاساس الديني الصحيح.

الفصل العاشر

إبطال ابن تيمية للعبادات والشرائع النصرانية



الفصل العاشر

إبطال ابن تيمية للعبادات والشرائع النصرانية

في معرض تبيان ابن تيمية لما سبق وأن شرحناه في هذا الباب من العبادات والشرائع النصرانية - في معرض ذلك يذكر لنا أنّ هذه العبادات والطقوس والشرائع تفقد أساسها الديني الصحيح، وانها لم ترد عن المسيح عليه السلام، ولم ينزل بها كتاب، وانما هي مبتدعات ابتدعها النصارى دون أن يكون لها أساس ديني صحيح عندهم. وفي ذلك يقول:

« دعواهم أنهم متمسكون في هذا الوقت بالدين الذي نقله الحواريون عن المسيح - عليه السلام - كذب ظاهر، بل عامة ماهم عليه من الدين عقائده، وشرائعه، كالامانة، والصلاة الى المشرق، وتعظيم الصليب، وتقديسه، واتخاذ الصور والتماثيل في الكنائس، واتخاذها وسائط والاستشفاع بأصحابها، وجعل الأعياد بأسمائهم، وبناء الكنائس على أسمائهم، واستحلال الخنزير، وترك الختان، والرهبانية، وجعل الصيام في الربيع، وجعله خمسين يوما، والصلوات التي يصلونها، والقرابين وعامة أعيادهم، مثل عيد القلندس، وعيد الميلاد، وعيد الغطاس وعيد الصليب - الذي جعلوه وقت ظهور الصليب ، لما أظهرته (هيلانة) الحرانية الفندقانية، أمّ قسطنطين، بعد المسيح عليه السلام بمائتين من السنين - وعيد الخميس، والجمعة، والسبت، التي في آخر صومهم*. وغير ذلك من

---

* عيد الميلاد : هو عيد ذكرى مولد السيد المسيح، وهو يوم (٢٥) ديسمبر بالتقويم الغربي، ويوم (٢٩) كيهك بالتقويم القبطي. احتفل به سنة (٢٠) ميلادية، ثم انتشر، واصبح شائعا، وشعبيا في القرون الوسطى التصقت به عادات، وتقاليد قومية، مثل : =

أعيادهم. التي رتّبوها على أحوال المسيح، والاعياد التي ابتدعوها لكبرائهم، وكذلك حجّهم لكنيسة القيامة، وبيت لحم، وكنيسة صيدنايا . فانّ ذلك كله من بدعهم التي ابتدعوها، لم ينقله الحواريون عن المسيح، ولاهو موجود لافي التوراة ولا في الانجيل...»[1].

ويعلل ابن تيمية هذا الأنحراف الذى طرأ على المسيحية، وأدى الى ابتداع كل ما ذكره من العبادات والطقوس والشرائع - يعلل ذلك بالأسباب الآتية :

= غناء الترانيم ، وتبادل الهدايا ، وارسال التهاني.

عيد الغطاس : عند المسيحيين احتفال ديني، بمناسبة تغطيس (تعميد) المسيح في نهر الأردن عندما بلغ ثلاثين عاما، ويقع في التاسع عشر من يناير كل عام.

عيد الخميس : (خميس الصعود) ، وهو عيد السلاق، أو صعود المسيح للسماء، بعد أربعين يوما من قيامته.

عيد الجمعة : وهو تذكار صلب المسيح - كما يزعمون - ، وفيه يظلّون كل اليوم يقرأون الانجيل، والنبوات، ويطوفون بالصليب، ويدفنون صورة المسيح حسب الترتيب الموضوع.

عيد السبت : (سبت النور) وفيه يقوم بطريرك الروم أو نائبه، بالطواف في كنيسة القيامة، حول القبر، حوالي ثلاثة أرباع الساعة، ثم يدخل الى بناية القبر، ويناول الارمن شمعة من يده، من الطاقة الغربية، ثم شمعة أخرى من الطاقة الشرقية. وينير منها القبط، والسريان شموعهم. وبذلك ينتهي الاحتفال، وينفضّ الزوّار ...

انظر عن الاعياد : مجلة رسالة الحياة المسيحية / السنة الأولى / العدد الرابع صفحة ٦٢ ، ٦٤ والعدد الخامس صفحة ٨٨ والعدد السادس صفحة ١٠٣ وانظر كذلك الموسوعة العربية الميسرة / صفحة ١٢٤٧

(١) انظر الجواب الصحيح ج ١ ص ٢٠٤ وكذلك ص ١٢٥
وانظر كذلك المرجع نفسه ج ٢ ص ١٥ ، ٨٦ ، ٢٣٠
وكذلك ج ٣ ص ٢٣٧ / ٢٣٨

السبب الأول : ما أعطاه النصارى لرؤسائهم من حق النسخ فى التشريع، فخالفوا بذلك شرع الله الذى بعث به الأنبياء. فيقول :

إن النصارى يجوّزون لأكابر أهل العلم والدين أن يغيروا ماراوه من الشرائع ، ويضعوا شرعا ؛ فلهذا كان أكثر شرعهم مبتدعا ، لم ينزل به كتاب ، ولاشرعه نبى(١).

ويقول فى موضع آخر :

«إن اليهود من شأنهم التكذيب بالحق ، فكلما جاءهم رسول بما لاتهوى أنفسهم فريقا كذبوا وفريقا يقتلون(٢) فيزعمون أن الله يمتنع عليه أن ينسخ ما شرعه ، أويبعث رسولا بشريعة تخالف ما قبلها.

أما النصارى فمن شأنهم التصديق بالباطل ، حيث يصدقون بمحالات العقول والشرائع ، ويزعمون أن ما أمر الله به يجوز لأحبارهم ورهبانهم أن ينسخوه ، فيحللون ماحرم الله ، كما حللوا الخنزير وغيره من الخبائث ، حيث زعموا أن بعض أكابرهم(٣). رأى ملاءة ، صوّرله فيها صور الحيوان ، وقيل له : كل ما طابت نفسك ، ودع ماتكره ، وأنه أبيح لهم جميع الحيوان ، ونسخوا شرع التوراة بمجرد ذلك.

ويحرمون ما حلله الله كما يحرمون فى رهبانيتهم التى ابتدعوها من

---

(١) الجواب الصحيح ج ٢ ص ١٦.

(٢) انظر سورة البقرة / آية ٨٧.

(٣) هو بطرس كما تحكي ذلك أسفارهم. أنظر أعمال الرسل ١١ : ٥ - ٩.
وانظر الفصل الأول من هذا الباب.

الطيبات ما أحله الله. ويسقطون ما أوجب، كا أسقطوا الختان وغيره، وأنواع الطهارة من الغسل، وازالة النجاسة، وغير ذلك. ويوجبون ما أسقط، كما أوجبوا من القوانين مالم يوجبه الله وأنبيائه.

فالحلال عندهم ما اشتهته أنفسهم والحرام عندهم ما كرهته أنفسهم، واليهود بالغوا في اجتناب النجاسات، وتحريم الطيبات، والنصارى استحلوا الخبائث وملابسة النجاسات. واليهود يبالغون في طهارة أبدانهم مع خبث قلوبهم. والنصارى يدّعون أنهم يطهرون قلوبهم مع نجاسة أبدانهم»[1].

واستشهد (ابن تيمية) بقوله تعالى :

{ يا أهل الكتاب لاتغلوا في دينكم غير الحق، ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل، وأضلوا كثيرا ، وضلوا عن سواء السبيل}[2] فبيَّن أن الله قد خاطب النصارى في هذه الآية، حيث إنهم سوّغوا لأكابرهم أن يضعوا لهم شريعة، وينسخوا بعض ما كانوا عليه، ولا يتحاكمون في شرع الله إلى كتاب الله والى رسله، فيقول :

« هو سبحانه وتعالى خاطب النصارى بهذا؛ لأن النصارى يعتمدون في دينهم على ما يقوله كبراؤهم الذين وضعوا لهم القوانين، والنواميس، ويسوغون لأكابرهم الذين صاروا عندهم عظماء في الدين أن يضعوا لهم شريعة، وينسخوا بعض ما كانوا عليه قبل ذلك، لا يردّون ما يتنازعون فيه من دينهم إلى الله ورسله، بحيث لايمكّنون أحداً من الخروج عن كتب الله المنزلة كالتوراة والانجيل، وعن اتباع ماجاء به المسيح، ومَنْ قبله مِن الأنبياء عليهم السلام.

---

(١) الجواب الصحيح ج ١ ص ٢٩٥ بتصرف قليل.

(٢) سورة المائدة / آية ٧٧.

ولهذا قال تعالى: { قل يا أهل الكتاب لستم على شئ حتى تقيموا التوراة والانجيل وما أنزل اليكم من ربكم }[1] لا ما وضعه لهم أكابرهم من القوانين والنواميس الشرعية ...

وحين كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ آية { اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله }[2] - قال عديّ بن حاتم : لم يعبدوهم، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : { إنهم أحلوا لهم الحرام فأطاعوهم، وحرموا عليهم الحلال فأطاعوهم، فكانت تلك عبادتهم}[3] ولهذا قال تعالى : { ولاتتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل }[4].

فاتباع النصارى أهواء أكابرهم هو الذي أضلهم، وأعماهم، وجعلهم يحيدون عن شرع الله المنزل ... »[5].

أما السبب الثاني عند ابن تيمية في انحراف النصارى في عباداتهم وشرائعهم فهو :

---

(١) سورة المائدة / آية ٦٨.

(٢) سورة التوبة / آية ٣١.

(٣) رواه الترمذي، وغيره، وحسنه. وفي رواية : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال تفسيراً لهذه الآية : (أما انهم لم يكونوا يعبدونهم، ولكنهم كانوا إذا أحلوا لهم شيئا استحلوه، واذا حرموا عليهم شيئا حرموه).
أخرجه الترمذي بالرواية الثانية، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى.
أنظر / محمد ناصر الدين الألباني / غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام ص ١٩.

(٤) سورة المائدة / آية ٧٧.

(٥) الجواب الصحيح ج ٢ ص ٨٦/٨٧. وانظر كذلك المرجع نفسه ج ١ ص ١١٤/١١٥.
وكذلك للمؤلف نفسه / اقتضاء الصراط المستقيم ص ٢٦٨/٢٦٩.

مقابلة النصارى لليهود، باتخاذ مواقف مضادة لهم، بعد أن أصبحت لهم الدولة في عهد (قسطنطين) كرد فعل للمواقف التي وقفها اليهود منهم سابقا، حيث اشتدت عداوة النصارى لليهود بعد أن أصبحت لهم الدولة، فانتقموا من اليهود، وأصبحت عداوتهم لهم ظاهرة حتى في العقائد والشرائع. فهم واليهود في هذا الباب على طرفي نقيض. وفي بيان ذلك يقول ابن تيمية :

« إن المسيح – عليه السلام – لما رفع الى السماء، وعاداه اليهود، وعادوا أتباعه عداوة شديدة، وبالغوا في أذاهم وإذلالهم، وطلب قتلهم ونفيهم، صار في قلوبهم من بغض اليهود ، وطلب الانتقام منهم مالا يوصف، فلما صار لهم دولة وملك مثل ما صار لهم في دولة قسطنطين، صاروا يريدون مقابلة اليهود ، كما جرت العادة في مثل ذلك بين الطوائف المتقابلة، المتنازعين في الملك، والمتنازعين في البدع، ظهرت طائفة على الأخرى بعدما آذتها الأخرى، وانتقمت منها تريد أن تأخذ بثأرها، ولا تقف عند حدّ العدل، بل تعتدي على تلك، كما اعتدت تلك عليها. فصار النصارى يريدون مناقضة اليهود، فأحلوا ما يحرمه اليهود كالخنزير وغيره، وصاروا يمتحنون مَنْ دخل في دينهم بأكل الخنزير، فإن أكله وإلاّ لم يجعلوه نصرانيا[1] وتركوا الختان، وقالوا : إن المعمودية عوض عنه، وصلّوا إلى قبلة غير قبلة اليهود. وكان اليهود قد أسرفوا في المسيح، وزعموا أنه ولد زنا، وأنه كذاب، ساحر. فغالى هؤلاء في تعظيم المسيح، وقالوا : إنه الله، وابن الله ... وأمثال ذلك ...»[2].

ويذكر (ابن تيمية) عن النصارى قولهم إن شريعتهم جاءت ناسخة لشريعة موسى – عليه السلام – ويستدلون على ذلك بما جاء في سفراشعياء،

---

(١) انظر الجواب الصحيح ج ٣ ص ٢٨/٢٩.

(٢) المرجع السابق ج ٢ ص ٨٦ – ٨٨.

حيث يقولون :

قال أشعياء « قال الله : هكذا مقتت نفسي سبوتكم، ورؤوس شهوركم صارت عندي مرذلة »[1].

وقال وفي ذلك اليوم يقول الله : « سأبطل السبوت والأعياد كلها، وأعطيكم سُنّة جديدة مختارة لا كالسنة التي أعطيتها لموسى عبدي « يوم حوريب»، يوم الجمع الكثير، بل سنة جديدة مختارة أمر بها وأخرجها من صهيون»[2].

ثم قالوا تعليقاً على هذا النص :

« فصهيون هي أورشليم، والسنة الجديدة المختارة هي السنة التي تسلمناها نحن معشر النصارى من يدي الرسل الحواريين الأطهار، الذين خرجوا من أورشليم، وداروا في سبعة أقاليم العالم، وأنذروا بهذه السنة الجديدة.

فأيّ بيان يكون أوضح وأصح من هذا البيان، اذ قد أوردناه من قول الله، ولاسيما وأعداؤنا اليهود - المخالفون لديننا - شهدوا لنا بصحة ذلك جميعه »[3].

ويدعي النصارى أنهم متبعون لهذه السنة فيما لديهم من العبادات

---

(١) سفر أشعياء ١ : ١٤ ولفظه : « رؤوس شهوركم وأعيادكم بغضتها نفسي، صارت عليّ ثقلا، مللت حملها».

(٢) سفر اشعياء ٢ : ٣.

(٣) نقلا من ابن تيمية / الجواب الصحيح ج ٢ ص ٢٢٧،
وانظر كذلك الجزء نفسه ص ٦٩ / ٧٣.

والطقوس والشرائع.

ويرد عليهم (ابن تيمية) فيؤكد عدم التزامهم بالسنّة التي أخذوها عن المسيح وعن الحواريين، وأن مايزعمون أنهم أخذوه عنهم من العقائد والعبادات والشرائع لايمكن أن يكون المسيح ولاحواريوه قد سنوه لهم، بل على العكس من هذا غيّروا سنتهم وشريعتهم مابين مبعث المسيح، ومبعث محمد صلى الله عليه وسلم، وابتدعوا فيها ماليس منها من الأضاليل والأباطيل تماما كما فعل اليهود بتحريف شريعتهم مابين مبعث موسى، ومبعث عيسى .

ومهما يكن من أمر، فإن ما عليه اليهود والنصارى لايجديهم نفعا في باب الإيمان حتى ولو ثبتوا على شرائعهم الصحيحة التي تلقوّها من أنبيائهم، ماداموا لم يتبعوا شرعة النبي الأمي، المبعوث إليهم والى الناس كافة. يقول ابن تيمية :

« أما قولكم: السنة الجديدة المختارة هي السنة التي تسلمناها من يدي الرسل الأطهار، على ما تسلموها من المسيح - عليه السلام - ، فيقال : لو كنتم على تلك السنة، ولم تغيّروها لم ينفعكم البقاء عليها، إذ كذبتم الرسول النبي الأمي الذي بعث اليكم، والى سائر الخلق بسنة أخرى، أكمل من السنن التي كانت قبله، كما لم ينفع اليهود ولو تمسكوا بسنة التوراة، ولم يتبعوا سنة المسيح الذي أرسل إليهم ... لكن غيرتموها، وبدلتموها قبل مبعث محمد صلى الله عليه وسلم، فصرتم كفاراً بتبديل شريعة المسيح، وتكذيب شريعة محمد صلى الله عليه وسلم، كما كفرت اليهود بتبديل شريعة التوراة، وتكذيب شريعة الانجيل، ثم كفروا بتكذيب شريعة محمد صلى الله عليه وسلم، وعلى سائر رسل الله أجمعين فإن المسيح لم يسنّ لكم استحلال الخنزير، وغيره من المحرمات، ولا ترك الختان، ولا الصلاة الى المشرق، ولا اتخاذ أحبارهم

ورهبانهم أربابا من دون الله، ولا اتخاذ التماثيل والصليب، ودعاء الموتى والغائبين من الأنبياء والصالحين وغيرهم، وسؤالهم الحوائج، ولا الرهبانية، وغير ذلك من المنكرات التي أحدثتموها لم يسنها لكم المسيح. فما أنتم عليه ليست هي السنة التي تسلمتوها من رسل المسيح، بل عامة ما أنتم عليه من السنن أمور محدثة مبتدعة بعد الحواريين.

فكيف تدّعون أنكم على السنة والشريعة التي كان عليها المسيح – عليه السلام – وهذا مما يعلم بالاضطرار والتواتر أنه كذب بيّن »[1].

فلو فرض صحة استدلال النصارى على استقلالهم التشريعي عن اليهودية، وأن ذلك بأمر من الله – لو فرض صحة ذلك، فإن الواقع أنهم لم يتبعوا شريعة المسيح، وانما حرفوها، وانحرفوا عنها، كما يدل على ذلك تتبع أحكام هذه الشريعة على نحو ما عرضها شيخ الاسلام آنفا.

ويخص شيخ الاسلام بالتعليق بعض الطقوس النصرانية، مبطلاً إياها كالقرابين، والرهبانية ...

ففيما يتعلق بالقرابين يقول ابن تيمية :

« يدعي النصارى أن القرآن مدح قرابينهم، وتوعدهم إن أهملوا ما معهم، وكفروا بما أنزل اليهم أن يعذبهم عذابا لم يعذبه أحداً من العالمين. وذلك في قوله تعالى في سورة المائدة[2] : { إذ قال الحواريون يا عيسى بن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء. قال : اتقوا الله إن كنتم مؤمنين.

---

(١) الجواب الصحيح ج ٢ ص ٢٢٨ – ٢٣٠ بتصرف وتلخيص.

(٢) آية ١١٢ – ١١٥.

قالوا نريد أن نأكل منها وتطمئن قلوبنا، ونعلم أن قد صدقتنا، ونكون عليها من الشاهدين. قال عيسى بن مريم : اللهم ربنا انزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيداً لأولنا وآخرنا وآية منك. وأرزقنا وأنت خير الرازقين قال الله إني منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فإني أعذبه عذابا لا أعذبه أحداً من العالمين}.

قالوا : فالمائدة هي القربان المقدس الذي يتقرب به في كل قداس[1]».

ويرد ابن تيمية على ادعائهم هذا مبطلاً إياه، ومبيناً فساده فيقول :

« هذاكذب ظاهر على القرآن في هذا الموضع، كما كذبتم عليه في غير هذا الموضع. فإنه ليس في الآيات ذكْر قرابينكم ألبتة، وانما فيها ذكر المائدة التي أنزلها الله تعالى في عهد المسيح عليه السلام.

وقولهم : المائدة هي القربان الذي يتقرب به في كل قداس، هو :

أولاً : قول لا دليل عليه .

وثانيا : هو قول معلوم الفساد بالاضطرار من دين المسلمين، الذين نقلوا هذا القرآن عن محمد صلى الله عليه وسلم، ولفظه، ومعناه. فإنهم متفقون* على أن المائدة مائدة أنزلها الله على عهد المسيح – عليه السلام –، وقصتها مشهورة في عامة الكتب، تعرفها العامة والخاصة، ولم يقل أحد أنها قرابين النصارى، وليس في لفظ الآية ما يدل على ذلك، بل يدل على خلاف ذلك.

---

(١) أنظر الجواب الصحيح ص ٦٤ ، ٦٥ الجزء الثاني.

* عن خبر المائدة انظر التفاسير الآتية :

١ – تفسير ابن كثير ج ٢ ص ١١٦ ، ١١٩.

٢ – تفسير الرازي المجلد السادس ج ١٢ ص ١٣٦ / ١٤١.

٣ – تفسير المنار ج ٧ ص ٢٥٨ / ٢٦٠.

فإن الآية تبيّن أن المائدة منزلة من السماء، وقرابينهم هي عندهم في الأرض لم تنزل من السماء.

وفي الآية أن عيسى - عليه السلام - قال : { اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا لأولنا وآخرنا، وآية منك، وارزقنا وأنت خير الرازقين. قال الله : إني منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فإني أعذبه عذابا لا أعذبه أحداً من العالمين}.،

وفي أول الكلام (إذ قال الحواريون يا عيسى بن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء ؟ قال : اتقوا الله إن كنتم مؤمنين، قالوا :نريد أن نأكل منها، وتطمئن قلوبنا، ونعلم أن قد صدقتنا، ونكون عليها من الشاهدين).

فأين هذا من قرابينهم الموجودة اليوم ؟!»[١].

وفيما يتعلق بالرهبنة فإن ابن تيمية يذكر أنهم يحتجون على صحة ابتداعهم للرهبنة بأن القرآن قد امتدحها حيث يقولون :

إن القرآن مدح الرهبانية التي نحن متمسكون بها[٢] بقوله تعالى:

{ ولقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط، وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس، وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب إن الله قوي عزيز ولقد أرسلنا نوحا وابراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب، فمنهم مهتدٍ، وكثير منهم فاسقون. ثم قفينا على اثارهم برسلنا

---

(١) الجواب الصحيح ج ٢ ص ٦٤ ، ٦٥.

(٢) المرجع السابق ج ٢ ص ٢٣٠ ، ٢٥٨.

وقفينا بعيسى ابن مريم، وآتيناه الانجيل وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة ورهبانية ابتدعوها ماكتبناها عليهم الا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها فأتينا الذين آمنوا منهم أجرهم، وكثيرمنهم فاسقون}[١].

ويرد عليهم ابن تيمية مبيناً لهم خطأ فهمهم للآية، وأن الرهبانية ابتداع وليست اتباعاً، وأنهم مخالفون بذلك شريعة الأنبياء، وشريعة المسيح. فيقول :

« قول الله تعالى هذا حق، لكن ليس في ذلك مدح للرهبانية، ولا لمن بدل دين المسيح، وانما فيه مدح لمن اتبعه بما جعل الله في قلوبهم من الرحمة والرأفة، حيث يقول : { وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة } ثم قال: {ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم } أي وابتدعوا رهبانية ما كتبناها عليهم. وهذه الرهبانية لم يشرعها الله ولم يجعلها مشروعة لهم، بل نفى جعله عنها ... وهذا الجعل المنفي عن البدع هو الجعل الذي أثبته للمشروع بقوله تعالى : {لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا }[٢] وقوله : { ولكل أمة جعلنا منسكا هم ناسكوه}[٣]. فالرهبانية التي ابتدعوها لم يشرعها الله.

وللمفسرين في قوله تعالى :(ورهبانية) قولان :[٤]

أحدهما : انها منصوبة. يعني ابتدعوها. إما بفعل مضمر، يفسره ما

---

(١) سورة الحديد / آية ٢٥ – ٢٧.

(٢) سورة المائدة / آية ٤٨.

(٣) سورة الحج / آية ٦٧. والمنسك هو الشريعة والمنهاج على القول المختار.
انظر ابو السعود في تفسيره ج ٦ ص ١١٨.

(٤) انظر على سبيل المثال : الامام القرطبي في الجامع لأحكام القرآن ج١٧ ص ٢٦٢.
وانظر كذلك الزمخشري في كشافه ج٤ ص ٦٧ ، ٦٨.
وكذلك الإمام الرازي في تفسيره الكبير المجلد ١٥ ج ٢٩ ص ٢٤٦ / ٢٤٧.

بعده، أو يقال : هذا الفعل يعمل في المضمر والمظهر. ونظيره قوله تعالى : { يدخل من يشاء في رحمته والظالمين أعدّ لهم عذابا أليما }[(١)]. وعلى هذا القول فلا تكون الرهبانية معطوفة على الرأفة والرحمة.

أما القول الثاني إنها معطوفة عليها، فيكون الله قد جعل في قلوبهم الرأفة والرحمة والرهبانية المبتدعة، ويكون هذا جعلا خلقيا كونيا. والجعل الكوني يتناول الخير والشر، كقوله تعالى : { وجعلناهم أئمة يدعون الى النار }[(٢)]. وعلى هذا القول فلا مدح للرهبانية ؛لأنها في القلوب. فثبت أنه على التقديرين ليس في القرآن مدح. ثم قال : (إلا ابتغاء رضوان الله)، أي لم يكتب عليهم إلا ابتغاء رضوان الله، وابتغاء رضوان الله بفعل ما أمر به لابما يبتدع. وهذا يسمى استثناءً منقطعا كما في قوله تعالى :{ مالهم به من علم إلا اتباع الظن ...»[(٣)]. وذكر أنهم ابتدعوا الرهبانية، ومارعوها حق رعايتها، وليس في ذلك مدح لهم، بل هو ذم ...

هذا وان الرهبانية لم تكن في كل من اتبعه، بل الذين صحبوه كالحواريين، لم يكن فيهم راهب، وانما ابتدعت الرهبانية بعد ذلك بخلاف الرأفة والرحمة فإنها جعلت في قلب كل من اتبعه كما وأن الرأفة والرحمة جعلها الله في القلوب. والرهبانية لا تختص بالقلوب، بل الرهبانية تتضمن ترك المباحات من النكاح، واللحم، وغير ذلك. وقد كان طائفة من الصحابة - رضوان الله عليهم - همّوا بالترهب، فأنزل الله تعالى نهيهم عن ذلك بقوله تعالى :{ يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحلّ الله لكم، ولا تعتدوا إن الله لا يحب

---

(١) سورة الإنسان / آية ٣١.

(٢) سورة القصص آية ٤١.

(٣) سورة النساء / آية ١٥٧.

المعتدين}[١].

وثبت في الصحيحين أن نفرا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أتوا إلى أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وسألوها عن عبادة النبي صلى الله عليه وسلم فما أُخبروا عنها كأنهم تقالّوها. فقال أحدهم :أما أنا فأصوم لا أفطر، وقال الآخر : أما أنا فأقوم لا أنام، وقال الثالث :أما أنا فلا أتزوج النساء، وقال الرابع: أما أنا فلا أكل اللحم. فقام النبي صلى الله عليه وسلم خطيبا فقال : (ما بال رجال يقول أحدهم كذا وكذا ... لكني أصوم وأفطر، وأقوم وأنام، وأتزوج النساء، وآكل اللحم. فمن رغب عن سنتي فليس مني)[٢].

وفي صحيح البخاري أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى رجلا قائما في الشمس، فقال : ما هذا؟ قال : هذا أبواسرائيل، نذر أن يقوم في الشمس، ولا يستظل، ولايتكلم، ويصوم . فقال - صلى الله عليه وسلم - :

(مروه فليجلس، وليستظل، وليتكلم، وليتم صومه)[٣].

وثبت في صحيح مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول في خطبته :

(خير الكلام كلام الله، وخير الهدي هدي محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة)[٤].

---

(١) سورة المائدة / آية ٨٧.

(٢) صحيح البخاري ج ٦ ص ١١٦ أول كتاب النكاح. وصحيح مسلم ج ٤ ص ١٢٩، كتاب النكاح. والراوي للحديث في الصحيحين هو أنس بن مالك.

(٣) ج ٧ ص ٢٣٤ كتاب الايمان والنذر / باب النذر فيما لايملك، وفي معصية.

(٤) ج ٢ ص ٥٩٢ كتاب الجمعة باب تخفيف الصلاة والخطبة، ولفظه : (خير الحديث كتاب الله ...) الخ.

وفي السنن عن العرباض بن سارية أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (عليكم بسنتي، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ، واياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة)[1].

وقد بينت النصوص الصحيحة أن الرهبانية بدعة، وضلالة. وما كان بدعة وضلالة لم يكن هدى، ولم يكن الله جعلها بمعنى أنه شرعها. وقالت طائفة : معناها: ما فعلوها إلاّ ابتغاء رضوان الله ما كتبناها عليهم إلاّ ابتغاء رضوان الله.

وقالت طائفة : مافعلوها، أو ما ابتدعوها إلاّ ابتغاء رضوان الله. قيل : كلا القولين خطأ. والأول أظهر خطأ، فإن الرهبانية لم يكتبها الله عليهم، بل لم يشرعها لا ايجابا ولا استحبابا، ولكن ذهبت طائفة إلى أنهم لما ابتدعوها كتب عليهم إتمامها، وليس في الآية ما يدل على ذلك، فإنه قال :{ ما كتبناها عليهم إلاّ ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها}[2]. فلم يذكر أنه كتب عليهم نفس الرهبانية، ولا إتمامها، ولا رعايتها، بل أخبر أنهم ابتدعوها بدعة، وأن تلك البدعة لم يرعوها حق رعايتها. فإن قيل : قوله تعالى : { فما رعوها حق رعايتها} يدل على أنهم لو رعوها حق رعايتها لكانوا ممدوحين. قيل : ليس في الكلام ما يدل على ذلك، بل يدل على أنهم - مع عدم الرعاية - يستحقون من

---

(١) سنن أبي داود / ج٥ ص ١٣ كتاب السنّة / باب في لزوم السنة رقم الحديث ٤٦٠٧، وأخرجه الترمذي في العلم / حديث رقم ٢٦٧٨/ باب في الأخذ بالسنة، واجتاب البدع. وقال حديث حسن صحيح.

(٢) سورة الحديد / آية ٢٧.

الذم مالا يستحقونه بدون ذلك، فيكون ذم من ابتدع البدعة، ولم يرعها حق رعايتها أعظم من ذم من رعاها، وان لم يكن واحد منها محمودا، بل مذموما. مثل نصارى بني تغلب* ونحوهم ممن دخل في النصرانية، ولم يقوموا بواجباتها، بل أخذوا منها ما وافق أهوائهم، فكان كفرهم، وذمهم أغلظ ممن هو أقل شراً منهم، فتخصيص الرهبانية بأنه كتبها إبتغاء رضوان الله دون غيرها تخصيص بغير موجب. فإن ما كتبه ابتداء لم يذكر أنه كتبه ابتغاء رضوانه، فكيف بالرهبانية؟.

وأما قول من قال : ما فعلوها إلاّ ابتغاء رضوان الله. فهذا المعنى لو دلّ عليه الكلام لم يكن في ذلك مدح للرهبانية، فإن من فعل مالم يأمر الله به، بل نهاه عنه مع حسن مقصده، غايته أن يثاب على قصده لايثاب على ما نهى عنه، ولا عن ماليس بواجب، ولا مستحب، فكيف والكلام لا يدل عليه، فإنه قال : { ما كتبناها عليهم إلاّ ابتغاء رضوان الله }. لم يقل ما فعلوها إلاّ ابتغاء رضوان الله، ولا قال : ما ابتدعوها إلاّ ابتغاء رضوان الله، ولو كان المراد مافعلوها أو

---

* هم بطن من العرب، انتسبوا الى النصارى ، ولم يعرفوا من دينهم شيئ فنقل عن علي - كرم الله وجهه - أنه لم يجز أكل ذبائحهم، ولا نكاح نسائهم معللا ذلك بأنهم لم يأخذوا من النصارى إلاّ شرب الخمر. يعني أنهم على شركهم، لم يصيروا أهل كتاب. واكتفى جمهور الصحابة بانتمائهم الى النصرانية. روى ابن جرير عن عكرمة قال : سئل ابن عباس عن ذبائح نصارى بني تغلب، فقرأ هذه الآية : {ياأيها الذين آمنوا لاتتخذوا اليهود والنصارى أولياء، بعضهم أولياء بعض، ومن يتولهم منكم فإنه منهم...} الآية. سورة المائدة / آية ٥١.

وفي رواية له عنه أنه قال : كلوا من ذبائح بني تغلب، وتزوجوا من نسائهم، فإن الله تعالى قال : - وقرأ الآية -. فلو لم يكونوا منهم إلاّ بالولاية لكانوا منهم. أى يكفي في كونهم منهم : نصرهم لهم، وتوليهم إياهم في الحرب.

أنظر الشيخ محمد رشيد رضا / تفسير المنار ج٦ ص ١٨٩.

وأنظر كذلك خير الدين الزركلي / الأعلام المجلد الثامن ص ٨٥.

وانظر كذلك منجد الأعلام ص ١٨٩ ط ٢٦.

ما ابتدعوها إلاّ ابتغاء رضوان الله، لكان منصوبا على المفعولية، ولم يتقدم لفظ الفعل ليعمل فيه. ولا نفى ابتداع، بل أثبته لهم، وانما تقدم لفظ الكتابة. فعلم أن القول الذي نكرناه هو الصواب، وأنه استثناء منقطع، فتقديره : وابتدعوا رهبانية ما كتبناها عليهم، لكن كتبنا عليهم ابتغاء رضوان الله، فإن ارضاء الله واجب مكتوب على الخلق، وذلك يكون بفعل المأمور، وبترك المحظور، لا بفعل مالم يأمر بفعله، وبترك مالم ينه عن تركه، والرهبانية فيها فعل مالم يأمر به وترك مالم ينه عنه»[1].

وجماع القول : إن كفر اليهود أصلـــه من جهة عدم العمـــل بعلمهم، فهم يعلمون الحق، ولا يتبعونه قولاً أو عملا أو لا قولاً ولا عملاً . وكفر النصارى من جهة عملهم بلا علم. فهم يجتهدون في أصناف العبـــادات بلا شريعة مـــن الله، ويقولـــون على الله مالا يعلمون. ولهذا كان السلف كسفيان بن عيينه* وغيره يقولون : « من فسد من علمائنا ففيه شبه من اليهود، ومن فسد من عبادنا ففيه شبه من النصارى»[2] وصدق الله العظيم اذ يقـــول : { ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم، قل إن هدى الله هو الهدى، ولئن اتبعت اهواءهم بعد الذي جاءك من العلم مالك من الله من ولي ولا نصير}[3].

---

(١) أنظر الجواب الصحيح ج١ ص ٢٥٨ / ٢٦٤ باختصار وتلخيص.
وانظر كذلك المرجع نفسه ج٢ ص ٨٥.

* سفيان بن عيينة بن ميمون الهلالي الكوفي (١٠٧ - ١٩٨هـ)، ولد بالكوفة، وسكن مكة، وتوفي بها. كان حافظا ثقة، واسع العلم، كبير القدر. قال الشافعي عنه : لولا مالك وسفيان لذهب علم الحجاز. أنظر خير الدين الزركلي / الاعلام ج٣ ص ١٠٥.

(٢) ابن تيمية اقتضاء الصراط المسيقيم في الرد على أهل الجحيم ص٥.

(٣) سورة البقرة / آية ١٢٠.

وهكذا يبطل ابن تمية شرائع النصارى إجمالا وتفصيلا - كما أبطل عقائدهم من قبل - وذلك لعدم صحة ما تقوم عليه من الأسس الدينية؛ ولتناقضها مع العقل الصريح، والدين الصحيح.

الخاتمة والنتائج

الخاتمـــــة

انهيت من رسالتي هذه بحمد الله تعالى وتوفيقه الى أهم النتائج الآتية :

(١) أثبت أنه كان هناك انجيل أصلي لعيسى - عليه السلام -، وأن الأناجيل الموجودة حاليا بأيدي النصارى منقطعة السند تماما عن واضعيها، وتبطل بالتالي دعوى الالهام لكاتبيها. وأنّ التحريف اللفظي بأنواعه الثلاثة (بالتبديل اللفظي، وبالنقصان، وبالزيادة) واقع فيها. وفيها من التناقض ما يكفي في القطع بعدم صحتها، وقداستها، كما دلت على ذلك الدراسة المقارنة لها في مختلف فصول الرسالة.

(٢) انّ الديانة المسيحية الصحيحة، المنزلة من عند الله، هي ديانة توحيد، وتنزيه للاله الخالق، وليست ديانة تعدد، وتثليث. شأنها في ذلك شأن سائر الأديان السماوية الأخرى.

أمّا المسيحية الحالية، فليست هي مسيحية المسيح، ولا تمتّ الى مسيحيته بصلة، اللهم إلا الصلة الاسمية فقط، فما هي الاّ لبنات وثنية، أعيد بناؤها، فجاءت منه المسيحية الحالية، وهي في حقيقة الأمر كذلك - كما بينت ذلك بوضوح خلال فصول الرسالة - من وضع بولس، الذي أدخل عليها مالم يكن في النصرانية الأولى، من القول بالحلول والاتحاد، وبنوة المسيح لله تعالى وألوهيته، والقول بالتثليث، والصلب والفداء، وغير ذلك من ابتداعاته للشعائر، وتحريفاته للشرائع.

(٣) انّ عقيدة الحلول والاتحاد التي قال بها النصارى، وزعموا فيها حلول اللاهوت في الناسوت المسيحي، واتحاده به - انّ هذه العقيدة عقيدة وثنية، ظهرت في مختلف الأمم القديمة قبل المسيحية، بصور مختلفة، وانتقلت الى المسيحية بعد ذلك، فانحرفت بذلك عن خط التوحيد. وقد أبطلت هذه العقيدة بمختلف الأدلة العقلية والنقلية.

(٤) انّ النصارى غلوا في اعتقادهم ببنوة المسيح لله تعالى، وأبوّة الله له على الحقيقة، حيث ورد فيها ما يدل على خلاف ذلك، وأنّ أبوّة الله انما هي بمعنى : الرعاية، والاختصاص. وانها عامة للمؤمنين به، العارفين له، المتمسكين بأوامره. وقد أبطلت هذه العقيدة بمختلف الأدلة، حتى من خلال أناجيلهم نفسها، حيث ورد فيها ما يدل على خلاف ذلك.

(٥) أثبّت بطلان تصورات النصارى لروح القدس،. وبينت أنّه في الحقيقة ليس إلاّ جبريل - عليه السلام - ومن ثمّ فقد أبطلت تأليههم له، واعتباره أحد الأقانيم الثلاثة، وما يستندون اليه في هذه العقيدة من شبهات.

(٦) كشفت عن الجذور التاريخية لعقيدة التثليث عند النصارى، بما يبيّن انحراف النصرانية الحالية بهذه العقيدة عن خط التوحيد، في الرسالات السماوية. وبينت بطلانها عقلا ونقلا، بل وبيّنت دلالة نصوص الأناجيل على التوحيد، لو فهمت على وجهها الصحيح.

(٧) أثبت خلو النصرانية الأولى من عقيدة الصلب والفداء، وأنها طرأت على تلك الديانة، تأثّرا بما في الوثنية، وبادخال بولس لها في النصرانية، ونتيجة لتقرير المجامع لها. وقد بيّنت بطلان عقيدة الصلب والفداء؛ لما فيها من

تناقضات عقلية ودينية؛ ولعدم الوثاقة التاريخية لروايتها، وتضارب الأناجيل بشأنها، للقول بالمسؤولية الفردية، وما قدمه القرآن من أدلة على بطلانها. وقد أثبت الى ذلك معارضة بعض النصارى لتلك العقيدة الباطلة.

(٨) انتهيت في دراستي بعد عرض مطوّل للعبادات، والشعائر والشرائع النصرانية، الى بيان أنها لاتستند الى أصول دينية صحيحة، وأنها خلال تاريخها الطويل بعد رفع المسيح - عليه السلام - ليست إلا تحريفا لشريعة التوراة، وخروجاً عليها، وابتداعاً لما لم يكن في النصرانية الأولى من العبادات، والتشريعات، على أيدي آباء الكنيسة، الذين أصبح في أيديهم حقّ التشريع، وقد أظهرت مافي هذه العبادات، والتشريعات من أوجه الردّ، والابطال، وما فيها من مناقضة مع العقل والدين، ومناؤة للفطرة الإنسانية السليمة.

هذه اشارة موجزة، لأهمّ النتائج التي انتهيت اليها، من خلال عرضي للنصرانية في مختلف جوانبها، عقيدة وعبادة وتشريعا. وعلى مختلف أحوالهم، بدءا وتطورا. ومن خلال ما ذكرته على هذه الديانة، من أوجه الردّ والابطال في مختلف هذه الجوانب، على لسان شيخ الإسلام ابن تيمية، بيانا لموقفه منها، ومن أسفارها المقدسة، في عهديها: القديم والجديد، وكذلك من خلال ما وجهته الى تلك الديانة، وأسفارها من أوجه الرد والابطال، التي تناولت بها الأصول الدينية لعقائد النصارى وعباداتهم، وشرائعهم. اضافة لما قدمه شيخ الإسلام من ذلك.

هذا ونسأل الله سبحانه وتعالى التوفيق. انه نعم المولى ونعم النصير. وآخر دعوانا ان الحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

مراجع البحث

مراجع البحث
«مراجع الرسالة»

فيما يلى مراجع هذه الرسالة، مرتبة حسب الأحرف الهجائية لاسم الكتاب الذى اشتهربه. وهي التي المراجع التي أسهمت بطريق مباشر في مادة هذه الرسالة، أمّا المراجع الأخرى والتي أسهمت بطريق غير مباشر فلم تذكر في هذه القائمة.

(١) القرآن الكريم.

(أ)

(٢) ابن تيمية بطل الاصلاح الديني. عرض وتقديم / محمود مهدى الاستانبولي.

الناشر : دار الحياة للطباعة والنشر.

(٣) ابن تيمية (حياته وعصره - آراؤه وفقهه). تأليف / الشيخ محمد أبو زهرة.

الناشر : دار الفكر العربي.

(٤) أديان العالم. تأليف / حبيب سعيد.

الناشر : دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية / القاهرة.

(٥) أديان الهند الكبرى. تأليف الدكتور / أحمد شلبى.

الطبعة الخامسة سنة ١٩٧٧م.

الناشر : مكتبة النهضة المصرية.

(٦) ارشاد السارى لشرح صحيح البخارى. تأليف / أبي العباس شهاب الدين أحمد بن محمد القسطلاني.
الناشر : دار احياء التراث العربي / بيروت - لبنان.
(٧) أساس البلاغة. تأليف / الامام العلامة جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشرى. طبعة سنة ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
الناشر : دار صادر / بيروت.
(٨) استحالة تحريف الكتاب المقدس. تأليف / المهندس وهيب عزيز خليل الطبعة الثانية. منقحة ومزيدة.
الناشر : كنيسة الشهيدة القديسة دميانة بالهرم.
(٩) اسرائيل حرفت الأناجيل والاسفار المقدسة. تأليف / المهندس أحمد عبد الوهاب. الطبعة الأولى سنة ١٩٧٢م.
الناشر : مكتبة وهبة / القاهرة.
(١٠) أضواء على المسيحية. بقلم الدكتور رؤف شلبى. طبعة سنة ١٩٧٥م.
الناشر : المكتبة العصرية / صيدا - بيروت.
(١١) اظهار الحقّ. تأليف / الامام العلامة الشيخ رحمة الله بن خليل العثماني الكيرانوى. اخراج وتحقيق / عمر الدسوقي.
الناشر : طبع على نفقة الشؤون الدينية بدولة قطر / مطابع الدوحة الحديثة.
(١٢) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان. تأليف / أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الشهير بابن قيم الجوزية. تحقيق وتصحيح وتعليق محمد حامد الفقي.
الناشر : مكتبة الرياض الحديثة / الرياض.
(١٣) أقانيم النصارى. تأليف الشيخ الدكتور أحمد حجازى السقا.
الناشر : دار الانصار / القاهرة.

(١٤) اقتضاء الصراط المستقيم (مخالفة أصحاب الجحيم). تأليف / شيخ
الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى.
صححه دققه وعلق عليه / الاستاذ محمد على الصابوني.
طبعة سنة ١٣٩٠هـ.
الناشر : مطابع المجد التجارية.
(١٥) الأجوبة الفاخرة في الرد على الاسئلة الفاجرة. تأليف / أحمد بن ادريس
المالكي الشهير بالقرافي. مطبوع بهامش كتاب الفارق بين
المخلوق والخالق. لمؤلفه / الحاج عبد الرحمن بك افندى
باجه جى زاده. الطبعة الأولى.
الناشر : مطبعة التقدم بمصر سنة ١٣٢٢هـ.
(١٦) الأديان في القرآن. تأليف الدكتور محمود بن الشريف. الطبعة الثانية
سنة ١٩٧٢م.
الناشر : دار المعارف بمصر.
(١٧) الأعلام (قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين
والمستشرقين) تأليف / خير الدين الزِركْلي.
الناشر : دار العلم للملايين / بيروت.
(١٨) الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية / الحافظ عمر بن على البزار.
تحقيق / زهير الشاويش. الطبعة الثالثة سنة ١٤٠٠هـ
الناشر : المكتب الإسلامى / بيروت.
(١٩) الإعلام بما فى دين النصارى من الفساد والأوهام. واظهار محاسن دين
الإسلام، وإثبات نبوة نبينا محمد عليه الصلاة والسلام.
تأليف/ الأمام القرطبى. تقديم وتحقيق وتعليق الدكتور أحمد
حجازى السقا.
الناشر : دار التراث العربى

(٢٠) الامام ابن تيمية وموقفه من قضية التأويل. محمد السيد الجلفيد.
طبعة سنة ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.
الناشـر : الهيئـة العامـة لشؤون المطابـع الأميـرية / القاهرة.
(٢١) الانجيل والصليب. تأليف / الأب عبد الأحد داود الآشورى العراقي.
نقله من التركية الى العربية مسلم عراقي.
طبع في القاهرة سنة ١٣٥١هـ.
(٢٢) الله واحد أم ثالوث. محمد مجدى مرجان.
الناشر : دار النهضة العربية / القاهرة.
(٢٣) انجيل برنابا / ترجمه من الانكليزية الدكتور خليل سعاده.
الناشر : مطبعة محمد على صبيح وأولاده بالأزهر.
(٢٤) انجيل يوحنا (تاريخيا وموضوعيا). الدكتور محمد علي زهران.
رسالة دكتوراه سنة ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.
(٢٥) ايماني. أو قضايا المسيحية الكبرى. بقلم القسّ / الياس مقار.
الناشر : دار الثقافة المسيحية / القاهرة.

(ب)

(٢٦) باعث النهضة الاسلامية ابن تيمية السفلي. تأليف الأستاذ محمد خليل هرّاس. الطبعة الأولى سنة ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
الناشر : دار الكتب العلمية / بيروت - لبنان.
(٢٧) بالحقيقة نؤمن باله واحد. تأليف القسّ / موسى وهبه مينا.
الناشر : مطبعة مدارس الأحد / شبرا.
(٢٨) البداية والنهاية. لأبي الفداء الحافظ ابن كثير. الطبعة الرابعة سنة ١٩٨١م - ١٤٠١هـ.
الناشر : مكتبة المعارف / بيروت.

(٢٩) البـراهين الانجـيليـة على أنّ عـيـسى داخل في العـبـودية ولا حظّ له في الألوهية. بقلم الأستاذ الدكتور محمد تقي الدين الهلالي.
الناشر : مطابع دار الثقافة / مكة ١٣٩٣هـ.
(٣٠) برهان يتطلب قـرارًا. تـأليف / جـوش مكدويل / ترجـمـة القسّ / منيس عبد النور.
الناشر : دار الثقافة المسيحية / القاهرة.
(٣١) بنو اسرائيل في القرآن والسنة. تأليف الدكتور / محمد سيد طنطاوى الطبعة الأولى سنة ١٣٨٨هـ - ١٩٦٩م.
الناشر : دار حراء.

(ت)

(٣٢) تاج العـروس من جـراهر القـامـوس /. تـأليف / الامـام السـيد مـحـمـد مرتضى الزبيدى. الطبعة الأولى سنة ١٣٠٦هـ.
الناشر : المطبعة الخيرية / مصر.
(٣٣) تاريخ الأديان وفلسفتها. بقلم العميد الركن / طَهَ الهاشمي.
الناشر : دار مكتبة الحياة / بيروت.
(٣٤) تاريخ العالم. نشره بالانجليزية / السيرجون. أ. هامرتن.
أشرف على ترجمته / قسم الترجمة بوزارة التربية والتعليم بمصر.
الناشر : مكتبة النهضة المصرية.
(٣٥) تاريخ الفلسفة اليونانية. يوسف كرم. طبعة جديدة.
الناشر : دار القلم / بيروت - لبنان.

(٣٦) تجسد الكلمة للقديس / اثناسيوس الرسولي.
نقله الى العربية القمص / مرقس داود.
الناشر : كنيسة السيدة العذراء بالفجالة سنة ١٩٨٣م.
(٣٧) التحريف والتناقض في الأناجيل الأربعة. سارة العبادى (رسالة ماجستير) عام ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢.
(٣٨) تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب. تأليف عبد الله الترجمان الأندلسى. تقديم وتحقيق وتعليق الدكتور / محمود على حماية.
الطبعة الأولى سنة ١٩٨٣م
الناشر : مطبعة دارالثقافة للطباعة والنشر / القاهرة.
(٣٩) التعريفات. للعلامة على بن محمد الشريف الجرجانى.
الناشر : مكتبة لبنان.
(٤٠) التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام . تأليف محمد الغزالي .
الناشر / دار الكتب الحديثة لصاحبها توفيق عفيفي عامر .
(٤١) تنزيه الله تعالى في الفكر الاسلامى. الدكتور حسين جابر موسى. (رسالة دكتوراه) عام ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
(٤٢) تنقيح الابحاث للملل الثلاث. تأليف سعد بن منصور بن كمونة اليهودى.
الناشر : دار الأنصار / القاهرة.
(٤٣) تفسير الآلوسي المسمى (روح المعانى) . تأليف محمود الآلوسي البغدادى
الناشر : دار احياء التراث العربى. بيروت - لبنان.
(٤٤) تفسير ابن عباس المسمى (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس).
صححه وحققه / محمد الصادق قمحاوى، وعبد الحفيظ محمد عيسى.
الناشر : دار الأنوار المحمدية / القاهرة.

(٤٥) تفسير ابن كثير المسمى (تفسير القرآن العظيم) للامام اسماعيل بن كثير.
الناشر : دار احياء الكتب العربية / مصر.
(٤٦) تفسير ابي السعود المسمى (ارشاد العقل السليم الى مزايا القرآن الكريم) لقاضي القضاة أبي السعود محمد العمادي.
الناشر : دار احياء التراث العربي. بيروت - لبنان.
(٤٧) تفسير الخازن المسمى (لباب التأويل في معاني التنزيل). تأليف / الامام العلامة / علاء الدين علي محمد البغدادى المعروف بالخازن.
الناشر: دار المعرفة / بيروت - لبنان.
(٤٨) تفسير الرازى (التفسير الكبير) / فخر الدين الرازى.
الطبعة الأولى سنة ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.
الناشر : دار الفكر / لبنان.
(٤٩) تفسير الزمخشرى المسمى (الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل) للامام ابي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشرى.
الناشر : آفتاب - تهران.
(٥٠) تفسير الطبرى المسمى (جامع البيان في تفسير القرآن) تأليف أبى جعفر محمد بن جرير الطبرى.
الطبعة الرابعة سنة ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م
الناشر : دار المعرفة / بيروت - لبنان .
(٥١) تفسير المنار المسمى بتفسير القرآن الحكيم. تأليف محمد رشيد رضا
الناشر : دار المعرفة / بيروت - لبنان.

(٥٢) تفسير القرطبى المسمى (الجامع لأحكام القرآن) لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي. طبعة سنة ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م.
الناشر : دار الكتب العربية / القاهرة.

(٥٣) تفسير النسفي. للامام أبي البركات عبد الله النسفي.
الناشر : دار احياء الكتب العربية / القاهرة.

(٥٤) تفسير انجيل لوقا. جمع وتقديم / هلال أمين موسى. طبعة عام ١٩٧٠م.
الناشر : مكتبة كنيسة الأخوة / مصر.

(٥٥) تفسير انجيل متّى. لمجموعة من أشهر مفسرى الكتاب المقدّس.
الناشر : مكتبة النيل المسيحية.

(٥٦) تفسير انجيل يوحنا. جمع وتقديم / هلال أمين موسى.
الناشر : المطبعة التجارية الحديثة.

(٥٧) تفسير العهد الجديد (انجيل متّى). تأليف وليم باركلي.
نقله الى العربية القسّ / فايز فارس. الطبعة الثانية.
الناشر : دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية / بولاق - القاهرة.

(٥٨) تفسير العهد الجديد (انجيل مرقس). تأليف / وليم باركلي.
نقله الى العربية الدكتور القسّ / فهيم عزيز.
الناشر : دار الثقافة المسيحية / القاهرة.

(٥٩) تفسير العهد الجديد (الرسالة الى العبرانيين). وليم باركلي.
نقله الى العربية القسّ / جرجس هابيل.
الناشر : دار الثقافة المسيحية / القاهرة.

(٦٠) تفسير العهد الجديد (رسالتا غلاطية وأفسس). تأليف وليم باركلي.
نقلها الى العربية الدكتور القسّ / عبد المسيح اسطفانوس.
الناشر : دار الثقافة المسيحية / القاهرة.

(٦١) تفسير العهد الجديد (الرسائل الى فيلبي وكولوسي وتسالونيكي). تأليف وليم باركلي. نقلها الى العربية القسّ / جرجس هابيل.
الطبعة الثانية
الناشر : دار الثقافة المسيحية / القاهرة.

(٦٢) تفسير العهد الجديد (رسائل يوحنا ويهوذا). تأليف / وليم باركلي.
نقله الي العربية / جاد المنفلوطي.
الناشر : دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية / بولاق - القاهرة.

(٦٣) تفسير العهد الجديد (شرح بشارة يوحنا). تأليف / وليم باركلي.
ترجمة الدكتور / عزت زكي.
الناشر : دار الثقافة المسيحية / القاهرة.

(جـ)

(٦٤) الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح. تأليف شيخ الاسلام / احمد بن تيمية.
الناشر: مطابع المجد التجارية.

(٦٥) جريدة الندوة. عدد (٧٢٩٦) شركة مكة للطباعة والنشر.

(هـ)

(٦٦) حول أسطورة تجسّد الاله. عبد الصمد شرف الدين. (رسالة ماجستير) طبعة جامعة الملك عبد العزيز عام ١٣٩٨ هـ.

(٦٧) حياة شيخ الاسلام ابن تيمية. تأليف العلامة / محمد بهجة البيطار. الطبعة الثانية.

الناشر : المكتب الاسلامي / دمشق - بيروت.

(د)

(٦٨) دائرة المعارف الاسلامية. أصدرها بالانكليزية والفرنسية والالمانية / أئمة المستشرقين في العالم. الطبعة الثانية سنة ١٩٦٩م.

النسخة العربية اعداد وتحرير : ابراهيم زكي خورشيد، أحمد الشنتناوى،

الدكتور / عبد الحميد يونس.

الناشر : دار الشعب / القاهرة.

(٦٩) دائرة المعارف البريطانية.

(٧٠) دائرة المعارف. المعلم بطرس البستاني

الناشر : دار المعرفة / بيروت - لبنان.

(٧١) دائرة معارف القرن العشرين. تأليف / محمد فريد وجدى.

الطبعة الثالثة سنة ١٩٧١م.

الناشر دار المعرفة للطباعة والنشر / بيروت - لبنان.

(٧٢) دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة / موريس بوكاى.
الطبعة الرابعة سنة ١٩٧٧م.
الناشر: دار المعارف / لبنان.
(٧٣) دعوة الحقّ أو الحقيقة بين المسيحية والاسلام. تأليف / منصور حسين عبد العزيز القاضي. الطبعة الثانية.
الناشر: مكتبة علاء الدين / الاسكندرية.
(٧٤) الديارات. لأبي الحسن علي بن محمد المعروف بالشابشتي. تحقيق / كور كيس عوّاد. الطبعة الثانية سنة ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م.
الناشر: مطبعة المعارف / بغداد.
(٧٥) الديانات والعقائد في مختلف العصور. تأليف الأستاذ / أحمد عبد الغفور عطار. الطبعة الأولى سنة ١٤٠١هـ - ١٩٨١م مكة المكرمة
(٧٦) الدين (بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان) تأليف الدكتور / محمد عبدالله دراز. الطبعة الثانية سنة ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م.
الناشر : دار القلم / الكويت.
(٧٧) ديوان ذي الرمة. شرح الامام أبي نصر أحمد بن حاتم الباهلي.
حققه وقدّم له وعلّق عليه / عبد القدوس ابو صالح. طبعة عام ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
الناشر : مؤسسة الايمان / بيروت - لبنان.

(ذ)

(٧٨) الذات الآلهية بين الاسلام والنصرانية. عبد الشكور محمد أمان عبد الكريم (رسالة ماجستير) عام ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م.

(٧٩) الذبيحة الحية. تأليف / واتشمان ني. ترجمة وليم جندي.
الناشر : دار الثقافة المسيحية / القاهرة.

(ر)

(٨٠) الرد الجميل لآلهية عيسى بصريح الانجيل. للامام أبي حامد محمد الغزالي.
حققه وقدّم له وعلّق عليه / عبد العزيز عبد الحقّ حلمي.
طبعة سنة ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.
الناشر : الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية / القاهرة.

(٨١) ردّ رسالة ابحاث المجتهدين المطبوعة بذيل كتابب الفارق بين المخلوق والخالق لمؤلفه عبد الرحمن باجه جى زاده. طبعة سنة ١٣٢٢هـ.
الناشر : مطبعة التقدم بمصر.

(٨٢) الرد الوافر. تأليف / الحافظ محمد بن أبي بكر الدمشقي. تحقيق / زهير الشاويش. الطبعة الأولي سنة ١٣٩٣هـ.
الناشر : المكتب الاسلامي / دمشق / بيروت.

(٨٣) رسالة في اللاهوت والسياسة. سبينوزا. ترجمة وتقديم الدكتور / حسن حنفي. مراجعة الدكتور / فؤاد زكريا. طبعة سنة ١٩٧١م.
الناشر : الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر.

(س)

(٨٤) سنن أبي داود. للامام الحافظ / أبي داود سليمان السجستاني.
اعداد وتعليق : عزت عبيد الدعاس وعادل السيد.
الطبعة الأولى سنة ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.
الناشر : دار الحديث / حمص - سورية.

(٨٥) السيرة النبوية لابن هشام.
قدّم لها وعلّق عليها وضبطها / طَهَ عبد الرءوف سعد.
طبعة جديدة.
الناشر : شركة الطباعة الفنية المتحدة.

(ش)

(٨٦) شرح المقاصد. للعلامة / سعد الدين عمر التفتازاني.
طبعة سنة ١٢٧٧هـ.
الناشر : دار الطباعة العامرة.

(٨٧) شرح أصول الايمان. تأليف :
الدكتور القسّ أندراوس واطسون والدكتور القسّ ابراهيم سعيد.
الناشر : دار الثقافة المسيحية / القاهرة.

(ص)

(٨٨) صبح الأعشي في صناعة الانشا. تأليف أبي العباس أحمد بن علي القلقشندي.
الناشر : المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر.

(٨٩) صحيح البخاري. لأبي عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري.
الناشر : دار احياء التراث العربى / بيروت لبنان

(٩٠) صحيح مسلم. للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري.
تحقيق / محمد فؤاد عبد الباقي.
الناشر : دار احياء التراث العربي / بيروت - لبنان.

(٩١) صحيح مسلم بشرح النووي.
الناشر : المطبعة المصرية ومكتبتها.

(٩٢) الصليب المقدس . للأب متى المسكين. الطبعة الثالثة ١٩٧٩م.
الناشر : مطبعة دير القديس / أنبا مقار.

(٩٣) صوت الحقّ في البتولية في العهدين القديم والجديد والأساقفة الشبان.
تأليف / الأنبا باسيليوس.
الناشر: مطبعة رمسيس بالفجالة بمصر.

(ض)

(٩٤) ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة. تأليف / عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني. الطبعة الثانية ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.
الناشر : دار القلم / دمشق - بيروت.

(ط)

(٩٥) طائفة الموحدين من المسيحيين عبر القرون. تأليف / المهندس أحمد عبد الوهاب. الطبعة الأولى سنة ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.
الناشر : مكتبة وهبة / القاهرة.

(٩٦) الطب الاسلامي شفاء بالهدى القرآني. تأليف الدكتور / محمود أحمد نجيب. الطبعة الأولى. المحرم سنة ١٤٠٣هـ - اكتوبر ١٩٨٢.
الناشر : مكتبة وهبة / القاهرة.

(٩٧) الطبّ الوقائي في الاسلام. تأليف / الدكتور أحمد شوقي الفنجرى.
الناشر : الهيئة المصرية العامة للكتاب.

(ع)

(٩٨) عقائد أساسية (مدخل في علم اللاهوت). بقلم الدكتور / دونالد ديمارى ترجمة شاكر ابراهيم سعيد.
الناشر : مكتبة النيل المسيحية / القاهرة.

(٩٩) العقائد الوثنية في الديانة النصرانية./ تأليف الأستاذ محمد طاهر التنير. بيروت سنة ١٣٣٠هـ

(١٠٠) العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية. تأليف / أبي عبدالله محمد حامد الفقي.
الناشر : دار الكتب العلمية / بيروت - لبنان.

(١٠١) عقيدتنا التثليث والصلب وموقف الاسلام منهما. الأستاذ يونس توري. (رسالة ماجستير) عام ١٤٠٢/١٤٠٣هـ

(١٠٢) علامة الصليب. بقلم الدكتور / فؤاد بولس.
الناشر : دار الثقافة المسيحية / القاهرة.

(١٠٣) علم اللاهوت النظامي (المؤلف مجهول الاسم). رقم الطبعة ١/ ٢٠٠٠ - ١٩٧١م.
الناشر : دار الثقافة المسيحية / القاهرة.

(١٠٤) العلمانية (نشأتها وتطورها وآثارها في الحياة الإسلامية المعاصرة).
تأليف سفر بن عبدالرحمن الحوالي.
الناشر : دار مكة للطباعة والنشر والتوزيع.

(١٠٥) العهد الجديد والرسائل. اصدار : دار الكتاب المقدس في العالم العربي.

(غ)

(١٠٦) غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام. تأليف / محمد ناصر الدين الألباني. الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م
الناشر : المكتب الإسلامي / دمشق - بيروت.

(ف)

(١٠٧) الفارق بين المخلوق والخالق. تأليف/ عبدالرحمن بك باجه جي زاده.
الطبعة الأولى. سنة ١٣٢٢هـ
الناشر : مطبعة التقدم بمصر.

(١٠٨) فتح الباري بشرح صحيح البخاري. للإمام الحافظ/ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني.
صححه وحققه فضيلة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز.
طبعة سنة ١٣٨٠هـ
الناشر : المطبعة السلفية ومكتبتها / القاهرة.

(١٠٩) فجر المسيحية. بقلم حبيب سعيد.
الناشر : دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية / القاهرة.

(١١٠) الفَرق بين الفِرق . تأليف عبد القاهر بن طاهر البغدادي الاسفرائيني.
تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد.
الناشر : مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده / القاهرة.

(١١١) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان. تأليف/ شيخ الإسلام ابن تيمية. الطبعة الرابعة سنة ١٣٩٧هـ
الناشر : المكتب الإسلامي / بيروت.

(١١٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل. تصنيف الامام / أبي محمد علي بن حزم الأندلسي.
الناشر : مكتبة المثني ببغداد.

(١١٣) فهرس الكتاب المقدس. للدكتور جورج بوست. الطبعة الخامسة سنة ١٩٨١م.
الناشر : مكتبة المشعل / بيروت - لبنان.

(١١٤) في خطي المسيح. تأليف / نصري سلهب.
الناشر : دار الكتاب اللبناني - بيروت.

(ق)

(١١٥) قاموس الكتاب المقدس. تأليف نخبة من ذوى الاختصاص ومن اللاهوتيين.
الطبعة الثانية سنة ١٩٧١م.
الناشر : مجمع الكنائس في الشرق الأدني.

(١١٦) القاموس المحيط. للفيروز آبادى.
الناشر : مكتبة النورى / دمشق.

(١١٧) قصص الانبياء. تأليف الشيخ عبد الوهاب النجار.
الناشر : دار الفكر / بيروت.
(١١٨) قصة الحضارة. تأليف / ول ديورانت. ترجمة / محمد بدران.
الطبعة الثالثة سنة ١٩٧٣م
الناشر : الادارة الثقافية في جامعة الدول العربية / لجنة التأليف والترجمة والنشر.

(ك)

(١١٩) الكامل في التاريخ. للامام أبي الحسن علي بن محمد الشيباني المعروف بابن الأثير.
عني بمراجعة أصوله والتعليق عليه / لجنة من العلماء.
الطبعة الرابعة سنة ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
الناشر : دار الكتاب العربي / بيروت.
(١٢٠) الكتاب المقدس (العهد القديم والعهد الجديد).
الناشر : جمعيات الكتاب المقدس في الشرق الأدنى.
(١٢١) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون. تأليف العلامة / حاجي خليفة. طبعة سنة ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
الناشر : دار الفكر.

(ل)

(١٢٢) لسان العرب. للامام العلامة أبي الفضل جمال الدين محمد بن منظور.
الناشر : دار صادر / بيروت.

(م)

(١٢٣) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين. تأليف أبي الحسن علي الحسني الندوي. الطبعة الرابعة.

(١٢٤) ما يجب ان يعرفه المسلم من حقائق عن النصرانية والتبشير. تأليف ابراهيم السليمان الجبهان. الطبعة الاولى سنة ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م.

الناشر : المطابع الأهلية للأوفست / الرياض.

(١٢٥) مجلة رسالة الحياة المسيحية / السنة الأولى والثانية.

(١٢٦) مجموعة الرسائل الكبرى. تأليف / شيخ الاسلام ابن تيمية.

الطبعة الثانية سنة ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م.

الناشر : دار احياء التراث العربي / بيروت - لبنان.

(١٢٧) مجموعة الرسائل والمسائل. تأليف / شيخ الاسلام ابن تيمية.

الطبعة الأولى. سنة ١٣٤١هـ.

الناشر : مطبعة المنار بمصر.

(١٢٨) مجموع الفتاوي شيخ الاسلام أحمد بن تيمية . جمع وترتيب / عبد الرحمن ابن محمد الحنبلي. الطبعة الاولى.

(١٢٩) محاضرات في النصرانية. تأليف الشيخ محمد أبو زهرة.

الطعبة الثالثة سنة ١٣٨١هـ - ١٩٦١م.

الناشر : دار الكتاب العربي.

(١٣٠) محمد نبي الاسلام في التوراة والانجيل والقرآن. تأليف / محمد عزت اسماعيل الطهطاوى.

الناشر : مطبعة التقدم.

(١٣١) مختار الصحاح. تأليف / محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازى.

طبعة عام ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

الناشر : دار الكتاب العربي / بيروت - لبنان.

(١٣٢) مذاهب فكرية معاصرة. الأستاذ الشيخ محمد قطب.
الطبعة الأولي سنة ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
الناشر : دار الشروق.
(١٣٣) مسند الامام أحمد بن حنبل.
الناشر : دار صادر / بيروت.
(١٣٤) المسيح انسان أم اله. محمد مجدي مرجان.
الناشر : دار النهضة العربية / القاهرة.
(١٣٥) المسيح في مصادر العقائد المسيحية (خلاصة أبحاث علماء المسيحية في الغرب).
تأليف المهندس / أحمد عبد الوهاب.
الطبعة الاولي سنة ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.
الناشر : مكتبة وهبة / القاهرة.
(١٣٦) المسيح في مفهوم معاصر. تأليف / عصام الدين حفني ناصف.
الناشر : دار الطليعة للطباعة والنشر / بيروت.
(١٣٧) المسيحية (مقارنة الاديان) تأليف الدكتور / أحمد شلبي.
الطبعة الخامسة سنة ١٩٧٧م.
الناشر : مكتبة النهضة المصرية / القاهرة.
(١٣٨) المسيحية الرابعة . تأليف / الدكتور رءوف شلبي.
الطبعة الأولي سنة ١٤٠٠هـ - ١٩٧٩م.
الناشر : مكتبة الأزهر للطباعة والنشر والتوزيع.
(١٣٩) المسيحية في جوهرها. تأليف / جون ستوت. تعريب / نجيب غالي.
الناشر : دار يوسف كمال للطباعة.

(١٤٠) المسيحية (نشأتها وتطورها). تأليف / شارل جنيبير.
ترجمة الدكتور الشيخ / عبد الحليم محمود.
الناشر : المكتبة العصرية للطباعة والنشر / صيدا - بيروت.
(١٤١) معالم تاريخ الانسانية. هـ. ج. ولز
ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد الطبعة الثالثة سنة ١٩٦٧م
الناشر : مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر / القاهرة.
(١٤٢) معاول الهدم والتدمير في النصرانية وفي التبشير. تأليف / ابراهيم سليمان الجبهان. الطبعة الرابعة سنة ١٩٨١م.
الناشر : عالم الكتب.
(١٤٣) مع الأنبياء في القرآن الكريم. تأليف / عفيف عبد الفتاح طباره.
الطبعة الحادية عشرة سنة ١٩٨٢م.
دار العلم للملايين / بيروت - لبنان.
(١٤٤) مع المسيح في آلامه حتي الصليب. تأليف / الأب متى المسكين.
الطبعة الرابعة سنة ١٩٨١م.
الناشر : مطبعة دير القديس أنبا مقار.
(١٤٥) مع المسيح في الأناجيل الأربعة. تأليف / فتحي عثمان.
الطبعة الثانية.
الناشر : الدار القومية للطباعة والنشر / القاهرة.
(١٤٦) معجم البلدان. ياقوت الحموى. طبعة سنة ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م.
الناشر : دار صادر / بيروت.
(١٤٧) المعجم الفلسفي. مجمع اللغة العربية. طبعة سنة ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
الناشر : الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية / القاهرة.

(١٤٨) المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوى (عن الكتب الستة وعن مسند الدرامي وموطأ مالك ومسند أحمد بن حنبل).
رتّبه ونظمه لفيف من المستشرقين.
ونشره الدكتور أ. ى. وِنْسِنْكْ. أستاذ العربية بجامعة ليدن.
الناشر : مكتبة بريل في مدينة ليدن سنة ١٩٣٦م.

(١٤٩) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم. وضعه / محمد فؤاد عبد الباقي.
طبعة سنة ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.
الناشر : دار الفكر.

(١٥٠) معجم المؤلفين. تأليف عمر رضا كحالة.
الناشر : مكتبة المثنى / بيروت ودار احياء التراث العربي / بيروت.

(١٥١) المعجم الوسيط. الطبعة الثانية.
الناشر : دار الفكر.

(١٥٢) المغني في أبواب التوحيد والعدل. للقاضي أبي الحسن عبد الجبار الهمداني. تحقيق / ابو العلا عفيفي. اشراف الدكتور / طَهَ حسين
الناشر : الدار المصرية للتأليف والترجمة.

(١٥٣) مقامع الصلبان. لأبي عبيدة أحمد بن عبد الصمد الخزرجي حققه وقدّم له / عبد المجيد الشرفي. وكذلك نفس الكتاب حققه وقدم له وعلق عليه الدكتور محمد شامة وأسماه بين الاسلام والمسيحية.
الطبعة الثانية سنة ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.
الناشر : مكتبة وهبة / القاهرة.

(١٥٤) الملل والنحل. للامام أبي الفتح عبد الكريم الشهرستاني. بهامش كتاب الفصل لابن حزم.
الناشر : مكتبة المثني ببغداد.

(١٥٥) المنتخب الجليل من تخجيل من حرف الانجيل. لأبي الفضل المالكي المسعودي (مخطوطة)

(١٥٦) المنجد في اللغة والأعلام. طبعة ٢٦.
الناشر : دار المشرق / بيروت،

(١٥٧) المؤامرة على الاسلام. تأليف / أنور الجندى. الطبعة الثانية سنة ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.
الناشر : دار الاعتصام.

(١٥٨) الموسوعة الأمريكية.

(١٥٩) موسوعة عباس محمود العقاد (توحيد وأنبياء).
الطبعة الأولي سنة ١٣٩١هـ - ١٩٧١م.
الناشر : دار الكتاب العربي / بيروت.

(١٦٠) الموسوعة العربية الميسرة باشراف محمد شفيق غربال. الطبعة الثانية
الناشر : دار ومؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر.

(١٦١) موقف ابن تيمية من التصوف والصوفية (رسالة ماجسير) سنة ١٣٩٨ هـ . د. أحمد محمد البستاني .

(١٦٢) الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية. تأليف / الدكتور عبد المنعم الحفني
الطبعة الأولى سنة ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.
الناشر : مكتبة مدبولي / القاهرة.

(ن)

(١٦٣) النبوات. تأليف شيخ الاسلام ابن تيمية.
الناشر : دار القلم / بيروت - لبنان.

(١٦٤) النصرانية والاسلام. تأليف المستشار محمد عزّت اسماعيل الطهطاوى.
الناشر : مكتبة دار الأنصار / القاهرة.

(١٦٥) نظرية النسخ في الشرائع السماوية. تأليف / الدكتور شعبان اسماعيل.
الناشر : مطابع الدجوى / القاهرة.

(هـ)

(١٦٦) هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى. تأليف / ابن قيم الجوزية من مطبوعات الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة عام ١٣٩٦هـ.

(ى)

(١٦٧) ياأهل الكتاب تعالوا الي كلمة سواء. تأليف الدكتور / رءوف شلبي الطبعة الثانية سنة ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.
الناشر : دار الاعتصام / القاهرة.

(١٦٨) يسوع المسيح (شخصيته وتعاليمه). تأليف الأب بولس الياس اليسوعي. الطبعة الثانية.
الناشر : المطبعة الكاثوليكية / بيروت.

(١٦٩) أسد الغابة في معرفة الصحابة. تأليف الشيخ العلاّمة / عزّ الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد الشيباني المعروف بابن الأثير.
الناشر : المكتبة الاسلامية لصاحبها الحاج رياض الشيخ.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

تابع فهرس الموضوعات

تابع فهرس الموضوعات

تابع فهرس الموضوعات

تابع فهرس الموضوعات

تابع فهرس الموضوعات

تابع فهرس الموضوعات

تابع فهرس الموضوعات

تابع فهرس الموضوعات

تابع فهرس الموضوعات

تابع فهرس الموضوعات

تابع فهرس الموضوعات

مطابع جامعة أم القرى